

تحتوي هذا الكتاب على ما يلي :

مِرْقَاةُ النُّبَرِ

إلى معاني رسالة "الكُنْهُ فِي مَا لَا يَدُ الْمُرِيدِ مِنْهُ"
الرسالة للشيخ محي الدين بن عربي (ت 638 هـ)

نُورُ الْحَقِّ وَالْيَقِينِ

على عقيدة "حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينِ فِي عَقِيدَةِ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ مُحَمَّدٍ الْإِسْكَانِيِّ"
الرسالة للحسين بن طُعْمَةَ الْبَيْتَمَانِيِّ الدِّمَشْقِيِّ (ت 1175 هـ)

الْإِمْتِنَانُ

فيما نقله الشيخ ابن عربي من مسائل الإجماع

نُظْمُ الدُّرِّ وَاللَّائِلِ

في تبرئة الشيخ ابن عربي من الزَّيغ والضَّلال

جلد نایب

الأصْلُ الْمَتِينُ

في عقيدة وتبرئة الشيخ
ابن عربي محي الدين

ومعه

رسائل له في العقائد

شرح وتحقيق وتعليق
الشيخ جميل بن محمد علي سليم
دكتور محاضر في العقائد والفرق
رئيس جمعية المساجد الصوفية

دار المنشات
للطباعة والنشر والتوزيع

الأصل المَتِين

في عَقِيدَةِ وَتَبَرُّثِ الشَّيْخِ

ابنِ عَرَبِيٍّ مُحِيٍّ الدِّينِ

وَمَعَهُ

رَسَائِلُ لَهُ فِي الْعَقَائِدِ

شرح وتحقيق وتعليق

الشيخ الدكتور جميل حليم الأشعري الشافعي

دكتور محاضر في العقائد والفرق

غفر الله له ولوالديه ولمشايعه

نُورُ الْحَقِّ وَالْيَقِينِ

عَلَى رِسَالَةٍ

«حَبْلِ اللَّهِ الْمَتِينِ فِي عَقِيدَةِ الشَّيْخِ الْأَكْبَرِ مُحَمَّدِي الدِّينِ»

الرَّسَالَةُ لِلْحُسَيْنِ بْنِ طُعْمَةِ الْبَيْتْمَانِي الدِّمَشْقِيِّ الرَّفَاعِيِّ (ت ١١٧٥هـ)

تَلْمِيزُ الشَّيْخِ عَبْدِ الْغَنِيِّ النَّابُلُسِيِّ

شرح وتحقيق وتعليق

الشيخ الدكتور جميل حليم الأشعري الشافعي

دكتور محاضر في العقائد والفرق

غفر الله له ولوالديه ولمشايعه

أسانيد الشيخ الدكتور جميل حليم الحسيني

في رسالة «حبل الله المتين في عقيدة الشيخ ابن عربي محيي الدين»

للشيخ حسين بن طعمة بن محمد البيتاني الميداني الدمشقي الشافعي الرفاعي
تلميذ الشيخ عبد الغني النابلسي

الشيخ الدكتور جميل حليم الحسيني قراءة على الأستاذ المُسند محمد مطيع بن محمد الحافظ الدمشقي [١] عن الشيخ المعمر عبد المحسن الأسطواني الدمشقي [٢] عن السيد محمود أفندي الحمزاوي الحسيني [٣] عن عبد الرحمن الكزبري [٤] عن الشيخ مصطفى بن محمد الرحمتي [٥] الشيخ مصطفى بن كمال الدين البكري الخلوتي [٦] عن الشيخ حسين بن طعمة بن محمد البيتاني الميداني الدمشقي الشافعي الرفاعي [٧] عن الشيخ عبد الغني النابلسي.

ويروي عبد الرحمن الكزبري الحفيد الدمشقي أيضًا [٤] عن الشيخ مصطفى بن محمد الرحمتي [٥] عن الشيخ عبد الغني النابلسي [٦] عن نجم الدين الغزي [٧] عن أبيه بدر الدين الغزي [٨] عن القاضي زكريا الأنصاري [٩] عن أبي الفتح محمد بن زين الدين العثماني المراغي [١٠] عن إسماعيل بن إبراهيم الهاشمي العقيلي الجبرتي الزبيدي [١١] عن أبي الحسن علي بن عمر الداني الصوفي [١٢] عن العارف الشيخ محيي الدين بن عربي الحاتمي رحمه الله تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ الشَّيْخُ حُسَيْنُ بْنُ طُعْمَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَيْتَمَانِيُّ الْمَيْدَانِيُّ الدِّمَشْقِيُّ الشَّافِعِيُّ
الرِّفَاعِيُّ تَلْمِيزُ الشَّيْخِ عَبْدِ الْغَنِيِّ التَّابُلِسِيِّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي دَعَا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْإِيمَانِ فَلَبَّوْهُ إِلَى ذَلِكَ بِالسِّرِّ.....

مُقَدِّمَةُ حَبْلِ اللَّهِ الْمَتِينِ

أَبْتَدِئُ الرِّسَالَةَ هَذِهِ مُتَبَرِّكًا (ب) ذِكْرِ (اسْمِ اللَّهِ) وَمَتَأَسِّيًّا بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، فَأَوَّلُ
آيَةٍ مِنَ الْفَاتِحَةِ الْبِسْمَلَةُ، وَالْفَاتِحَةُ أَوَّلُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ تَرْتِيبًا لَا نُزُولًا.
و(الرَّحْمَنُ) و(الرَّحِيمُ) اسْمَانِ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى الْكَمَالِ اللَّائِقِ بِذَاتِهِ عَزَّ
وَجَلَّ، وَلَفْظُ «الرَّحْمَنُ» أَبْلَغُ مِنْ لَفْظِ «الرَّحِيمِ» لِأَنَّ فِيهِ زِيَادَةَ بِنَاءٍ، وَزِيَادَةَ بِنْيَةِ فِي
الْكَلِمَةِ تَدُلُّ عَلَى زِيَادَةِ الْمَعْنَى غَالِبًا، كَمَا فِي قَطْعٍ وَقَطَعَ، وَمَعْنَى «الرَّحْمَنُ» ذُو الرَّحْمَةِ
الشَّامِلَةِ الَّتِي وَسَعَتْ الْخَلْقَ فِي أَرْزَاقِهِمْ وَأَسْبَابِ مَعَايِشِهِمْ وَمَصَالِحِهِمْ، قَالَه الْخَطَّابِيُّ،
وَمَعْنَى «الرَّحِيمِ» الْكَثِيرُ الرَّحْمَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ، أَيْ أَنَّهُ حَصَّ الْمُؤْمِنِينَ بِالرَّحْمَةِ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ، وَهُوَ تَعَالَى الْمُنْعِمُ بِدَقَائِقِ النِّعَمِ.

(الْحَمْدُ لِلَّهِ) أَيِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ تَعَالَى عَلَى الْجَمِيلِ الْإِخْتِيَارِيِّ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ (الَّذِي دَعَا
عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ) وَغَيْرَهُمْ (إِلَى الْإِيمَانِ) وَأَمَرَهُمْ بِذَلِكَ (فَدَالِ الْمُؤْمِنُونَ (لَبَّوْهُ)
وَاسْتَجَابُوا وَأَذَعَنُوا (إِلَى ذَلِكَ) الْأَمْرِ فَآمَنُوا (بِالسِّرِّ) أَيِ بَاطِنًا وَلَمْ يُنَافِقُوا

وَالْإِعْلَانِ، وَعَرَفَهُمْ بِأَحْكَامِ شَرِيعَتِهِ وَكَشَفَ لَهُمْ عَنْ مَقَامِ الْإِحْسَانِ، فَعَمِلُوا
بِأَحْكَامِ الْحَمْدِ لِلَّهِ الَّذِي دَعَا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْإِيمَانِ، فَلَبَّوْهُ إِلَى ذَلِكَ بِالسِّرِّ
وَالْإِعْلَانِ، وَعَرَفَهُمْ بِأَحْكَامِ شَرِيعَتِهِ وَكَشَفَ لَهُمْ عَنْ مَقَامِ الْإِحْسَانِ، فَعَمِلُوا
بِأَحْكَامِ شَرِيعَتِهِ فِي ظَوَاهِرِهِمْ، وَشَهِدُوا إِطْلَاقًا لِتَوْحِيدِهِ فِي بَوَاطِنِهِمْ، وَذَلِكَ مِنْ
كَمَالِ الْإِيمَانِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾ [النِّسَاء: ١٣٦] فَتَطَوَّلَتْ إِلَى
ذَلِكَ رِقَابُ الرِّجَالِ وَشَخَصَتْ إِلَيْهِ أَبْصَارُهُمْ.....

(و)ب-(الْإِعْلَانِ) أَي جَهْرًا بِإِسْلَامِهِمْ ظَاهِرًا (و)قَدْ (عَرَفَهُمْ) اللَّهُ تَعَالَى (بِأَحْكَامِ
شَرِيعَتِهِ) عَنْ طَرِيقِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ إِلَى الْبَشَرِ (وَكَشَفَ لَهُمْ) أَي لِلْعِبَادِ
(عَنْ مَقَامِ الْإِحْسَانِ) بَأَن عَرَفَهُمْ إِيَّاهُ، كَمَا جَاءَ ذَلِكَ فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ، (فَعَمِلُوا) أَي الْمُؤْمِنُونَ (بِأَحْكَامِ شَرِيعَتِهِ فِي ظَوَاهِرِهِمْ) وَانْقَادُوا لَهَا
مُصَدِّقِينَ بِهَا (وَشَهِدُوا) بِالْإِسْنَتِهِمْ (إِطْلَاقًا) أَي إِعْلَانًا وَطَبَاقًا (لِتَوْحِيدِهِ) أَي
تَوْحِيدِهِمْ إِيَّاهُ (فِي بَوَاطِنِهِمْ) أَي قُلُوبِهِمْ فَطَبَقَ عِلْمُهُمْ وَاعْتِقَادُهُمْ إِقْرَارَهُمْ
بِلِسَانِهِمْ وَثَبَتُوا عَلَى الْإِيمَانِ وَعَمِلُوا بِالشَّرِيعَةِ (وَذَلِكَ) أَي الْأَعْمَالُ (مِنْ كَمَالِ
الْإِيمَانِ) فَإِنَّ الْإِيمَانَ أَصْلُهُ لَا يَتَغَيَّرُ وَلَكِنَّهُ يَزِيدُ كَمَالًا بِالطَّاعَاتِ (فَقَالَ تَعَالَى:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾ [النِّسَاء: ١٣٦] أَي اثْبُتُوا عَلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ (فَتَطَوَّلَتْ)
أَي امْتَدَّتْ (إِلَى ذَلِكَ رِقَابُ الرِّجَالِ وَشَخَصَتْ إِلَيْهِ أَبْصَارُهُمْ) وَذَلِكَ كِنَايَةً عَنْ

وَابْتَهَجَتْ بِهِ قُلُوبُهُمْ، وَذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمُ وَالْامْتِنَانِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا رَسُولُهُ وَعَبْدُهُ، جَاءَنَا بِالْحَقِّ فَبَلَّغَ الْإِنْسَ وَالْجَانَّ، وَرِضْوَانُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنِ الْآلِ الظَّاهِرِينَ.....

أَنَّهُمْ فَرِحُوا بِذَلِكَ (وَابْتَهَجَتْ) أَيِ سَعِدَتْ (بِهِ) أَيِ بِالْإِسْلَامِ وَشَرِيعَتِهِ (قُلُوبُهُمْ) وَذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمُ وَالْامْتِنَانِ) أَيِ الْمِنَّةِ وَالْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ.

(وَأَشْهَدُ) أَيِ أَعْلَمُ وَأَعْتَقِدُ بِقَلْبِي وَأُقِرُّ بِلِسَانِي (أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) أَيِ لَا مَبْعُودَ يَحَقُّ إِلَّا هُوَ (وَحْدَهُ) وَأَمَّا مَا عَبَدَهُ الْكُفَّارُ مِنْ أَوْثَانٍ وَشَمْسٍ وَقَمَرٍ كُلِّ ذَلِكَ عَبَدُوهُ بِغَيْرِ حَقٍّ لِأَنَّهُ لَا أَحَدَ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، (وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا) وَسَيِّدَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ (مُحَمَّدًا) وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْقُرَشِيُّ (رَسُولُهُ) أَيِ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً (وَعَبْدُهُ) الْمُفَضَّلُ عَلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّم أَجْمَعِينَ، وَقَدْ (جَاءَنَا) مُحَمَّدٌ ﷺ كَمَا جَاءَ مِنْ قَبْلِهِ إِخْوَانُهُ الْأَنْبِيَاءُ (بِ)الْإِسْلَامِ دِينِ (الْحَقِّ) الْمُبِينِ (فَبَلَّغَ) الرِّسَالَةَ (الْإِنْسَ وَالْجَانَّ) وَأَدَّى الْأَمَانَةَ (وَرِضْوَانُ) أَيِ رِضَا (اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنِ الْآلِ الظَّاهِرِينَ) وَهُمْ إِنْ أُريدَ بِهِمْ مُطْلَقٌ أَتْبَاعَ النَّبِيِّ ﷺ الْأَتْقِيَاءُ فَتَجِبُ مُحَبَّتُهُمْ لِأَنَّهُمْ أَحِبَابُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِمَا لَهُمْ مِنَ الْقُرْبِ الْمَعْنَوِيِّ إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ الْكَامِلَةِ، وَإِنْ أُريدَ بِالْآلِ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ وَأَقْرِبَاؤُهُ الْمُؤْمِنُونَ فَوْجُوبُ مُحَبَّتِهِمْ لِمَا خُصُّوا بِهِ مِنَ الْفَضْلِ، (وَرِضْوَانُ اللَّهِ عَنِ خِيَارِ

وَالصَّحَابَةِ الْأَكْرَمِينَ، وَعَنِ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ الَّذِينَ بَيَّنُّوا لَنَا أُمُورَ الدِّينِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ، أَمَّا بَعْدُ، فَيَقُولُ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ حُسَيْنُ بْنُ الشَّيْخِ طُعْمَةَ الْبَيْتَمَانِيِّ ثُمَّ الدِّمَشْقِيِّ تَلْمِيزُ الْغَوْثِ الْمُقَرَّبِ وَالْمُحَقِّقِ الْمُؤَدِّبِ صَاحِبِ الْمَشْرَبِ الْقُدْسِيِّ وَالْمَشْهَدِ الْأَنْسِيِّ الشَّيْخِ عَبْدِ الْغَنِيِّ ابْنِ الشَّيْخِ إِسْمَاعِيلَ التَّابِلِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ وَأَمَدَّنَا مِنْهُ:

هَذِهِ رِسَالَةٌ مُخْتَصَرَةٌ نَذْكُرُ فِيهَا مَا يَتَعَيَّنُ.....

(الصَّحَابَةُ الْأَكْرَمِينَ) الْمُتَجَبِّينَ (وَ) رِضْوَانُهُ تَعَالَى (عَنِ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ) أَيِ الْأَتْقِيَاءِ مِنْهُمْ (الَّذِينَ بَيَّنُّوا لَنَا أُمُورَ الدِّينِ) أَصُولًا وَفُرُوعًا (وَ) رِضْوَانُ اللَّهِ عَنِ (التَّابِعِينَ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ) الْقِيَامَةِ يَوْمِ (الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ) حَيْثُ لَا تَخْفَى خَافِيَةٌ.

(أَمَّا بَعْدُ) أَيِ أَمَّا بَعْدَمَا تَقَدَّمَ مِنْ كَلَامٍ (فَيَقُولُ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ) إِلَى اللَّهِ تَعَالَى (حُسَيْنُ بْنُ الشَّيْخِ طُعْمَةَ الْبَيْتَمَانِيِّ) الْأَصْلِ (ثُمَّ الدِّمَشْقِيِّ) الْمِيدَانِيِّ الْقَادِرِيِّ الرَّفَاعِيِّ (تَلْمِيزُ) الْوَلِيِّ (الْغَوْثِ الْمُقَرَّبِ) مَنَزَلَةً (وَالْمُحَقِّقِ) فِي عِلْمِ الشَّرِيعَةِ (الْمُؤَدِّبِ) لِلْمُرِيدِينَ (صَاحِبِ الْمَشْرَبِ الْقُدْسِيِّ) أَيِ الْمِيلِ الصَّوْفِيِّ الصَّادِقِ (وَالْمَشْهَدِ الْأَنْسِيِّ الشَّيْخِ عَبْدِ الْغَنِيِّ ابْنِ الشَّيْخِ إِسْمَاعِيلَ التَّابِلِسِيِّ) الدِّمَشْقِيِّ الْحَنْفِيِّ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ١١٤٣ هـ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ وَأَمَدَّنَا) بِمَدَدِ (مِنْهُ) ءَامِينَ.

فـ (هَذِهِ رِسَالَةٌ) فِي التَّوْحِيدِ (مُخْتَصَرَةٌ) سَهْلَةً الْعِبَارَاتِ (نَذْكُرُ فِيهَا مَا يَتَعَيَّنُ) أَيِ

عَلَى الْعَبْدِ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى بِطَرِيقِ الْإِجْمَالِ فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ، كَمَا هُوَ عَلَيْهِ
 أَهْلُ الطَّرِيقَةِ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ، أَهْلُ الصَّلَاحِ وَالْيَقِينِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالِدِّينِ، وَهِيَ عَقِيدَةُ
 الشَّيْخِ الْفَاضِلِ، وَالْوَاصِلِ الْكَامِلِ، صَاحِبِ الرُّسُوحِ وَالتَّحْقِيقِ، وَالِدِّيَانَةِ وَالتَّوْفِيقِ،
 مَوْلَانَا الشَّيْخِ الْأَكْبَرِ مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَرَبِيِّ الْمَغْرِبِيِّ الطَّائِي الْحَاتِمِيِّ.....

يَجِبُ (عَلَى الْعَبْدِ) الْمَكْلَفِ (مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى بِطَرِيقِ الْإِجْمَالِ فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ)
 مِنْ دُونِ إِيرَادٍ لِلدَّلِيلَةِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ التَّفْصِيلِيَّةِ، وَإِنَّهَا مَسْوُوقَةٌ (كَمَا هُوَ عَلَيْهِ
 أَهْلُ الطَّرِيقَةِ) الصُّوفِيَّةِ (مِنْ) أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ (الْمُحَقِّقِينَ) الْعُلَمَاءِ
 الصَّادِقِينَ (أَهْلُ الصَّلَاحِ) أَيِ التَّقْوَى ظَاهِرًا (وَالْيَقِينِ) بَاطِنًا (وَالْمَعْرِفَةِ) الرَّاسِخَةِ
 قَلْبًا (وَالِدِّينِ) الْقَيِّمِ انْتِصَابًا (وَ) هَذِهِ الْعَقِيدَةُ (هِيَ) أَيْضًا (عَقِيدَةُ الشَّيْخِ الْفَاضِلِ)
 أَيِ صَاحِبِ الْجَاهِ وَالْقَدْرِ (وَالْوَاصِلِ) إِلَى الرَّتَبِ الْعَالِيَةِ (الْكَامِلِ صَاحِبِ الرُّسُوحِ
 وَالتَّحْقِيقِ) فِي عُلُومِ الشَّرِيعَةِ (وَ) ذِي (الدِّيَانَةِ) أَيِ الدِّينِ الَّذِي يَهْتَمُّ بِأَمْرِ الدِّينِ
 اهْتِمَامًا كَبِيرًا (وَ) ذِي (التَّوْفِيقِ) مِنَ اللَّهِ إِلَى الطَّاعَاتِ (مَوْلَانَا) وَسَيِّدِنَا (الشَّيْخِ
 الْأَكْبَرِ) هُوَ الَّلَقْبُ الَّذِي أَطْلَقَهُ عَلَيْهِ الشَّيْخُ عَبْدُ الْوَهَّابِ الشَّعْرَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ
 (مُحْيِي الدِّينِ) هُوَ لَقْبُهُ وَكُنْيَتُهُ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ (بْنِ عَرَبِيِّ
 الْمَغْرِبِيِّ) مِنَ الْأَنْدَلُسِ مِنْ مَدِينَةِ مُرْسِيَّةِ "Murcia" مَوْلِدًا وَ(الطَّائِي الْحَاتِمِيِّ) نَسَبُهُ

قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ، وَنَوَّرَ ضَرِيحَهُ. وَقَدْ قَرَأْتُ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ عَلَى شَيْخِنَا الشَّيْخِ
عَبْدِ الْغَنِيِّ الْمَذْكُورِ حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَكَانَ مَجْلِسًا حَافِلًا، فَظَهَرَتْ مِنْهُ هَيْبَةٌ
عَظِيمَةٌ أَفْشَعَرَتْ مِنْهَا الْجُلُودَ وَأَظْمَأَنْتْ بِهَا الْقُلُوبَ. وَقَدْ أَشْهَدْتُ شَيْخِي الْمَذْكُورَ
فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عَلَى نَفْسِي بِأَنِّي عَلَى هَذِهِ الْعَقِيدَةِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، فَشَهِدَ لِي.....

فِي أَصْلِهِ الْعَرَبِيُّ إِلَى حَاتِمِ الطَّائِيٍّ مِنْ وَلَدِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَاتِمٍ وَلَيْسَ مِنَ الصَّحَابِيِّ
عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ عَلَى مَا ذَكَرَهُ أَحْمَدُ الْمَقْرِيُّ فِي «نَفْحِ الطَّيِّبِ» (قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ) أَيْ
ظَهَّرَهَا (وَنَوَّرَ ضَرِيحَهُ) أَيْ قَبْرَهُ بِنُورِ النِّعَمِ.

(وَقَدْ قَرَأْتُ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ عَلَى شَيْخِنَا الشَّيْخِ عَبْدِ الْغَنِيِّ التَّابِلَسِيِّ (الْمَذْكُورِ)
حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى) وَكَانَتْ قِرَاءَتُهَا بِدِمَشْقَ (وَكَانَ مَجْلِسًا حَافِلًا) أَيْ مَلِيًّا بِالْحُضُورِ
(فَظَهَرَتْ مِنْهُ) أَيْ مِنْ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ (هَيْبَةٌ عَظِيمَةٌ) لِعَظِيمِ مَا كَانَ يُقْرَأُ وَلِلرَّحْمَةِ
وَالسَّكِينَةِ الَّتِي نَزَلَتْ بِالْمَكَانِ حَتَّى (أَفْشَعَرَتْ مِنْهَا) أَيْ مِنْ تِلْكَ الْهَيْبَةِ الَّتِي
أَحَاطَتْ بِالْحَاضِرِينَ (الْجُلُودُ) مِنْهُمْ (وَأَظْمَأَنْتْ) أَيْ سَكَنْتْ (بِهَا الْقُلُوبُ) مِنْ سِرِّ
هَذِهِ الْهَيْبَةِ (وَقَدْ أَشْهَدْتُ شَيْخِي) عَبْدَ الْغَنِيِّ التَّابِلَسِيِّ (الْمَذْكُورَ) فِي الْمَجْلِسِ
(فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ) الَّذِي قَرَأْتُهَا عَلَيْهِ فِيهِ شَهَادَةٌ (عَلَى نَفْسِي بِأَنِّي عَلَى هَذِهِ الْعَقِيدَةِ
ظَاهِرًا) عَلَانِيَةً وَمُقْتَضًى (وَبَاطِنًا) سِرًّا وَقَلْبًا (فَشَهِدَ لِي) الشَّيْخُ عَبْدُ الْغَنِيِّ

وَلِلَّهِ الْحَمْدُ بِذَلِكَ. وَإِنِّي لَأَرْجُو مِمَّنْ يَقِفُ عَلَى هَذِهِ الْعَقِيدَةِ مِنَ الْإِخْوَانِ أَنْ يَشْهَدَ
لِي بِهَا فِي الْآخِرَةِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَسَمَّيْتُهَا
«حَبْلَ اللَّهِ الْمَتِينِ فِي عَقِيدَةِ الشَّيْخِ الْأَكْبَرِ مُحْيِي الدِّينِ»، وَهِيَ قَوْلُهُ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ
بَعْدَ تَمَامِ كَلَامِ نَفِيسٍ مُؤَسَّسٍ عَلَى أَقْوَمِ تَأْسِيسٍ فِي الْعَقَائِدِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْأَعْمَالِ
الشَّرْعِيَّةِ.....

(وَلِلَّهِ الْحَمْدُ) أَي لَهُ الثَّنَاءُ (بِذَلِكَ) وَالْفَضْلُ. (وَإِنِّي لَأَرْجُو) أَي أَوْمِلُ (مِمَّنْ يَقِفُ
عَلَى هَذِهِ الْعَقِيدَةِ) سَمَاعًا أَوْ قِرَاءَةً (مِنَ الْإِخْوَانِ) فِي الْإِسْلَامِ (أَنْ يَشْهَدَ لِي بِهَا فِي
الْآخِرَةِ عِنْدَ اللَّهِ) تَبَارَكَ وَتَعَالَى (أَي يَوْمَ الْحِسَابِ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا مَكَانَ لَهُ، (وَاللَّهُ)
تَعَالَى (خَيْرٌ حَافِظًا) فَإِلَيْهِ نَفْتَقِرُ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ (وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) فَأَرْجُو أَنْ يُنْعِمَ
عَلَيَّ بِالْحِفْظِ (وَسَمَّيْتُهَا) أَي رِسَالَةَ الْعَقِيدَةِ: (حَبْلَ اللَّهِ الْمَتِينِ) أَي الْعَهْدَ الْوَثِيقَ
الْمَأْخُوذَ عَلَى الْعِبَادِ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى (فِي) بَيَانِ (عَقِيدَةِ الشَّيْخِ الْأَكْبَرِ مُحْيِي
الدِّينِ) وَالَّتِي هِيَ مُوَافِقَةٌ لِعَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

(وَ) هَذِهِ الْعَقِيدَةُ (هِيَ قَوْلُهُ) أَي قَوْلُ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَرَبِيٍّ (قَدَّسَ اللَّهُ
رُوحَهُ) أَي طَهَّرَهَا، وَذَلِكَ (بَعْدَ تَمَامِ كَلَامِ) لَهُ (نَفِيسٍ) ذَكَرَهُ فِي بَعْضِ كُتُبِهِ
(مُؤَسَّسٍ) أَي الْكَلَامِ (عَلَى أَقْوَمِ) أَي أَعْدَلَ (تَأْسِيسٍ فِي الْعَقَائِدِ الْإِلَهِيَّةِ) أَي
الْعَقَائِدِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْعِلْمِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ (وَ) فِي (الْأَعْمَالِ الشَّرْعِيَّةِ).

فَيَا إِخْوَانِي وَيَا أَحِبَّائِي رَضِيَ اللَّهُ عَنَّا وَعَنْكُمْ أَشْهَدُكُمْ عَبْدٌ ضَعِيفٌ مِسْكِينٌ
فَقِيرٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَطَرْفَةٍ - حَتَمَ اللَّهُ لَهُ وَلَكُمْ بِالْحُسْنَى - عَلَى نَفْسِهِ
بَعْدَ أَنْ أَشْهَدَ اللَّهُ تَعَالَى وَمَلَائِكَتُهُ وَمَنْ حَضَرَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ سَمِعَ أَنَّهُ يُشْهَدُ
قَوْلًا وَعَقْدًا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِلَهُ وَاحِدٌ لَا ثَانِي لَهُ فِي أُلُوهِيَّتِهِ، مُنْزَعٌ عَنِ الصَّاحِبَةِ.....

تَنْزِيهِ اللَّهِ عَنِ الشَّرِيكِ وَالْوَلَدِ

(فَيَا إِخْوَانِي) فِي الْإِسْلَام (وَيَا أَحِبَّائِي) فِي اللَّهِ، أَدْعُو لِي وَلَكُمْ أَنْ (رَضِيَ اللَّهُ عَنَّا
وَعَنْكُمْ) هَا قَدْ (أَشْهَدُكُمْ) أَيِ جَعَلَكُمْ تَشْهَدُونَ عَلَيْهِ (عَبْدٌ ضَعِيفٌ
مِسْكِينٌ) أَيِ مُحْتَاجٌ (فَقِيرٌ) أَيِ مُفْتَقِرٌ (إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَطَرْفَةٍ) مِنْ
طَرَفَاتِ الْأَعْيُنِ، وَأَنَا أَدْعُو لِي وَلَكُمْ (حَتَمَ اللَّهُ لَهُ) أَيِ لِمَنْ يُشْهَدُكُمْ وَهُوَ ابْنُ
عَرَبِيِّ (و) حَتَمَ اللَّهُ (لَكُمْ بِالْحُسْنَى) أَيِ بِالْوَفَاةِ عَلَى كَامِلِ الْإِيمَانِ، فَإِنَّهُ يُشْهَدُكُمْ
مُحَمَّدُ بْنُ عَرَبِيِّ (عَلَى نَفْسِهِ بَعْدَ أَنْ أَشْهَدَ اللَّهُ تَعَالَى وَمَلَائِكَتُهُ وَمَنْ حَضَرَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ) إِنْسًا وَجَنًّا (أَوْ سَمِعَ أَنَّهُ يُشْهَدُ) بِمَا يَشْهَدُ بِهِ ابْنُ عَرَبِيِّ هُنَا (قَوْلًا) أَيِ
بِالْقَوْلِ مُقَرَّرًا بِلِسَانِهِ (وَعَقْدًا) أَيِ اعْتِقَادًا وَإِذْعَانًا وَتَصْدِيقًا بِقَلْبِهِ (أَنَّ اللَّهَ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَهُ) أَيِ لَهُ الْأُلُوْهِيَّةُ وَهِيَ الْقُدْرَةُ عَلَى الْإِبْرَازِ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ،
وَهُوَ (وَاحِدٌ) لَا مِنْ طَرِيقِ الْعَدَدِ بَلْ مِنْ طَرِيقِ أَنَّهُ (لَا ثَانِي) أَيِ لَا شَرِيكَ (لَهُ فِي
أُلُوْهِيَّتِهِ) فَلَا شَرِيكَ لَهُ فِي ذَاتِهِ وَلَا صِفَاتِهِ وَلَا فِي أَفْعَالِهِ (مُنْزَعٌ عَنِ الصَّاحِبَةِ) أَيِ

وَالْوَلَدِ، مَالِكٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، مَلِكٌ لَا وَزِيرَ لَهُ، صَانِعٌ لَا مُدَبِّرَ مَعَهُ ، مَوْجُودٌ بِذَاتِهِ
مِنْ غَيْرِ افْتِقَارٍ إِلَى مُوجِدٍ يُوجِدُهُ، بَلْ كُلُّ مَوْجُودٍ سِوَاهُ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ تَعَالَى فِي وُجُودِهِ،
فَالْعَالَمُ كُلُّهُ مَوْجُودٌ بِهِ.....

يستحيل عليه الزَّوْجَةُ (وَمُنْزَعٌ عَنِ (الْوَلَدِ) فلا هو أصلٌ لِفَرْعٍ ولا فرعٌ لأصلٍ،
وهو (مَالِكٌ) لِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ (لَا شَرِيكَ لَهُ) فِي ذَاتِهِ وَلَا صِفَاتِهِ وَلَا فِي
أَفْعَالِهِ، وهو (مَلِكٌ) أَي ذُو الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ (لَا وَزِيرَ لَهُ) أَي لَا مُعِينَ لَهُ وَلَا
شَرِيكَ.

وُجُودُ اللَّهِ تَعَالَى ذَاتِيٌّ

(صَانِعٌ) أَي خَالِقٌ (لَا مُدَبِّرَ مَعَهُ) يُدَبِّرُ الْخَلْقَ، (مَوْجُودٌ بِذَاتِهِ) لَا كَالْمَوْجُودَاتِ (مِنْ
غَيْرِ افْتِقَارٍ) أَي احْتِيَاجٍ (إِلَى مُوجِدٍ يُوجِدُهُ) فَوُجُودُهُ تَعَالَى لَا أَوَّلَ لَهُ وَلَا آخِرَ (بَلْ
كُلُّ مَوْجُودٍ سِوَاهُ) حَادِثٌ (مُفْتَقِرٌ) أَي مُحْتَاجٌ (إِلَيْهِ تَعَالَى فِي وُجُودِهِ) أَي فِي وُجُودِ
هَذَا الشَّيْءِ، وَلَيْسَ يَسْتَغْنِي شَيْءٌ عَنِ اللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، (فَالْعَالَمُ) وَهُوَ كُلُّ مَا سِوَى
اللَّهِ (كُلُّهُ مَوْجُودٌ بِهِ) أَي بِإِيجَادِ اللَّهِ لَهُ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: "اللَّهُ سَبَبُ وُجُودِ الْعَالَمِ
أَوْ عِلَّتُهُ" بَلْ مَنْ سَمَّى اللَّهَ تَعَالَى عِلَّةً أَوْ سَبَبًا كَفَرَ، كَذَلِكَ نَصَّ عَلَيْهِ رُكْنُ
الْإِسْلَامِ عَلَى السُّعْدِيِّ.

وَهُوَ وَحْدَهُ مُتَّصِفٌ بِالْوُجُودِ لِنَفْسِهِ، لَا افْتِتَاحَ لُوجُودِهِ، وَلَا نِهَآيَةَ لِبَقَائِهِ، بَلْ وُجُودُهُ مُطْلَقٌ غَيْرُ مُقَيَّدٍ. قَائِمٌ بِنَفْسِهِ، لَيْسَ بِجَوْهَرٍ مُتَحَيِّزٍ فَيَقْدَرُ لَهُ الْمَكَانُ، وَلَا بِعَرَضٍ

(وَهُوَ) تَعَالَى (وَحْدَهُ مُتَّصِفٌ) أَزْلًا وَأَبَدًا (بِالْوُجُودِ لِنَفْسِهِ) فَلَيْسَ غَيْرُهُ أَوْجَدَهُ وَلَا احتَاجَ إِلَى أَحَدٍ لِيَكُونَ لَهُ مَبْدَأُ لُوجُودِهِ، حَاشَا (لَا افْتِتَاحَ) أَي لَا مَبْدَأَ (لُوجُودِهِ) تَعَالَى بَلْ كَانَ تَعَالَى قَبْلَ الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ وَقَبْلَ وُجُودِ شَيْءٍ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ (وَ) كَذَلِكَ هُوَ تَعَالَى أَبَدِيُّ الوجودِ (لَا نِهَآيَةَ لِبَقَائِهِ) وَبِقَاوُهُ ذَاتِيٌّ لَيْسَ غَيْرُهُ أَبْقَاهُ وَخَصَّهُ بِالْأَبَدِيَّةِ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْفَنَاءُ (بَلْ وُجُودُهُ مُطْلَقٌ) لَا أَوَّلَ لَهُ وَلَا آخِرَ (غَيْرُ مُقَيَّدٍ) بِزَمَانٍ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ الزَّمَانَ وَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ وَلَمْ يَزَلْ بَعْدَ أَنْ خَلَقَهُمَا غَيْرَ مُخَصَّصٍ بِمَكَانٍ وَلَا مُقَيَّدٍ بِزَمَانٍ كَمَا كَانَ.

اللَّهُ لَيْسَ جَوْهَرًا وَلَا عَرَضًا

وهو تَعَالَى (قَائِمٌ بِنَفْسِهِ) أَي غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى غَيْرِهِ، وَأَمَّا الْقِيَامُ بِمَعْنَى الْإِنْتِصَابِ وَمُقَابِلُهُ الْقُعُودُ وَالْجُلُوسُ وَالْحَرَكَةُ وَالسُّكُونُ فَكُلُّهُ مُتَسَحِّلٌ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ (لَيْسَ) تَعَالَى (بِجَوْهَرٍ) فَرْدٍ وَلَا مُرَكَّبٍ (مُتَحَيِّزٍ) أَي آخِذًا قَدْرًا مِنَ الْفَرَاغِ (فَيَقْدَرُ لَهُ الْمَكَانُ) أَي يَشْغُلُ جُزْءًا مِنْهُ، حَاشَا لِلَّهِ، (وَلَا) هُوَ (بِعَرَضٍ) أَي صِفَةٍ لِلْجَوْهَرِ وَالْجِسْمِ لِأَنَّ كُلًّا مَخْلُوقٌ لَهُ بَدَايَةٌ مُحْتَاجٌ يَجُوزُ عَلَيْهِ الْفَنَاءُ، فَالْعَرَضُ

فَيَسْتَحِيلَ عَلَيْهِ الْبَقَاءُ، وَلَا يَجْسِمُ فَتَكُونُ لَهُ الْجِهَةُ وَالتَّلَقُّاءُ، مُقَدَّسٌ عَنِ الْجِهَاتِ
وَالْأَقْطَارِ، مَرِيٌّ بِالْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ. إِذَا شَاءَ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ كَمَا

مَعْرُضٌ لِلزَّوَالِ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْخَالِقُ عَرَضًا (فَيَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْبَقَاءُ) بِذَاتِهِ
مِنْ غَيْرِ مُبْقٍ لَهُ، ثُمَّ إِنَّ الْعَرَضَ مَقْيَدٌ بِزَمَانٍ مَنُوطٌ بِالْجَوْهَرِ لَا يُفَارِقُهُ إِلَّا إِلَى زَوَالٍ
عَنْهُ (وَلَا) هُوَ تَعَالَى (بِجِسْمٍ) مَرْكَبٍ مِنْ جَوَاهِرٍ ءَاخِذًا حَيْرًا مِنَ الْفَرَاغِ (فَتَكُونُ
لَهُ الْجِهَةُ) يَتَحَيَّرُ فِيهَا (وَلَا) يُوصَفُ بِالْجِهَاتِ فَيَكُونُ لَهُ (التَّلَقُّاءُ) أَيِ الْجِهَةِ
الْمُقَابِلَةِ لِلْغَيْرِ، فَهُوَ تَعَالَى (مُقَدَّسٌ) أَيِ مُنَزَّهٌ (عَنِ الْجِهَاتِ) السَّيِّئَةِ (وَمُنَزَّهٌ عَنْ أَنْ
يَحُلَّ فِي قُطْرٍ مِنَ (الْأَقْطَارِ) أَيِ نَاحِيَةٍ مِنَ التَّوَاحِي. وَهُوَ تَعَالَى (مَرِيٌّ) أَيِ تَجَوُّزُ
رُؤْيَيْهِ (بِالْقُلُوبِ) وَلَا كَيْفَ لَهُ تَعَالَى، وَقَدْ رَءَاهُ ﷺ بِفَوَادِهِ كَذَلِكَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (وَلَا) تَجَوُّزُ عَقْلًا وَوَاجِبَةً لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ شَرْعًا رُؤْيَيْهِ تَعَالَى
بِـ(الْأَبْصَارِ) وَلَا يَكُونُ هُوَ فِي جِهَةٍ وَلَا مَكَانٍ وَلَا مَقْيَدًا بِزَمَانٍ وَلَا فِي مُقَابِلَةٍ
مِنَ الرَّائِي، فَيَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ لَا كَمَا يُرَى الْمَخْلُوقُ.

الْقَوْلُ فِي الْاسْتِوَاءِ

(إِذَا شَاءَ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ) الْمُعْظَمُ، وَالْإِضَافَةُ إِضَافَةُ مِلْكٍ وَتَشْرِيفٍ لِلْعَرْشِ،
وَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ حَفِظَ الْعَرْشَ وَأَبْقَاهُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي شَاءَ لَهُ ذَلِكَ، فَلَيْسَ

كَمَا قَالَهُ، وَعَلَى الْمَعْنَى الَّذِي أَرَادَهُ، كَمَا أَنَّ الْعَرْشَ وَمَا سِوَاهُ بِهِ اسْتَوَى، وَلَهُ الْآخِرَةُ
وَالأُولَى.

مَعْنَى "إِذَا شَاءَ" أَنَّ الْعَرْشَ لَمْ يُقَهَّرْ بَعْدُ، وَنَظِيرُ ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:
﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿١٦﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ [عَبَسَ: ٢٢] أَي سَيَكُونُ النَّشْرُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي
حَكَّمَ اللَّهُ أَنَّهُ يَكُونُ فِيهِ.

ثُمَّ الْإِسْتَوَاءُ هُوَ (كَمَا قَالَهُ) تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ مِنْ سِتِّ سُورٍ
كَرِيمَاتٍ (و) يُحْمَلُ (عَلَى الْمَعْنَى الَّذِي أَرَادَهُ) اللَّهُ تَعَالَى، فِيمَا التَّفْوِيضُ وَالتَّسْلِيمُ
لِلَّهِ سُبْحَانَهُ فِي الْمَعْنَى الْمُرَادِ مَعَ اعْتِقَادِ أَنَّ الْإِسْتَوَاءَ الْمَعْهُودَ مِنَ الْخَلْقِ غَيْرُ مُرَادٍ،
وَأَمَّا التَّأْوِيلُ وَهُوَ تَعْيِينُ مَعْنَى مُرَادٍ يَلِيْقُ بِاللَّهِ تَعَالَى كَأَن يُقَالَ: "قَهَرَ الْعَرْشَ وَحَفِظَهُ
مِنَ السَّقُوطِ عَلَى مَا تَحْتَهُ" (كَمَا أَنَّ الْعَرْشَ) أَكْبَرُ الْمَخْلُوقَاتِ (وَمَا سِوَاهُ) مِنْ
الْحَوَادِثِ (بِهِ) أَي بِاللَّهِ (اسْتَوَى) أَي تَمَّ بَقَاءُ الْعَرْشِ وَمَا سِوَاهُ مِمَّا بَقِيَ بِإِبْقَاءِ اللَّهِ
لَهُمْ، فَمَنْ أَنْصَفَ عَِلِمَ أَنَّ قَوْلَ مَنْ يَقُولُ: "الْعَرْشُ بِالرَّبِّ اسْتَوَى" - أَي تَمَّ وَبَقِيَ
بِإِبْقَاءِ اللَّهِ لَهُ - أَمَثَلُ مِنْ قَوْلِ مَنْ يَقُولُ: "الرَّبُّ بِالْعَرْشِ اسْتَوَى". فَالرَّبُّ تَعَالَى إِذَا
مَوْصُوفٌ بِالْعُلُوِّ وَالْفَوْقِيَّةِ فِي الرُّتْبَةِ وَالْعِظَمَةِ لَا فِي الْجِهَةِ وَالْمَكَانِ بَلْ هُوَ مَنْزَعٌ عَنِ
الْكُونِ فِي مَكَانٍ وَعَنِ الْمَحَادَاةِ لَشَيْءٍ مِنَ الْحَادِثَاتِ، (وَلَهُ) تَعَالَى (الْآخِرَةُ وَالْأُولَى)
أَي الدُّنْيَا، فَهُوَ مَالِكُهُمَا وَقَدْ شَاءَ مَا يَجْرِي فِيهِمَا وَهُوَ مُوجِدٌ مَا يَكُونُ فِيهِمَا.

لَيْسَ لَهُ مَثَلٌ مَعْقُولٌ، وَلَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْعُقُولُ، لَا يَحْدُهُ زَمَانٌ، وَلَا يُقَلُّهُ مَكَانٌ، بَلْ
كَانَ وَلَا مَكَانَ وَهُوَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ، خَلَقَ الْمُتَمَكِّنَ وَالْمَكَانَ وَأَنْشَأَ الزَّمَانَ، وَقَالَ:
أَنَا الْوَاحِدُ.....

تَنْزِيهِ اللَّهِ عَنِ الصُّورَةِ وَالْمَكَانِ وَالزَّمَانِ

تَنْزَهُ اللَّهُ تَعَالَى (لَيْسَ لَهُ مَثَلٌ مَعْقُولٌ) أَي لَا يُعْقَلُ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَبِيهُ فِي الذَّاتِ
أَوْ فِي الصِّفَاتِ أَوْ فِي الْأَفْعَالِ، (وَلَيْسَ لَهُ صُورَةٌ) (لَا) مَثِيلٌ وَلَا شَكْلٌ (دَلَّتْ عَلَيْهِ
الْعُقُولُ) بَلِ الْعُقُولُ دَلَّتْ عَلَى أَنَّ اللَّهَ الْخَالِقَ تَعَالَى لَا يُشَبِّهُ الْمَخْلُوقَ، فَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ
(لَا يَحْدُهُ) أَي لَا يُقَيِّدُهُ (زَمَانٌ) لِأَنَّهُ خَالِقُ الزَّمَانِ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ (وَلَا يُقَلُّهُ) أَي
لَا يَحْوِيهِ وَلَا يَكْتَنِفُهُ (مَكَانٌ) لِأَنَّهُ خَالِقُ الْمَكَانِ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ (بَلْ) هُوَ تَعَالَى
(كَانَ) موجودًا أَزَلًا (وَلَا مَكَانَ) مَعَهُ وَلَا زَمَانَ يُقَيِّدُهُ (وَهُوَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ) لَمْ
يَتَغَيَّرْ وَلَمْ يَحْدُثْ لَهُ شَيْءٌ لَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ مِنْ صِفَتِهِ.

الْقَوْلُ فِي خَلْقِ الْمَخْلُوقَاتِ

(خَلَقَ) الْحَادِثَ (الْمُتَمَكِّنَ) أَي الْمُتَحَيِّزَ فِي مَكَانٍ (وَلَا) خَلَقَ (الْمَكَانَ) الَّذِي تَمَكَّنَ
فِيهِ الْمُتَمَكِّنُ (وَأَنْشَأَ الزَّمَانَ) الَّذِي تَقَيَّدَتْ بِهِ الْحَادِثَاتُ (وَقَالَ) تَعَالَى فِيمَا أَخْبَرَنَا
عَنْهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَرَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ مَا مَعْنَاهُ: قَالَ رَبُّنَا (أَنَا الْوَاحِدُ) الَّذِي

الْحَيِّ، لَا يُوَوِّدُهُ حِفْظُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَلَا تَرْجُعُ إِلَيْهِ صِفَةٌ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا مِنْ صُنْعِهِ
الْمَصْنُوعَاتِ، تَعَالَى أَنْ تَحُلَّهُ الْحَوَادِثُ أَوْ يَحُلَّهَا، أَوْ تَكُونَ بَعْدَهُ أَوْ يَكُونَ قَبْلَهَا،
بَلْ يُقَالُ كَانَ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ.....

لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَلَا مُدَبِّرَ لِلْعَالَمِ سِوَاهُ، وَقَالَ عَنْ نَفْسِهِ إِنَّهُ (الْحَيِّ) الَّذِي لَا يَفْنَى وَلَا
يَمُوتُ وَحِيَاثُهُ لَيْسَتْ بِرُوحٍ أَوْ لَحْمٍ أَوْ عَظْمٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْحَادِثَاتِ، وَهُوَ الْخَالِقُ
الْمُدَبِّرُ لِلْعَالَمِ بِأَسْرِهِ، فـ(لَا يُوَوِّدُهُ) أَي لَا يُثْقِلُهُ وَلَا يَشْقُ عَلَيْهِ (حِفْظُ
الْمَخْلُوقَاتِ) وَقَدْ حَفِظَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَيْنِ وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنَهُمَا عَلَى مَا أَرَادَ
فَلَمْ يَقَعْ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ، وَهَذَا بَعْضُ مَعْنَى مَا جَاءَ فِي آيَةِ الْكُرْسِيِّ سَيِّدُهُ ءَايِ
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

(وَهُوَ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ مَعَ اتِّصَافِهِ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ وَ(لَا تَرْجُعُ إِلَيْهِ) أَي لَا
تَزِيدُ وَلَا تَحْدُثُ لَهُ (صِفَةٌ) بِسَبَبِ وُجُودِ الْخَلْقِ (لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا) أَي مُتَّصِفًا بِهَا
(مِنْ) قَبْلِ (صُنْعِهِ) أَي إِيجَادِهِ (الْمَصْنُوعَاتِ) أَي الْمَخْلُوقَاتِ.

(تَعَالَى) أَي تَنَزَّاهُ اللَّهُ عَنْ (أَنْ تَحُلَّهُ) أَي تَحُلَّ فِيهِ (الْحَوَادِثُ) ذَوَاتٍ كَانَتْ أَوْ صِفَاتٍ
(أَوْ) أَنْ (يَحُلَّهَا) أَي يَحُلَّ فِيهَا هُوَ (أَوْ) أَنْ (تَكُونَ بَعْدَهُ) بِمُنَاسَبَةِ زَمَانِيَّةِ (أَوْ)
أَنْ (يَكُونَ قَبْلَهَا) بِزَمَانٍ مُعَيَّنٍ (بَلْ يُقَالُ: كَانَ) اللَّهُ فِي الْأَزَلِ (وَلَا شَيْءَ مَعَهُ)
وَهَذَا هُوَ لَفْظُ الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ إِلَيْهِ ﷺ، فَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ قَبْلُ أَوْ بَعْدُ

فَإِنَّ الْقَبْلَ وَالْبَعْدَ مِنْ صَيِّغِ الزَّمَانِ الَّذِي أَبْدَعَهُ، فَهُوَ الْقَيُّومُ الَّذِي لَا يَنَامُ، وَالْقَهَّارُ الَّذِي لَا يُرَامُ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشُّورَى: ١١]. خَلَقَ الْعَرْشَ وَجَعَلَهُ مَحَلَّ الْاِسْتِوَاءِ، وَأَنْشَأَ الْكُرْسِيَّ وَأَوْسَعَهُ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى.

(فَإِنَّ الْقَبْلَ وَالْبَعْدَ مِنْ صَيِّغِ الزَّمَانِ الَّذِي أَبْدَعَهُ) أَي أَوْجَدَهُ اللَّهُ لَا عَلَى مِثَالٍ سَبَقَ. (فَهُوَ) تَعَالَى (الْقَيُّومُ) أَي الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى غَيْرِهِ وَهُوَ (الَّذِي) لَا تَأْخُذُهُ السِّنَةُ أَيْ التُّعَاسُ وَ(لَا يَنَامُ، وَ) هُوَ (الْقَهَّارُ الَّذِي) قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ بِقُدْرَتِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي (لَا يُرَامُ) بَصَرًا أَوْ نَفْعًا أَي يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ ذَلِكَ لِأَنَّهُ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشُّورَى: ١١] وَبِذَلِكَ جَاءَ الْقُرْءَانُ وَهِيَ أَصْرَحُ آيَةٍ فِي تَنْزِيهِهِ اللَّهُ التَّنْزِيهِ الْكُلِّيَّ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِهِ سُبْحَانَهُ.

(خَلَقَ) اللَّهُ تَعَالَى (الْعَرْشَ) الْعَظِيمَ (وَجَعَلَهُ مَحَلَّ الْاِسْتِوَاءِ) أَي جَعَلَ الْعَرْشَ مَظْهَرًا مِنْ مَظَاهِيرِ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ وَدَلِيلًا عَلَى افْتِقَارِ الْحَادِثَاتِ إِلَى اللَّهِ (وَأَنْشَأَ) أَي خَلَقَ اللَّهُ (الْكُرْسِيَّ) وَهُوَ جِرْمٌ كَبِيرٌ تَحْتَ الْعَرْشِ إِلَّا أَنَّهُ بِالنِّسْبَةِ لِلْعَرْشِ شَيْءٌ صَغِيرٌ وَهُوَ أَمَامُهُ بِمَثَابَةِ الْكُرْسِيِّ الَّذِي يَكُونُ أَمَامَ السَّرِيرِ (وَ) قَدْ (أَوْسَعَهُ) اللَّهُ تَعَالَى (الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى) أَي لَوْ جُعِلَتِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ بَعْضُهَا جَنْبَ

اخْتَرَعَ اللَّوْحَ وَالْقَلَمَ الْأَعْلَى وَأَجْرَاهُ كَاتِبًا يَعْلَمُهُ فِي خَلْقِهِ إِلَى يَوْمِ الْفَصْلِ وَالْقَضَا.
أَبْدَعَ الْعَالَمَ كُلَّهُ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ، وَخَلَقَ الْخَلْقَ وَأَخْلَقَ الَّذِي خُلِقَ، أَنْزَلَ
الْأَرْوَاحَ فِي الْأَشْبَاحِ أُمْنَاءَ وَجَعَلَ هَذِهِ الْأَشْبَاحَ الْمُنَزَّلَةَ إِلَيْهَا الْأَرْوَاحُ فِي الْأَرْضِ

بَعْضُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعَ بَعْضُهَا جَنْبَ بَعْضٍ كَانَ الْكُرْسِيُّ أَوْسَعَ مِنْهَا جَمِيعِهَا.

(اخْتَرَعَ) أَيِ خَلَقَ اللَّهُ (اللَّوْحَ) الْمَحْفُوظَ (وَالْقَلَمَ الْأَعْلَى) بَعْدَ إِيجَادِ الْمَاءِ أَوَّلًا
وَالْعَرْشِ ثَانِيًا (وَأَجْرَاهُ) أَيِ أَمْرُهُ بِأَنْ يَجْرِيَ (كَاتِبًا) فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ (يَعْلَمُهُ) أَيِ
بِمَا عَلِمَ اللَّهُ (فِي خَلْقِهِ) أَنَّهُ يَكُونُ (إِلَى يَوْمِ) الْقِيَامَةِ يَوْمَ (الْفَصْلِ وَالْقَضَا) بَيْنَ
الْخَلَائِقِ.

(أَبْدَعَ) أَيِ خَلَقَ اللَّهُ (الْعَالَمَ كُلَّهُ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ) فَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ الْعَالَمِ عَوَالِمُ
كَمَا تَزْعُمُ الْفَلَاسِفَةُ، بَلِ أَوَّلُ الْمَخْلُوقَاتِ الْمَاءُ وَمِنْهُ وَجَدَ كُلُّ مَا فِي هَذَا الْعَالَمِ،
(وَخَلَقَ الْخَلْقَ) كُلَّهُمْ أَعْيَانًا وَأَعْرَاضًا (وَأَخْلَقَ) أَيِ أَبْلَى (الَّذِي خُلِقَ) أَيِ
الْمَخْلُوقَاتِ، وَ(أَنْزَلَ) اللَّهُ تَعَالَى أَيِ أَوْدَعَ (الْأَرْوَاحَ) الَّتِي خَلَقَهَا (فِي الْأَشْبَاحِ) أَيِ
الْأَشْخَاصِ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ وَجَعَلَ الْأَرْوَاحَ (أُمْنَاءَ) أَيِ حَافِظَةً عَلَى الْأَجْسَادِ حَيَاتِهَا
مَا دَامَتْ فِيهَا، فَإِذَا قُبِضَتِ الْأَرْوَاحُ زَالَتِ الْحَيَاةُ عَنِ الْأَشْبَاحِ، أَوْ أَنَّهُ أَرَادَ أَنَّ
الْأَرْوَاحَ الَّتِي هِيَ الْأَنْفُسُ تَتَصَرَّفُ بِالْأَبْدَانِ (وَ) كَذَلِكَ (جَعَلَ) اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (هَذِهِ
الْأَشْبَاحَ) أَيِ الْأَشْخَاصَ (الْمُنَزَّلَةَ إِلَيْهَا الْأَرْوَاحُ) الْمُودَعَةَ فِيهَا (فِي الْأَرْضِ)

خُلَفَاءَ، وَسَخَّرَ لَنَا مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ، فَلَا تَتَحَرَّكُ ذَرَّةٌ إِلَّا إِلَيْهِ وَعَنْهُ. خَلَقَ الْكُلَّ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَيْهِ وَلَا مُوجِبٍ أَوْجَبَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، لَكِنْ عِلْمُهُ سَبَقَ بِأَنْ يَخْلُقَ مَا خَلَقَ.

(خُلَفَاءَ) أي مُمَلِّكِينَ فِي الْأَرْضِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٢] أي خُلَفَاءَ فِي الْأَرْضِ وَذَلِكَ بِتَوَارُثِكُمْ سُكْنَاهَا وَتَصَرُّفِكُمْ فِيهَا قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ، وَقَدْ (وَسَخَّرَ) اللَّهُ تَعَالَى (لَنَا مَا فِي السَّمَاوَاتِ) مِنْ شَمْسٍ وَقَمَرٍ وَنُجُومٍ وَسَحَابٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ (وَسَخَّرَ لَنَا) (مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) مِنْ بَحَارٍ وَأَنْهَارٍ وَمَعَادِنَ وَدَوَابٍّ وَنَبَاتٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ كُلِّ (مِنْهُ) خَلَقًا وَتَكْوِينًا (فَلَا تَتَحَرَّكُ ذَرَّةٌ) فِي الْعَالَمِ (إِلَّا إِلَيْهِ) يَرْجِعُ أَمْرُهَا (وَعَنْهُ) أي بِإِيجَادِهِ كَانَتْ الذَّرَّةُ وَحَرَكَتُهَا كَمَا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْعَالَمِ كَذَلِكَ.

الْقَوْلُ فِي صِفَةِ الْعِلْمِ لِلَّهِ تَعَالَى

(خَلَقَ) اللَّهُ (الْكَُلَّ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَيْهِ) أي إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ (وَلَا) أي وَمِنْ غَيْرِ (مُوجِبٍ) أي أَمِيرٍ (أَوْجَبَ ذَلِكَ عَلَيْهِ) فَلَا أَمِيرَ لَهُ تَعَالَى وَلَا نَاهِي (لَكِنْ عِلْمُهُ) أَرِئِي (سَبَقَ بِأَنْ يَخْلُقَ) أَيِ يُوجِدَ (مَا خَلَقَ) أَيِ مَا أَوْجَدَهُ، فَاللَّهُ تَعَالَى مُوصُوفٌ بِالْخَالِقِيَّةِ أَزَلًا، أَمَّا الْمَخْلُوقُ فَحَادِثٌ وَجِدَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، فَاللَّهُ (هُوَ الْأَوَّلُ) ﴿

أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا وَأَخَصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا، ﴿يَعْلَمُ الْسِرَّ وَآخَفَى﴾ [طه: ٧]،

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].....

الَّذِي لَا بَدَايَةَ لُجُودِهِ ﴿وَالْآخِرُ﴾ الَّذِي لَا نِهَايَةَ لُجُودِهِ ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ أَي يَدُلُّ عَلَى وُجُودِهِ كُلِّ شَيْءٍ ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ أَي الَّذِي حَجَبَ خَلْقَهُ عَنِ إِدْرَاكِ حَقِيقَةِ ذَاتِهِ ﴿وَهُوَ﴾ تَعَالَى ﴿يَكُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهِ﴾ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ.

(أَحَاطَ) اللَّهُ تَعَالَى (بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) وَعِلْمُهُ تَعَالَى صِفَةً أَرْلِيَّةً أَبَدِيَّةً ثَابِتَةً لَهُ يَعْلَمُ بِهَا كُلَّ الْمَعْلُومَاتِ، فَلَا يَغِيبُ عَنْ عِلْمِهِ تَعَالَى شَيْءٌ، وَهَذَا تَفْسِيرُ اسْمِ "الْقَرِيبِ" مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى الَّذِي وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ، وَلَيْسَ مَعْنَى "الْقَرِيبِ" أَنَّ اللَّهَ لَهُ قُرْبٌ مَسَافِيٍّ مِنْ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، تَنَزَّهَ اللَّهُ وَتَقَدَّسَ عَنِ الْمَكَانِ وَالْجِهَةِ.

(وَ) قَدْ (أَخَصَى كُلَّ شَيْءٍ) بِعِلْمِهِ (عَدَدًا) أَي يَعْلَمُ عَدَدَ الْخَلْقِ، وَهُوَ تَعَالَى ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ أَي الْخَفِيِّ مِنَ الْأُمُورِ ﴿وَآخَفَى﴾ [طه: ٧] أَي وَيَعْلَمُ الْآخَفَى وَهُوَ مَا سِيحَدُثُ مِمَّا لَمْ يَحْدُثْ بَعْدُ، وَ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ أَي يَعْلَمُ وَقُوعَ التَّنْظَرِ الْمُسْتَرْقَةِ مِنْ نَاضِرِهَا إِلَى مَا لَا يَحِلُّ التَّنْظَرُ إِلَيْهِ ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩] أَي يَعْلَمُ مَا لَا تُظْهِرُهُ صُدُورُ الْعِبَادِ وَلَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، فَمَهْمَا كَانَتِ الْعَيْنُ سَرِيعَةً فِي اسْتِرَاقِ التَّنْظَرِ إِلَى الشَّيْءِ وَمَتَى مَا كَانَتِ النُّفُوسُ تُسِرُّ مِنْ أَمَانَةٍ فَإِنَّ اللَّهَ

كَيْفَ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا هُوَ خَلَقَهُ، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [المُلْك: ١٤].
 عِلْمُ الْأَشْيَاءِ قَبْلَ وُجُودِهَا، ثُمَّ أَوْجَدَهَا عَلَى حَدِّ مَا عِلْمُهَا، فَلَمْ يَزَلْ عَالِمًا بِالْأَشْيَاءِ
 لَمْ يَتَجَدَّدْ لَهُ عِلْمٌ عِنْدَ تَجَدُّدِ الْإِنْشَاءِ.
 بِعِلْمِهِ أَتَقَنَّ الْأَشْيَاءَ وَأَحْكَمَهَا، وَبِهِ حَكَمَ عَلَيْهَا مَنْ شَاءَ وَحَكَمَهَا.....

تعالى عالمٌ بِكُلِّ ذَلِكَ وَغَيْرِهِ مِمَّا يَحْصُلُ فِي الْعَالَمِ.

(كَيْفَ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا هُوَ خَلَقَهُ) فهو عالمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ يُوجَدُ قَبْلَ إِيجَادِهِ ﴿أَلَا يَعْلَمُ
 مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾) فهو عالمٌ بِخَلْقِهِ عِلْمٌ إِحَاطَةٌ، وَقَدْ (عِلْمٌ) سُبْحَانَهُ
 (الْأَشْيَاءِ) أَيِ الْحَادِثَاتِ كُلِّهَا (قَبْلَ وُجُودِهَا) فَلَمْ يَحْدُثْ لَهُ شَيْءٌ فِي عِلْمِهِ عَزَّ وَجَلَّ
 كَمَا أَنَّهُ لَا يَحْدُثُ لَهُ شَيْءٌ لَمْ يَكُنْ قَبْلَ وُجُودِ خَلْقِهِ مِنْ صِفَتِهِ، (ثُمَّ أَوْجَدَهَا) أَيِ
 الْحَادِثَاتِ (عَلَى حَدِّ مَا عِلْمُهَا) فَلَا يَكُونُ شَيْءٌ خِلَافَ مَا عِلْمُهُ، (فَ) هُوَ تَعَالَى
 (لَمْ يَزَلْ عَالِمًا) بِعِلْمِهِ الْأَزَلِيِّ (بِالْأَشْيَاءِ) كُلِّهَا (لَمْ يَتَجَدَّدْ لَهُ عِلْمٌ عِنْدَ تَجَدُّدِ
 الْإِنْشَاءِ) أَيِ إِيجَادِ الْحَادِثَاتِ.

(بِعِلْمِهِ) أَيِ عَلَى حَسَبِ مَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ الْأَزَلِيِّ قَدْ (أَتَقَنَّ الْأَشْيَاءَ) وَأَوْجَدَهَا عَلَى
 مَا خَصَّهَا بِهِ مِنْ خَصَائِصٍ (وَأَحْكَمَ) صُنْعَ (هَا) بِمَا مُعِينٍ وَلَا شَرِيكَ وَلَا وَزِيرٍ،
 (وَبِهِ) أَيِ عَلَى مَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ الْأَزَلِيِّ (حَكَمَ) أَيِ جَعَلَ حُكْمًا وَسُلْطَانًا لِبَعْضِ
 خَلْقِهِ (عَلَيْهَا) أَيِ عَلَى بَعْضِ الْخَلْقِ مِمَّنْ شَاءَ لَهُمْ ذَلِكَ (وَحَكَمَهَا) أَيِ حَكَمَ

عَلِمَ الْكَلِّيَّاتِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، كَمَا عَلِمَ الْجُزْئِيَّاتِ بِإِجْمَاعٍ مِنْ أَهْلِ التَّنْظِيرِ الصَّحِيحِ
وَاتِّفَاقٍ. فَهُوَ ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٢]، ﴿فَعَالٌ لَمَّا
يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]، فَهُوَ الْمُرِيدُ لِلْكَائِنَاتِ فِي عَالَمِ الْأَرْضِ.....

الْكُلِّ، وَقَدْ (عَلِمَ) سُبْحَانَهُ (الْكَلِّيَّاتِ عَلَى الْإِطْلَاقِ) لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا (كَمَا)
أَنَّهُ (عَلِمَ الْجُزْئِيَّاتِ) كُلَّهَا وَتَفْصِيلَ الْحَوَادِثِ (بِإِجْمَاعٍ مِنْ أَهْلِ التَّنْظِيرِ الصَّحِيحِ
وَاتِّفَاقٍ) مِنْهُمْ، خِلَافًا لِبَعْضِ الْفَلَاسِفَةِ الزَّانِدَةِ الَّذِينَ قَالُوا: "اللَّهُ يَعْلَمُ الْكَلِّيَّاتِ وَلَا
يَعْلَمُ الْجُزْئِيَّاتِ، وَإِنَّمَا تَعْلَمُ الْجُزْئِيَّاتِ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ"، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مِنْ هَذَا
الْكُفْرِ. (فَهُوَ) تَعَالَى ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ﴾ أَيَّ يَعْلَمُ مَا غَابَ عَنَّا ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ أَيَّ
وَيَعْلَمُ مَا نَشْهَدُهُ ﴿فَتَعَالَى﴾ أَيَّ تَنْزَعَهُ اللَّهُ وَتَقَدَّسَ ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أَيَّ عَمَّا
يُشْرِكُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْأَصْنَامِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَهَا لِيَنَالُوا مِنَ اللَّهِ زُلْفَى
أَيَّ قُرْبَى، وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْمُشْرِكِينَ قَوْلَهُمْ: ﴿مَنْعَبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى
اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣].

الْقَوْلُ فِي صِفَةِ الْإِرَادَةِ لِلَّهِ

وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ﴾ فِي خَلْقِهِ فَلَا أَمْرَ لَهُ وَلَا نَاهِي (فَهُوَ الْمُرِيدُ)
بِإِرَادَةٍ أَزَلِيَّةٍ (لِ) إِيجَادِ مَا أَوْجَدَهُ مِنَ (الْكَائِنَاتِ) أَيَّ الْحَادِثَاتِ (فِي عَالَمِ الْأَرْضِ)

وَالسَّمَاوَاتِ، لَمْ تَتَعَلَّقْ قُدْرَتُهُ تَعَالَى بِإِيجَادِ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى أَرَادَهُ، كَمَا أَنَّهُ لَمْ يُرِدْهُ
حَتَّى عَلِمَهُ، إِذْ يَسْتَحِيلُ فِي الْعَقْلِ أَنْ يُرِيدَ مَا لَا يَعْلَمُ.....

(وَالسَّمَاوَاتِ) مِنَ الْأَعْرَاضِ وَالذَّوَاتِ، الْمُتَحَرِّكَاتِ وَالسَّائِكِنَاتِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ فِي
هَذَا الْعَالَمِ مَوْجُودٌ إِلَّا وَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ إِيجَادَهُ، لِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ فِي الْوُجُودِ مَا لَمْ يُرِدِ اللَّهُ
وُجُودَهُ، سُبْحَانَهُ يَفْعُلُ مَا يُرِيدُ، فَ(لَمْ تَتَعَلَّقْ قُدْرَتُهُ) الَّتِي هِيَ صِفَتُهُ الْأَزَلِيَّةُ
(تَعَالَى بِإِيجَادِ كُلِّ شَيْءٍ) وَجَدَ (حَتَّى أَرَادَهُ) أَي لَمْ يُوجَدْ شَيْءٌ عَلَى خِلَافِ مَا أَرَادَ
اللَّهُ وَلَا وَجَدَ شَيْءٌ لَمْ يَشَأْ اللَّهُ أَنْ يُوجِدَهُ، فَهُوَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى تَكْوِينِ مَا سَبَقَتْ
بِهِ إِرَادَتُهُ، فَكُلُّ مَا أَرَادَ بِإِرَادَتِهِ الْأَزَلِيَّةِ وُجُودَهُ فِي الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ فَإِنَّ هَذَا الْمُرَادَ لَهُ
تَعَالَى لَا يَتَخَلَّفُ بَلْ يَكُونُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي شَاءَ لَهُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ، (كَمَا أَنَّهُ) أَي
هَذَا الْمَوْجُودَ الَّذِي أَوْجَدَهُ اللَّهُ عَلَى حَسَبِ مَا سَبَقَتْ بِهِ إِرَادَتُهُ (لَمْ يُرِدْهُ حَتَّى عَلِمَهُ)
أَي أَرَادَهُ وَعَلِمَهُ، وَلَيْسَ مَعْنَى عِبَارَةِ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ أَنَّ فِي صِفَاتِ اللَّهِ سَابِقَ
وَمَسْبُوقَ، حَاشَا لِلَّهِ، بَلْ هَذَا مُرَادٌ بِهِ تَعْبِيرُهُمْ "ب أَنَّ الْإِرَادَةَ تَابِعَةٌ لِلْعِلْمِ" لَا عَلَى مَعْنَى
أَنَّهُ يُوجَدُ فِي صِفَاتِ اللَّهِ سَابِقٌ وَلَا حَقٌّ، فَصِفَاتُ اللَّهِ كُلُّهَا أَزَلِيَّةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَسَبْقُ الْأَزَلِيِّ
عَلَى الْأَزَلِيِّ مُحَالٌ، فَالْمَعْنَى أَنَّ مَا عَلِمَ اللَّهُ وَقُوعَهُ فَقَدْ أَرَادَ وَقُوعَهُ أَي شَاءَ ذَلِكَ، وَكُلُّ
مَا عَلِمَ اللَّهُ عَدَمَ وَقُوعِهِ لَمْ يُرِدْ وَقُوعَهُ أَي لَمْ يَشَأْ ذَلِكَ (إِذْ يَسْتَحِيلُ فِي الْعَقْلِ)
وَالشَّرْعِ (أَنْ يُرِيدَ) اللَّهُ (مَا لَا يَعْلَمُ) فَإِنَّ فِي ذَلِكَ نِسْبَةَ الْجَهْلِ إِلَى اللَّهِ، وَهَذَا مَعْنَى

أَوْ يَفْعَلِ الْمُخْتَارُ الْمُتَمَكِّنُ مِنْ تَرْكِ ذَلِكَ الْفِعْلِ مَا لَا يُرِيدُ، كَمَا يَسْتَحِيلُ أَنْ
تُوجَدَ هَذِهِ الْحَقَائِقُ مِنْ غَيْرِ حَيٍّ، كَمَا يَسْتَحِيلُ أَنْ تَقُومَ الصِّفَاتُ بِغَيْرِ ذَاتٍ
مَوْصُوفَةٍ بِهَا.....

قَوْلِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "الْقَدَرِيُّ إِذَا سَلَّمَ الْعِلْمَ خُصِمَ" يَعْنِي أَنَّ
الْمُعْتَزِلِيَّ الَّذِي يُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ خَالِقًا أَفْعَالِ الْعِبَادِ خَيْرَهَا وَشَرِّهَا أَوْ شَرِّهَا
فَقَطْ - وَذَلِكَ كُفْرٌ - يُقَالُ لَهُ: هَلْ يَكُونُ خِلَافَ مَا عَلِمَ اللَّهُ؟ فَإِنْ قَالَ: "يَكُونُ"
فَقَدْ نَسَبَ الْجَهْلَ إِلَى اللَّهِ وَذَلِكَ كُفْرٌ، وَإِنْ قَالَ: "لَا يَكُونُ خِلَافَ مَا عَلِمَ اللَّهُ"
فَقَدْ سَلَّمَ وَخُصِمَ، (أَوْ) أَيِ وَيَسْتَحِيلُ أَنْ (يَفْعَلَ) الْإِلَهُ الْقَادِرُ (الْمُخْتَارُ الْمُتَمَكِّنُ
مِنْ تَرْكِ ذَلِكَ الْفِعْلِ مَا لَا يُرِيدُ) لِأَنَّ فِي ذَلِكَ نِسْبَةً لِلْمَحْكُومِيَّةِ عَلَيْهِ وَالْمَغْلُوبِيَّةِ
وَأَنَّهُ يَكُونُ مَا لَا يُرِيدُ، تَعَالَى اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ.

(كَمَا يَسْتَحِيلُ) عَقْلًا وَشَرْعًا (أَنْ تُوجَدَ هَذِهِ الْحَقَائِقُ) أَيِ الْإِتِّصَافُ بِالْإِرَادَةِ
وَالْقُدْرَةِ وَالْعِلْمِ (مِنْ غَيْرِ حَيٍّ) بَلْ حَيَاةُ اللَّهِ صِفَةٌ قَدِيمَةٌ لَهُ تَقْتَضِي صِحَّةَ
الْإِتِّصَافِ بِالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ.

(كَمَا يَسْتَحِيلُ) عَقْلًا وَشَرْعًا (أَنْ تَقُومَ) أَيِ تَثَبُّتِ (الصِّفَاتِ بِغَيْرِ) أَيِ لِعَیْرِ (ذَاتٍ
مَوْصُوفَةٍ بِهَا) أَيِ بِهِذِهِ الصِّفَاتِ.

فَمَا فِي الْوُجُودِ طَاعَةً وَلَا عِصْيَانٌ، وَلَا رِنَجٌ وَلَا خُسْرَانٌ، وَلَا عَبْدٌ وَلَا حُرٌّ، وَلَا بَرْدٌ
وَلَا حَرٌّ، وَلَا حَيَاةٌ وَلَا مَوْتُ، وَلَا حُصُولٌ وَلَا فَوْتُ، وَلَا نَهَارٌ وَلَا لَيْلٌ، وَلَا اعْتِدَالٌ
وَلَا مِيلٌ، وَلَا بَرٌّ وَلَا بَحْرٌ، وَلَا شَفْعٌ وَلَا وَثْرٌ، وَلَا جَوْهَرٌ وَلَا عَرَضٌ، وَلَا صِحَّةٌ وَلَا
مَرَضٌ، وَلَا فَرَحٌ وَلَا تَرَحٌ، وَلَا رُوحٌ وَلَا شَبَحٌ، وَلَا ظَلَامٌ وَلَا ضِيَاءٌ، وَلَا أَرْضٌ وَلَا
سَمَاءٌ، وَلَا تَرْكِيبٌ وَلَا تَحْلِيلٌ، وَلَا كَثِيرٌ وَلَا قَلِيلٌ، وَلَا غَدَاةٌ وَلَا أَصِيلٌ، وَلَا بَيَاضٌ

وسائر الحادثاتِ دَخَلَتْ فِي الْوُجُودِ بِإِرَادَةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ وَتَقْدِيرِهِ وَعِلْمِهِ (فَمَا فِي
الْوُجُودِ طَاعَةً) مِنْ طَائِعٍ (وَلَا عِصْيَانٌ) مِنْ عَاصٍ (وَلَا رِنَجٌ وَلَا خُسْرَانٌ) فِي الدُّنْيَا
أَوْ فِي الْآخِرَةِ (وَلَا عَبْدٌ) مَمْلُوكٌ (وَلَا حُرٌّ) عَاقِلٌ أَوْ غَيْرُ عَاقِلٍ (وَلَا بَرْدٌ وَلَا حَرٌّ)
قَوِيٌّ أَوْ شَدِيدٌ (وَلَا حَيَاةٌ) لِذِي رُوحٍ (وَلَا مَوْتُ) لَهُ (وَلَا حُصُولٌ) أَيُّ تَحْصِيلٍ
لشَيْءٍ (وَلَا فَوْتُ) لشيءٍ أَيُّ ذَهَابُهُ وَزَوَالُهُ (وَلَا نَهَارٌ وَلَا لَيْلٌ، وَلَا اعْتِدَالٌ) أَيُّ
اسْتِقَامَةٍ (وَلَا مِيلٌ) أَيُّ انْحِرَافٍ (وَلَا بَرٌّ) أَيُّ يَابِسَةٍ (وَلَا بَحْرٌ) وَنَهَرٌ (وَلَا شَفْعٌ)
أَيُّ زَوْجٍ (وَلَا وَثْرٌ) بَفَتْحِ الْوَاوِ وَكَسْرِهَا أَيُّ فَرْدٍ (وَلَا جَوْهَرٌ) فَرْدٌ أَوْ مُرَكَّبٌ (وَلَا
عَرَضٌ) أَيُّ صِفَةٍ لِلْجَوْهَرِ (وَلَا صِحَّةٌ وَلَا مَرَضٌ) أَيُّ سَقَمٍ (وَلَا فَرَحٌ) أَيُّ سُرُورٍ
(وَلَا تَرَحٌ) أَيُّ حُزْنٍ (وَلَا رُوحٌ وَلَا شَبَحٌ) أَيُّ شَخْصٍ (وَلَا ظَلَامٌ) أَيُّ عَتَمَةٍ (وَلَا
ضِيَاءٌ) أَيُّ نُورٍ (وَلَا أَرْضٌ وَلَا سَمَاءٌ، وَلَا تَرْكِيبٌ وَلَا تَحْلِيلٌ) أَيُّ تَفْكِيكٍ (وَلَا
كَثِيرٌ وَلَا قَلِيلٌ، وَلَا غَدَاةٌ) أَيُّ أَوَّلِ النَّهَارِ (وَلَا أَصِيلٌ) أَيُّ آخِرِهِ (وَلَا بَيَاضٌ)

وَلَا سَوَادٌ، وَلَا رُقَادٌ وَلَا سُهَادٌ، وَلَا ظَاهِرٌ وَلَا بَاطِنٌ، وَلَا مُتَحَرِّكٌ وَلَا سَاكِنٌ، وَلَا
يَابِسٌ وَلَا رَطْبٌ، وَلَا قِشْرٌ وَلَا لُبٌّ، وَلَا شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ النَّسَبِ، الْمُتَضَادَّاتِ مِنْهَا
وَالْمُخْتَلِفَاتِ وَالْمُتَمَاثِلَاتِ إِلَّا وَهُوَ مُرَادٌ لِلْحَقِّ تَعَالَى. وَكَيْفَ لَا يَكُونُ مُرَادًا لَهُ
وَهُوَ أَوْجَدُهُ، فَكَيْفَ يُوجَدُ الْمُخْتَارُ مَا لَا يُرِيدُ، لَا رَادَّ لِأَمْرِهِ وَلَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ.
يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيُذِلُّ.....

(وَلَا سَوَادٌ، وَلَا رُقَادٌ) أَي نَوْمٌ (وَلَا سُهَادٌ) أَي أَرْقٌ (وَلَا ظَاهِرٌ) مِنَ الذَّاتِ أَوِ الْأَمْرِ
(وَلَا بَاطِنٌ) مِنْهُمَا (وَلَا مُتَحَرِّكٌ وَلَا سَاكِنٌ، وَلَا يَابِسٌ وَلَا رَطْبٌ، وَلَا قِشْرٌ وَلَا
لُبٌّ) أَي خَالِصُ الشَّيْءِ (وَلَا شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ النَّسَبِ الْمُتَضَادَّاتِ) أَي الْمُتَقَابِلَاتِ
(مِنْهَا وَالْمُخْتَلِفَاتِ) دُونَ تَضَادٍّ (وَالْمُتَمَاثِلَاتِ) أَي الْمُتَشَابِهَاتِ (إِلَّا وَهُوَ مُرَادٌ
لِلْحَقِّ تَعَالَى) أَي لَمْ يَكُنْ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى (وَكَيْفَ لَا يَكُونُ مُرَادًا لَهُ) تَعَالَى
(وَهُوَ أَوْجَدُهُ) أَي أَوْجَدَ هَذَا الْمُمَكِّنَ (فَكَيْفَ يُوجَدُ الْمُخْتَارُ) شَيْئًا (مَا) مِنْ
الْمُوجَدَاتِ الْحَادِثَاتِ وَهُوَ (لَا يُرِيدُ) وَجُودَهُ، (لَا رَادَّ) أَي لَا مُعْطِلَ وَلَا مَانِعَ (لِأَمْرِهِ
وَلَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ) أَي لَا مُؤَخَّرَ لِمَا قَضَاهُ تَعَالَى.

فهو (يُؤْتِي الْمُلْكَ) أَي التَّصْيِبَ الَّذِي قَسَمَ مِنَ الْمُلْكِ لـ (مَنْ يَشَاءُ) مِنْ عِبَادِهِ
(وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ) مِنْ عِبَادِهِ وَلَا يَكُونُ ظَالِمًا فِي تَصْرِفٍ فِي مَصْنُوعَاتِهِ
بِمَا يَشَاءُ (وَيُعِزُّ) بِالْإِسْلَامِ وَبِالْمُلْكِ (مَنْ يَشَاءُ) مِنْ عِبَادِهِ (وَيُذِلُّ) بِالْكَفْرِ وَنَزَعَ

مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ أَنْ يَكُونَ لَمْ
يَكُنْ. لَوْ اجْتَمَعَ الْخَلَائِقُ كُلُّهُمْ عَلَى أَنْ يُرِيدُوا شَيْئًا لَمْ يُرِدِ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُرِيدُوهُ مَا
أَرَادُوهُ أَوْ يَفْعَلُوا شَيْئًا لَمْ يُرِدِ اللَّهُ تَعَالَى إِجَادَهُ وَأَرَادُوهُ عِنْدَمَا أَرَادَ مِنْهُمْ أَنْ يُرِيدُوهُ
مَا فَعَلُوهُ وَلَا اسْتَطَاعُوا عَلَى ذَلِكَ وَلَا أَقْدَرَهُمْ عَلَيْهِ.

فَالْكَفْرُ وَالْإِيمَانُ وَالطَّاعَةُ وَالْعِصْيَانُ مِنْ مَشِئَتِهِ وَحُكْمِهِ وَإِرَادَتِهِ، وَلَمْ يَزَلْ
سُبْحَانَهُ مَوْصُوفًا.....

الْمَلِكِ (مَنْ يَشَاءُ) مِنْ عِبَادِهِ (وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ) مِنْ عِبَادِهِ وَيَخَذُلُهُمْ بِإِبْعَادِهِمْ عَنِ
الْإِسْلَامِ (وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) مِنْ عِبَادِهِ إِلَى الْإِسْلَامِ.

(مَا شَاءَ) اللَّهُ حُصُولَهُ وَدُخُولَهُ فِي الْوُجُودِ (كَانَ) هَذَا الْمَوْجُودُ وَدَخَلَ فِي الْوُجُودِ (وَمَا
لَمْ يَشَأْ) لَهُ (أَنْ يَكُونَ) مَوْجُودًا (لَمْ يَكُنْ) إِلَّا كَمَا شَاءَ، بَلْ (لَوْ اجْتَمَعَ الْخَلَائِقُ
كُلُّهُمْ عَلَى أَنْ يُرِيدُوا شَيْئًا) أَنْ يُوجَدَ وَيَكُونَ (لَمْ يُرِدِ اللَّهُ تَعَالَى) لَهُمْ (أَنْ يُرِيدُوهُ
مَا أَرَادُوهُ) لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا مَا أَرَادَ (أَوْ) اجْتَمَعُوا أَنْ (يَفْعَلُوا شَيْئًا لَمْ يُرِدِ اللَّهُ
تَعَالَى إِجَادَهُ وَأَرَادُوهُ) هُمْ (عِنْدَمَا) أَيِ إِذَا (أَرَادَ مِنْهُمْ أَنْ يُرِيدُوهُ مَا فَعَلُوهُ وَلَا
اسْتَطَاعُوا عَلَى ذَلِكَ وَلَا أَقْدَرَهُمْ عَلَيْهِ) لِأَنَّهُ لَمْ يَشَأْ وَجُودَهُ.

(فَالْكَفْرُ وَالْإِيمَانُ) الَّذِي هُوَ ضِدُّهُ، (وَالطَّاعَةُ وَ) وَمُقَابِلُهَا (الْعِصْيَانُ) كُلُّ (مِنْ)
أَيِ بـ (مَشِئَتِهِ) وَعِلْمِهِ (وَحُكْمِهِ وَإِرَادَتِهِ) الْأَزَلِيَّةِ (وَلَمْ يَزَلْ سُبْحَانَهُ مَوْصُوفًا)

بِهَذِهِ الْإِرَادَةِ أَرْزَلَا وَالْعَالَمَ مَعْدُومٌ غَيْرُ مَوْجُودٍ وَإِنْ كَانَ ثَابِتًا فِي الْعِلْمِ فِي عَيْنِهِ، ثُمَّ
أَوْجَدَ الْعَالَمَ مِنْ غَيْرِ تَفَكُّرٍ، وَلَا تَدَبُّرٍ عَنْ جَهْلٍ أَوْ عَدَمِ عِلْمٍ فَيُعْطِيهِ التَّفَكُّرُ
وَالْتَدَبُّرُ عِلْمَ مَا جَهْلٌ، جَلَّ وَعَلَا عَنْ ذَلِكَ، بَلْ أَوْجَدَهُ عَنِ الْعِلْمِ.....

والأولى أَنْ يُقَالَ هُنَا "مُتَّصِفًا"، لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ عَنِ اللَّهِ "مَوْصُوفٌ فِي الْأَرْزَالِ بِالْإِرَادَةِ"
إِنَّمَا يُقَالُ "مُتَّصِفٌ فِي الْأَرْزَالِ بِالْإِرَادَةِ"، لِأَنَّ فِي الْأَرْزَالِ لَمْ يَكُنْ حَدِثٌ نَاطِقٌ يَصْدُرُ
عَلَى لِسَانِهِ وَصَفُ اللَّهِ بِمَا يَجِبُ لَهُ مِنَ الثُّبُوتِ، إِنَّمَا اللَّهُ كَانَ مُتَّصِفًا بِمَا يَجِبُ لَهُ مِنَ
الصِّفَاتِ كَالْكَلَامِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْقُدْرَةِ وَلَمْ يَكُنْ إِنْسٌ وَلَا جِنٌّ وَلَا شَيْءٌ مِنَ
الْحَادِثَاتِ، فَاتَّصَفَهُ تَعَالَى (بِهَذِهِ الْإِرَادَةِ) الْأَزَلِيَّةِ الَّتِي هِيَ صِفَتُهُ كَانَ (أَرْزَلَا وَالْعَالَمَ
مَعْدُومٌ) أَيِ وَكَانَ الْعَالَمُ فِي الْأَرْزَالِ مَعْدُومًا (غَيْرُ مَوْجُودٍ) بَعْدُ (وَإِنْ كَانَ ثَابِتًا فِي
الْعِلْمِ) أَيِ مَعْلُومًا مِنْ مَعْلُومَاتِ اللَّهِ (فِي عَيْنِهِ) أَيِ الْعَالَمُ كُلُّهُ كَانَ مَعْلُومًا لِلَّهِ
أَرْزَلَا وَلَمْ يَزَلْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُوجَدَ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ (ثُمَّ أَوْجَدَ) اللَّهُ تَعَالَى هَذَا
(الْعَالَمَ مِنْ غَيْرِ تَفَكُّرٍ وَلَا تَدَبُّرٍ عَنْ جَهْلٍ) لِأَنَّهُ ذَلِكَ مِنْ سِمَاتِ الْمَخْلُوقِينَ وَاللَّهُ
تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ كُلِّ سِمَاتِ الْخَلْقِ (أَوْ) أَيِ وَأَوْجَدَ الْعَالَمَ مِنْ غَيْرِ (عَدَمِ عِلْمٍ) مِنْهُ
(فَيُعْطِيهِ التَّفَكُّرُ وَالتَّدَبُّرُ) بِنَتِيجَتِهِ (عِلْمَ مَا جَهْلٌ) حَاشَا (جَلَّ) وَصَفُهُ (وَعَلَا)
شَأْنُهُ (عَنْ ذَلِكَ) فَهُوَ عَالِمٌ بِكُلِّ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَمَا سَيَكُونُ وَمَا لَا يَكُونُ
أَنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ (بَلْ) هُوَ سُبْحَانَهُ (أَوْجَدَهُ) أَيِ أَوْجَدَ الْعَالَمَ (عَنِ الْعِلْمِ)

السَّابِقِ، وَتَعْيِينَ الْإِرَادَةِ الْمُنْزَهَةِ الْأَزَلِيَّةِ الْقَاضِيَةِ عَلَى الْعَالَمِ بِمَا أُوجَدَهُ عَلَيْهِ مِنْ زَمَانٍ وَمَكَانٍ وَأَكْوَانٍ وَأَلْوَانٍ. فَلَا مُرِيدَ فِي الْوُجُودِ عَلَى الْحَقِيقَةِ سِوَاهُ إِذْ هُوَ الْقَائِلُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

(السَّابِقِ) أي وهو تعالى عالمٌ بالعالمِ أَزَلًا كما هو عالمٌ بكلِّ المعلوماتِ، لَمْ يَحْدُثْ لَهُ عِلْمٌ شَيْءٍ بَعْدَ وُجُودِ الْحَادِثِ، حَاشَا، (وَالْعَالَمُ وَجَدَ بَعْلَمَ اللَّهُ وَتَعْيِينَ الْإِرَادَةِ الْمُنْزَهَةِ الْأَزَلِيَّةِ الْقَاضِيَةِ عَلَى الْعَالَمِ) أي بِإِرَادَةِ اللَّهِ وَوُجُودِ الْعَالَمِ، فَلَمْ يَدْخُلِ الْعَالَمُ فِي الْوُجُودِ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَوُجُودِ الْعَالَمِ (بِمَا أُوجَدَهُ عَلَيْهِ) أي بِالْوَصْفِ الَّذِي وَجَدَ عَلَيْهِ الْعَالَمُ وَ(مِنْ) أَعْرَاضٍ (زَمَانٍ) وهو مَقَارَنَةٌ مُتَجَدِّدٍ بِمُتَجَدِّدٍ تَوْقِيتًا لِلْمَجْهُولِ بِالْمَعْلُومِ (وَمَكَانٍ) وهو الْحَيْزُ الَّذِي يَحُلُّ فِيهِ الْجِرْمُ (وَأَكْوَانٍ) كَكَوْنِ الْجِرْمِ سَاكِئًا أَوْ كَوْنِهِ مُتَحَرِّكًا (وَأَلْوَانٍ) كَالسَّوَادِ وَالْبَيَاضِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْرَاضِ الْكَثِيرَةِ.

(فَلَا مُرِيدَ) أي شَاءَ (فِي الْوُجُودِ) أي مِنَ الْمُرِيدِينَ لَشَيْءٍ (عَلَى الْحَقِيقَةِ) أي إِرَادَةً مُطْلَقَةً (سِوَاهُ) أي أَمَّا نَحْنُ فَإِرَادَتُنَا تَابِعَةٌ لِمَشِيئَةِ، فَكُلُّ مَشِيئَةٍ فِي الْعِبَادِ حَصَلَتْ فَإِنَّمَا حَصَلَتْ فِيهِمْ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى شَاءَ فِي الْأَزَلِ أَنْ يَشَاءُوا فَتَنَفَّذَتْ مَشِيئَةُ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِمْ أَنْ يَشَاءُوا فِي الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (إِذْ هُوَ) اللَّهُ (الْقَائِلُ سُبْحَانَهُ) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ مِنْ شَيْءٍ لَا تَكُونُ مِنْكُمْ مَشِيئَةٌ ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ، بِمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ يَخْلُقُ فِينَا هَذِهِ الْمَشِيئَةَ.

وَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَمَا عَلِمَ فَأَحْكَمَ، وَأَرَادَ فَخَصَّصَ، وَقَدَّرَ فَأَوْجَدَ، كَذَلِكَ سَمِعَ وَرَأَى
مَا تَحَرَّكَ أَوْ سَكَنَ أَوْ نَطَقَ فِي الْوَرَى مِنَ الْعَالَمِ الْأَسْفَلِ وَالْأَعْلَى، لَا يَحْجُبُ سَمْعُهُ
الْبُعْدَ فَهُوَ الْقَرِيبُ، وَلَا يَحْجُبُ بَصَرُهُ الْقُرْبَ فَهُوَ الْبَعِيدُ.

الْقَوْلُ فِي صِفَةِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ لِلَّهِ

(وَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَمَا عَلِمَ) أَرْلَا (فَأَحْكَمَ) صُنْعَ مَا أَوْجَدَهُ (وَأَرَادَ) أَرْلَا (فَخَصَّصَ)
الْمُخَصَّصَ بِصِفَاتٍ دُونَ أُخْرَى (وَقَدَّرَ) أَرْلَا (فَأَوْجَدَ) مَا شَاءَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ
يُوجَدْهُ فـ (كَذَلِكَ سَمِعَ) بِسَمْعِ أَرْلَى لَا بِصِمَاخٍ وَلَا بِأُذُنٍ وَلَا غَيْرِهَا مِنَ الْآلَاتِ
(وَرَأَى) بِبَصَرِ أَرْلَى لَا بِعَيْنٍ وَلَا بِآلَةٍ أُخْرَى، فَسَمِعَ وَرَأَى كُلُّ (مَا تَحَرَّكَ) مِنْ
سَاكِنٍ (أَوْ سَكَنَ) مِنْ مُتَحَرِّكٍ (أَوْ نَطَقَ) مِنْ مُتَكَلِّمٍ وَنَاطِقٍ (فِي الْوَرَى) أَيِ مِنْ
بَيْنِ الْخَلْقِ الَّذِينَ هُمْ جُزْءٌ (مِنَ الْعَالَمِ) كُلِّهِ (الْأَسْفَلِ) أَيِ الْأَرْضِينَ وَمَا تَحْتَهَا
(وَالْأَعْلَى) أَيِ السَّمَاوَاتِ وَمَا فَوْقَهَا، (لَا يَحْجُبُ) أَيِ لَا يَمْنَعُ (سَمْعُهُ) الْمَسْمُوعَاتِ
(الْبُعْدَ) لِأَنَّهُ تَعَالَى لَا يُوصَفُ بِالْبُعْدِ الْمَسَافِيِّ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ لِأَنَّهُ تَعَالَى لَا
مَكَانَ لَهُ (فَهُوَ الْقَرِيبُ) أَيِ الَّذِي لَا يَغِيبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ (وَلَا يَحْجُبُ) أَيِ لَا
يَمْنَعُ (بَصَرُهُ) أَيِ إِبْصَارَهُ الْمُبْصَرَاتِ (الْقُرْبَ) لِأَنَّهُ تَعَالَى لَا يُوصَفُ بِالْقُرْبِ
الْمَسَافِيِّ مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ لِأَنَّهُ تَعَالَى لَا مَكَانَ لَهُ (فَهُوَ الْقَرِيبُ) (الْبَعِيدُ) أَيِ
لَيْسَ قُرْبُهُ كَقُرْبِ الْأَجْسَامِ وَلَا بُعْدُهُ كَبُعْدِ الْأَجْسَامِ، كَذَلِكَ قَالَهُ شَيْخُنَا الْإِمَامُ

يَسْمَعُ كَلَامَ النَّفْسِ فِي النَّفْسِ، وَصَوْتَ الْمُمَاسَّةِ الْخَفِيَّةِ عِنْدَ اللَّمْسِ، وَيَرَى السَّوَادَ فِي الظُّلُمَاءِ، وَالْمَاءَ فِي الْمَاءِ، لَا يَحْجُبُهُ الْاِمْتِزَاجُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا الثُّورُ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ.

الهرري رضي الله عنه، فهو تعالى (يَسْمَعُ) بِسَمْعِهِ الْأَزَلِيِّ (كَلَامَ النَّفْسِ) أي نَفْسِ المخلوق الذي يُسِرُّهُ (فِي النَّفْسِ) فِي نَفْسِهِ وَلَا يُطْلِعُ عَلَيْهِ أَحَدًا غَيْرَهُ مِنَ الْخَلْقِ، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [هُود: ٥]، (وَ)هُوَ تعالى يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ الْأَزَلِيِّ الـ(صَوْتَ) الذي يَحْدُثُ مِنَ (الْمُمَاسَّةِ الْخَفِيَّةِ) التي لَا تُدْرِكُهَا أَسْمَاعُنَا (عِنْدَ اللَّمْسِ) بَيْنَ جَرَمَيْنِ مَهْمَا كَانَ الصَّوْتُ خَفِيًّا (وَ)هُوَ تعالى (يَرَى) بِبَصَرِهِ الْأَزَلِيِّ (السَّوَادَ) أي سَوَادَ الشَّيْءِ وَإِنْ كَانَ هَذَا الشَّيْءُ (فِي الظُّلُمَاءِ) أي الظُّلْمَةِ مَهْمَا كَانَتْ شَدِيدَةً (وَ)يَرَى (الْمَاءَ) أي أَجْزَاءَهُ وَقَطْرَاتِهِ (فِي) مَجْمُوعِ (الْمَاءِ) أَمَّا نَحْنُ فَلَا نَرَى إِلَّا الْمَجْمُوعَ بِأَعْيُنِنَا الْمُجَرَّدَةِ وَلَا يُمَكِّنُنَا رُؤْيَا أَجْزَاءِ عَلَى حِدَةٍ عَيَانًا طَالَمَا أَتَتْهَا فِي الْمَجْمُوعِ، أَمَّا اللَّهُ تعالى فَـ(لَا يَحْجُبُهُ) أي لَا يَمْنَعُهُ مِنْ رُؤْيَا أَجْزَاءِ الْمَاءِ فِي الْمَجْمُوعِ (الْاِمْتِزَاجُ) أي الاختلاطُ الْحَاصِلُ بَيْنَ أَجْزَاءِ الْمَاءِ (وَلَا) تَمْنَعُهُ (الظُّلُمَاتُ) مِنْ رُؤْيَا شَيْءٍ (وَلَا) يَحْجُبُ (الثُّورُ) رُؤْيَا شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ (وَهُوَ السَّمِيعُ) لِكُلِّ الْمَسْمُوعَاتِ بِسَمْعِ أَزَلِيِّ لَا كَسَمْعِنَا (الْبَصِيرُ) لَسَائِرِ الْمُبْصِرَاتِ بِرُؤْيَا أَزَلِيَّةٍ لَا كَرُؤْيَتِنَا.

تَكَلَّمَ سُبْحَانَهُ لَا عَنْ صَمْتٍ مُتَقَدِّمٍ، وَلَا سُكُوتٍ مُتَوَهِّمٍ، بِكَلَامٍ قَدِيمٍ أَزَلِيٍّ كَسَائِرِ صِفَاتِهِ مِنْ عِلْمِهِ وَإِرَادَتِهِ وَقُدْرَتِهِ. كَلَّمَ بِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، سَمَاهُ التَّنْزِيلَ الزَّبُورَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ غَيْرِ حُرُوفٍ وَلَا أَصْوَاتٍ، وَلَا نَعَمٍ وَلَا لُعَاتٍ، بَلْ هُوَ

الْقَوْلُ فِي صِفَةِ الْكَلَامِ لِلَّهِ

وهو تعالى له الكلام الأزلي الأبدي الواحد، وقد (تَكَلَّمَ سُبْحَانَهُ) بِكَلَامٍ أَزَلِيٍّ (لَا عَنْ صَمْتٍ مُتَقَدِّمٍ) كَلَامُهُ أَوْ عَاقِفَةٍ (وَلَا) عَنْ (سُكُوتٍ مُتَوَهِّمٍ) بل هو سُبْحَانَهُ مُتَكَلِّمٌ (بِكَلَامٍ قَدِيمٍ) أَي (أَزَلِيٍّ) أَبَدِيٍّ (كَسَائِرِ صِفَاتِهِ مِنْ عِلْمِهِ وَإِرَادَتِهِ وَقُدْرَتِهِ) لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ مُخَالِفٌ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ فِي الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ.

وَقَدْ (كَلَّمَ بِهِ) بِكَلَامِهِ (مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَسَمِعَ مُوسَى كَلَامَ اللَّهِ الَّذِي لَيْسَ حَرْفًا وَلَا صَوْتًا وَفَهُمَ مِنْهُ مَا فَهِمَ، وَ(سَمَاهُ) أَي سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى اللَّفْظَ الْمُنْزَلَ الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ كَلَامِهِ الذَّاتِيَّ الْأَزَلِيَّ (التَّنْزِيلَ) أَي الْقُرْآنَ الْمُنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ (وَ) سَمَّى الْمُنْزَلَ عَلَى سَيِّدِنَا دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (الزَّبُورَ وَ) سَمَّى الْمُنْزَلَ عَلَى سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ (التَّوْرَةَ وَ) سَمَّى الْمُنْزَلَ عَلَى سَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ (الْإِنْجِيلَ) وَكَلَامُهُ الذَّاتِيَّ - لَا اللَّفْظَ الْمُنْزَلَ - هُوَ كَلَامٌ وَاحِدٌ أَزَلِيٌّ أَبَدِيٌّ (مِنْ غَيْرِ حُرُوفٍ وَلَا أَصْوَاتٍ وَلَا نَعَمٍ وَلَا لُعَاتٍ) وَلَا مَبْدِئٍ وَلَا مُنْتَهَى (بَلْ هُوَ) تَعَالَى

خَالِقُ الْأَصْوَاتِ وَالْحُرُوفِ وَاللُّغَاتِ، فَكَلَامُهُ سُبْحَانَهُ مِنْ غَيْرِ لَهَاءٍ وَلَا لِسَانٍ، كَمَا أَنَّ سَمْعَهُ مِنْ غَيْرِ أَصْمَحَةٍ وَلَا آذَانٍ، كَمَا أَنَّ بَصَرَهُ مِنْ غَيْرِ حَدَقَةٍ وَلَا أَجْفَانٍ، كَمَا أَنَّ إِرَادَتَهُ مِنْ غَيْرِ قَلْبٍ وَلَا جَنَانٍ، كَمَا أَنَّ عِلْمَهُ مِنْ غَيْرِ اضْطِرَارٍ وَلَا نَظَرٍ فِي بُرْهَانٍ، كَمَا أَنَّ حَيَاتَهُ مِنْ غَيْرِ بُخَارٍ تَجْوِيفٍ قَلْبٍ حَدَثَ عَنِ امْتِزَاجِ الْأَرْكَانِ

(خَالِقُ الْأَصْوَاتِ وَالْحُرُوفِ وَاللُّغَاتِ) كُلُّهَا، فَلَا صَوْتٌ وَلَا حَرْفٌ وَلَا لُغَةٌ إِلَّا حَادِثٌ (فَكَلَامُهُ سُبْحَانَهُ) وَتَعَالَى أَزَلِيٌّ أَبَدِيٌّ (مِنْ غَيْرِ لَهَاءٍ) وَهِيَ الْهَيْئَةُ الْمُنَبِّغَةُ فِي أَقْصَى سَقْفِ الْقَمِّ (وَلَا) هُوَ كَلَامٌ بـ (لِسَانٍ) أَيْ أَدَاةٌ أُخْرَى، (كَمَا أَنَّ سَمْعَهُ) أَزَلِيٌّ أَبَدِيٌّ (مِنْ غَيْرِ أَصْمَحَةٍ) جَمْعُ صِمَاخٍ وَهُوَ خَرَقُ الْأُذُنِ (وَلَا) أَيْ وَمِنْ غَيْرِ (آذَانٍ) جَمْعُ أُذُنٍ وَهُوَ الْعَضْوُ الْمَعْرُوفُ (كَمَا أَنَّ بَصَرَهُ) تَعَالَى أَزَلِيٌّ أَبَدِيٌّ (مِنْ غَيْرِ حَدَقَةٍ) أَيْ عَيْنٍ (وَلَا أَجْفَانٍ) جَمْعُ جَفْنٍ وَلَا أَدَاةٌ أُخْرَى (كَمَا أَنَّ إِرَادَتَهُ) تَعَالَى أَزَلِيَّةٌ أَبَدِيَّةٌ (مِنْ غَيْرِ قَلْبٍ وَلَا جَنَانٍ) أَيْ قَلْبٍ، فَهُوَ مِنْ بَابِ التَّنْوِيعِ فِي الْعِبَارَةِ لِأَجْلِ السَّجْعِ بِالتُّونِ، (كَمَا أَنَّ عِلْمَهُ) تَعَالَى أَزَلِيٌّ أَبَدِيٌّ (مِنْ غَيْرِ اضْطِرَارٍ) وَلَا هُوَ نَاشِئٌ عَقِيبَ جَهْلٍ (وَلَا) نَتِيجَةٌ (نَظَرٍ) لِلْفِكْرِ (فِي بُرْهَانٍ) عَقْلِيٍّ، لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنْ كُلِّ ذَلِكَ وَكُلِّ مَا كَانَ مِنْ سِمَاتِ الْحُدُوثِ، (كَمَا أَنَّ حَيَاتَهُ) تَعَالَى أَزَلِيَّةٌ أَبَدِيَّةٌ (مِنْ غَيْرِ بُخَارٍ) مِنْ أَبْجَرَةِ الْمِزَاجِ وَالطَّبْعِ الْبَشَرِيِّ الْخَارِجِ مِنْ (تَجْوِيفٍ) فِي الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ مِنَ الـ (قَلْبِ حَدَثَ عَنِ امْتِزَاجِ الْأَرْكَانِ) أَيْ عَمَلِهَا، وَهُوَ الَّذِي

كَمَا أَنَّ ذَاتَهُ لَا تَقْبَلُ الزِّيَادَةَ وَالتُّقْصَانَ. فَسُبْحَانَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ بَعِيدٍ دَانٍ، عَظِيمِ
السُّلْطَانِ، عَمِيمِ الْإِحْسَانِ، جَسِيمِ الْاِمْتِنَانِ، كُلُّ مَا سِوَاهُ فَهُوَ عَنْ جُودِهِ وَفَضْلِهِ
وَعَدْلِهِ، وَهُوَ الْبَاسِطُ لَهُ وَالْقَابِضُ.....

يَحْدُثُ فِي الْإِنْسَانِ حَيْثُ يَنْجَذِبُ إِلَى ذَلِكَ التَّجْوِيفِ لَطِيفِ الدَّمِ فَيُبَخِّرُهُ وَيَجْعَلُهُ
بُخَارًا بِحَرَارَتِهِ الْمُفْرِطَةِ، فَاللَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَعِلْمُهُ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ (كَمَا
أَنَّ ذَاتَهُ) تَعَالَى (لَا تَقْبَلُ) عَقْلًا وَلَا شَرْعًا (الزِّيَادَةَ وَ) لَا (التُّقْصَانَ) لِأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ
مِنْ أَمَارَاتِ الْحُدُوثِ، وَاللَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ.

(فَسُبْحَانَهُ) أَي تَنَزَّهَ مِنْ قَدِيمٍ لَا أَوَّلَ لَهُ وَبَاقٍ وَلَا آخِرَ لَهُ وَ(سُبْحَانَهُ مِنْ بَعِيدٍ
دَانٍ) يُرِيدُ أَنَّهُ قَرِيبٌ بَعِيدٌ أَي لَيْسَ قُرْبُهُ كَقُرْبِ الْأَجْسَامِ وَلَا بُعْدُهُ كَبُعْدِ
الْأَجْسَامِ، وَهُوَ (عَظِيمِ السُّلْطَانِ) أَي الْمُلْكِ وَالْعَلْبَةِ لِلْمَخْلُوقَاتِ وَهُوَ (عَمِيمِ
الْإِحْسَانِ) أَي وَاسِعِ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ (جَسِيمِ) أَي عَظِيمِ (الْاِمْتِنَانِ) أَي الْمِنَّةِ
وَالْفَضْلِ عَلَى الْخَلْقِ، وَ(كُلُّ مَا سِوَاهُ) تَعَالَى (فَهُوَ) مَخْلُوقٌ مَرْبُوبٌ لَهُ، فَإِنَّ إِنْعَامَهُ
(عَنْ جُودِهِ وَفَضْلِهِ) عَلَى الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ (وَ) إِنَّ عَذَابَهُ وَانْتِقَامَهُ عَنْ (عَدْلِهِ) فَلَا
يُوصَفُ بِالْجَوْرِ وَالظُّلْمِ حَاشَا، (وَهُوَ الْبَاسِطُ لَهُ) أَي الَّذِي يُوسِّعُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ
(وَالْقَابِضُ) أَي الَّذِي يُضَيِّقُ الرِّزْقَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ.

أَكْمَلَ صُنْعَ الْعَالَمِ وَأَبْدَعَهُ حِينَ أَوْجَدَهُ وَاخْتَرَعَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ وَلَا مُدَبِّرَ
مَعَهُ فِي مُلْكِهِ إِنْ أَنْعَمَ فَنَعَمَ فَذَلِكَ فَضْلُهُ وَإِنْ أَبْلَى فَعَذَّبَ فَذَلِكَ عَذْلُهُ لَمْ يَتَصَرَّفْ
فِي مُلْكِهِ غَيْرِهِ فَيُنْسَبَ إِلَى الْجَوْرِ وَالْحَيْفِ وَلَا يَتَوَجَّهَ عَلَيْهِ لِسِوَاهُ حُكْمٌ فَيَتَّصِفَ
بِالْجِزَعِ.....

الْقَوْلُ فِي فَضْلِ اللَّهِ وَعَدْلِهِ

وهو تعالى قد (أَكْمَلَ) أي أَتَقَنَ (صُنْعَ) أي خَلَقَ وَإِيجَادَ (الْعَالَمِ) بِأُسْرِهِ (وَأَبْدَعَهُ)
أي خَلَقَهُ لَا عَلَى مِثَالٍ سَبَقَ (حِينَ أَوْجَدَهُ) بِقُدْرَتِهِ (وَاخْتَرَعَهُ) أي أَخْرَجَهُ مِنْ
الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ. فهو الواحدُ (لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ) أي سُلْطَانِهِ (وَلَا مُدَبِّرَ مَعَهُ
فِي مُلْكِهِ) بل كُلُّ المخلوقاتِ مملوكةٌ لَهُ سُبْحَانَهُ، وَأَمَّا مَا نَمْلِكُهُ نَحْنُ فَمِلْكُ مجازيٍّ
حَاصِلٌ لَنَا بِتَمْلِكِ اللَّهِ لَنَا مَا نَمْلِكُهُ.

وهو تعالى حَكَمٌ عَدْلٌ (إِنْ أَنْعَمَ) عَلَى الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ (فَنَعَمَ) هُمْ (فَذَلِكَ فَضْلُهُ)
أي مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، فهو لَا يَجِبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ وَلَا حُكْمٌ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ (وَإِنْ
أَبْلَى) أي أَنْزَلَ الْبَلَاءَ عَلَى بَعْضِ خَلْقِهِ (فَعَذَّبَ) هُمْ بِذَلِكَ الْبَلَاءِ (فَذَلِكَ عَذْلُهُ) أي
بِعَدْلِهِ كَانَ ذَلِكَ، فَيَسْتَحِيلُ وَصْفُهُ بِالظُّلْمِ، وَكَيْفَ يُوصَفُ بِالظُّلْمِ مَنْ تَصَرَّفَ فِي
مُلْكِهِ (لَمْ يَتَصَرَّفْ فِي مُلْكٍ غَيْرِهِ فَيُنْسَبَ إِلَى الْجَوْرِ) أي الظُّلْمِ (وَالْحَيْفِ) أي
الجورِ (وَلَا يَتَوَجَّهُ عَلَيْهِ) أي لَا يَكُونُ (لِسِوَاهُ حُكْمٌ فَيَتَّصِفُ بِالْجِزَعِ) أي

لِذَلِكَ وَالْخَوْفِ. كُلُّ مَا سِوَاهُ تَحْتَ سُلْطَانِ قَهْرِهِ، وَمُتَصَرِّفٌ عَنْ إِرَادَتِهِ وَأَمْرِهِ، فَهُوَ الْمُلْهُمُ نَفُوسَ الْمُكَلَّفِينَ التَّقْوَى وَالْفُجُورَ، وَهُوَ الْمُتَجَاوِزُ عَنْ سَيِّئَاتٍ مَنْ شَاءَ وَالْآخِذُ بِهَا مَنْ شَاءَ هُنَا وَفِي يَوْمِ النُّشُورِ. لَا يَحْكُمُ عَدْلُهُ فِي فَضْلِهِ، وَلَا فَضْلُهُ فِي عَدْلِهِ

أَيُّ الْهَلَعِ (لِذَلِكَ) أَيُّ بِسَبَبِهِ (وَ) يَتَّصِفُ بِـ (الْخَوْفِ) حَاشَا، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ غُلُوءًا كَبِيرًا.

(كُلُّ مَا سِوَاهُ) وَهُوَ الْعَالَمُ (تَحْتَ سُلْطَانِ) أَيُّ حُكْمٍ (قَهْرِهِ) وَغَلَبَتِهِ الْمَخْلُوقَاتِ، (وَ) الْعَالَمُ وَمَا فِيهِ (مُتَصَرِّفٌ) أَيُّ يَجْرِي فِيهِ التَّدْبِيرُ وَالتَّصَرُّفُ (عَنْ إِرَادَتِهِ) أَيُّ عَلَى حَسَبِ مَا أَرَادَ اللَّهُ فِي الْأَزْلِ (وَأَمْرِهِ) أَيُّ حُكْمِهِ، (فَهُوَ الْمُلْهُمُ) الْمُعْلِمُ وَالْمُفْهِمُ (نَفُوسَ الْمُكَلَّفِينَ) مِنْ عِبَادِهِ (التَّقْوَى) وَالطَّاعَةِ (وَ) هُوَ مُلْهِمُهُمُ (الْفُجُورَ) وَالْعِصْيَانَ، ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ أَيُّ النَّفْسِ ﴿فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشَّمْسُ: ٨]، (وَهُوَ) تَعَالَى (الْمُتَجَاوِزُ عَنْ سَيِّئَاتٍ مَنْ شَاءَ) أَيُّ هُوَ الَّذِي يَعْفُو عَمَّنْ يَشَاءُ وَيُسَامِحُ فَضْلًا مِنْهُ وَرَحْمَةً (وَ) هُوَ (الْآخِذُ بِهَا) بِالسَّيِّئَاتِ بِالْعَذَابِ (مَنْ شَاءَ) وَيُعَذِّبُ عَدْلًا مِنْهُ وَانْتِقَامًا لَا جَوْرًا وَلَا ظُلْمًا، يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ (هُنَا) فِي الدُّنْيَا (وَفِي يَوْمِ النُّشُورِ) أَيُّ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالنُّشُورُ هُوَ الْبَعْثُ وَالْإِحْيَاءُ.

(لَا يَحْكُمُ عَدْلُهُ فِي فَضْلِهِ وَلَا فَضْلُهُ فِي عَدْلِهِ) لَعَلَّهُ أَرَادَ أَنَّ صِفَاتِ اللَّهِ أَزَلِيَّةٌ

أَخْرَجَ الْعَالَمَ قَبْضَتَيْنِ وَأَوْجَدَ لَهُمْ مَنَزِلَتَيْنِ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَلَا أَبَالِي وَهَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَلَا أَبَالِي، وَلَمْ يَعْترِضْ عَلَيْهِ مُعْتَرِضٌ هُنَاكَ إِذْ لَا مَوْجُودَ كَانَ ثُمَّ سِوَاهُ. فَالْكُلُّ تَحْتَ تَصْرِيفِ أَسْمَائِهِ فَقَبْضَةٌ تَحْتَ أَسْمَاءِ بَلَائِهِ وَقَبْضَةٌ تَحْتَ أَسْمَاءِ ءَالَائِهِ

لَيْسَ فِيهَا غَالِبٌ وَلَا مَغْلُوبٌ، فَلَا يُعَذِّبُ اللَّهُ مَنْ شَاءَ أَنْ يَقِيَهُ مِنَ الْعَذَابِ، وَلَا يَقِي مِنَ الْعَذَابِ أَحَدًا شَاءَ لَهُ أَنْ يُعَذَّبَ، وَقَدْ (أَخْرَجَ الْعَالَمَ) أَيِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ (قَبْضَتَيْنِ) أَيِ جَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ فَرِيقًا مُؤْمِنًا وَءَاخَرَ كَافِرًا (وَأَوْجَدَ لَهُمْ مَنَزِلَتَيْنِ) مَنَزَلَةٌ هِيَ الْجَنَّةُ وَمَنَزَلَةٌ هِيَ النَّارُ (فَقَالَ: هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَلَا أَبَالِي) أَيِ لَا يَلْحَقْنِي نَفْعٌ بِذَلِكَ وَلَا ضَرَرٌ (وَهَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَلَا أَبَالِي، وَلَمْ يَعْترِضْ عَلَيْهِ) أَيِ عَلَى حُكْمِهِ (مُعْتَرِضٌ هُنَاكَ إِذْ لَا مَوْجُودَ كَانَ) أَرْلَا (ثُمَّ) مَوْجُودًا (سِوَاهُ) أَيِ سِوَى اللَّهِ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ.

(فَالْكُلُّ) أَيِ كُلُّ الْخَلْقِ (تَحْتَ تَصْرِيفِ أَسْمَائِهِ) أَيِ مُتَصَرِّفٍ بِهِمْ بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ أَسْمَاؤُهُ، فَالرَّحِيمُ مِنَ أَسْمَائِهِ تَعَالَى وَهُوَ يَرْحَمُ عِبَادَهُ، وَالتَّوَّابُ مِنَ أَسْمَائِهِ تَعَالَى وَهُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ، وَالرَّزَّاقُ مِنَ أَسْمَائِهِ تَعَالَى وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا، (فَقَبْضَةٌ) أَيِ طَائِفَةٌ مِنَ الْخَلْقِ (تَحْتَ أَسْمَاءِ بَلَائِهِ) يُصِيبُهُمْ عَذَابُهُ بِقُدْرَتِهِ كَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ بَعْضُ أَسْمَائِهِ كَالْمُنْتَقِمِ فَإِنَّ مَعْنَاهُ يُعَاقِبُ الْعُصَاةَ، (وَقَبْضَةٌ) أَيِ طَائِفَةٌ مِنَ الْخَلْقِ (تَحْتَ أَسْمَاءِ ءَالَائِهِ) يَنَالُونَ رَحْمَةً مِنْهُمْ وَنَعِيمًا كَمَا

وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ الْعَالَمُ كُلُّهُ سَعِيدًا لَكَانَ أَوْ شَقِيًّا لَمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ فِي شَأْنٍ، لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يُرِدْ فَكَانَ كَمَا أَرَادَ فَمِنْهُمْ الشَّقِيُّ وَالسَّعِيدُ هُنَا وَفِي يَوْمِ الْمَعَادِ فَلَا سَبِيلَ إِلَى تَبْدِيلِ مَا حَكَمَ عَلَيْهِ الْقَدِيمُ.....

دَلَّ عَلَى ذَلِكَ بَعْضُ أَسْمَائِهِ كَالرَّحِيمِ فَإِنَّ مَعْنَاهُ الْكَثِيرُ الرَّحْمَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً.
(وَلَوْ أَرَادَ) اللَّهُ (سُبْحَانَهُ) وَتَعَالَى (أَنْ يَكُونَ الْعَالَمُ كُلُّهُ سَعِيدًا) أَيِ مَخْتَوِمًا لَهُ بِالْإِيمَانِ الْمَوْصِلِ إِلَى السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ فِي الْآخِرَةِ (لَكَانَ أَوْ) أَيِ وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَكُونَ الْعَالَمُ كُلُّهُ (شَقِيًّا) مُعَذَّبًا (لَمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ فِي شَأْنٍ) أَيِ لَمْ يَكُنْ يَلْحَقُهُ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [المائدة: ٤٨]، وَقَالَ أَيْضًا: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩]، رَوَى ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ»: «إِنَّ اللَّهَ لَوْ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَابَهُمْ غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ»، (لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يُرِدْ) الْهِدَايَةَ لَجَمِيعِ النَّاسِ وَلَا الشَّقَاوَةَ لَجَمِيعِهِمْ (فَكَانَ كَمَا أَرَادَ) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (فَمِنْهُمْ) أَيِ النَّاسِ (الشَّقِيُّ) أَيِ هُنَا فِي الدُّنْيَا (وَالسَّعِيدُ هُنَا) فِي الدُّنْيَا (وَيَكُونُ كُلُّ مِنْهُمَا كَذَلِكَ) (فِي يَوْمِ الْمَعَادِ) أَيِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ (فَلَا سَبِيلَ إِلَى تَبْدِيلِ مَا حَكَمَ عَلَيْهِ الْقَدِيمُ) أَيِ لَا يَنْقَلِبُ حُكْمُ اللَّهِ، فَمَنْ شَاءَ لَهُ الْخَتْمُ عَلَى الْإِيمَانِ فَإِنَّهُ يَمُوتُ مُؤْمِنًا، وَمَنْ شَاءَ لَهُ الْخَتْمُ عَلَى الْكُفْرِ فَإِنَّهُ يَمُوتُ كَافِرًا.

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِي الصَّلَاةِ: «هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ، مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ لِتَصَرُّفِي فِي مِلْكِي وَإِنْفَاذِ مَشِيئَتِي فِي مِلْكِي».

وقد جاء في الحديث الصحيح مرفوعاً: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ» رواه الشَّيْخَانِ.

(وَقَدْ قَالَ) اللَّهُ (تَعَالَى) فيما رُوِيَ في الحديثِ الْقُدْسِيِّ (فِي) شَأْنِ (الصَّلَاةِ) الواجبة في اليوم واللَّيْلَةِ: «(هِيَ خَمْسٌ) في عَدِّهَا (وَهِيَ خَمْسُونَ) في مُضَاعَفَةِ ثَوَابِهَا (مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ) أي لَا يُغَيِّرُ اللَّهُ مَشِيئَتَهُ (وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ) وذلك مستحيلٌ في حَقِّ اللَّهِ (لِتَصَرُّفِي فِي مِلْكِي وَإِنْفَاذِ مَشِيئَتِي فِي مِلْكِي)» وقد نفى الله تعالى الظُّلْمَ عَنْ نَفْسِهِ في القرآن الكريم أيضاً فقال: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ [هود: ١٠١]، وقال أيضاً: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] وغير ذلك من الآيات. وقد قال الفقيه الأصولي بدر الدين الزَّركَشِيُّ في «تَشْنِيفِ الْمَسَامِعِ»: «أي شرعاً وعقلاً، أمَّا شرعاً فليقلِّبه تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النِّساء: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٦]، وقوله: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [هود: ١٠١]،

وَذَلِكَ لِحَقِيقَةِ عُمِيَّتِ عَنْهَا الْأَبْصَارُ.....

وقوله أيضًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ [هُود: ١٠١]، فتمدح سبحانه وتعالى بنفي الظلم عنه، فلا يجوز زواله عنه كما لا يجوز نفي ما أثبتته لنفسه من الثبوت والصفات، كذلك ما نفاه عنه من النقائص، وفي الحديث الصحيح: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي»، وأما عقلاً فلأنَّ الظُّلْمَ إِنَّمَا صَارَ ظُلْمًا لِأَنَّهُ مَنَهِيٌّ عَنْهُ، وَلَا يُتَصَوَّرُ فِي أَعْمَالِهِ تَعَالَى مَا يُنْهَى عَنْهُ، إِذْ لَا يُتَصَوَّرُ لَهُ نَاهٍ، وَلِأَنَّ الْعَالَمَ خَلَقَهُ وَمِلْكُهُ، وَالْمُتَصَرِّفُ فِي مِلْكِهِ يَسْتَحِيلُ وَصْفُهُ بِالظُّلْمِ، وَأَيْضًا فَلَا يُتَصَوَّرُ إِلَّا عَلَى مَنْ يُتَصَوَّرُ فِي حَقِّهِ الْجَهْلُ لِأَنَّهُ وَضَعَ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَأَمَّا مَنْ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِالْأَشْيَاءِ وَمَوَاقِعِهَا فَلَا، وَالْمُخَالِفُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الْقَدَرِيَّةُ قَالُوا: "إِنَّ الْقَدِيمَ يَصِحُّ مِنْهُ الظُّلْمُ لَكِنْ لَا يَظْلِمُ لِكَوْنِهِ قَبِيحًا". قَالَ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ: وَفِي هَذَا إِسْقَاطٌ لِمَا يُشَيِّعُونَهُ عَنْ أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّهُمْ يَنْسُبُونَ إِلَيْهِ فِعْلَ الْقَبَائِحِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ غُلُوبًا كَبِيرًا" اهـ.

(وَذَلِكَ) أَيَّ عَدَمٍ تَوَصَّلَ إِلَى مَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ صِفَاتِ اللَّهِ نَرُدُّهُ (لِ) -وُجُودِ (حَقِيقَةِ) إِلَّا أَنَّ الْعَقْلَ لَا يُدْرِكُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ مَهْمَا فَكَّرَ وَحَاوَلَ لِأَنَّهُ حَقِيقَةُ ذَاتِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ لَا يُدْرِكُا مَخْلُوقٌ فَقَدْ (عُمِيَّتِ عَنْهَا) أَيَّ مُبْعَثٍ مِنْ إِدْرَاكِ حَقِيقَتِهَا (الْأَبْصَارُ) أَيَّ الْعُيُونِ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا رَأَوْا رَبَّهُمْ وَهُمْ فِي الْجَنَّةِ لَا يَشْكُونَ أَنَّهُ اللَّهُ

وَالْبَصَائِرُ وَلَمْ تَعُثْ عَلَيْهَا الْأَفْكَارُ وَلَا الضَّمَائِرُ. فَسُبْحَانَ مَنْ لَا فَاعِلَ سِوَاهُ وَلَا
مَوْجُودَ لِنَفْسِهِ وَلَا مَوْجُودَ لِنَفْسِهِ إِلَّا إِيَّاهُ.....

وهو بلا جهةٍ ولا مكانٍ لكنَّهم لا يُدركُونَ حقيقةَ ذاتهِ تعالى، (وَ) قَدْ مُنِعَتْ مِنْ
إِدْرَاكِ حَقِيقَةِ ذَاتِهِ (الْبَصَائِرُ) أَيِ الْقُلُوبِ، (وَلَمْ تَعُثْ عَلَيْهَا) أَيِ لَمْ تَصِلْ إِلَى
إِدْرَاكِ حَقِيقَةِ ذَاتِ اللَّهِ (الْأَفْكَارُ) مَهْمَا تَفَكَّرْتَ (وَلَا) تُدْرِكُهَا (الضَّمَائِرُ) أَيِ
الْقُلُوبِ، وَفِي هَذَا كَثِيرٌ تَنْوِيعٍ فِي الْعِبَارَةِ وَالْمُؤَدَّى مِنَ الْمَعْنَى وَاحِدٌ.

(فَسُبْحَانَ) أَيِ تَنَزَّاهُ اللَّهُ (مَنْ لَا فَاعِلَ) عَلَى الْحَقِيقَةِ (سِوَاهُ) تَعَالَى، وَهَذَا هُوَ قَوْلُ
الإمامِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ قَالَ شَيْخُنَا الإمامُ الْهَرِيرِيُّ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ: "مَعْنَاهُ فِعْلُ الْعَبْدِ لَا يُوصِلُهُ إِلَى إِخْرَاجِ الشَّيْءِ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ" اهـ
(وَلَا مَوْجُودَ لِنَفْسِهِ) أَيِ لذَاتِهِ بِمَعْنَى بَذَاتِهِ (إِلَّا إِيَّاهُ) فَوْجُودُ اللَّهِ تَعَالَى لَيْسَ بِغَيْرِهِ
بَلْ لذَاتِهِ أَيِ لِأَنَّهُ تَعَالَى وَاجِبُ الْوُجُودِ، فَلَا أَحَدَ غَيْرُ اللَّهِ مَوْجُودٌ لذَاتِهِ، وَكُلُّ مَا هُوَ
مَوْجُودٌ بِغَيْرِهِ مَخْلُوقٌ لِلَّهِ هُوَ أَوْجَدَهُ بِقُدْرَتِهِ، وَالتَّقْيِيدُ بِكَلِمَةِ "لذَاتِهِ" أَوْ "بذَاتِهِ" لَا
بُدَّ مِنْهُ وَإِلَّا لَصَارَ الْمَعْنَى إِلَى أَنَّ "اللَّهِ وَالْعَالَمَ شَيْءٌ وَاحِدٌ" وَهَذَا الْكَلَامُ بَاطِلٌ وَكُفْرٌ
وَهُوَ عَقِيدَةُ الْوَحْدَةِ الْمُطْلَقَةِ الْفَاسِدَةِ، وَقَدْ بَرِيَ مِنْ هَذِهِ الْعَقِيدَةِ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ
ابْنُ عَرَبٍ الْفَاسِدَةِ الْكَاسِدَةِ كَمَا هُوَ مَفْهُومٌ مِنْ عَقِيدَتِهِ هُنَا.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصّافات: ٩٦]، ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء:

٢٣]، ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصّافات: ٩٦] أي خلقكم وخلق عملكم (و) قال جلّ وعزّ: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] هو تعالى عادل في خلقه بجميع ما يبتليهم به ويقضيه عليهم من خيرٍ وشرٍّ ونفعٍ وضرٍّ وغنى وفقرٍ ولذةٍ وألمٍ وصحةٍ وسقمٍ وهدايةٍ وضلالٍ، فهو المالك لكل شيءٍ على الحقيقة ويتصرف في ملكه كيف يشاء، وقال جلّ جلاله: ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ أي لا عُذر لمن أضله الله، بل لله الحجة التامة على عباده، فالكل عبيد له ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩] أي لو شاء في الأزل أن يهتدي الجميع لاهتدوا ولكنّه لم يشأ هداية الجميع فلا يعترض عليه سبحانه.

وَكَمَا أَشْهَدْتُ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَجَمِيعَ خَلْقِهِ وَإِيَّاكُمْ عَلَى نَفْسِي بِتَوْحِيدِهِ، فَكَذَلِكَ
أُشْهَدُهُ سُبْحَانَهُ وَمَلَائِكَتَهُ وَجَمِيعَ خَلْقِهِ وَإِيَّاكُمْ عَلَى نَفْسِي بِالْإِيمَانِ بِمَنْ
اصْطَفَاهُ وَاخْتَارَهُ وَاجْتَبَاهُ مِنْ جُودِهِ وَذَلِكَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ الَّذِي أَرْسَلَهُ إِلَى جَمِيعِ
النَّاسِ كَافَّةً بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦].....

الإيمانُ برَسُولِ اللَّهِ ﷺ

(وَكَمَا) أَنِّي (أَشْهَدْتُ اللَّهَ) عَزَّ وَجَلَّ (وَ) أَشْهَدْتُ (مَلَائِكَتَهُ) الْكَرَامَ (وَجَمِيعَ
خَلْقِهِ) (وَ) أَشْهَدْتُ (إِيَّاكُمْ) أَيُّهَا الْفُرَّاءُ وَالسَّامِعُونَ (عَلَى نَفْسِي بِتَوْحِيدِهِ) تَعَالَى
(ف) إِنِّي (كَذَلِكَ أُشْهَدُهُ سُبْحَانَهُ) وَتَعَالَى (وَ) أَشْهَدُ (مَلَائِكَتَهُ) الْكَرَامَ (وَجَمِيعَ
خَلْقِهِ وَإِيَّاكُمْ عَلَى نَفْسِي) (بِالْإِيمَانِ) أَيِ التَّصَدِيقِ (بِمَنْ اصْطَفَاهُ) أَيِ جَعَلَهُ
صَفِيًّا (وَ) اخْتَصَّه بِالنُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ أَيِ (اخْتَارَهُ وَاجْتَبَاهُ) بِمَعْنَى اخْتَارَهُ (مِنْ) أَيِ
بـ (جُودِهِ) وَمِنْهُ عَلَيْهِ الْمُخْتَارِ وَعَلَى الْعِبَادِ (وَذَلِكَ) الْمُصْطَفَى وَالْمُجْتَبَى هُوَ
(سَيِّدُنَا) وَسَيِّدُ الْبَشَرِ (مُحَمَّدٌ) ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْفُرَشِيُّ (ﷺ) أَيِ زَادَهُ اللَّهُ شَرَفًا
وَتَعْظِيمًا وَتَكْرِيمًا، فَهُوَ الرَّسُولُ (الَّذِي أَرْسَلَهُ) اللَّهُ تَعَالَى (إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ) مِنْ
إِنْسٍ وَجِنٍّ (كَافَّةً) غَرْبًا وَعَجَمًا، فَجَاءَهُمْ (بَشِيرًا) أَيِ مُبَشِّرًا مَنْ أَطَاعَ بِالثَّوَابِ
وَالْجَنَّةِ (وَنَذِيرًا) أَيِ وَمُنْذِرًا مَنْ عَصَى بِالنَّارِ وَالْعُقُوبَةِ (﴿وَدَاعِيًا﴾) أَيِ وَجَعَلَهُ

فَبَلَّغَ ﷺ مَا أُنْزِلَ مِنْ رَبِّهِ إِلَيْهِ، وَأَدَّى أَمَانَتَهُ وَنَصَحَ أُمَّتَهُ وَوَقَفَ فِي حَجَّةٍ وَدَاعِهِ
عَلَى كُلِّ مَنْ حَضَرَ مِنْ أَتْبَاعِهِ، فَخَطَبَ وَذَكَرَ وَخَوَّفَ وَحَذَّرَ وَبَشَّرَ وَأَنْذَرَ وَوَعَدَ
وَأَوْعَدَ وَأَمْطَرَ وَأَرْعَدَ.....

الله تعالى داعيًا ﴿إِلَى﴾ عِبَادَةِ ﴿اللَّهِ﴾ وَطَاعَتِهِ ﴿بِإِذْنِهِ﴾ أَي بِأَمْرِ اللَّهِ
وَتَيْسِيرِهِ ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ وَجَعَلَ الْقُرْآنَ لِلنَّاسِ ذَا سِرَاجٍ مُنِيرٍ بِهِدْيِهِ، وَوُصِفَ
بِالْإِنَارَةِ لِأَنَّ مِنَ الشَّرْجِ مَا لَا يُضِيءُ إِذَا قَلَّ زَيْتُهُ وَدَقَّتْ فِتِيلَتُهُ (فَبَلَّغَ) رَسُولُ اللَّهِ
﴿ﷺ﴾ النَّاسَ (مَا أُنْزِلَ مِنْ رَبِّهِ) بِوَحْيِ (إِلَيْهِ، وَأَدَّى أَمَانَتَهُ) فَلَمْ يَخُنْ فِي التَّبْلِغِ
حَاشَاهُ (وَنَصَحَ أُمَّتَهُ) وَهَدَاهَا لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ (وَوَقَفَ) بِعَرَفَاتٍ (فِي حَجَّةٍ وَدَاعِهِ)
وهي الْحَجَّةُ الْوَاحِدَةُ الَّتِي حَجَّهَا ﷺ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِنَحْوِ مِائَةِ يَوْمٍ أَوْ أَقَلٍّ مِنْ ذَلِكَ فِي
السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَسُمِّيَتْ حَجَّةُ الْوَدَاعِ لِأَنَّهُ ﷺ وَدَّعَ النَّاسَ فِيهَا بِقَوْلِهِ
«لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا» وَكَانَ خَاطِبًا فِيهِمْ وَاقِفًا (عَلَى كُلِّ مَنْ حَضَرَ مِنْ
أَتْبَاعِهِ) أَي أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ (فَخَطَبَ) فِيهِمْ (وَذَكَرَ) هُمْ تَقَوَّى اللَّهُ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ (وَخَوَّفَ) هُمْ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ (وَحَذَّرَ) هُمْ مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ (وَبَشَّرَ) مَنْ ثَبَّتَ
مِنْهُمْ عَلَى التَّقْوَى بِالثَّوَابِ (وَأَنْذَرَ) مَنْ خَالَفَ مِنْهُمْ بِالْعُقُوبَةِ (وَوَعَدَ) مَنْ اتَّقَى
اللَّهُ بِالْآمَانِ فِي الْآخِرَةِ (وَأَوْعَدَ) مَنْ عَصَاهُ بِالتَّعَرُّضِ لِسَخِطِ اللَّهِ (وَأَمْطَرَ وَأَرْعَدَ)

وَمَا خَصَّ بِذَلِكَ التَّذْكِيرَ أَحَدًا مِنْ أَحَدٍ عَنْ إِذْنِ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا هَلْ بَلَغْتُ، فَقَالُوا: بَلَغْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ». وَإِنِّي مُؤْمِنٌ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ ﷺ مِمَّا عَلِمْتُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ. فَمِمَّا جَاءَ بِهِ فَقَرَّرَ أَنَّ الْمَوْتَ عَنْ أَجَلٍ مُسَمًّى عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ

أَيُّ بَشَرٍ وَأَنْذَرَ (وَمَا خَصَّ) أَيُّ لَمْ يَخْصَّ ﷺ (بِذَلِكَ التَّذْكِيرَ أَحَدًا مِنْ) النَّاسِ دُونَ (أَحَدٍ) بَلْ وَجَّهَ ذَلِكَ الْكَلَامَ إِلَى الْحَاضِرِينَ أَجْمَعِينَ (عَنْ) أَيُّ بـ (إِذْنِ) اللَّهِ (الْوَاحِدِ الصَّمَدِ) أَيُّ الَّذِي يُقْصَدُ فِي الْحَوَائِجِ عَلَى الدَّوَامِ (ثُمَّ قَالَ) ﷺ عَقِبَ خُطْبَتِهِ (أَلَا هَلْ بَلَغْتُ) أَيُّ أَعْلَمْتُكُمْ مَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ (فَقَالُوا: بَلَغْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ») لِي وَعَلَيْهِمْ.

(وَإِنِّي مُؤْمِنٌ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ) نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ (ﷺ مِمَّا عَلِمْتُ) بِهِ (وَمَا لَمْ أَعْلَمْ) بِهِ، فَإِنَّهُ ﷺ صَادِقٌ مَصْدُوقٌ.

الإيمان بما جاء به رسول الله ﷺ

(فَمِمَّا جَاءَ بِهِ) ﷺ (فَقَرَّرَ) أَنَّهُ أَمْرٌ حَقٌّ (أَنَّ الْمَوْتَ عَنْ أَجَلٍ مُسَمًّى) أَيُّ إِلَى وَقْتٍ مَعْلُومٍ يَنْقَضِي بِانْقِضَاءِ مَا كُتِبَ لِلْإِنْسَانِ (عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى) أَيُّ فِيمَا قَضَى اللَّهُ أَرْلَا أَنَّ هَذَا الْإِنْسَانَ يَعْيشُهُ فـ (إِذَا جَاءَ) الْأَجَلَ فَإِنَّهُ (لَا يُؤَخَّرُ) سَاعَةً وَلَا يُقَدَّمُ

فَأَنَا مُؤْمِنٌ بِهَذَا إِيمَانًا لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَا شَكَّ كَمَا ءَامَنْتُ وَأَقْرَرْتُ أَنَّ سُؤَالَ فَتَّانِي
الْقَبْرِ حَقٌّ، وَعَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ، وَبَعَثَ الْأَجْسَادِ مِنَ الْقُبُورِ حَقٌّ، وَالْعَرْضُ عَلَى اللَّهِ
تَعَالَى حَقٌّ.....

(فَأَنَا مُؤْمِنٌ) مُصَدِّقٌ (بِهَذَا إِيمَانًا) أَيِ تَصْدِيقًا (لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَا شَكَّ) وَالرَّيْبُ
هُوَ الشَّكُّ - وَالتَّنَوُّعُ فِي الْعِبَارَةِ لِلتَّأَكِيدِ - وَأَنَا عَلَى هَذَا مُصَدِّقٌ (كَمَا ءَامَنْتُ) أَيِ
صَدَّقْتُ بِقَلْبِي (وَأَقْرَرْتُ) أَيِ قَبِلْتُ فِي نَفْسِي وَرَضَيْتُ وَأَذَعَنْتُ (أَنَّ سُؤَالَ فَتَّانِي)
أَيِ مُتَمَحِّجِي النَّاسِ فِي (الْقَبْرِ) وَهُمَا مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ سُؤَالٌ (حَقٌّ) كَائِنٌ لِمَنْ شَاءَ اللَّهُ
لَهُ أَنْ يُسْأَلَ، فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالشُّهَدَاءَ وَالْأَطْفَالَ وَمَنْ لُقِنَ الْحُجَّةَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا
يُسْأَلُونَ.

(وَ) صَدَّقْتُ وَأَقْرَرْتُ بِأَنَّ (عَذَابَ الْقَبْرِ حَقٌّ) أَيِ كَائِنٌ لَا مُحَالَةَ لِلْكَفَّارِ وَبَعْضُ
عُصَاةِ الْمُسْلِمِينَ أَهْلُ الْكِبَائِرِ (وَ) أَنَّ (بَعَثَ الْأَجْسَادِ) أَيِ إِخْرَاجَهَا (مِنَ الْقُبُورِ)
بَعْدَ عَوْدِهَا عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْأَجْسَادِ الَّتِي يَأْكُلُهَا التُّرَابُ هُوَ أَمْرٌ
(حَقٌّ) كَائِنٌ لَا مُحَالَةَ (وَ) أَنَّ (الْعَرْضَ) أَيِ عَرْضِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (عَلَى
اللَّهِ تَعَالَى) أَيِ مُحَاسَبَةِ اللَّهِ عِبَادَهُ أَمْرٌ (حَقٌّ) أَيِ ثَابِتٌ وَجُودُهُ، وَلَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ
أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَكُونُ مُتَحَيِّزًا فِي مَكَانٍ يُحَاسِبُ فِيهِ الْعِبَادَ، حَاشَا وَتَنَزَّهَ اللَّهُ عَنِ
ذَلِكَ.

(وَصَدَّقْتُ وَأَقَرَّرْتُ بِأَنَّ (الْحَوْضَ حَقًّا) كَائِنٌ فِي الْآخِرَةِ، وَهُوَ مَكَانٌ أَعَدَّ اللَّهُ فِيهِ شَرَابًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ يَشْرَبُونَ مِنْهُ قَبْلَ دُخُولِ الْجَنَّةِ وَبَعْدَ مُجَاوَزَةِ الصَّرَاطِ، فَلَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ حَوْضٌ تَرِدُهُ أُمَّتُهُ فَقَطْ وَلَا تَرِدُهُ أُمَّمٌ غَيْرُهُ طُولُهُ مَسِيرَةُ شَهْرٍ وَعَرْضُهُ كَذَلِكَ، وَأَنِيتُهُ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَشَرَابُهُ أَبْيَضُ لَوْنًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى طَعْمًا مِنَ الْعَسَلِ وَأَطْيَبُ طَعْمًا مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ. وَقَدْ أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا، وَأَكْبَرُ الْأَحْوَاضِ حَوْضُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

(وَصَدَّقْتُ وَأَقَرَّرْتُ بِأَنَّ (الْمِيزَانَ حَقًّا) أَيُ ثَابِتٌ وَجُودُهُ، وَهُوَ كِمِيزَانِ الدُّنْيَا لَهُ قَصَبَةٌ وَعَمُودٌ وَكُفَّتَانِ كَفَّةٌ لِلْحَسَنَاتِ وَكَفَّةٌ لِلسَّيِّئَاتِ تُوزَنُ بِهِ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالَّذِي يَتَوَلَّى وَزْنَهَا جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَتُوزَنُ الصَّحَائِفُ الَّتِي كُتِبَ فِيهَا الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ، فَمَنْ رَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّجَاةِ، وَمَنْ تَسَاوَتْ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّجَاةِ أَيْضًا وَلَكِنَّهُ أَقْلُ رُتْبَةٍ مِنَ الطَّبَقَةِ الْأُولَى وَأَرْفَعُ مِنَ الثَّالِثَةِ، وَمَنْ رَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ فَهُوَ تَحْتَ مَشِيئَةِ اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَهَذَا كُلُّهُ فِي الْمُؤْمِنِينَ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَتَرْجَحُ كَفَّةُ سَيِّئَاتِهِ لَا غَيْرُ لِأَنَّهُ لَا حَسَنَاتَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ.

وَتَطَايَرُ الصُّحُفِ حَقٌّ، وَالصِّرَاطُ حَقٌّ.....

(و) صَدَقْتُ بِأَنَّ (تَطَايَرُ الصُّحُفِ) أَي نَشْرُهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ (حَقٌّ) أَي ثَابِتٌ وَجُودُهُ،
فَيُؤْتَى الْمُؤْمِنُونَ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ وَالْكَفَّارُ بِشِمَائِلِهِمْ وَوَرَاءَ ظُهُورِهِمْ.

(و) صَدَقْتُ بِأَنَّ (الصِّرَاطَ) يَوْمَ الْقِيَامَةِ (حَقٌّ) أَي ثَابِتٌ وَجُودُهُ، وَهُوَ جِسْرٌ عَرِيضٌ
مَمْدُودٌ عَلَى جَهَنَّمَ تَرِدُ عَلَيْهِ الْخَلَائِقُ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَرِدُهُ وَرُودَ دُخُولٍ وَهُمْ الْكَفَّارُ
وَبَعْضُ عَصَاةِ الْمُسْلِمِينَ، أَي يَزِلُّونَ مِنْهُ إِلَى جَهَنَّمَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرِدُهُ وَرُودَ مُرُورٍ فِي
هَوَائِهِ، فَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ الْخَاطِيفِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَطَرْفَةِ عَيْنٍ، وَهُوَ
مَحْمُولٌ عَلَى ظَاهِرِهِ بَغَيْرِ تَأْوِيلٍ، وَأَحَدُ طَرَفَيْهِ فِي الْأَرْضِ الْمُبَدَّلَةِ وَالْآخَرُ فِيمَا بَيْنَ
الْجَنَّةِ، وَقَدْ وَرَدَ فِي صِفَتِهِ أَنَّهُ «دَحْضٌ مَزَلَّةٌ» أَي أَمْلَسُ تَزِلُّ مِنْهُ الْأَقْدَامُ. وَمِمَّا وَرَدَ
أَنَّهُ أَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ وَأَدْقُ مِنَ الشَّعْرَةِ كَمَا رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ:
«بَلَّغَنِي أَنَّهُ أَدْقُ مِنَ الشَّعْرَةِ وَأَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ» وَلَمْ يَرِدْ ذَلِكَ مَرْفُوعًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ ظَاهِرُهُ بَلْ هُوَ عَرِيضٌ وَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِذَلِكَ أَنَّ خَطَرَهُ عَظِيمٌ، فَإِنَّ
يُسْرَ الْجَوَازِ عَلَيْهِ وَعُسْرَهُ عَلَى قَدْرِ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي، وَلَا يَعْلَمُ حُدُودَ ذَلِكَ إِلَّا
اللَّهُ تَعَالَى، وَقَدْ وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ تَجْرِي بِالنَّاسِ أَعْمَالُهُمْ يَعْنِي أَنَّ قُوَّةَ سَيْرِهِمْ عَلَى
حَسَبِ أَعْمَالِهِمْ.

وَالْجَنَّةَ حَقًّا، وَالنَّارَ حَقًّا، وَفَرِيقًا فِي الْجَنَّةِ.....

(و) صَدَقْتُ بِأَنَّ (الْجَنَّةَ) فِي الْآخِرَةِ (حَقًّا) أَيِ ثَابِتٌ وُجُودُهُ، وَهِيَ مَخْلُوقَةٌ الْآنَ وَلَهَا ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ مِنْهَا بَابُ الرِّيَانِ الَّذِي يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ، وَشَهِيدُ الْمَعْرَكَةِ يُخَيَّرُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ. وَالْجَنَّةُ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ مُنْفَصِلَةٌ عَنْهَا بِمَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ وَلَهَا أَرْضُهَا الْمُسْتَقِلَّةُ وَسَقْفُهَا الْعَرْشُ الْعَظِيمُ.

(و) صَدَقْتُ بِأَنَّ (النَّارَ حَقًّا) أَيِ وُجُودُهَا ثَابِتٌ فَيَجِبُ التَّصَدِيقُ بِذَلِكَ وَبِأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ الْآنَ كَمَا يُفْهَمُ ذَلِكَ مِنَ النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ. وَهِيَ مَكَانٌ أَعَدَّهُ اللَّهُ لِعَذَابِ الْكُفَّارِ الَّذِي لَا يَنْتَهِي أَبَدًا وَلِبَعْضِ عَصَاةِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي يُعَذَّبُونَ مُدَّةً فِيهَا ثُمَّ يُخْرَجُونَ مِنْهَا إِلَى الْجَنَّةِ. وَجَهَنَّمُ مَكَانُهَا تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ مُتَّصِلَةً بِهَا.

(و) صَدَقْتُ بِأَنَّ (فَرِيقًا) يَكُونُونَ (فِي الْجَنَّةِ) وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ، وَهُوَ أَمْرٌ حَقٌّ لَا شَكَّ فِي حُصُولِهِ. وَكَذَلِكَ أَوْلَادُ الْكُفَّارِ الَّذِينَ مَاتُوا دُونَ الْبُلُوغِ وَمَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ دَعْوَةُ الْإِسْلَامِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ لَكِنْ لَا يَكُونُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَكُونُ لِلْمُؤْمِنِينَ. وَأَهْلُ الْجَنَّةِ عَلَى صُورَةِ آبَائِهِمْ ءَادَمُ سِتُونَ ذِرَاعًا طَوْلًا فِي عَرْضِ سَبْعَةِ أَذْرَعٍ، وَهُمْ حِسَانُ الْوُجُوهِ، فَمَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ دَمِيمًا فَإِنَّهُ تَذَهَبُ عَنْهُ دَمَامَتُهُ فَيَجْعَلُهُ فِي الْجَنَّةِ كَجَمَالِ سَيِّدِنَا يُوسُفَ الصَّدِيقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَنْ كَانَ قَصِيرًا فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهُ يَذَهَبُ

وَفَرِيقًا فِي النَّارِ حَقًّا، وَكَرَبَ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَقًّا عَلَى طَائِفَةٍ.....

عنه قِصْرُهُ هُنَاكَ، وَيَجْعَلُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كُلِّ وَاحِدٍ عِلَامَةً تَمَيِّزُهُ عَنْ غَيْرِهِ أَنَّ هَذَا هُوَ
فُلَانٌ حَتَّى إِنْ زَارَهُ مَنْ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ يَعْرِفُهُ تِلْكَ السَّاعَةَ. وَأَهْلُ الْجَنَّةِ
جُرْدٌ مُرْدٌ فِي عُمُرٍ ثَلَاثَةٍ وَثَلَاثِينَ عَامًا لَا تَنْبُتُ لَهُمْ لَحْيَةٌ وَلَيْسَ عَلَى أَذْرَعَتِهِمْ وَلَا
عَلَى بُطُونِهِمْ وَلَا عَلَى سِيَاقَانِهِمْ شَعْرٌ إِلَّا شَعْرُ الرَّأْسِ وَالْحَاجِبِينَ وَالْأَهْدَابِ، وَلَا
يَتَحَوَّلُ طَعَامُهُمْ وَشَرَابُهُمْ إِلَى الْغَائِطِ وَالْبَوْلِ إِنَّمَا يَفِيضُ مِنْ أَجْسَامِهِمْ عَرَقًا
كَالْمِسْكِ لَيْسَ كَعَرَقِ الدُّنْيَا.

(وَصَدَّقْتُ بِأَنَّ (فَرِيقًا) يَكُونُونَ (فِي النَّارِ حَقًّا) أَيِ وَهُوَ أَمْرٌ ثَابِتٌ لَا شَكَّ فِي
حُصُولِهِ. وَيَدْخُلُ النَّارَ إِلَى الْأَبَدِ الْكَافِرُونَ، وَيُعَذَّبُ فِيهِ بَعْضُ عُصَاةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ
أَهْلِ الْكِبَائِرِ. وَيَزِيدُ اللَّهُ فِي حَجْمِ الْكَافِرِ فِي النَّارِ لِيَزْدَادَ عَذَابًا حَتَّى يَكُونَ ضَرْسُهُ
كَجَبَلِ أَحَدٍ، وَمَا بَيْنَ مَنْكَبَيْ الْكَافِرِ فِيهَا مَسِيرَةٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، لَأَنَّهُمْ لَوْ كَانَتْ خَلَقَتْهُمْ
فِي النَّارِ كَمَا هِيَ فِي الدُّنْيَا لَذَابُوا بِلَحْظَةٍ. وَيَخْلُدُ فِي النَّارِ الْكُفَّارُ أَبَدًا لَا يَخْرُجُونَ
مِنْهَا كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ، وَلَا يَمُوتُونَ فِي النَّارِ فَيَرْتَاخُونَ مِنَ
الْعَذَابِ وَلَا يَحْيَوْنَ حَيَاةً هَنِئَةً طَيِّبَةً بَلْ هُمْ دَائِمًا فِي نَكَدٍ وَعَذَابٍ.

(وَصَدَّقْتُ بِأَنَّ (كَرَبَ ذَلِكَ الْيَوْمَ) أَيِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ (حَقًّا) أَيِ ثَابِتٌ وَجُودُهُ (عَلَى
طَائِفَةٍ) مِنَ النَّاسِ وَهُمْ الْكُفَّارُ وَبَعْضُ عُصَاةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِبَائِرِ الَّذِينَ لَمْ

وَطَائِفَةٌ أُخْرَى لَا يُخْزِنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ، وَشَفَاعَةُ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالْمُؤْمِنِينَ
وَإِخْرَاجَ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ بَعْدَ الشَّفَاعَةِ مِنَ النَّارِ مَنْ شَاءَ حَقٌّ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ
الْكِبَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ يَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ ثُمَّ يُخْرَجُونَ مِنْهَا بِالشَّفَاعَةِ وَالْإِئْتِنَانِ.....

يُغْفَرُ عَنْهُمْ، (وَطَائِفَةٌ أُخْرَى) النَّاسُ لَيْسَ عَلَيْهِمْ كَرْبٌ وَلَا خَوْفٌ وَ(لَا يُخْزِنُهُمُ
الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ) وَهُوَ مَا يَهُولُ الْكُفَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَهُولُ أَهْلَ الْكِبَائِرِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
الَّذِينَ لَمْ يُغْفَرْ عَنْهُمْ.

(وَصَدَّقْتُ بِأَنَّ (شَفَاعَةَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَ)بَعْضَ أَصْنَافِ (الْمُؤْمِنِينَ) حَقٌّ،
وَهِيَ الطَّلَبُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى تَخْفِيفَ الْعَذَابِ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْعُلَمَاءُ الْعَامِلُونَ وَالشُّهَدَاءُ وَالْمَلَائِكَةُ. أَمَّا الْكُفَّارُ
فَلَا شَفَاعَةَ لَهُمْ، فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ شَيْءٌ مِنَ الْعَذَابِ لَا فِي الْمَوْقِفِ وَلَا فِي جَهَنَّمَ.
(وَصَدَّقْتُ بِأَنَّ (إِخْرَاجَ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ) أَيِ يُخْرِجُ اللَّهُ تَعَالَى (بَعْدَ الشَّفَاعَةِ)
بَعْضَ الْعُصَاةِ الْمَشْفُوعِ لَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (مِنَ النَّارِ) وَيُخْرِجُ اللَّهُ تَعَالَى (مَنْ شَاءَ)
مِنْهُمْ وَنُصَدِّقُ بِأَنَّهُ أَمْرٌ (حَقٌّ) أَيِ ثَابِتٌ حُصُولُهُ.

(وَصَدَّقْتُ بِأَنَّ (جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ الْكِبَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ يَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ) فَتَرَةً ثُمَّ
يُخْرَجُونَ مِنْهَا بِالشَّفَاعَةِ) مِنَ الشَّافِعِينَ (وَالْإِئْتِنَانِ) أَيِ وَبِالْمِنَّةِ وَالْفَضْلِ مِنَ اللَّهِ

حَقٌّ، وَالتَّائِبِدَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُوحِدِينَ فِي التَّعِيمِ الْمُقِيمِ فِي الْجَنَانِ حَقٌّ، وَالتَّائِبِدَ
لِأَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ حَقٌّ، وَكُلُّ مَا جَاءَتْ بِهِ الْكُتُبُ وَالرُّسُلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.....

وذلك (حَقٌّ) كائنٌ لا محالة، ويُغسلُ الخارجُونَ مِنَ اللَّهِ مِنْ أَثَرِ الْعَذَابِ قَبْلَ دُخُولِ
الْجَنَّةِ، فَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الْمَرْفُوعِ: «حَقٌّ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً مَنْ أَرَادَ مِنْ
أَهْلِ النَّارِ أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَيُخْرِجُونَهُمْ
وَيَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ فَيُخْرِجُونَ
مِنَ النَّارِ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ قَدْ
امْتَحَشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حِمِيلِ السَّيْلِ».

(وَصَدَّقْتُ بِأَنَّ (التَّائِبِدَ) أَيِ التَّخْلِيدَ (لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُوحِدِينَ) أَيِ الْمُسْلِمِينَ،
وهو تنويعٌ في العبارة، (فِي التَّعِيمِ الْمُقِيمِ) أَيِ الدَّائِمِ (فِي الْجَنَانِ) أَيِ جِنَانِ الْخُلْدِ
فِي الْآخِرَةِ هُوَ (حَقٌّ) أَيِ ثَابِتٌ وَجُودُهُ.

(وَصَدَّقْتُ بِأَنَّ (التَّائِبِدَ) أَيِ التَّخْلِيدَ (لِ) لِكُفَّارِ (أَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ حَقٌّ) أَيِ
ثَابِتٌ تَحَقُّقُهُ لَا مُحَالَةٌ.

(وَصَدَّقْتُ بِأَنَّ (كُلُّ مَا جَاءَتْ بِهِ الْكُتُبُ) السَّمَاوِيَّةُ (وَالرُّسُلُ) أَيِ الْأَنْبِيَاءِ
الْمُرْسَلُونَ (مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) عِنْدِيَّةٌ تَشْرِيفٌ لِلْكِتَابِ وَالرُّسُلِ لَا عِنْدِيَّةٌ مَكَانٍ لِلَّهِ

عُلِمَ أَوْ جُهِلَ حَقٌّ.

فَهَذِهِ شَهَادَتِي عَلَى نَفْسِي أَمَانَةٌ عِنْدَ كُلِّ مَنْ وَصَلَتْ إِلَيْهِ أَنْ يُؤَدِّيَهَا إِذَا سُئِلَهَا حَيْثُمَا
كَانَ، نَفَعَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِهَذَا الْإِيمَانِ، وَثَبَّتَنَا عَلَيْهِ عِنْدَ الْإِنْتِقَالِ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ
إِلَى الدَّارِ الْحَيَوَانِ، وَأَحَلَّنَا مِنْهَا.....

حاشاهُ، سَوَاءٌ (عُلِمَ) لَنَا (أَوْ جُهِلَ) بَعْضُ مَا جَاؤُوا بِهِ إِلَّا أَنَّهُ (حَقٌّ) أَيَّ صِدْقٍ لَا
مَحَالَةٍ.

خَاتِمَةُ الْعَارِفِ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَرَبِيٍّ

قال الشيخ محيي الدين بن عربي رحمه الله: (فَهَذِهِ شَهَادَتِي عَلَى نَفْسِي) كَأَنَّهَا
(أَمَانَةٌ) أَوْدَعْتُهَا (عِنْدَ كُلِّ مَنْ وَصَلَتْ إِلَيْهِ) مَكْتُوبَةً أَوْ مَسْمُوعَةً (أَنْ يُؤَدِّيَهَا إِذَا
سُئِلَهَا) أَيُّ سُئِلَ عَنْهَا (حَيْثُمَا كَانَ).

(نَفَعَنَا اللَّهُ) تَعَالَى (وَإِيَّاكُمْ بِهَذَا الْإِيمَانِ) وَعَقَائِدِ الَّتِي نَحْنُ عَلَيْهَا (وَوَثَّبَتْنَا عَلَيْهِ
عِنْدَ الْإِنْتِقَالِ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ) الْفَانِيَةِ وَقْتَ الْإِحْتِضَارِ وَالْمَوْتِ (إِلَى الدَّارِ الْحَيَوَانِ)
أَيُّ دَارِ الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ الَّتِي لَا مَوْتَ فِيهَا، ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ
الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، (وَأَحَلَّنَا) اللَّهُ (مِنْهَا) أَيُّ مِنْ

دَارَ الْكَرَامَةِ وَالرِّضْوَانِ، وَحَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ دَارِ سَرَايِلُهَا مِنْ قَطْرَانٍ، وَجَعَلْنَا مِنَ الْعِصَابَةِ الَّتِي أَخَذَتِ الْكُتُبَ بِالْإِيْمَانِ، وَمِمَّنِ انْقَلَبَ مِنَ الْحَوْضِ وَهُوَ رَيَّانٌ، وَثَقُلَ لَهُ الْمِيزَانُ، وَتَبَتَتْ لَهُ عَلَى الصِّرَاطِ الْقَدَمَانِ، إِنَّهُ الْمُنْعِمُ الْمَنَّانُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ.

الْآخِرَةِ (دَارَ الْكَرَامَةِ وَالرِّضْوَانِ) وَهِيَ الْجَنَّةُ، (وَحَالَ) أَيِ جَعَلَ وَقَايَةً تَحُولُ (بَيْنَنَا وَبَيْنَ) عَذَابِ (دَارٍ) هِيَ النَّارُ (سَرَايِلُهَا) أَيِ قُمْصُ أَهْلِهَا (مِنْ قَطْرَانٍ) وَهُوَ أَبْلَغُ فِي الْاشْتِعَالِ، (وَجَعَلْنَا) اللَّهُ (مِنَ الْعِصَابَةِ) أَيِ الْجَمَاعَةِ (الَّتِي أَخَذَتْ) أَيِ تَأْخُذُ (الْكُتُبَ) يَوْمَ الْقِيَامَةِ (بِالْإِيْمَانِ) وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ (وَجَعَلْنَا اللَّهُ) (مِمَّنِ انْقَلَبَ) أَيِ رَجَعَ (مِنَ الْحَوْضِ) بَعْدَ الشُّرْبِ مِنْهُ (وَهُوَ رَيَّانٌ) أَيِ غَيْرِ ظَمْآنٍ، وَلَا يَعُودُ مِنْهُ الشَّارِبُونَ إِلَّا كَذَلِكَ، فَكَأَنَّ سَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَهُ الْوَفَاةَ عَلَى الْإِيْمَانِ حَتَّى يَرِدَ الْحَوْضَ فَيَشْرَبَ مِنْهُ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَشْرَبُونَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُونَ بَعْدَ ذَلِكَ أَبَدًا، (وَجَعَلْنَا اللَّهُ) (مِمَّنِ) (ثَقُلَ لَهُ) يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْحَسَنَاتِ (الْمِيزَانُ،) (وَمِمَّنِ) (تَبَتَتْ لَهُ) عَلَى الصِّرَاطِ الْقَدَمَانِ) فَلَمْ يَزَلْ بَلْ وَرَدَ الصِّرَاطُ إِلَى الْجَنَّةِ بِأَمَانٍ، نَسَأَلُهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ الدُّعَاءَ (إِنَّهُ) تَعَالَى (الْمُنْعِمُ الْمَنَّانُ) أَيِ كَثِيرِ الرَّحْمَةِ، (وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا) أَيِ الْإِيْمَانِ (وَمَا كُنَّا) أَيِ وَلَمْ نَكُنْ (لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ) رَحْمَةً بِالْعِبَادِ.

فَهَذِهِ عَقِيدَةُ الْعَوَامِّ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ أَيِ الَّذِينَ قَلَّدُوا ظَاهِرَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَأَهْلَ النَّظَرِ الَّذِينَ نَظَرُوا بِأَرَاءِ عُقُولِهِمْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. انْتَهَى قَوْلُ الشَّيْخِ الْأَكْبَرِ قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ مُلَخَّصًا مُخْتَصَرًا.

(فَهَذِهِ عَقِيدَةُ الْعَوَامِّ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ أَيِ) مَا هُمْ عَلَيْهِ (الَّذِينَ قَلَّدُوا ظَاهِرَ) أَيِ مَا جَاءَ فِي (الْكِتَابِ) أَيِ الْقُرْآنِ (وَ) فِي (السُّنَّةِ) الثَّابِتَةِ، وَلَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْعَوَامَّ أَخَذُوا ظَاهِرَ الْمُتَاشِبَاتِ مِنَ التَّصَوُّصِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ وَاعْتَقَدُوهَا عَلَى ظَاهِرِهَا فَسَلِمُوا، لَا، إِنَّمَا الْمُرَادُ أَنَّهُمْ تَمَسَّكُوا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ دُونِ الْخَوْصِ فِي الْأَدِلَّةِ (وَ) إِنَّمَا تَبِعُوا الْعُلَمَاءَ الْعَامِلِينَ (أَهْلَ النَّظَرِ) كَالْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ الْمُجْتَهِدِينَ الْأَصُولِيِّينَ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيَّ وَأَحْمَدَ (الَّذِينَ نَظَرُوا) نَظَرَ فِكْرٍ (بِأَرَاءِ عُقُولِهِمْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ) بِمَا حَازُوهُ مِنْ أَهْلِيَّةِ النَّظَرِ.

خَاتِمَةُ الشَّيْخِ حُسَيْنِ بْنِ طُعْمَةَ الْبَيْتَمَانِيِّ

(انْتَهَى قَوْلُ الشَّيْخِ الْأَكْبَرِ) مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَرَبِيِّ (قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) أَيِ طَهَّرَ رُوحَهُ، وَقَدْ أَتَى الْكَلَامُ (مُلَخَّصًا مُخْتَصَرًا) لِمَا فِي بَعْضِ الْعِبَارَاتِ الْوَارِدَةِ فِي الْأَصْلِ الَّتِي نُقِلَتْ مِنْهُ الْعَقِيدَةُ مِنَ الْعُمُوضِ الَّتِي يُمَكِّنُ الْإِسْتِغْنَاءَ عَنْهَا.

فَاحْفَظْ وَصِيَّةَ رَبِّكَ يَا أَخِي وَاعْمَلْ بِهَا تَكُنْ مِنَ السُّعَدَاءِ فِي الدَّارَيْنِ لِأَنَّكَ مَا أُمِرْتَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ تَعَالَى إِلَّا عَلَى مُقْتَضَى مَا أُنْزِلَ فِي كِتَابِهِ وَبَيْنَهُ رَسُولُهُ فِي سُنَّتِهِ وَذَلِكَ هُوَ الدِّينُ الْقَيِّمُ، الصَّحِيحُ الْمَوْافِقُ لَطَرِيقِ الصَّوَابِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ خُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينٌ الْقِيَمَةُ﴾ [البَيِّنَةُ: ٥]، فَهَذَا الْاِتِّبَاعُ لِلْقُرْآنِ.....

وقد أحسنَ الشيخُ حسينُ بنُ طُعْمَةِ البَيْتَمَانِيُّ المِيدَانِيَّ باختصارِهِ في بعضِ المواضعِ لأنَّنا أَطَّلَعْنَا على ما حَذَفَهُ مِنَ الْأَصْلِ فَكَانَ جَدِيرًا بِأَنْ يُحَذَفَ لِأَنَّ الْغَايَةَ تَسْهِيلُ الْأَمْرِ عَلَى الْقَارِئِينَ لَا تَعْوِضُهُ وَتَعْوِيرُ طُرُقِ الْوُصُولِ إِلَى الْمَقْصُودِ.

الْوَصِيَّةُ بِالثَّبَاتِ عَلَى طَرِيقِ أَهْلِ الْحَقِّ

(فَاحْفَظْ وَصِيَّةَ رَبِّكَ يَا أَخِي) يَعْنِي الْوَصِيَّةَ بِالثَّبَاتِ عَلَى الْإِيمَانِ وَلُزُومِ التَّقْوَى فِي كُلِّ عَيْنٍ (وَاعْمَلْ بِهَا تَكُنْ مِنَ) الْفَائِزِينَ فِي الْآخِرَةِ وَ(السُّعَدَاءِ فِي الدَّارَيْنِ) أَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ (لِأَنَّكَ مَا أُمِرْتَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ تَعَالَى) وَتُؤَدِّي الطَّاعَاتِ (إِلَّا عَلَى مُقْتَضَى) أَيِ سَنَنِ وَمِنْهَا جَ (مَا أُنْزِلَ) مُبَيَّنًا (فِي كِتَابِهِ) أَيِ الْقُرْآنِ (وَمَا) بَيْنَهُ رَسُولُهُ (فِي سُنَّتِهِ) الشَّرِيفَةِ (وَذَلِكَ هُوَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) أَيِ الْمُسْتَقِيمِ (الصَّحِيحُ الْمَوْافِقُ لَطَرِيقِ الصَّوَابِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ خُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البَيِّنَةُ: ٥]، فَهَذَا الْاِتِّبَاعُ لِلْقُرْآنِ)

وَالسُّنَّةُ هُوَ مَذْهَبُنَا وَطَرِيقَتُنَا وَشَرْعُنَا لَا نَبْغِي عَنْهُ مَعْدِلًا كَمَا هُوَ طَرِيقُ أَشْيَاخِنَا مِنْ قَبْلِنَا وَمَذْهَبُهُمْ وَشَرْعُهُمْ وَعَلَى ذَلِكَ نَحْيَا وَعَلَيْهِ نَمُوتُ وَعَلَيْهِ نُخْشَرُ وَعَلَيْهِ نَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى.

هَذَا وَقَدْ نَبَّهْتُكَ أَيُّهَا السَّالِكُ عَلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى بِطَرِيقِ الْإِجْمَالِ، فَهَذَا.....

الكریم (وَالسُّنَّةُ) الشَّرِيفَةُ (هُوَ مَذْهَبُنَا) أَي هُوَ مَا نَذْهَبُ إِلَيْهِ (وَ) هُوَ (طَرِيقَتُنَا) الَّتِي بِهَا نَعْمَلُ (وَشَرْعُنَا) الَّذِي (لَا نَبْغِي) أَي لَا نَطْلُبُ (عَنْهُ مَعْدِلًا) أَي مَصْرِفًا وَبَدِيلًا، إِنَّمَا هَذَا طَرِيقُنَا (كَمَا هُوَ طَرِيقُ أَشْيَاخِنَا مِنْ قَبْلِنَا) رَحِمَهُمُ اللَّهُ (وَ) هُوَ (مَذْهَبُهُمْ وَشَرْعُهُمْ) الَّذِي عَلَيْهِ عَاشُوا وَعَلَيْهِ مَاتُوا (وَعَلَى ذَلِكَ) نَحْنُ (نَحْيَا) فِي الدُّنْيَا مَا بَقَيْنَا (وَعَلَيْهِ نَمُوتُ) حِينَ يَأْتِينَا الْأَجَلُ (وَعَلَيْهِ) نُبْعَثُ وَ(نُخْشَرُ) يَوْمَ الْقِيَامَةِ (وَعَلَيْهِ نَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى) أَي نَحَاسِبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ءَامِنِينَ، فَلَيْسَ يَعْنِي لِقَاءَ اللَّهِ أَنَّ الْعَبْدَ يُقَابِلُ اللَّهَ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مَسَافَةٌ أَوْ تِلْقَاءٌ بَلْ مَعْنَاهُ لِقَاءُ الْعَبْدِ حَسَابَ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

الْوَصِيَّةُ بِالْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى

(هَذَا وَقَدْ نَبَّهْتُكَ أَيُّهَا) الْمُرِيدُ (السَّالِكُ عَلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى بِطَرِيقِ الْإِجْمَالِ) دُونَ الْوُقُوفِ عَلَى مَعْرِفَةِ الْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالتَّقْلِيَّةِ لِمَسَائِلِ التَّوْحِيدِ، (فَهَذَا)

الإِيمَانُ وَالتَّوْحِيدُ لَا بُدَّ لَهُمَا مَعَهُمَا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالْوُقُوفِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَا دَامَ فِيكَ بَقِيَّةُ تَكْلِيفٍ فَلَا يَحِلُّ لَكَ تَرْكُ شَيْءٍ مِنْهَا، وَأَمَّا إِذَا خَرَجْتَ عَنِ التَّكْلِيفِ بِأَنْ صِرْتَ فِي حَيْزِ الْمَجَانِينَ الْمَغْلُوبِ عَلَيْهِمْ بِحَيْثُ لَمْ يَبْقَ فِيكَ بَقِيَّةٌ إِذْرَاكِ وَلَا شُعُورٍ بِنَفْسِكَ فَهُنَالِكَ يُقَالُ: "إِذَا أَخَذَ مَا أَوْهَبَ أَسْقَطَ مَا أَوْجَبَ".

(الإِيمَانُ وَالتَّوْحِيدُ لَا بُدَّ لَهُمَا مَعَهُمَا) لِكِمَالِ الإِيمَانِ لَا لِصِحَّتِهِ وَثُبُوتِ أَصْلِهِ لَكَ (مِنْ) أَدَاءِ (الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ) الْوَاجِبِ مِنْهَا كَالصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَاتِ، وَالْمَسْنُونِ كَصَدَقَاتِ التَّطَوُّعِ (و) لَا بُدَّ لَكَ مِنَ (الْوُقُوفِ) لِزَامًا عَلَيْكَ (عَلَى حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى) وَعَدَمِ الْوُقُوعِ فِي الْحَرَامِ بِمُخَالَفَةِ أَوَامِرِ اللَّهِ تَعَالَى، (وَمَا دَامَ فِيكَ) أَيُّهَا السَّالِكُ (بَقِيَّةُ تَكْلِيفٍ) أَيِ مَا دُمْتَ مُكَلَّفًا (فَلَا يَحِلُّ لَكَ تَرْكُ شَيْءٍ مِنْهَا) أَيِ مِنَ الطَّاعَاتِ بِلَا عُذْرِ بَلْ تَكُونُ عَائِمًا بِالتَّرْكِ، (وَأَمَّا إِذَا خَرَجْتَ عَنِ التَّكْلِيفِ بِأَنْ صِرْتَ فِي حَيْزِ الْمَجَانِينَ الْمَغْلُوبِ عَلَيْهِمْ) مَثَلًا (بِحَيْثُ لَمْ يَبْقَ فِيكَ بَقِيَّةٌ) أَيِ أَدْنَى (إِذْرَاكِ وَلَا شُعُورٍ بِنَفْسِكَ) بَلْ خَرَجْتَ عَنْ دَائِرَةِ التَّكْلِيفِ (فَهُنَالِكَ) أَيِ عِنْدَ تِلْكَ الْحَالِ (يُقَالُ: "إِذَا أَخَذَ) اللَّهُ (مَا أَوْهَبَ) يَعْنُونَ الْعَقْلَ (أَسْقَطَ مَا أَوْجَبَ") بِأَنْ لَمْ يَعِدْ غَائِبَ الْعَقْلِ مُوَاخِذًا فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ، وَمِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] أَيِ لَمْ يُكَلِّفْنَا مَا لَا نُطِيقُ، وَقَوْلُهُ ﷺ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُمَا وَاللَّفْظُ لَهُ.

وَأَمَّا مَا تَدَّعِيهِ طَائِفَةٌ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ صُوفِيَّةٌ أَهْلُ تَوْحِيدٍ وَمَعْرِفَةٍ يَقُولُونَ: "إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا كَمَلَ فِي السُّلُوكِ عَتَقَ مِنْ رِقِّ الْعُبُودِيَّةِ وَيَسْقُطُ عَنْهُ قَلَمُ التَّكْلِيفِ فَلَا صَوْمَ عَلَيْهِ وَلَا صَلَاةَ وَلَا حَجَّ وَلَا زَكَاةَ، وَأَنَّ هَذِهِ الشَّرِيعَةَ جَاءَتْ فِي حَقِّ الْعَامَّةِ مِنَ النَّاسِ فَقَطْ، وَأَنَّ هَذِهِ الْأَعْيَانَ الْمُمَكِّنَةَ الْمُتَغَيِّرَةَ هِيَ اللَّهُ تَعَالَى" إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ

التَّحذِيرُ مِنَ زَنَادِقَةِ الْمُتَصَوِّفَةِ

(وَأَمَّا مَا تَدَّعِيهِ طَائِفَةٌ) مِنَ الزَّنَادِقَةِ المَارِقِينَ مِنَ الدِّينِ الَّذِينَ (يَدَّعُونَ) زُورًا وَكَذِبًا (أَنَّهُمْ صُوفِيَّةٌ) صَادِقُونَ وَأَنَّهُمْ (أَهْلُ تَوْحِيدٍ) وَدِينٍ (وَمَعْرِفَةٍ) وَمَا هُمْ إِلَّا مُتَصَوِّفَةٌ خَارِجُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ بِمَا (يَقُولُونَ: "إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا كَمَلَ فِي السُّلُوكِ عَتَقَ مِنْ رِقِّ الْعُبُودِيَّةِ) أَي لَمْ يَعُدْ بِزَعْمِهِمْ مَأْمُورًا بِمَا يُؤْمَرُ بِهِ الْعَبْدُ الْمُكَلَّفُ (وَ) أَنَّهُ (يَسْقُطُ عَنْهُ قَلَمُ التَّكْلِيفِ فَلَا صَوْمَ عَلَيْهِ وَلَا صَلَاةَ وَلَا حَجَّ وَلَا زَكَاةَ) عَلَيْهِ وَاجِبَاتٌ (وَ) يَزْعُمُونَ أَيْضًا (أَنَّ هَذِهِ الشَّرِيعَةَ جَاءَتْ فِي حَقِّ الْعَامَّةِ مِنَ النَّاسِ فَقَطْ) وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ مِنَ الضَّلَالِ، (وَ) يَعْتَبِرُونَ (أَنَّ هَذِهِ الْأَعْيَانَ) أَي الْأَجْسَامَ (الْمُمَكِّنَةَ) أَي الَّتِي يَجُوزُ عَلَيْهَا الوجودُ والفناءُ و(الْمُتَغَيِّرَةَ) مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ (هِيَ) بِزَعْمِهِمْ (اللَّهُ تَعَالَى) وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ فَهَذَا مِنْ أَقْبَحِ الْكُفْرِ وَأَشْنَعِهِ لِمَا يَلَزِمُ عَلَى قَلْبِهِمْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الْقَدَرُ وَالْبَوْلُ وَالْغَائِظُ هُوَ اللَّهُ أَوْ جُزْءًا مِنْهُ، وَهَذَا مِنْ أَفْظَحِ الْكُفْرِ، (إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ) هَؤُلَاءِ الزَّنَادِقَةُ مِنَ الْكُفْرِيَّاتِ

مِنْ حِلٍّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى فَهُوَ أَمْرٌ بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ اللَّهِ وَلَيْسَ هُوَ مَذْهَبَ وَاحِدٍ مِنْهُمْ. وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى مَشَارِبَ كَثِيرَةٍ مِنْ مَشَارِبِ أَهْلِ اللَّهِ تَعَالَى فَمَا وَجَدْتُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فِي كُتُبِهِمْ وَلَا فِي مَشَارِبِهِمُ الصَّافِيَةِ كَسَيِّدِي الشَّيْخِ عَبْدِ الْغَنِيِّ بْنِ الشَّيْخِ إِسْمَاعِيلَ النَّابُلُسِيِّ وَسَيِّدِي الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَرَبِيِّ وَسَيِّدِي الشَّيْخِ عُمَرَ بْنِ الْفَارِضِ وَسَيِّدِي الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْكِيلَانِيِّ وَمَنْ حَذَا حَذْوَهُمْ فِي تِلْكَ الْمَقَامَاتِ قَدَّسَ اللَّهُ سَرَائِرَهُمْ

(مِنْ حِلٍّ) أَيِ تَحْلِيلِهِمْ (مَا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى، فَ) هَذَا الَّذِي جَاءُوا بِهِ (هُوَ أَمْرٌ بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ اللَّهِ) أَيِ الْأَوْلِيَاءِ الصَّالِحِينَ (وَلَيْسَ هُوَ مَذْهَبَ وَاحِدٍ مِنْهُمْ) بَلْ هُوَ مَذْهَبُ الْكَافِرِينَ الزَّانِدِينَ الْمَارِقِينَ مِنَ الدِّينِ.

(وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى مَشَارِبَ) أَيِ مَنَاهِلَ (كَثِيرَةٍ مِنْ مَشَارِبِ أَهْلِ اللَّهِ تَعَالَى) أَيِ أَوْلِيَائِهِ الَّتِي يَغْتَرِفُونَ مِنْهَا (فَمَا وَجَدْتُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ) الضَّلَالِ الَّذِي حَدَّثَتْ مِنْهُ (فِي كُتُبِهِمْ) الصَّافِيَةِ مِنَ الدَّسِّ وَالْأَبَاطِيلِ (وَلَا) وَجَدْتُ ذَلِكَ (فِي مَشَارِبِهِمْ الصَّافِيَةِ) وَذَلِكَ (كَسَيِّدِي الشَّيْخِ عَبْدِ الْغَنِيِّ بْنِ الشَّيْخِ إِسْمَاعِيلَ النَّابُلُسِيِّ وَسَيِّدِي الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَرَبِيِّ وَسَيِّدِي الشَّيْخِ عُمَرَ بْنِ الْفَارِضِ وَسَيِّدِي الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْكِيلَانِيِّ وَمَنْ حَذَا حَذْوَهُمْ) أَيِ سَارَ عَلَى طَرِيقِهِمُ السَّلِيمِ (فِي تِلْكَ الْمَقَامَاتِ) الْعَالِيَةِ (قَدَّسَ اللَّهُ سَرَائِرَهُمْ) أَيِ ظَهَرَهَا بِوَاطِنَتِهِمْ وَأَرْوَاحَهُمْ

وَنَوَّرَ ضَرَائِحَهُمْ، وَإِنَّمَا هِيَ الطَّائِفَةُ الزَّانِقَةُ الْمُلْحِدَةُ كَذَبُوا بِمَا قَالُوا وَادَّعَوْا أَنَّ ذَلِكَ طَرِيقُ أَهْلِ اللَّهِ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِطَرِيقِ أَهْلِ اللَّهِ وَأَيْنَ هُمْ! دَنَسُوا طَرِيقَ أَهْلِ اللَّهِ بِدُخُولِهِمْ فِيهِ بِآرَائِهِمْ وَقَوْلِهِمْ ذَلِكَ وَهُوَ لَا يَضُرُّ أَهْلَ اللَّهِ تَعَالَى، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿مَنْ كَفَرَ فَلْيَكْفُرْهُ﴾ [الرُّوم: ٤٤]، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤].....

(وَنَوَّرَ ضَرَائِحَهُمْ) وَإِنَّمَا كُتِبَ هَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ فِيهَا دَسٌّ عَلَيْهِمْ فَيَنْبَغِي أَنْ تُحَذَّرَ وَلَا يُطَالَعَهَا امْرُؤٌ بِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ شَيْخٌ ثِقَةٌ مُدَقِّقٌ يُبَيِّنُ لَهُ الدَّسَّ مِنَ الثَّابِتِ وَالصَّوَابَ مِنَ الْخَطِئِ وَالْحَرَامَ مِنَ الْكُفْرِ، فَلَيْسَ الدَّسُّ فِي كُتُبِ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ مِنْ فِعْلِهِمْ (وَإِنَّمَا هِيَ الطَّائِفَةُ الزَّانِقَةُ الْمُلْحِدَةُ) الَّذِينَ (كَذَبُوا) عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَكَذَّبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ (بِمَا قَالُوا) مِنَ الْكُفْرِيَّاتِ (وَ) كَذَبُوا بِمَا (ادَّعَوْا أَنَّ ذَلِكَ) الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ هُوَ (طَرِيقُ أَهْلِ اللَّهِ) أَيِ أَوْلِيَائِهِ، وَهَذَا ادِّعَاءٌ كَاذِبٌ (وَلَيْسَ ذَلِكَ) الَّذِي يَدَّعُونَهُ (بِطَرِيقِ أَهْلِ اللَّهِ وَأَيْنَ هُمْ) أُولَئِكَ الزَّانِقَةُ مِنْ طَرِيقِ أَهْلِ اللَّهِ، بَلْ هَؤُلَاءِ الزَّانِقَةُ قَدْ (دَنَسُوا طَرِيقَ أَهْلِ اللَّهِ بِدُخُولِهِمْ فِيهِ بِآرَائِهِمْ) الْبَاطِلَةَ (وَقَوْلِهِمْ ذَلِكَ) فِي عَقِيدَةِ الْحُلُولِ وَالِاتِّحَادِ وَدَعَوَاهُمْ سُقُوطَ التَّكْلِيفِ الشَّرْعِيَّةِ عَنْ أَمْثَالِهِمْ، (وَهُوَ) قَوْلٌ بَاطِلٌ مِنْهُمْ مَرْدُودٌ عَلَيْهِمْ (لَا يَضُرُّ أَهْلَ اللَّهِ تَعَالَى) فِي شَيْءٍ (وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿مَنْ كَفَرَ فَلْيَكْفُرْهُ﴾ [الرُّوم: ٤٤]، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤])

وَكَانَ شَيْخَنَا الشَّيْخُ عَبْدُ الْغَنِيِّ النَّابُلُسِيُّ يَقُولُ: "أَنَا بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ"، وَكَانَ يَقُولُ: "الْوَاحِدُ مِنْهُمْ أَشَدُّ مِنْ سَبْعِينَ شَيْطَانًا، وَإِذَا رَأَيْتَ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ فِي بَلَدَةٍ فَلَا تَبْتَ فِي تِلْكَ الْبَلَدَةِ لئَلَّا يَفْسُدَ عَلَيْكَ دِينُكَ فَإِنَّهُمْ أَكْفَرُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى". فَالْحَذَرُ الْحَذَرُ
 يَا أَخِي مِنْ صُحْبَتِهِمْ.....

أَيُّ لَا تَحْمِلُ نَفْسٌ غَيْرُ عَائِثَةٍ إِثْمَ نَفْسٍ أُخْرَى، (وَكَانَ شَيْخَنَا الشَّيْخُ عَبْدُ الْغَنِيِّ النَّابُلُسِيُّ) رَحِمَهُ اللَّهُ (يَقُولُ: "أَنَا بَرِيءٌ مِنْهُمْ) أَيُّ مِنْ زَنَادِقَةِ الْمُتَصَوِّفَةِ (وَمِنْ أَعْمَالِهِم) الْبَاطِلَةِ (فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ) أَيُّ طَرَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ الْخَاصَّةِ (وَعَلَيْهِمْ لَعْنَةُ) (الْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ"، وَكَانَ يَقُولُ: "الْوَاحِدُ مِنْهُمْ) أَيُّ مِنْ هَؤُلَاءِ زَنَادِقَةِ الْمُتَصَوِّفَةِ (أَشَدُّ) فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ عَلَى النَّاسِ (مِنْ سَبْعِينَ شَيْطَانًا، وَإِذَا رَأَيْتَ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ) يَعْنِي زَنَادِقَةَ الْمُتَصَوِّفَةِ (فِي بَلَدَةٍ فَلَا تَبْتَ فِي تِلْكَ الْبَلَدَةِ) يَوْمًا (لئَلَّا) يَجْرُوكَ إِلَى مَفَاسِدِهِمْ (يَفْسُدَ عَلَيْكَ دِينُكَ فَإِنَّهُمْ) أَيُّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: "إِنَّ اللَّهَ عَيْنُ كُلِّ شَيْءٍ" (أَكْفَرُ) أَيُّ أَشَدُّ (مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى) (انْتَهَى كَلَامُ الشَّيْخِ النَّابُلُسِيِّ).

(فَالْحَذَرُ الْحَذَرُ) أَيُّ احْذَرِ الْحَذَرَ (يَا أَخِي مِنْ صُحْبَتِهِمْ) إِلَّا إِذَا تَمَكَّنْتَ مِنْ عِلْمِ الدِّينِ وَرَجَوْتَ أَنْ تُرَدَّ بَعْضُهُمْ إِلَى جَادَةِ الصَّوَابِ وَتُرْجِعَهُ عَنِ الْكُفْرِ إِلَى الْإِسْلَامِ،

وَإِيَّاكَ أَنْ يَغُرَّكَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ بِلِينٍ، كَلَامِهِ وَانْحِنَاءِ رَقَبَتِهِ فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ أَتَاكَ فِي صُورَةِ
 إِنْسَانٍ مُتَوَاضِعٍ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ، وَلَا تُصَدِّقْ وَاحِدًا مِنْهُمْ فِيمَا يَقُولُهُ لَكَ عَنْ
 أَهْلِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّ أَهْلَ اللَّهِ تَعَالَى يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ وَهُمْ مُؤْمِنُونَ
 بِذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ
 يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ لَمْ يَسْتَنْكِفُوا عَنْ عِبَادَتِهِ، وَلَعَلَّ هَذِهِ الطَّائِفَةُ الزَّانِقَةُ
 تَوَهَّمُوا فِي قَوْلِ أَهْلِ.....

(وَإِيَّاكَ أَنْ يَغُرَّكَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ بِلِينٍ) أي عُذُوبَةٍ (كَلَامِهِ وَ) إظهاره التَّوَاضِعَ والذُّلَّ
 والمسكنةَ لَكَ بِنَحْوِ (انْحِنَاءِ رَقَبَتِهِ)، فاحذرهُ (فَإِنَّهُ) كَذَّابٌ (شَيْطَانٌ) مِنْ
 شَيَاطِينِ الْإِنْسِ قَدْ (أَتَاكَ فِي صُورَةِ إِنْسَانٍ مُتَوَاضِعٍ) ظَاهِرًا (وَإِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ)
 فِي الْحَقِيقَةِ وَالْبَاطِنِ، (وَلَا تُصَدِّقْ وَاحِدًا مِنْهُمْ فِيمَا يَقُولُهُ لَكَ عَنْ أَهْلِ اللَّهِ تَعَالَى)
 أي مِمَّا يَقْدَحُ فِي الْأَوْلِيَاءِ أَوْ يَرْمِيهِم بِالزُّنْدَقَةِ، (فَإِنَّ أَهْلَ اللَّهِ تَعَالَى) أَتْقِيَاءُ
 (يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ) مُمَيِّزِينَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْحَسَنِ وَالْأَحْسَنِ (فَيَتَّبِعُونَ) مِنْ
 الْقَوْلِ (أَحْسَنَهُ وَهُمْ مُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا
 إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ لَمْ يَسْتَنْكِفُوا) أي لَمْ يَأْنِفُوا وَلَمْ
 يَتَكَبَّرُوا (عَنْ عِبَادَتِهِ) تَعَالَى (وَلَعَلَّ هَذِهِ الطَّائِفَةُ الزَّانِقَةُ تَوَهَّمُوا فِي قَوْلِ أَهْلِ)

اللَّهُ تَعَالَى، حَيْثُ سَمِعُوهُمْ يَقُولُونَ: "إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وَصَلَ إِلَى رُتْبَةِ الْكَمَالِ صَارَ
مَحْمُولًا عَنْهُ الْكَدُّ فَسَقَطَ عَنْهُ التَّكْلِيفُ" أَيُّ ثِقَلُ أَدَاءِ الْعِبَادَةِ فَلَمْ يَثْقُلْ عَلَيْهِمْ
أَدَاؤُهَا، فَقَلِبَ التَّكْلِيفُ فِي خِفَّةٍ تَشْرِيفًا فَهُوَ مُشَرَّفٌ بِالْعِبَادَاتِ، فَظَنُّوا أَنَّهُمْ
يَقُولُونَ بِسُقُوطِ أَدَاءِ الْعِبَادَةِ عَنْهُمْ وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ فَهْمٌ خَطَأٌ وَظَنٌّ
فَاسِدٌ فَافْهَمَ ذَلِكَ أَيُّهَا السَّالِكُ، وَاللَّهُ الْمُوفِّقُ لِلصَّوَابِ وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَتَابُ وَهُوَ
الْكَرِيمُ.....

(اللَّهُ تَعَالَى) أَيُّ أَوْلِيَائِهِ (حَيْثُ سَمِعُوهُمْ يَقُولُونَ: "إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وَصَلَ إِلَى رُتْبَةِ
الْكَمَالِ صَارَ مَحْمُولًا) أَيُّ مُسْقَطًا (عَنْهُ الْكَدُّ) أَيُّ التَّعَبُ (فَسَقَطَ عَنْهُ التَّكْلِيفُ"
أَيُّ ثِقَلُ أَدَاءِ الْعِبَادَةِ فَلَمْ يَثْقُلْ عَلَيْهِمْ أَدَاؤُهَا، فَقَلِبَ التَّكْلِيفُ فِي خِفَّةٍ) أَيُّ صَارُوا
يَرَوْنَ سُهولةً فِي أَدَاءِ الْعِبَادَاتِ حَتَّى يُكْثِرُوا مِنْهَا وَذَلِكَ مَا نَالُوهُ إِلَّا (تَشْرِيفًا) لَهُمْ
(فَهُوَ) أَيُّ الْوَلِيِّ (مُشَرَّفٌ) مُتَرَقٍّ فِي الْكَمَالَاتِ (بِ) أَدَاءِ (الْعِبَادَاتِ، فَظَنُّوا) أَيُّ
ظَنَّ أَوْلَاكَ الزَّانِدَةُ (أَنَّهُمْ) أَيُّ أَنَّ الْأَوْلِيَاءَ (يَقُولُونَ بِسُقُوطِ أَدَاءِ الْعِبَادَةِ) الْوَاجِبَةِ
(عَنْهُمْ) وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ تَعَالَى (وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، إِنَّمَا هُوَ فَهْمٌ خَطَأٌ) وَكُفْرٌ (وَظَنٌّ
فَاسِدٌ) لَا وَزْنَ لَهُ، (فَافْهَمَ ذَلِكَ أَيُّهَا السَّالِكُ، وَاللَّهُ الْمُوفِّقُ) أَيُّ هُوَ الَّذِي يَخْلُقُ فِي
الْعَبْدِ الْقُدْرَةَ عَلَى التَّوَجُّهِ (لِلصَّوَابِ، وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ) أَيُّ إِلَى حِسَابِ اللَّهِ تَرْجِعُ
الْخَلَائِقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (وَ) إِلَيْهِ (الْمَتَابُ) بِمَعْنَى الرَّجُوعِ، (وَهُوَ) تَعَالَى (الْكَرِيمُ)

الْوَهَّابُ وَذَلِكَ تَذْكِرَةٌ لِمَنْ يَتَذَكَّرُ وَعِبْرَةٌ لِمَنْ يَعْتَبِرُ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الَّذِي يُعْطِي قَبْلَ السُّؤَالِ (الْوَهَّابُ) أَي كَثِيرُ النِّعَمِ (وَذَلِكَ) الَّذِي ذَكَرْتُهُ (تَذْكِرَةٌ) لِي وَ(لِمَنْ يَتَذَكَّرُ وَعِبْرَةٌ لِمَنْ يَعْتَبِرُ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

الفهرست

- أسانيد الشيخ الدكتور جميل حلیم الحُسینی فی رسالة «حَبْلِ اللَّهِ الْمَتِينِ»..... ٢
- مُقَدِّمَةُ حَبْلِ اللَّهِ الْمَتِينِ..... ٣
- تَنْزِيهِ اللَّهِ عَنِ الشَّرِيكِ وَالْوَلَدِ..... ١٠
- وُجُودُ اللَّهِ تَعَالَى ذَاتِيَّ..... ١١
- اللَّهُ لَيْسَ جَوْهَرًا وَلَا عَرَضًا..... ١٢
- الْقَوْلُ فِي الاسْتِثْنَاءِ..... ١٣
- تَنْزِيهِ اللَّهِ عَنِ الصُّورَةِ وَالْمَكَانِ وَالزَّمَانِ..... ١٥
- الْقَوْلُ فِي خَلْقِ الْمَخْلُوقَاتِ..... ١٥
- الْقَوْلُ فِي صِفَةِ الْعِلْمِ لِلَّهِ تَعَالَى..... ١٩
- الْقَوْلُ فِي صِفَةِ الْإِرَادَةِ لِلَّهِ..... ٢٢
- الْقَوْلُ فِي صِفَةِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ لِلَّهِ..... ٣٠
- الْقَوْلُ فِي صِفَةِ الْكَلَامِ لِلَّهِ..... ٣٢
- الْقَوْلُ فِي فَضْلِ اللَّهِ وَعَدْلِهِ..... ٣٥

الإيمانُ برَسُولِ اللَّهِ ﷺ.....	٤٣
الإيمانُ بما جاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.....	٤٥
خاتمةُ العارفِ الشَّيخِ مُحْيِي الدِّينِ بنِ عَرَبِيٍّ.....	٥٣
خاتمةُ الشَّيخِ حُسَيْنِ بنِ طُعْمَةَ البَيْتَمَانِيِّ.....	٥٥
الوَصِيَّةُ بِالثَّباتِ على طريقِ أَهْلِ الحَقِّ.....	٥٦
الوَصِيَّةُ بالإيمانِ والتَّقوى.....	٥٧
التَّحذِيرُ مِنْ زَنادِقَةِ المُتَصَوِّفَةِ.....	٥٩
الفهرست.....	٦٦

الطبعة الأولى

١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ ر

شركة دار المشايخ

بيروت - لبنان

العنوان: المزرعة، بربور، شارع ابن خلدون،

بناية الإخلاص

تلفون وفاكس: ٣١١ ٣٠٤ (١ ٩٦١) ٠٠

صندوق بريد: ٥٢٨٣ - ١٤ بيروت - لبنان



يقول الإمام المُرَنيُّ:

«قرأتُ كتابَ الرسالةِ على الشَّافعيِّ ثمانين
مرة، فَمَا مِنْ مرةٍ إِلَّا وكان يقفُ عَلَى خطأ،
فقالَ الشَّافعيُّ: هِيه، أَيْ اللهُ أَنْ يكونَ كِتَابًا
صحيحًا غيرَ كِتَابِهِ».

أخي القارئ الكريم،

مَا كَانَ مِنْ خطأ في كتابنا أُرْشِدنا إِلَيْهِ

فإِنَّا لَا نَدَّعي العِصمة،

ونحن لك من الشَّاكرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التَّوْطِئَةُ

الميزان في بيان عَقِيدَةِ أَهْلِ الْإِيمَانِ

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلَّم وشَرَّفَ وكرَّم على سيِّدنا محمَّد، الحبيبِ المحبوبِ، العظيمِ الجاهِ، العاليِ القدرِ طه الأمين، وإمامِ المرسلين وقائدِ الغرِّ المحجلين، وعلى ذُرِّيَّته وأهلِ بيته الميامين المكرَّمين، وعلى زوجاته أمَّهاتِ المؤمنين، البارَّاتِ التقيَّاتِ النقيَّاتِ الطاهراتِ الصفيَّاتِ، وصحابته الطيِّبين الطَّاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد، فهذه عقيدة كل الأمة الإسلامية سلفًا وخلفًا، وهي المرجع الذي تُعرض عليه عقائدُ الناس، فمن خالفها أو كذبها لا يكونُ من المسلمين، وهي ميزان الحقِّ الذي يَكشِفُ زَيْفَ الباطلِ وزَيْغَهُ، فكان لا بُدَّ من هذا البيان المهمِّ لخصوصِ الغرضِ وعمومِ النَّفعِ؛ وعليه:

اعلم أَرشدنا الله وإياك أنه يجبُ على كلِّ مكلفٍ أن يعلمَ أنَّ الله عزَّ وجلَّ واحدٌ في ملكه، خلقَ العالمَ بأسره العلويَّ والسفليَّ والعرشَ والكرسيَّ، والسمواتِ والأرضَ وما فيهما وما بينهما. جميعُ الخلائقِ مقهورونَ بقدرته، لا تتحرَّكُ ذرَّةٌ إلا بإذنه، ليس معه مُدبِّرٌ في الخلقِ ولا شريكٌ في الملكِ، حي قيومٌ لا تأخذهُ سِنَّةٌ ولا نومٌ، عالمُ الغيبِ والشهادةِ لا يخفى عليه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماء، يعلمُ ما في البرِّ والبحرِ، وما تسقطُ من ورقةٍ إلا يعلمُها، ولا حبةٌ في ظلماتِ الأرضِ ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتابٍ مبينٍ. أحاطَ بكلِّ شيءٍ علمًا وأحصى كلَّ شيءٍ عددًا، فعالٌ لما يريدُ، قادرٌ على ما يشاء، له الملكُ وله الغنى، وله العِزُّ والبقاء، وله

الحكم والقضاء، وله الأسماء الحسنى، لا دافع لما قضى، ولا مانع لما أعطى، يفعل في ملكه ما يريد، ويحكم في خلقه بما يشاء، لا يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً، ليس عليه حق يلزمه ولا عليه حكم، وكل نعمة منه فضل وكل نعمة منه عدل، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون. موجود قبل الخلق، ليس له قبل ولا بعد، ولا فوق ولا تحت، ولا يمين ولا شمال، ولا أمام ولا خلف، ولا كل ولا بعض، ولا يقال متى كان ولا أين كان ولا كيف، كان ولا مكان، كون الأكوان، ودبر الزمان، لا يتقيد بالزمان، ولا يتخصص بالمكان، ولا يشغله شأن عن شأن، ولا يلحقه وهم ولا يكتنفه عقل، ولا يتخصص بالذهن، ولا يتمثل في النفس، ولا يتصور في الوهم، ولا يتكيف في العقل، لا تلحقه الأوهام والأفكار، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

تنزهه ربي عن الجلوس والقعود والاستقرار والمحاذاة، الرحمن على العرش استوى استواء منزهاً عن المماساة والاعوجاج، خلق العرش إظهاراً لقدرته ولم يتخذه مكاناً لذاته، ومن اعتقد أن الله جالس على العرش فهو كافر، الرحمن على العرش استوى كما أخبر لا كما يخطر للبشر، فهو قاهر للعرش متصرف فيه كيف يشاء، تنزهه وتقدس ربي عن الحركة والسكون، وعن الاتصال والانفصال والقرب والبعد بالحس والمسافة، وعن التحول والزوال والانتقال، جل ربي لا تحيط به الأوهام ولا الظنون ولا الأفهام، لا فكرة في الرب، لا إله إلا هو، تقدس عن كل صفات المخلوقين وسمات المحدثين، لا يمس ولا يمس ولا يحس ولا يحس، لا يعرف بالحواس ولا يقاس بالناس، نوحده ولا نبعضه، ليس جسماً ولا يتصف

بصفات الأجسام، فالمجسم كافر بالإجماع وإن قال: «الله جسم لا كالأجسام» وإن صام وصلى صورة، فالله ليس شبحاً، وليس شخصاً، وليس جوهرًا، وليس عَرَضًا، لا تحلُّ فيه الأعراض، ليس مؤلفًا ولا مُركَّبًا، ليس بذى أبعاض ولا أجزاء، ليس ضوءًا وليس ظلامًا، ليس ماءً وليس غَيِّمًا وليس هواءً وليس نارًا، وليس روحًا ولا له روح، لا اجتماع له ولا افتراق، لا تجري عليه الآفات ولا تأخذه السننات، منزّه عن الطول والعرض والعمق والسّمك والتركيب والتأليف والألوان، لا يحلُّ فيه شيء، ولا ينحلُّ منه شيء، ولا يحلُّ هو في شيء، لأنه ليس كمثله شيء، فمن زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك، إذ لو كان في شيء لكان محصورًا، ولو كان من شيء لكان محدّدًا أي مخلوقًا، ولو كان على شيء لكان محمولًا، وهو معكم بعلمه أينما كنتم لا تخفى عليه خافية، وهو أعلم بكم منكم، وليس كالهواء مخالطًا لكم.

وكَلَّمَ الله موسى تكليمًا، وكلامه كلام واحد لا يتبعض ولا يتعدد ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغة، ليس مُبتدأً ولا مُختتمًا، ولا يتخلله انقطاع، أزليٌّ أبدى ليس ككلام المخلوقين، فهو ليس بفم ولا لسان ولا شفاه ولا مخارج حروف ولا انسلال هواء ولا اصطكاك أجرام. كلامه صفة من صفاته، وصفاته أزليةٌ أبديةٌ كذاته، وصفاته لا تتغيّر لأنّ التغيّر أكبرُ علاماتِ الحدوث، وحدوث الصفة يستلزم حدوث الذات، والله منزّه عن كل ذلك، مهما تصورت ببالك فالله لا يشبه ذلك، فصنونا عقائدكم من التَّمسُّكِ بظاهر ما تشابه من الكتاب والسنة فإنّ ذلك من أصول الكفر، ﴿فَلَا تَصْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾، ﴿وَلِلَّهِ

أَلَمْ تَلْ أَلْعَلَى، ﴿هَلْ نَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾، ومن زعم أن إلها محدوداً فقد جهل الخالق المعبود، فالله تعالى ليس بقدر العرش ولا أوسع منه ولا أصغر، ولا تصحُ العبادة إلا بعد معرفة المعبود، وتعالى ربنا عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد خرج من الإسلام وكفر.

﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، ﴿قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وكل ما دخل في الوجود من أجسام وأجرام وأعمال وحركات وسكنات ونوايا وخواطر وحياة وموت وصحة ومَرَضٌ ولذة وألم وفرح وحزن وانزعاج وانبساط وحرارة وبرودة وليونة وخشونة وحلاوة ومرارة وإيمان وكفر وطاعة ومعصية وفوز وخسران وتوفيق وخذلان وتحركات وسكنات الإنس والجن والملائكة والبهائم وقطرات المياه والبحار والأنهار والآبار وأوراق الشجر وحبات الرمال والحصى في السهول والجبال والقفار فهو بخلق الله، بتقديره وعلمه الأزلي، فالإنس والجن والملائكة والبهائم لا يخلقون شيئاً من أعمالهم، وهم وأعمالهم خلق لله، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، ومن كذَّبَ بالقدر فقد كفر.

ونشهد أن سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا وَعَظِيمَنَا وَقَائِدَنَا وَقُرَّةَ أَعْيُنِنَا وَغَوْثَنَا وَوَسِيلَتَنَا وَمُعَلِّمَنَا وَهَادِيَنَا وَمُرْشِدَنَا وَشَفِيعَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَصَفِيُّهُ وَحَبِيبُهُ وَخَلِيلُهُ، مَنْ أَرْسَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، جَاءَنَا بِدِينِ الْإِسْلَامِ كُلِّ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، هَادِيًا

وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه قمرًا وهَّاجًا وسِرَاجًا مُنِيرًا، فبلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حقَّ جهاده حتى أتاه اليقين، فعَلَّمَ وأرشد ونصحَ وهدى إلى طريق الحقِّ والجَنَّة، ﷺ وعلى كلِّ رسولٍ أرسله، ورضي الله عن ساداتنا وأئمتنا وقدوتنا وملاذنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر العشرة المبشرين بالجنة والأتقياء البررة وعن أمهات المؤمنين زوجات النبي الطاهرات النقيات المبرآت، وعن أهل البيت الأصفياء الأجلاء وعن سائر الأولياء وعباد الله الصالحين.

ولله الفضل والمِنَّة أن هدانا لهذا الحق الذي عليه الأشاعرة والماتريدية وكل الأمة الإسلامية، والحمد لله رب العالمين.

نُبذة تعريفية عن حياة الشيخ الدكتور جميل حليم

بقلم الناشر

من منارة الشرق ومهد العلم، بيروت مدينة العلم والعلماء، سطر المجد كتابًا بأحرفٍ ذهبيةٍ تسرد سيرة رجلٍ عرف قدر الآخرة فسعى لأجلها. هو السيد الشريف الحسيب النسيب رئيس جمعية المشايخ الصوفية الشيخ الدكتور عماد الدين أبو الفضل جميل بن محمد حليم، الحسينيُّ نسبًا، الأشعري عقيدةً، الشافعي مذهبًا، الرفاعي القادريّ طريقةً، خادم الآثار النبوية الشريفة.

هي حكايةٌ بدأت ببيتيم التقي - وهو ابن عشرٍ تقريبًا لا أمَّ له ولا أبَ - بعلامة العصر وقدوة المحققين، محدث الزمان الشيخ عبد الله بن محمد الهرري الشيبى العبدري الذي قدم إلى بيروت عام ألفٍ وتسعمائةٍ وخمسين رومية، وقد رأى الشيخ في ذاك اليتيم ما أعجبه من حسن الإقبال على العلم والشجاعة في قول الحق والجرأة في الإقدام، فكفله.. ورأى فيه فارسًا من فرسان الدعوة المحمدية فاعتنى بهذا الغرس، فها هو ذاك اليتيم اليوم سهم في كنانة أهل الحق وعلم من أعلام الدعوة. أقبل المؤلف أحسن الإقبال يتابع دروس العالم الحافظ، لا ينقطع عن مجلسه ولا يترك مدرسة العلم وينقل ما سمعه عن الشيخ فكان تحت نظر شيخه وسمعه، ثم ما زال هذا الشاب المقبل على العلم يتردد على المجالس فلا يفوته منها خير إلا حصّله ولا يأخذ مسألة إلا تدارسها مع أقرانه حتى حضر مع الشيخ في إقراء وشرح كتبه وكتب غيره من العلماء في شتى العلوم والفنون، وسمع منه آلاف المسائل والإملاءات. وكان الشيخ كثيرًا ما يُعطي الدرس ثم يأمر

المؤلف بإعادته، فشَبَّ ينهل المعارف ويسلك سبل السلام متمسكًا بمنهاج شيخه متخلِّقًا بأخلاقه، ءامرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، ذا عزم وهمة، ومنتصرًا لقضايا الأمة.

وفي سنة ١٩٧٩م استلم الخطابة في مساجد بيروت وأجاد بذلك، حتى إنه كان له تأثيرٌ كبيرٌ في نفوس المصلين، فالتفت القلوب حوله تجمعهم المحبة في الله والأخوة الحقة.

وكان الشيخ يُرسله إلى العديد من البلاد لنصرة دين الله وتعليم الناس ونشر المفاهيم السليمة، فاستقبله أهلها وعلمائها بالترحاب، وأجازه كثيرٌ من العلماء والمحدثين والفقهاء والمشايخ إجازةً عامةً مطلقةً بكل ما تجوز لهم روايته، ومن أخذ عنهم وأجازه:

- الشيخ الإمام الحافظ المجتهد عبد الله بن محمد الهري المعروف بالحبشي.
- الشيخ المعمر ملا حسن سيد أفندي مستك أوستوران الحنفي القادري النقشبندي القونوي التركي.
- مفتي وشيخ العراق الفقيه المفسر المَعمر عبد الكريم محمد المدرس بمدرسة الشيخ عبد القادر الكيلاني الشافعي النقشبندي.
- مسند عصره المحدث الشيخ أبو الفيض محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني الأندوسي ثم المكي.
- محدث الهند الشيخ حبيب الرحمن بن الشيخ صابر الأعظمي الحنفي.

- المحدث المعمر الفقيه عبد الرحمن بن شيخه أبي الإسعاد وأبي الإقبال خادم السنة محمد عبد الحي بن شيخه أبي المكارم عبد الكبير بن شيخه أبي المفاخر محمد بن عبد الواحد الحسيني الحسني الإدريسي الكتّاني.
- محدث البلاد التونسية الشيخ محمد الشاذلي بن الشيخ محمد الصادق ابن الشيخ محمد الطاهر النيفر.
- الشيخ مفتي البلاد التونسية كمال الدين بن الشيخ محمد العزيز جعيط.
- المحدث الفقيه الحنفي محمد عاشق إلهي البرني ثم المدني المفتي في دار العلوم - كراتشي.
- الشيخ الفقيه الشافعي أحمد نصيب المحاميد الحوراني ثم الدمشقي تلميذ محدث الديار الشامية الشيخ بدر الدين الحسني.
- الشيخ الزاهد محمد علي الحريري الرفاعي الحوراني ثم الدمشقي.
- الشيخ الولي الصالح محمد سليم الرفاعي القاري.
- مفتي محافظة الرقة السورية محمد السيد أحمد.
- الشيخ المعمر الصالح صاحب الأحوال السنية محمد ياسين حزوري التركماني ثم الحمصي.
- الشيخ الفرضي نور الدين خزنة كاتب الدمشقي.
- الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد هاشم المجذوب الرفاعي.

- الشيخ الفقيه المعمر محمد زين العابدين بن الشيخ محمد عطاء الله ابن الشيخ إبراهيم الجذبه.
- مؤرخ الشام الفقيه الحنفي الشيخ محمد رياض المالح.
- مفتي مكة المكرمة الشيخ أحمد الرقيمي الأشعري.
- المفتي الشيخ عمر جيلاني الأشعري.
- الشيخ المسند المقرئ إدريس منديلي الشافعي.
- الشيخ المعمر الفقيه الشافعي أبو عمر عبد السلام القصيباتي العاتكي الدمشقي.
- الشيخ محمد رجائي ابن الشيخ كمال الدين المشهور بشهيد ميسلون الحسني الدمشقي.
- الشيخ يحيى بن سعيد الخطيب مفتي مدينة الرستن السورية.
- الشيخ الدكتور أكرم عبد الوهاب الملا يوسف محمد سعيد الموصلي الشافعي.
- الشيخ المعمر يوسف محمود عمر العتوم الأردني.
- الولي الصالح الهائم السائح نورين تندليكي السوداني القادري خليفة قطب السودان المعمر عبد الباقي بن الحاج عمر بن أحمد الحسيني المكاشفي.
- المعمر الفقيه حامد بن علوي بن سالم بن أبي بكر الكاف الحسيني.
- الشيخ سهيل بن محمد الزبيبي الدمشقي الحنفي.

- الفقيه الأصولي المحدث عبد العزيز بن محمد بن الصديق الغماري الطنجي.
- المتبحر في فنون الحديث محمد بن المفتي محمد سراج بن محمد سعيد بن أبي بكر بن ءادم الآني الجبرتي.
- الشيخ العابد الزاهد محمد أمين الودي المشتهر بشيخ كسر شيخ نحاة الحبشة.
- المعمر الشيخ عبد الصمد بن سادو قلتو الأوكولشي العروسي الأورومي.
- المفتي الشيخ خطاب بن المفتي عمر الفقيري التلوي ثم الإسطنبولي التركي.
- الفقيه ملا طيب بن عبد الله بن سليمان بن محمد البحري.
- العلامة الفقيه الحبيب علي بن حسين بن عبد الله عيديد.
- الشيخ المشهور محمد رشاد بن عبد الله الطرطري الهرري الأورومي الشافعي.
- الوجيه الشيخ السيد حسين بن السيد عبد الرحمن بن السيد عبد الصمد بن السيد الفقيه جمال الدين محمد الآني الشافعي الحبشي.
- الشيخ المسند محمد عبد الرشيد النعماني الحنفي.
- الشيخ الفاضل عبد الرحمن بن أبي بكر الملا الإحسائي.
- الشيخ المعمر محمد عثمان بلال مفتي مدينة حلب.
- الشيخ الشريف السيدا محمد علي الجيلانباري.
- الشيخ الأستاذ المتفنن في العلوم محمد سعيد أرواس ألواني.

- الشيخ الفقيه الجبل الراسخ عبد العزيز بن الشيخ إبراهيم بن بلال.
- الشيخ الفقيه الحنفي خطيب المسجد الأموي في دمشق الشيخ نزار محمد الخطيب.
- الشيخ الحاج علي ولي حفيد ولي الله المشهور بالشيخ بشرى.
- الشيخ المسند الرابعي عبد القادر البخاري.
- الشيخ المسند عبد الحميد عبد الحلیم الداري.
- السيد الشريف الحسيب النسيب الشيخ جمال بن الشيخ إسماعيل ابن الشيخ إبراهيم الراوي الرفاعي نسابة العالم الإسلامي.
- العلامة الفقيه عبد الرحمن كنج كويا تنكل قاضي بلال وعميد كلية السيد مدني العربية ومرشد جمعية علماء أهل السنة والجماعة بعموم الهند عبد الرحمن البخاري.
- الشيخ المعمر محمد طاهر آية علجت الجزائري.
- الشيخ الفقيه اللغوي المفتي الأمين عثمان الأمين.
- الشيخ العلامة المعمر الفقيه الحبيب حسين بن محمد بن هادي السقاف.
- الشيخ المعمر محمد بن عمر المختار شيخ المجاهدين.
- الفقيه الأصولي المحدث أبو الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق الحسني الغماري.

وبالإجمال إجازاته فاقت السبعمئة إجازة، ومن أراد زيادة تفصيلٍ فليُنظر في ثبتيه: «جمع اليواقيت الغوالي من أسانيد الشيخ جميل حليم العوالي»، والثبت الكبير «المجد والمعالي في أسانيد الشيخ جميل حليم العوالي».

وفي سنة ١٩٨٥ ر تزوج بالسيدة الفاضلة عائشة علي وأعقب منها السيد محمدًا والسيد عبد الرحمن والسيد زكريا والسيد يوسف والسيدة نور الهدى والسيدة هاجر.

وفي سنة ١٩٩٥ ر حج بيت الله الحرام، ثم زار قبر النبي المصطفى ﷺ واستوطن المدينة المنورة، ثم حجَّ بعد ذلك خمس عشرة حجةً واعتمر عمراتٍ كثيرة.

بعض المتون والشروح والمصنّفات المتلقّاة في فنون شتى قراءةً وسَماعاً^(١)

وقد أخذ وتلقى على العلماء من الكتب والمصنّفات ما يصعب حصره لضيق المقام، وهي في علومٍ شتى، فمنها على سبيل المثال لا الحصر:

التوحيد والعقيدة:

- سلسلة كتب الشيخ عبد الله الهرري:

١. الدليل القويم على الصراط المستقيم.

٢. متن الصراط المستقيم.

(١) تنبيه مهم: الحمد لله الذي يَسِّر لي وأكرمني بأن قرأت عدداً كبيراً من كتب علماء أهل السنة في مختلف العلوم والفنون على مشايخ وعلماء وفقهاء ومحدّثين وقد رافق ذلك تحذيرهم تحذيراً بالغاً من بعض المواضع التي تخللتها بعض هذه الكتب مثل كتاب النَّهر المادّ والرسالة القشيرية وتفسير الجلالين وغيرها، وقد أَكَّدوا على أنّ فيها ما يُحذَر بل وفيها ما هو خلاف عَقيدة أهل السنة والجماعة مع الاعتقاد بأنّ ذلك مدسوس على مؤلِّفِها. فالعبرة يا أخي المسلم هو بتلقّي الكتب على أهل العلم الثِّقات لِيُبَيِّنُوا للطالب ما دُسّ في بعض الكتب من الطامّات المهلّكات، ولذلك قال العلماء: «الَّذِي يَعْتَمِد وَحْدَهُ على قراءة الكتب يَطْلُع ضالّاً مُضِلّاً». قال الإمام المحدث أبو بكر الخطيب البغدادي في كتابه «الفقيه والمتفقه»: «إنّما يؤخذ العلم من أفواه العلماء». فعليك أخي المسلم بتحصيل العلم وأخذه عن العلماء لا بقراءة الكتب والاعتماد على ذلك بمفردك دون الرجوع إلى أهل العلم فإنّ ذلك لا يكون تلقياً معتبراً.

٣. الشرح القويم على الصراط المستقيم.
٤. إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية.
٥. المطالب الوفية شرح العقيدة النسفية.
٦. المقالات السنية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية.
٧. العقيدة المنجية.
٨. صريح البيان في الرد على من خالف القرآن.
٩. بغية الطالب في معرفة العلم الديني الواجب (١-٢).
١٠. شرح الصفات الثلاث عشرة الواجبة لله.
١١. التحذير الشرعي الواجب.
١٢. رسالة في بطلان دعوى أولية النور المحمدي.
١٣. رسالة في الرد على قول البعض: إن الرسول يعلم كل شيء يعلمه الله.
١٤. الغارة الإيمانية في ردّ مفاصد التحريرية.
١٥. الدرة البهية في حل ألفاظ العقيدة الطحاوية.
١٦. صفوة الكلام في صفة الكلام.
١٧. قواعد مهمة.
١٨. رسالة في الردّ على الداعي القادياني.

- رسائل السنوسي الأربعة:
١٩. العقيدة الكبرى.
٢٠. العقيدة الوسطى.
٢١. العقيدة الصغرى (أم البراهين).
- ٢٢.
٢٣. المقدمات في التوحيد.
- رسائل أبي حنيفة الخمس:
٢٤. الفقه الأكبر.
٢٥. الفقه الأبسط.
٢٦. العالم والمتعلم.
٢٧. رسالة أبي حنيفة إلى عثمان البتي.
٢٨. رسالة الوصية المسماة وصية الإمام أبي حنيفة في التوحيد.
٢٩. بدء الأمالي للفرغاني.
٣٠. حقائق الفصول وجواهر العقول المعروفة بالعقيدة الصلاحية لابن هبة الله البرمكي.
٣١. عقيدة العوام للمرزوقي.
٣٢. كفاية العوام فيما يجب عليهم من علم الكلام للفضالي.

٣٣. التبيان في الرد على من ذم علم الكلام.
٣٤. الرسائل الإيمانية في الرد على القدرية: رسالة الخليفة عمر بن عبد العزيز ورسالة محمد بن الحنفية ورسالة الأوزاعي في الرد على غيلان.
٣٥. القول الفصل المنجي في الردّ على حسن قاطرجي.
٣٦. خلق أفعال العباد والردّ على الجهمية وأصحاب التعطيل للإمام البخاري.
٣٧. التَّهْجُ السَّوِّيُّ في الرد على سيد قطب وتابعه فيصل مَوْلَوِي.

- رسائل القشيري الثلاث:

٣٨. لمع في الاعتقاد.
٣٩. بلغة المقاصد.
٤٠. الفصول في الأصول.
٤١. قواعد العقائد للغزالي.
٤٢. إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة للمقري.
٤٣. دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي.
٤٤. كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني.
٤٥. شرح الإرشاد في أصول الاعتقاد للمقترح.
٤٦. التنزيه في إبطال حجج التشبيه المسمى إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل لابن جماعة.

٤٧. رسالة استحسان الخوض في علم الكلام للأشعري.
٤٨. عقيدة أهل التوحيد للسنوسي، وغيرها.
٤٩. المِنحة الغَيْبِيَّة في الرَّد على الفرقة الوهابيَّة للمفتي محمد سراج الجبرتي.
٥٠. المنظومة الميمِيَّة في العقيدة للمفتي محمد سراج الجبرتي.
٥١. تقريب العقائد السَّنِيَّة بالأدلة القراءنيَّة ويليهِ فتوى في واضع علم التَّوحيد لمحمَّد عليش المالكي.
٥٢. عقود الجمان في عقائد أهل الإيمان لشيخ الأزهر سليم البشري المالكي.
٥٣. العقيدة البرهانيَّة والفصول الإيمانِيَّة لأبي عمرو السلايجي.
٥٤. هداية الإخوان بشرح عقيدة الإيمان لعمر بن سُمَيْط العلوي الحضرمي.
٥٥. حَبْلُ الله المتين في عقيدة الشيخ الأكبر محي الدين لحسين البيتماني الدمشقي، وهو رسالةٌ من هذا المجموع.
٥٦. كُنْه ما لا بُدَّ للمُريد منه لمحي الدين بن عربي، وهو رسالةٌ من هذا المجموع.
٥٧. جزء فيه اعتقاد أهل السُنَّة لأبي بكر الرحي.
٥٨. الخريدة البهية للشيخ الدردير.
٥٩. جوهرة التوحيد للقاني.
٦٠. الاعتقاد والهداية للبيهقي.

٦١. رسالة مختصرة مفيدة في التوحيد والعقائد لمفتي المدينة أحمد البرزنجي.
٦٢. نظم العقائد النّسفيّة لمحمد الجوهري الشافعي.
٦٣. مختصر القضاء والقدر للحافظ البيهقي.
٦٤. عقيدة الإمام الحافظ ابن دقيق العيد الأشعري.
٦٥. منظومة العقائد الشّرنوبية لعبد المجيد الشّرنوبي المالكي الأشعري.
٦٦. الفرق بين الفرق لأبي منصور البغدادي التّميمي.
٦٧. عقيدة الغزالي، وهي ترجمة عقيدة أهل السّنة في كِلمَتِي الشّهادة.

الكتب الحديثية:

٦٨. صحيح البخاري.
٦٩. صحيح مسلم.
٧٠. سنن أبي داود.
٧١. جامع الترمذي.
٧٢. سنن النسائي.
٧٣. سنن ابن ماجه.
٧٤. موطأ مالك بالروايات الثلاث: رواية يحيى بن يحيى الليثي، ورواية أبي مصعب الزهري المدني، ورواية محمد بن الحسن الشيباني.

٧٥. صحيح ابن خزيمة.
٧٦. الأدب المفرد للبخاري.
٧٧. المسند الجامع للداري.
٧٨. مسند أبي داود الطيالسي.
٧٩. مسند أبي حنيفة برواية ابن الحارث.
٨٠. بلوغ المرام من أدلة الأحكام لابن حجر العسقلاني.
٨١. تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد للعراقي.
٨٢. عوالي الإمام مالك للحاكم الكبير.
٨٣. عوالي الإمام مسلم للحافظ العسقلاني.
٨٤. مكارم الأخلاق للطبراني.
٨٥. جزء سفيان الثوري في الحديث.
٨٦. الشمائل المحمدية للترمذي.
٨٧. الأربعون النووية.
٨٨. شرح الأربعين النووية المنسوب لابن دقيق العيد أو العسقلاني.
٨٩. بر الوالدين للإمام البخاري.
٩٠. جزء القراءة خلف الإمام للإمام البخاري.
٩١. القراءة خلف الإمام للحافظ البيهقي.

٩٢. مسند أبي بكر الصديق لأبي بكر المروزي.
٩٣. مسند أمير المؤمنين عمر بن العزيز للباغندي.
٩٤. عقد الجواهر الثمين للعجلوني.
٩٥. الأوائل الحديثية المائة، أوائل مائة كتاب من كتب الحديث بالأسانيد المتصلة إلى مؤلفيها.
٩٦. الأوائل السنبلية لمحمد سُنْبُل.
٩٧. الأذكار للنووي.
٩٨. رياض الصالحين للنووي.
٩٩. الأربعون حديثًا من أربعين كتابًا عن أربعين شيخًا للفاداني.
١٠٠. الأربعون البلدانية، أربعون حديثًا عن أربعين شيخًا من أربعين بلدًا للفاداني.
١٠١. الأربعون البلدانية المسمى الأربعين المستغني بما فيه عن المعين للسلفي.
١٠٢. الأربعون في الأحكام للحافظ المُنْذِرِي.
١٠٣. المعجم الصغير للطبراني.
١٠٤. عمل اليوم والليلة للنسائي.
١٠٥. عمل اليوم والليلة لابن السُّنِّي.
١٠٦. تهذيب خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للحافظ النسائي.

١٠٧. إحياء الميت بفضائل أهل البيت للسيوطي.
١٠٨. الأربعون الهريفة.
١٠٩. جِياد المسلسلات للسيوطي.
١١٠. الجامع الصغير للسيوطي.
١١١. كتاب الأربعين حديثًا محذوفة الأسانيد للسيوطي - المجلس الأول.
١١٢. كتاب الأربعين حديثًا محذوفة الأسانيد للسيوطي - المجلس الثاني.
١١٣. بغية الملتبس في سبائيات حديث الإمام مالك بن أنس للعلائي.
١١٤. جزء أبي بكر أحمد بن محمد الأثرم تلميذ أحمد بن حنبل في الحديث.
١١٥. المنتقى لابن الجارود.
١١٦. أربعون حديثًا من جوامع الكلم للقاري.
١١٧. الثمانون: جزء فيه ثمانون حديثًا عن ثمانين شيخًا للأجري.
١١٨. الكواكب الزاهرة في الأربعين المتواترة للحمزاوي.
١١٩. رفع الجناح وخفض الجناح بأربعين حديثًا في النكاح للقاري.
١٢٠. كتاب الأربعين في الأحكام لنفع الأنام للجعبري وغيرها.
١٢١. الثالث من أمالي ابن الصلاح للحافظ ابن الصلاح.
١٢٢. مجموع فيه: التَّوْبَةُ - حديث أهل حُرْدان - ذم ذو الوجهين واللسانين - فضل شهر رمضان - فضل يوم عرفة. للحافظ ابن عساكر.

١٢٣. الثلاثيات التي في مسند الإمام أحمد بن حنبل تخرج الحافظ محب الدين المقدسي، ومعها الزيادات على الثلاثيات للحافظ ضياء الدين المقدسي.
١٢٤. أربعون حديثًا عن أربعين شيخًا من عوالي المُجيزين للإمام المراغي. تخرج الحافظ العسقلاني.
١٢٥. من صحاح الأحاديث القدسية مئة حديث قدسي. بقلم محمد عوامة.
١٢٦. كتاب الأربعين (وهو ثاني الأربعينات في الحديث النبوي) للحافظ الطوسي.
١٢٧. كتاب الأربعين للحافظ الأصبهاني.
١٢٨. مختصر الخصال المكفّرة للحافظ السيوطي.
١٢٩. كتاب الأربعين في تصحيح المعاملة للإمام القشيري.
١٣٠. كتاب الإيمان ومعامله وسننه واستكمالهِ ودرجاته للحافظ أبي عبيد بن سلام.
١٣١. كتاب الإيمان للحافظ ابن أبي شبة.
١٣٢. عوالي الأسانيد من نفائس السنة النبوية للحافظ ضياء الدين المقدسي.
١٣٣. جزء فيه من عوالي الشيوخ الست للحافظ القاسم البرزالي الدمشقي.
١٣٤. مجموع فيه أجزاء حديثيّة ويليهِ الثمار الشهيّة الملتقطة من آثار خير البريّة، والدرر البهيّة المنتقاة من ألفاظ الأئمة المرضيّة لابن المبرد بن عبد الهادي.

١٣٥. القنعة فيما يحسن الإحاطة به من أشراف الساعة للحافظ السخاوي.
١٣٦. البَيِّنَات في بيان بعض الآيات لملاً علي القاري.
١٣٧. كتاب الآداب للحافظ ابن أبي شيبه.
١٣٨. الأربعون في ردع المجرم عن سبّ المسلم للحافظ العسقلاني.
١٣٩. الأربعون حديثاً من رواية مالك عن نافع عن ابن عمر للحافظ السيوطي.
١٤٠. كتاب فيه أربعون حديثاً من مسند بُرَيْد بن عبد الله بن أبي بُرْدَة عن جدّه أبي موسى الأشعري للحافظ الدارقطني.
١٤١. الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الآثار لزين الدين الحازمي الهمداني.
١٤٢. المسند للحافظ الحُمَيْدِي.
١٤٣. جزء الجابري للحافظ الأصبهاني.
١٤٤. أربعون حديثاً في فضل القرآن العظيم لعبد الرحمن الحضرمي.
١٤٥. رياض أهل الجنّة بآثار أهل السنّة لعبد الباقي البعلي الحنبلي، اختيار الفاداني.
١٤٦. كتاب الأربعين للحافظ النسوي.
١٤٧. أربعون حديثاً في تارك الصلاة ومانع الزّكاة والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر والوصيّة بالجار لنجم الدين الغيطي المصري.
١٤٨. جزء في الرخصة في تقبيل اليد للحافظ ابن المقرئ.

١٤٩. الأربعون حديثًا في فضائل الصدقة وآدابها ومجالاتها وأحكامها لنجم الدين الشاذلي.

١٥٠. الفوائد المنتقاة عن الشيوخ الثقات العوالي من حديث هلال بن العلاء الباهلي وغيره رواية أبي بكر التَّجَاد عنهم.

١٥١. جزء فيه الأحاديث العوالي الثمانية والتساعيات لمجد الدين الفيروزآبادي.

١٥٢. جزء فيه ذكر صلاة المصطفى خلف أبي بكر الصديق للحافظ ضياء الدين المقدسي.

١٥٣. كتاب الأربعين حديثًا المتباينة الأسانيد للحافظ تقي الدين الفاسي المكي.

١٥٤. رسالة في صلاة النبي بالأنبياء عليهم السلام ليلة الإسراء للحافظ عبد الغني المقدسي.

١٥٥. جزء الصلوات والوفا في الصلاة على المصطفى ﷺ.

١٥٦. الآداب للإمام البيهقي.

١٥٧. الدَّعَوَات الكبير للإمام البيهقي.

١٥٨. عَوَالِي مُسْلِم، أربعون حديثًا مُنتَقَاة من صحيح المسلم، جَمْع وانتقاء الحافظ ابن حجر العسقلاني.

١٥٩. الدُّرَّ المنظوم من كلام المصطفى المعصوم للحافظ مُغلَطاي.

١٦٠. قُرَّة العَيْن بَرَفَع اليَدَيْن في الصَّلَاة للإمام البخاري.

مصطلح الحديث:

١٦١. شرح نخبة الفكر للعسقلاني.
١٦٢. تعليقات المحدث محمد سراج الجبرتي ابن المفتي على شرح نخبة الفكر للعسقلاني.
١٦٣. معرفة أنواع علم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح.
١٦٤. شرح الزرقاني على المنظومة البيقونية.
١٦٥. ألفية السيوطي في مصطلح الحديث.
١٦٦. المنحة الربانية شرح المنظومة البيقونية لمحمد سراج.
١٦٧. ألفية العراقي المسماة التبصرة والتذكرة في علوم الحديث.
١٦٨. شرح ألفية العراقي للسيوطي.
١٦٩. التعقب الحثيث على من طعن فيما صحَّ من الحديث للهري.
١٧٠. نصره التعقب الحثيث على من طعن فيما صحَّ من الحديث للهري.
١٧١. التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث للنووي.
١٧٢. شرح التبصرة والتذكرة للعراقي.
١٧٣. شروط الأئمة الستة لأبي الفضل المقدسي.
١٧٤. شروط الأئمة الخمسة لأبي بكر محمد بن موسى الحازمي.

١٧٥. رسالة أبي داود السجستاني في وصف سُنَّه.
١٧٦. قاعدة في الجرح والتعديل لتاج الدين السبكي.
١٧٧. قاعدة في المؤرّخين لتاج الدين السبكي.
١٧٨. المتكلمون في الرجال للحافظ شمس الدين السّخاوي.
١٧٩. أسباب ورود الحديث أو اللمع في أسباب ورود الحديث للسيوطي.
١٨٠. الرّفْع والتكميل في الجرح والتعديل للمحدّث محمد عبد الحيّ اللّكنوي الهندي الحنفيّ.
١٨١. رسالة في وصول البلاغات الأربعة في الموطأ للحافظ ابن الصلاح.
١٨٢. ما لا يسع المحدث جهله للمحدّث الميانشي.
١٨٣. التسوية بين حدّثنا وأخبرنا للإمام الطحاوي.
١٨٤. رسالة في جواز حذف (قال) عند قولهم حدّثنا لمحمّد الفاسي.
١٨٥. التنقيح في مسألة التصحيح للحافظ السيوطي.

الآداب والتصوف:

١٨٦. تذكرة السامع والمتكلّم في آداب العالم والمتعلّم لابن جماعة.
١٨٧. رسالة المسترشدين للمُحاسبي.
١٨٨. اختصار وتهذيب وتعليق على الرسالة القشيرية.

١٨٩. رسالة آاداب سلوك المرید للحبیب عبد الله بن علوي الحداد.
١٩٠. جزء من كتاب: التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي.
١٩١. إجابة الداعي إلى بيان اعتقاد الإمام الرفاعي.
١٩٢. إرشاد الأواه إلى تحريم ذكر الله بلفظ آاه.
١٩٣. مناقب الإمامين الرفاعي والجيلاني رضي الله عنهما وتبرئة الجيلاني مما نسبہ إليه الدجالون.
١٩٤. مجمع العيلمين في مناقب أبي العلمين.
١٩٥. وصية أبي حنيفة لتلميذه يوسف السّمتي.
١٩٦. كرامات الأولياء للخلّال.
١٩٧. الأربعون في التصوف للسّلمي.
١٩٨. الأربعون في الزّهد للسّيوطي.
١٩٩. الأربعون حديثاً الصّديقيّة للمحدّث عبد الله بن صديّق العُمّاري.
٢٠٠. صفة المؤمن والمؤمنة للإمام ذي النون المصري.
٢٠١. بداية الهداية لأبي حامد الغزالي.

الفقه الشافعي:

٢٠٢. شرح التنبيه للسّيوطي.

٢٠٣. المهذب للشيرازي.
٢٠٤. منهاج الطالبين للنووي.
٢٠٥. تحرير تنقيح الباب لذكريا الأنصاري.
٢٠٦. عمدة السالك وعدة الناسك لابن النقيب.
٢٠٧. الحاوي الصغير للقزويني.
٢٠٨. شرح متن أبي شجاع للغزي.
٢٠٩. شرح متن الزبد للمهرري.
٢١٠. المقدمة الحضرية للحضري.
٢١١. فتح المعين بشرح قرّة العين بمهمات الدين للمليباري.
٢١٢. فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب لذكريا الأنصاري.
٢١٣. الإقناع للخطيب الشربيني.
٢١٤. المنهج القويم بشرح مسائل التعليم للهيتمي.
٢١٥. الأحكام السلطانية للماوردي.
٢١٦. الرسالة الجامعة والتذكرة النافعة للحبيب الحبشي.
٢١٧. متن سفينة النجاة في ما يجب على العبد لمولاه للحضري.
٢١٨. رسالة في مسائل تتعلق بالذبائح والندور للمحدّث محمد سراج الجبرتي ابن المفتي.

٢١٩. المختصر الصغير فيما لا بدّ لكلّ مسلم من معرفته في العبادات للفقيه عبد الله بن عبد الرحمن بافضل الحضرمي.
٢٢٠. الياقوت النفيس في مذهب ابن إدريس للعلامة أحمد بن عمر الشاطري.
٢٢١. مختصر الإيضاح في مناسك الحجّ للحافظ النووي.
٢٢٢. منسك يتعلق بحج المرأة للحافظ النووي.
٢٢٣. أوجه الاختلاف بين الرجل والمرأة في هيئات الحج والعمرة للحافظ النووي.
٢٢٤. متن سلّم التوفيق إلى محبّة الله على التحقيق للفقيه عبد الله بن حسين الحضرمي.
٢٢٥. الموجز المبين في بيان المُهمّ من علم الدّين للعلامة عفيف الدّين عبد الله بن محمد باقشير الحضرمي الشافعي.
٢٢٦. مختصر المنتقى للفقيه أحمد بن أبي بكر بن عبد الهادي باشعبان الحضرمي التريمي.
٢٢٧. جزء في التهنئة في الأعياد وغيرها للحافظ العسقلاني.
٢٢٨. تحفة الطلاب في مستثنيات كل ما كان أكثر في العمل فهو أكثر في الثواب للمحدث نجم الدين الغزي الشافعي.
٢٢٩. منظومة الحافظ زين الدين العراقي في الصور التي يستحي فيها الوضوء وشرحها لابنه ولي الدين العراقي.
٢٣٠. قرة العين لمن وعّا في استحباب رفع اليدين في الدعا للمحدث أحمد الغزي.

٢٣١. كشف الضبابة في مسألة الاستنابة للحافظ السيوطي.
٢٣٢. مسألة في التطوع بالصلوات في أحد المساجد الثلاثة هل فعلها فيها أفضل من فعلها في البيوت للحافظ العلائي.
٢٣٣. مسألة في وجوب تخميس الغنيمة وقسم باقيها للحافظ النووي.
٢٣٤. مسألة في قصّ الشارب للحافظ زين الدين العراقي.
٢٣٥. السبحة الثمينة لنظم السفينة للحبيب أحمد مشهور بن طه الحداد.
٢٣٦. وصية في عادات زيارة المصطفى للحبيب أحمد مشهور الحداد.
٢٣٧. اختلاف العلماء للحافظ المروزي.
٢٣٨. رسالتا شروط الوضوء وشروط الإمامة لشهاب الدين الرملي الشافعي.
٢٣٩. الجواب الشافي عن السؤال الخافي للحافظ العسقلاني.
٢٤٠. منظومة ابن العماد في المعفوات لابن عماد الأفهسي الشافعي.
٢٤١. ألفية في الفقه على مذهب الشافعي لأبي بكر الحبشي.
٢٤٢. مطالع الدقائق في تحرير الجوامع والفوارق للإسنوي.

مجموعة كتب الإمام الشافعي:

٢٤٣. كتاب الأم.
٢٤٤. كتاب الرسالة.

٢٤٥. كتاب اختلاف العراقيين، وهو اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى.
٢٤٦. كتاب اختلاف علي وعبد الله بن مسعود.
٢٤٧. كتاب اختلاف مالك والشافعي.
٢٤٨. كتاب جماع العلم.
٢٤٩. كتاب بيان فرائض الله.
٢٥٠. كتاب صفة نهى رسول الله.
٢٥١. كتاب إبطال الاستحسان، وهو الردُّ على محمد بن الحسن الشيباني.
٢٥٢. كتاب سير الأوزاعي.
٢٥٣. اختلاف الحديث.
٢٥٤. مختصر البويطي.
٢٥٥. مسند الإمام الشافعي.

الفقه الحنفي وأصوله:

٢٥٦. مختصر القُدوري.
٢٥٧. الباب في شرح الكتاب للغنيمي الميداني الحنفي.
٢٥٨. أصول الشاشي لأبي علي الشاشي الحنفي.
٢٥٩. الهداية شرح البداية للمرغيناني الحنفي.

٢٦٠. نور الإيضاح للشُّرُنْبُلَالِي.
٢٦١. نور الأنوار في شرح المنار لمُلا جيون.
٢٦٢. المنتخب في أصول المذهب المشهور بالحُسامي لحسام الدين الأُخْسيثْكي.
٢٦٣. رسالة في بيان إفراد الصَّلَاة عن السَّلَام هل يكره أم لا لمُلا علي القاري.
٢٦٤. الفيض المبين في تحرير الصاع عند المجتهدين بمكيال البلد الأمين لمحمد السندي.
٢٦٥. الجامع الصغير للإمام الشيباني.

الفقه المالكي:

٢٦٦. متن ابن عاشر في الفقه المالكي.
٢٦٧. رسالة ابن أبي زيد القيرواني.
٢٦٨. الارتشاف في إيضاح قواعد الخلاف مختصر إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك لإبراهيم المالكي المكي.

الفقه الحنبلي:

٢٦٩. كتاب التسهيل في الفقه على مذهب الإمام الربَّاني أحمد بن حنبل الشيباني لأبي عبد الله محمد البعلي الحنبلي.

علوم القرآن:

- ٢٧٠. تفسير النسفي.
- ٢٧١. تفسير الجلالين للسيوطي والمحلي.
- ٢٧٢. التفسير النهر المادّ لأبي حيّان الأندلسي.
- ٢٧٣. تفسير جزء عم للهري.
- ٢٧٤. تفسير جزء تبارك للهري.
- ٢٧٥. لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي.
- ٢٧٦. الإتيقان في علوم القرآن للسيوطي.
- ٢٧٧. التبيان في عادات حملة القرآن للنووي.
- ٢٧٨. الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي.
- ٢٧٩. النَّاسخ والمنسوخ في القرآن الكريم لأبي جعفر بن النَّحَّاس.

أصول الفقه وقواعده:

- ٢٨٠. الفرائد البهية في نظم القواعد الفقهية لأبي بكر الأهدل.
- ٢٨١. قرّة العين بشرح ورقات إمام الحرمين للرعي.
- ٢٨٢. الغيث الهامع شرح جمع الجوامع للعراقي.
- ٢٨٣. الكوكب الساطع نظم جمع الجوامع للسيوطي.

٢٨٤. الأشباه والنظائر للسيوطي.
٢٨٥. لبّ الأصول في علم الأصول لذكريا الأنصاري.
٢٨٦. الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة لذكريا الأنصاري.
٢٨٧. مراقي السُّعود لمبتغي الرُّقي والصعود لعبد الله بن الحاج إبراهيم الشنقيطي.

السيرة النبوية:

٢٨٨. ألفية السيرة النبوية للعراقي.
٢٨٩. مختصر سيرة النبي وسيرة أصحابه العشرة للمقدسي.
٢٩٠. جزء من العجالة السنية على ألفية السيرة النبوية للمناوي.
٢٩١. بُردة المديح لشرف الدين البوصيري.
٢٩٢. مختصر كتاب الكواكب الدرية في مدح خير البرية المسماة بالبردة ومختصر كتاب عنوان الشريف بالمولد الشريف لعلي بن ناصر الحجازي، اختصره عبد الله الهري.
٢٩٣. الروائح الزكية في مولد خير البرية للهري.
٢٩٤. كتاب الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين لابن عساكر.
٢٩٥. مختصر كتاب الفتح الرحماني في ذكر الصلاة على أشرف الخلائق الإنساني سيدنا محمد المصطفى العدناني ﷺ وعلى ءاله وأصحابه النجباء البررة الكرام، اختصره عبد الله الهري.

٢٩٦. القصيدة الهمزية في مدح خير البرية للبوصيري.
٢٩٧. الإشارة إلى سيرة المصطفى ومن بعده من الخلفاء للحافظ مُغلطاي.
٢٩٨. قرّة الأبصار في سيرة المشفّع المختار للفقير عبد العزيز بن عبد الواحد اللَّمَطِيّ الفاسي.
٢٩٩. الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض .
٣٠٠. الانتهاض في ختم الشفا لعياض للحافظ السخاوي.
٣٠١. مجلس في ختم الشفا بتعريف حقوق المصطفى لابن ناصر الدين الدمشقي.
٣٠٢. الثغور الباسمة في مناقب سيدتنا فاطمة بنت رسول الله للحافظ السيوطي.
٣٠٣. عَرَفَ التَّعْرِيفَ للحافظ المقرئ ابن الجزري.
٣٠٤. حَجَّةُ المصطفى صَفوة القرى في صِفة حَجَّةِ المصطفى وَطُوفِهِ بِأَمِّ الْقُرَى مُحَبِّ الدِّينِ الطَّبْرِي.

في النحو والصرف

٣٠٥. ألفية ابن مالك في النحو والصرف لابن مالك.
٣٠٦. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك لابن عقيل.
٣٠٧. شرح الفواكه الجنية على متممة الأجرومية لعبد الله الفاكهي.
- وغيرها الكثير في شتى العلوم والفنون.

يرأس جمعية المشايخ الصوفية في لبنان، ويشغل مناصب مختلفة في عدد من الجمعيات منها:

- جمعية السادة الأشراف في لبنان.
- جمعية مشيخة الصوفية في مصر.
- نقابة السادة الأشراف في العراق.
- نقابة الأشراف في بيت المقدس.
- جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية.
- الأمانة العامة لأنساب السادة الهاشميين.
- الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب.

وهو حائزٌ على شهادتي دكتوراه، الأولى من الجامعة العالمية في بيروت - لبنان تحت عنوان «السُّقوط الكبير المدوّي للمجسّم ابن تيمية الحرّاني» بتقديرٍ ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، والأخرى من جامعة مولاي إسماعيل في مدينة مكناس - المغرب تحت عنوان «التأويل في علم الكلام وضوابطه عند أهل السنة والجماعة» وذلك بتقدير مشرف جدًّا ولله الحمد والمنة.

وهو مجازٌ بالطرق كلها، وإعطائها، وتلقين الأذكار والأوراد، وإقامة حلقات الذكر، والختم، والحضرة.

كما أنه دُعي وجال وتنقل في كثير من البلاد العربية والإسلامية والأوروبية كالحجاز وسوريا والأردن والعراق ومصر وليبيا واليمن والمغرب والإمارات العربية وأندونيسيا وماليزيا والهند وباكستان وبنغلادش وجزر الموريس وأستراليا وألمانيا وفرنسا وهولندا وفنلندا والسويد والدنمارك وتركيا وقبرص وهرر وبلاد أثيوبيا

للتدريس والخطابة والتوجيه والمشاركة في المهرجانات وتفقد أحوال المسلمين والدعوة الإسلامية، وشارك وحاضر في عدد كبير من المؤتمرات في مختلف بقاع الأرض، وله مقالات ومقابلات تلفزيونية وإذاعية نُشرت.

أولى اهتمامه العلم والمطالعة، فهو يعكف اليوم على تأليف الكتب وتحقيق مصنفات العلماء في مكتبته التي سمها بالمكتبة الأشعرية العبدرية في بيروت وقد حوت آلاف الكتب المطبوعة والمخطوطة النادرة بشتى العلوم والفنون، وجعل مكتبته مفتوحة لطلبة العلم والباحثين، ناهيك عما عُقد فيها من محاضرات علمية ومجالس إقراءٍ زكاةً للعلم.

هذا وقد خصَّ بعض العلماء وأحفاد رسول الله ﷺ وأصحاب الطرق من تركيا وسوريا ومصر واليمن وباكستان والهند وغيرها بآثارٍ من آثار رسول الله محمد ﷺ، فحفظها في الخزينة الحليمية التي حوت شعراتٍ من شعراتِ نبي الله الأعظم ﷺ وقطعاً من عمامته وقميصه ونعله وغيرها من الآثار، وكل ذلك موثقٌ بالأثبات والأختام التي تثبت صحة نسبتها إلى رسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. وفي كل عام يتبرك عشرات الآلاف من المسلمين في شتى البلاد ببعض هذه الآثار الزكية^(١).

(١) للتواصل مع المؤلف راجع ما يلي:

+٩٦١٣٢١٥٣١٦

+٩٦١٣٠٠٦٠٧٨

sh.jamil.halim@gmail.com

<https://www.facebook.com/SheikhJameel>

نَسَبُ الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ جَمِيلِ حَلِيمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

هو السيد الشريف الحسيب النسيب الشيخ الدكتور عماد الدين أبو محمد جميل بن محمد الأشعري الشافعي الحسيني الرفاعي القادري، خادم الآثار النبوية الشريفة رئيس جمعية المشايخ الصوفية وهو بن السيد محمد بن السيد عبد الحلیم بن السيد قاسم بن السيد أحمد ابن السيد قاسم بن السيد عبد الكريم بن السيد عبد القادر بن السيد علي بن السيد محمد ابن السيد ياسين بن السيد إسماعيل بن السيد حسين بن السيد محمد بن السيد إبراهيم ابن السيد عمر بن السيد حسن بن السيد حسين بن السيد بلال بن السيد هارون بن السيد علي بن السيد علي أبي شجاع بن السيد عيسى بن السيد محمد بن أبي طالب بن السيد محمد بن السيد جعفر بن السيد الحسن أبي محمد بن السيد عيسى الرومي بن السيد محمد الأزرق بن السيد أبي الحسن الأكبر عيسى النقيب بن السيد محمد بن السيد علي العريضي بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام السجاد علي زين العابدين بن الإمام السبط السعيد الشهيد الحسين بن السيدة الجليلة الزكية الطاهرة فاطمة البتول زوجة أمير المؤمنين أسد الله الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام وابنة رسول رب العالمين خاتم النبيين والمرسلين محمد صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين^(١).

(١) وهذا نسبٌ شريفٌ صحيحٌ بلا مَرِيَّةٍ مضبوطٌ في كتاب جامع الدرر البهيّة بأَنساب القرشيّين في البلاد الشاميّة، جمع الدكتور الشّريف كمال الحوت الحسيني، شركة دار المشاريع الطبعة الثانية (ص ٣٣٢، ٣٣٣) تاريخ ٢٠٠٦ ر - ١٤٢٧ هـ، وفي كتاب غاية الاختصار في أَنساب السادة الأطهار، ويليهِ المستدرك الطبعة الثالثة (ص ١) ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٠ م، وفي كتاب الحقائق الجليّة في نسب السّادة العريضية (ص ٤٣٣، ٤٣٤) كلاهما للدكتور الوليد العريضي الحسيني البغدادي.

مِرْقَاةُ النَّبِ

إلى معاني رسالة

«الْكُنْهَ فِي مَا لَا بُدَّ لِلْمُرِيدِ مِنْهُ»

الرسالة للشيخ محيي الدين بن عربي الحاتمي (ت ٦٣٨هـ)

شرح وتحقيق وتعليق

الشيخ الدكتور جميل حليم الأشعري الشافعي

دكتور محاضر في العقائد والفرق

غفر الله له ولوالديه ولمشايعه

ترجمة الشيخ محيي الدين بن عربي الحاتمي

هو أبو بكر - وقيل: أبو عبد الله - محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي الملقَّب: بمحيي الدين، وبالشيخ الأكبر ولقبه بعضهم بالبحر الزاخر وبحر الحقائق وإمام المحققين وسلطان العارفين.

ولد رحمه الله تعالى ليلة الإثنين في السابع من رمضان سنة (٥٦٠هـ) بمُرْسِيَّة (Murcia) الواقعة في الأندلس وبها نشأ، ثم انتقل منها لإشبيلية وللمرية، عربي الأصل ينتسب إلى حاتم الطائي من ولده عبد الله بن حاتم، وليس من الصحابي عدي بن حاتم على ما ذكره المقرئ في "نفح الطيب".

له رحلات عديدة وزيارات لبلاد عدة من بلاد المشرق ومكة غير مرة والمدينة قاصداً زيارة الحبيب محمد والموصل فالقاهرة وغيرها إلى أن أقام أخيراً في دمشق حيث كان أميرها أحد تلاميذه ومن المؤمنين بعلمه ونقائه، وعاش حياته في دمشق يؤلف ويعلم وكان واحداً من كبار العلماء بين أهل العلم والفقه في دمشق، والتقى به عدد كبير من العلماء والطلاب من جميع أنحاء المعمورة ومن أبرزهم الشيخ جلال الدين الرومي صاحب المثنوي، وفي دمشق دوّن وكتب مراجعته ومؤلفاته، وكان له مجلس للعلم والتصوف في رحاب مجالس دمشق وبين علماء الفقه والعلم بدمشق ومدارسها.

وله مؤلفات عديدة في الفقه والسلوك والعقيدة وغلب على كتبه أن أدخل أعداءه فيها التحريف لما له من القبول والشهرة عند المسلمين محاييلين في ذلك نشر الكفر والفساد متسترين باسمه وباسم كتبه لكنّه بريء منهم ومن ضلالهم فالرجل سنيّ وعقيدته عقيدة مئات الملايين من أهل السنّة والجماعة وسترى تفصيل براءته وصحة عقيدته رحمه الله في كتابنا هذا الذي بين يديك.

من شيوخه الشيخ أبو جعفر العريني والشيخ أبو يعقوب يوسف بن يخلف الكوفي العبسي ومنهم الشيخ أبو مدين المذكور فإنّه كان معاصرًا له في حياته بإشبيلية، ومن تلامذته القونوي وابن الفارض.

ومن أثنى عليه صلاح الدين الصفدي والشيخ محب الدين ابن النجار في "ذيل تاريخ بغداد" فقال: "كانت رحلته إلى المشرق، وألّف في التّصوف وفي التّفسير وغير ذلك تواليف لا يأخذها الحصر، وله سعة وتصرف في الفنون من العلم وتقدم في الكلام والتّصوف"، والشيخ أبو العباس المقري ترجمه ترجمة طويلة قال فيها: "وقد زرت قبره وتبركت به مرارًا، ورأيت لوائح الأنوار عليه ظاهرة، ولا يحيد منصف محيد الإنكار ما يشاهد عند قبره من الأحوال الباهرة"، وقيل للسهروردي: ما تقول في الشيخ محي الدين؟ فقال: "بحر الحقائق".

توفاه الله في دمشق ٢٨ ربيع الثاني عام (٦٣٨هـ) ودفن في سفح جبل قاسيون في دمشق.

أسانيد الشيخ الدكتور جميل حليم الحسيني

في رسالة «الكنه فيما لا بد للمريد منه»

للشيخ محيي الدين بن عربي الحاتمي

هو قراءة لبعضها وسامعاً لباقيها على الشيخ محمد نور سيف [١] عن أخيه [٢]
عن عمه [٣] عن العلامة المحدث الصوفي المرّي المسلّك محمد أمين الكردي
الأربيلي [٤] عن الشيخ عمر ضياء الدين بن الشيخ عثمان سراج الدين الأول
الكردي الأردبيلي [٥] عن مولانا خالد بن أحمد النقشبندي [٥] عن العلامة
الشيخ عبد الله الدهلوي الهندي [٦] عن الشيخ شمس الدين حبيب الله جان
جانان مظهر النقشبندي [٧] عن الشيخ محمد أفضل السيالكوتي [٨] عن الشيخ
عبد الله بن سالم البصري [٩] عن الملا برهان الدين إبراهيم بن حسن الكوراني
[١٠] عن العارف صفيّ الدين أحمد المدني القشاشي الصوفي [١١] عن الشيخ أبي
المواهب أحمد بن علي الشناوي [١٢] عن العارف الشيخ عبد الوهاب الشعراني
[١٣] عن القاضي زكريّا الأنصاري الشافعيّ [١٤] عن أبي الفتح محمد بن زين
الدين العثماني المراغي [١٥] عن إسماعيل بن إبراهيم الهاشمي العقيليّ الجبرتي
الزبيديّ [١٦] عن أبي الحسن علي بن عمر الداني [١٧] عن المؤلّف العارف الشيخ
محيي الدين بن عربي الحاتمي رحمه الله تعالى.

(ح) والشيخ أبو المواهب الشناوي [١٢] عن الشيخ جمال الدين محمد بن أبي
الحسن البكري [١٣] عن الشيخ رضي الدين بن شهاب الدين العامري الغزيّ

[١٤] عن أبي الفتح محمد بن زين الدين العثماني المراغي [١٥] بالسَّند المتقدِّم إلى العارف الشيخ محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى.

(ح) والشيخ عبد الله بن سالم البصري [٩] عن الحافظ محمد بن علاء الدين البابلي [١٠] عن الشهاب أحمد بن خليل السبكي المصري [١١] عن النجم محمد ابن احمد الغَيْطِي [١٢] عن الفقيه الصوفي بدر الدين ابن المُسْنِد المشهدي [١٣] عن محمد بن مقبل الحلبي [١٤] عن أبي طلحة الحراوي الزاهد [١٥] عن الحافظ شرف الدين عبد المؤمن الدمياطي [١٦] عن سعد الدين محمد بن الشيخ محي الدين بن عربي [١٧] عن والده الشيخ محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى.

ويرويه العارف صَفِي الدِّين أحمد المدني القَشَّاشي الصُّوفي بسنَدٍ آخَرَ [١١] عن زين العابدين بن عبد القادر بن محمد بن يحيى الطبري المكي [١٢] عن والده عبد القادر بن محمد الطبري المكي [١٣] عن جدِّه الإمام يحيى بن مَكْرَم الطبري المكي [١٤] عن الحافظ عبد العزيز ابن الحافظ عمر ابن الحافظ تقي الدين محمد بن فهد المكي [١٥] عن أبيه الحافظ عمر بن الحافظ تقي الدين [١٦] عن الجمال محمد ابن إبراهيم المُرشِدي المكي [١٧] عن أبي محمد عبد الله بن سليمان النيسابوري ثم المكي المعروف بالنَّشاورِي [١٨] عن رضي الدين إبراهيم بن محمد الطبري [١٩] عن الشيخ محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ الشَّيْخُ الْأَكْبَرُ وَالتُّورُ الْأَبْهَرُ وَالْكَبْرِيتُ الْأَحْمَرُ مُحْيِي الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ
ابْنُ عَرَبِيٍّ الْحَاتِمِيُّ الطَّائِي.....

(قَالَ الشَّيْخُ الْأَكْبَرُ) هُوَ اللَّقْبُ الَّذِي أَطْلَقَهُ الشَّيْخُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الشَّعْرَانِيُّ رَحِمَهُ
اللَّهُ عَلَى الشَّيْخِ ابْنِ عَرَبِيٍّ وَإِلَيْهِ نَسَبُوا الطَّرِيقَةَ الْأَكْبَرِيَّةَ (وَالْتُّورُ الْأَبْهَرُ) أَيُّ دُو
الشُّهْرَةِ اللَّامِعَةِ فِي عِلْمِهِ وَالصَّفَاءِ الْبَرَّاقِ فِي عَقِيدَتِهِ (وَالْكَبْرِيتُ الْأَحْمَرُ) لَقَّبَهُ بِهِ
الشَّيْخُ الشَّعْرَانِيُّ أَيْضًا، وَالْكَبْرِيتُ الْأَحْمَرُ هُوَ مَا ادَّعَى بَعْضُ النَّاسِ قَدِيمًا أَنَّهُ
إِكْسِيرُ الذَّهَبِ وَهُوَ شَيْءٌ كَانَ يُتَحَدَّثُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْكِيمِيَاءِ قَدِيمًا وَلَا يُرَى لِعَزَّتِهِ
أَوْ لِأَنَّهُ لَا وَجُودَ لَهُ إِلَّا فِي افْتِرَاضَاتِهِمْ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ: "مَنْ طَلَبَ
الْكِيمِيَاءَ أَفْلَسَ" أَيُّ مَنْ أَنْفَقَ مَالَهُ فِي تَجَارِبِ مُحَاوَلَةٍ أَنْ يَقْلِبَ بَعْضَ الْمَعَادِنِ ذَهَبًا
فَقَدْ ضَيَّعَ مَالَهُ وَوَقْتَهُ. وَلَعَلَّ تَلْقِيَهُمُ الشَّيْخَ ابْنَ عَرَبِيٍّ بِالْكَبْرِيتِ الْأَحْمَرِ قَصْدًا
بِذَلِكَ الْحِجَارَةِ الَّتِي يُوقَدُ بِهَا، وَالْأَحْمَرُ مِنْ ذَلِكَ عَزِيزٌ وَنَادِرٌ.

وَالشَّيْخُ (مُحْيِي الدِّينِ) هُوَ لَقْبُهُ وَكُنْيَتُهُ (أَبُو عَبْدِ اللَّهِ) وَقِيلَ: أَبُو بَكْرٍ، وَاسْمُهُ
(مُحَمَّدٌ) بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ (بْنُ عَرَبِيٍّ الْحَاتِمِيُّ الطَّائِي) نَسَبُهُ فِي أَصْلِهِ الْعَرَبِيُّ إِلَى
حَاتِمِ الطَّائِيٍّ مِنْ وَلَدِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَاتِمٍ وَلَيْسَ مِنَ الصَّحَابِيِّ عَدِيٍّ بْنِ حَاتِمٍ عَلَى

الْأَنْدَلُسِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ءَامِينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ.....

ما ذكره أحمدُ المَقْرِي في «نَفْحِ الطَّيْبِ»، وهو (الْأَنْدَلُسِيُّ) مولدًا بِمَدِينَةِ مُرْسِيَةِ "Murcia" مِنْ أَبِي عَرَبِيٍّ طَائِيٍّ وَأُمِّ عَرَبِيَّةٍ خَوْلَانِيَّةٍ يَمَنِيَّةٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ هَجْرِيَّةٍ أَيَّ قَبْلِ عَامَيْنِ مِنْ وَفَاةِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَتَوَفَّى الشَّيْخَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بِدَمَشَقَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ وَدُفِنَ فِي سَفْحِ قَاسِيُونِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَ(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ءَامِينَ) وَيَجُوزُ فِي "عَامِينَ" الْقَصْرُ "أَمِينَ" وَمَعْنَاهَا اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ.

وَ(الْحَمْدُ) لُغَةً الثَّنَاءُ وَالْمَدْحُ بِاللِّسَانِ عَلَى الْجَمِيلِ الْاِخْتِيَارِيِّ عَلَى جِهَةِ التَّبَجِيلِ وَالتَّعْظِيمِ، وَالْحَمْدُ (لِلَّهِ) عُرْفًا فِعْلٌ يُنْبِئُ عَنْ تَعْظِيمِ اللَّهِ الْمُنْعِمِ الْمُسْتَحِقِّ لِنَهَايَةِ التَّعْظِيمِ وَغَايَةِ الْإِجْلَالِ.

وَلَفْظُ الْجَلَالَةِ "اللَّهُ" عَلَمٌ عَلَى الذَّاتِ الْمُقَدَّسِ الْمُتَّصِفِ بِالْإِلَهِيَّةِ وَهِيَ الْقُدْرَةُ عَلَى الْاِخْتِرَاعِ أَيَّ إِبْرَازِ الْمَعْدُومِ إِلَى الْوُجُودِ وَهَذَا مَعْنَى الْخَلْقِ الَّذِي هُوَ خَاصٌّ بِاللَّهِ، وَالصَّوَابُ أَنَّ لَفْظَ الْجَلَالَةِ "اللَّهُ" عَلَمٌ غَيْرُ مُشْتَقٍّ، وَهُوَ أَجْمَلُ كَلِمَةٍ عَرَبِيَّةٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ، فَقَدْ رَوَى الطَّبْرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ وَابِيهَقِي أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ كَانَ يَقُولُ: تَشْهَدُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ خَيْرِ الْأَسْمَاءِ» الْحَدِيثُ.

رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَالِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

فَاعْلَى الثَّنَاءِ وَأَرْفَعُ الْمَجْدَ لِلَّهِ (رَبِّ) أَيِ مَالِكٍ وَخَالِقِ (الْعَالَمِينَ) وَالْعَالَمُونَ كُلُّ مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى، فَلَيْسَ شَيْءٌ سِوَى اللَّهِ إِلَّا وَهُوَ مَخْلُوقٌ لِلَّهِ وَمَرْبُوبٌ لَهُ، فَلَيْسَ شَيْءٌ يَسْتَغْنِي عَنْ اللَّهِ طَرَفَةَ عَيْنٍ.

(وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ) أَيِ زَادَ اللَّهُ تَعَالَى سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا شَرَفًا وَتَعْظِيمًا، فَالصَّلَاةُ مِنَ اللَّهِ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ هِيَ رَحْمَتُهُ الْمَقْرُونَةُ بِالتَّعْظِيمِ، فَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ (وَ) عَلَى (عَالِهِ) أَيِ عَالِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَهُمْ:

١. فِي مَقَامِ الزَّكَاةِ: مُؤْمِنُو بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ.

٢. فِي مَقَامِ الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ: أَقَارِبُهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى حَدِّ الْوَارِدِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ﴿فَالْمَرَادُ هُنَا أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ﴾.

٣. فِي مَقَامِ الدُّعَاءِ: أَتَقِيَاءُ أُمَّتِهِ ﷺ، فَيَدْخُلُ بِهَذَا الْإِعْتِبَارُ كُلُّ مَنْ كَانَ تَقِيًّا مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ (وَ) عَلَى (صَحْبِهِ أَجْمَعِينَ) أَيِ مَجْمُوعِ أَصْحَابِهِ، وَالصَّحَابِيُّ هُوَ مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ بَعْدَ الثُّبُوتِ وَقَبْلَ وَفَاتِهِ ﷺ مُؤْمِنًا بِهِ وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ،

سَأَلَتْ أَيُّهَا الْمُرِيدُ عَنْ «كُنْهِ مَا لَا بُدَّ لِلْمُرِيدِ مِنْهُ».....

فخرج بذلك مَنْ ارْتَدَّ وماتَ كَافِرًا كَابِنِ خَطْلٍ، ويدخل في حَدِّ الصَّحَابِيِّ مَنْ نُزِلَ عليه التَّعْرِيفُ السَّابِقُ وَكَانَ مِنَ الْجِنِّ أَيْضًا أَوْ دُونَ التَّمْيِيزِ.

والصلاةُ على الآلِ والصَّحْبِ هُنَا وَارِدٌ بِالتَّبَعِيَّةِ والعطفِ لَا اسْتِقْلَالًا وَابْتِدَاءً، لَأَنَّهُ يُكْرَهُ أَنْ يُقَالَ ابْتِدَاءً: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى أَبِي بَكْرٍ» مثلاً.

وبعدَما تَقَدَّمَ فقد سَأَلَ مُرِيدُ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ بَنَ عَرَبِيِّ رَحِمَهُ اللهُ أَنْ يَضَعَ لَهُ قَوَاعِدَ فيما لَا بُدَّ لِلْمُرِيدِ سَلُوكُهُ في طَرِيقِهِ إلى التَّصَوُّفِ الْحَقِيقِيِّ أيِ المَوَافِقِ لقَوَاعِدِ الشَّرِيعَةِ الغَرَاءِ النَّقِيَّةِ عن شَوَائِبِ الفَسَادِ والأَبَاطِيلِ، فَأَجَابَهُ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ رَحِمَهُ اللهُ قَائِلًا: لَقَدْ (سَأَلْتُ أَيُّهَا الْمُرِيدُ) رِضَا اللهُ الْحَقَّ (عَنْ «كُنْهِ مَا لَا بُدَّ لِلْمُرِيدِ مِنْهُ») أَيِ غَايَةِ مَا لَا بُدَّ لِلْمُرِيدِ مَعْرِفَتُهُ والالتزامُ بِهِ أَوْ حَقِيقَةُ ذَلِكَ. فَكُنْهُ الْجِسْمِ في الْأَصْلِ هُوَ جَوْهَرُهُ أَيِ حَقِيقَتُهُ، وَيُقَالُ أَيْضًا هُوَ غَايَةُ الشَّيْءِ وَنِهَائِيَّتُهُ فَيُقَالُ: أَعْرِفْ فَلَنَّا كُنْهُ الْمَعْرِفَةِ، وَبَلَغَتْ كُنْهُ هَذَا الْأَمْرِ أَيِ غَايَتِهِ، وَفِي بَعْضِ الْمَعَانِي: كُنْهُ كُلِّ شَيْءٍ وَقْتُهُ وَوَجْهُهُ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهٍ فِي «السُّنَنِ» مَرْفُوعًا: «لَا تَسْأَلِ الْمَرْأَةَ زَوْجَهَا الطَّلَاقَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ فَتَجِدَ رِيحَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا» أَيِ إِنْ سَأَلَتِ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا الطَّلَاقَ فِي غَيْرِ مُحِلِّهِ وَمَحِلِّهِ أَيِ بَغَيْرِ وَجْهِ حَقِّ فَإِنَّ عَلَيْهَا ذَنْبًا فِي ذَلِكَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ، فَإِنْ مَاتَتْ

فَأَجَبْتُكَ فِي هَذِهِ الْأُورَاقِ وَاللَّهُ الْمَوْفِّقُ.....

مؤمنَةً بلا توبةٍ من هذا الذَّنْبِ لَهَا الْجَنَّةُ وَنَعِيمُهَا إِلَّا أَنَّهَا لَا تَشْمُ رِيحَ الْجَنَّةِ وَمَعَ ذَلِكَ لَا تَجِدُ فِي قَلْبِهَا نَكَدًا مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْزِعُ مِنْ قُلُوبِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْحَزْنَ وَمَا شَاكَهُ.

وَمِنْهُ قَوْلُ طَرِيفِ بْنِ الْعَاصِي [الطَّوِيل]:

وَإِنَّ كَلَامَ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ ❀❀ لَكَائِبِلٌ تَهْوِي لَيْسَ فِيهَا نِصَالُهَا

وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: وَلَا يُشْتَقُّ مِنْ "الْكُنْهِ" فِعْلٌ، وَقَوْلُهُمْ: "لَا يَكْتَنِيهِ الْوَصْفُ" بِمَعْنَى لَا يَبْلُغُ كُنْهَهُ هُوَ كَلَامٌ مُؤَلَّدٌ، صَحَّحَهُ الْأَزْهَرِيُّ وَغَيْرُهُ.

قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الرَّحْمِيُّ (فَأَجَبْتُكَ) أَيُّهَا الْمُرِيدُ إِلَى طَلَبِكَ بِكِتَابَةِ مَا لَا بُدَّ لِلْمُرِيدِ مِنْهُ (فِي هَذِهِ الْأُورَاقِ) الْقَلِيلَةَ الْعَدَدِ التَّفْصِيلَةِ الْفَوَائِدِ (وَاللَّهُ) عَزَّ وَجَلَّ هُوَ (الْمَوْفِّقُ) أَيُّ مُوجِدِ التَّوْفِيقِ فِي الْمَوْفِّقِ مِنْ عِبَادِهِ، وَالتَّوْفِيقُ هُوَ خَلْقُ الْقُدْرَةِ فِي الْعَبْدِ عَلَى الطَّاعَةِ وَضَدُ ذَلِكَ الْخِذْلَانُ، وَهَذَا هُوَ قَوْلُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَقَدْ خَالَفَتِ الْمُعْتَزَلَةُ فِي ذَلِكَ فَقَالَتْ: التَّوْفِيقُ خَلْقُ لُطْفٍ يَعْلَمُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الْعَبْدَ يُؤْمِنُ عِنْدَهُ وَالْخِذْلَانُ امْتِنَاعُ ذَلِكَ، ثُمَّ يَجِبُ عِنْدَ الْمُعْتَزَلَةِ عَلَى أَصْلِهِمْ هَذَا مَفَاسِدُ كَثِيرَةٌ مِنْهَا قَوْلُهُمْ إِنَّهُ يَجِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَفْعَلَ أَقْصَى مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ اللَّطْفِ

لَا رَبَّ غَيْرُهُ.

اعْلَمْ أَيُّهَا الْمُرِيدُ وَقَفَّكَ اللَّهُ وَإِيَّانَا لِمَطَاعَتِهِ وَاسْتَعْمَلْنَا وَإِيَّاكَ بِمَا يُرْضِيهِ، أَنَّ الْقُرْبَ
مِنَ اللَّهِ.....

بَعِيدِهِ حَتَّى يُطِيعُوهُ، وَهَذَا كُفْرٌ وَضَلَالٌ مُبِينٌ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ وَتَنَزَّ عَنْهُمَا
كَبِيرًا وَتَنَزَّهَا عَظِيمًا، فَالْحَلَقُ مَرْبُوبُونَ لَهُ مَقْهُورُونَ فَهُوَ رَبُّهُمْ وَ(لَا رَبَّ) لَهُمْ خَالِقًا
مُدَبِّرًا (غَيْرُهُ) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(اعْلَمْ أَيُّهَا الْمُرِيدُ) الْوُصُولَ إِلَى رِضَا اللَّهِ تَعَالَى (وَقَفَّكَ اللَّهُ) تَعَالَى (وَإِيَّانَا لِمَطَاعَتِهِ)
وَهِيَ الْإِثْمَارُ بِأَوَامِرِهِ وَالْإِنْتِهَاءُ بِنَوَاهِيهِ (وَاسْتَعْمَلْنَا) أَيِ جَعَلْنَا عَامِلِينَ (وَإِيَّاكَ
بِمَا يُرْضِيهِ) لَا بِمَا يُغْضِبُهُ، وَقَدْ رَوَى ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» وَالتِّرْمِذِيُّ فِي
«الْجَامِعِ» وَأَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» وَغَيْرُهُمْ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ
قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ»، فَقِيلَ: وَكَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ يَا رَسُولَ
اللَّهِ؟ قَالَ: «يُوفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ» أَيِ حَتَّى يَمُوتَ الْعَبْدُ عَلَى التَّوْبَةِ
وَالْعِبَادَةِ فَيَكُونَ لَهُ حُسْنُ الْخَاتِمَةِ. قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

(أَنَّ الْقُرْبَ) الْمَعْنَوِيَّ (مِنَ اللَّهِ) تَعَالَى هُوَ الْقُرْبُ مِنْ رِضَاهُ بِالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ
وَالْبُعْدَ عَنْ سَخَطِهِ بِاجْتِنَابِ الْمَعْصِيَةِ، أَمَّا الْقُرْبُ الْمَسَافِيُّ فَمُسْتَحِيلٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى

لَا يُعْلَمُ إِلَّا بِتَعْرِيفِهِ إِيَّانَا بِذَلِكَ وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ فَأَرْسَلَ الرَّسُلَ

لأنه تبارك وتعالى موجودٌ أزلاً وأبداً بلا مكانٍ ولا جهةٍ، وأما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ ٨ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ فقد روى مسلمٌ في «صحيحه» عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إِنَّمَا ذَاكَ جِبْرِيلُ ﷺ، كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرِّجَالِ، وَإِنَّهُ أَتَاهُ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ فِي صُورَتِهِ الَّتِي هِيَ صُورَتُهُ الْحَقِيقِيَّةُ فَسَدَّ أَفُقَ السَّمَاءِ» وليس معنى هاتين الآيتين أَنَّ الله دنا مِنَ الرَّسُولِ ﷺ حَتَّى قَرَّبَ مِنْهُ بِالْمَسَافَةِ قَدْرَ ذِرَاعَيْنِ أَوْ أَقَلَّ بَلِ اعْتِقَادُ ذَلِكَ تَكْذِيبٌ لَشَرِيعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْمَعْنَى الصَّحِيحُ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿دَنَا﴾ مِنْ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿فَتَدَلَّى﴾ فِي دُنُوهِ مِنْهُ ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ أَيِ ذِرَاعَيْنِ ﴿أَوْ أَدْنَى﴾ أَيِ بَلِ أَقْرَبَ، وَهَنَّاكَ ظَهَرَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَلَى هَيْئَتِهِ الْأَصْلِيَّةِ وَلَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ، كُلُّ جَنَاحٍ يَسُدُّ مَا بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ مِنَ الْأَفُقِ.

و(لَا يُعْلَمُ) ذَلِكَ (إِلَّا بِتَعْرِيفِهِ) أَيِ تَعْرِيفِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (إِيَّانَا بِذَلِكَ) السَّبِيلَ الْمَوْصِلَ إِلَى رِضَاهُ (وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ) رَبُّنَا وَقِضَاهُ (وَلِلَّهِ الْحَمْدُ) وَالْمِنَّةُ (وَالشُّكْرُ) وَالْمَجْدُ وَالثَّنَاءُ.

(فَ)لَقَدْ (أَرْسَلَ) اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (الرُّسُلَ) أَيِ الْأَنْبِيَاءِ الْكَرَامِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِيَدْعُوا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ وَأَنْ لَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَأَنْ

وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ وَأَوْضَحَ السُّبُلَ الْمُوصِلَةَ إِلَى السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ.....

يَعْمَلُوا بِتَعَالِيمِ الشَّرِيعَةِ الْغَرَاءِ فَيُؤَدُّوا الْوَاجِبَاتِ وَيَجْتَنِبُوا الْمَحْرَمَاتِ، وَعَلَى هَذَا النَّهْجِ جَاءَ كُلُّ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

(وَقَدْ أَنْزَلَ) اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (الْكِتَابَ) السَّمَاوِيَّةَ الْمُبَارَكَةَ عَلَى بَعْضِ أَنْبِيَائِهِ، فَقَدْ رَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِائَةً وَأَرْبَعَةَ كُتُبٍ مِنَ السَّمَاءِ أَوْدَعَ عُلُومَهَا أَرْبَعَةً مِنْهَا: التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ وَالْفُرْقَانَ، ثُمَّ أَوْدَعَ عُلُومَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ الْفُرْقَانَ» الْحَدِيثُ. وَرَوَى أَيْضًا فِي «السُّنَنِ الْكُبْرَى» مِنْ حَدِيثِ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «نَزَلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَتْ التَّوْرَةُ لِسِتِّ مَضْيَنٍ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الْإِنْجِيلُ لِثَلَاثِ عَشْرَةٍ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الزَّبُورُ لِثَمَانِ عَشْرَةٍ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَالْقُرْآنُ لِأَرْبَعِ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ».

وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْكُتُبَ السَّمَاوِيَّةَ مِنْ قَبْلِ الْقُرْآنِ جُمْلَةً، أَمَّا الْقُرْآنُ فَقَدْ نَزَلَ مُفَرَّقًا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي ثَلَاثِ وَعِشْرِينَ سَنَةً.

(وَقَدْ أَوْضَحَ) اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ (السُّبُلَ) جَمْعُ سَبِيلٍ أَيْ الطُّرُقَ (الْمُوصِلَةَ) مَنْ سَلَكَهَا (إِلَى السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ) الَّتِي لَا تَنْتَهِي وَذَلِكَ فِي الْجَنَّةِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ تَعَالَى

فَأَمَّا وَصَدَّقْنَا وَمَا بَقِيَ إِلَّا اسْتِعْمَالُ مَا وَقَعَ بِهِ الْإِيمَانُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَتَقَرَّرَ فِي
نُفُوسِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ وَضْعِ الشَّرْعِ فِي مُحَلِّهِ.

لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ جَزَاءً بِمَا عَمِلُوا فِي الدُّنْيَا مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُودُوا
أَنْ تَلِكُمُ الْجَنَّةُ الَّتِي أَوْثَرْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وَالْإِرْشَادُ إِلَى صَوَابِ السَّبِيلِ هُوَ دَأْبُ
جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ أَيَّ بَيْنًا لِلْإِنْسَانِ طَرِيقَ
الْجَنَّةِ وَعَرَفْنَاهُ سَبِيلَهَا، وَلَيْسَ طَرِيقُ الْجَنَّةِ إِلَّا مُسْتَقِيمًا لِأَنَّهُ إِخْلَاصُ مَا يُوَدِّي إِلَيْهِ
مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَطَاعَتِهِ، وَمَا عَدَى ذَلِكَ الطَّرِيقَ خَلِيطٌ، وَالتَّخْلِيطُ لَيْسَ
بِمُسْتَقِيمٍ، فَذَلِكَ يَدْعُو الْإِنْسَانَ بِأَنْ يَثْبِتَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُسْتَقِيمِ مِنَ السُّبُلِ
وَيُكْرِّرَ ذَلِكَ فِي الْفَاتِحَةِ مِنَ الصَّلَوَاتِ ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أَيَّ ثَبَّتْنَا عَلَيْهِ
بَعْدَ أَنْ هَدَيْتَنَا إِلَيْهِ.

(فَأَمَّا) بِاللَّهِ تَعَالَى (وَصَدَّقْنَا) بِدِينِهِ وَمَا أُنْزَلَ عَلَى أَنْبِيَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَأَدْعَانَا
بِمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ (وَمَا بَقِيَ) لَنَا بَعْدَ الْإِعْتِقَادِ وَالْإِذْعَانِ وَالتَّصَدِيقِ
وَالْإِقْرَارِ (إِلَّا اسْتِعْمَالُ) أَيَّ تَوْظِيفُ عَمَلِ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ عَلَى مُقْتَضَى (مَا وَقَعَ
بِهِ الْإِيمَانُ مِنَ الْأَعْمَالِ) الْوَاجِبَةِ وَالْمَنْدُوبَةِ شَرْعًا (و) وَفَاقًا لِمَا (تَقَرَّرَ) وَرَسَخَ (فِي
نُفُوسِ الْمُؤْمِنِينَ) إِذْعَانًا (مِنْ وَضْعِ الشَّرْعِ فِي مُحَلِّهِ) عَلَى مَا بَيَّنَّ الشَّارِعُ وَأَرَادَ.

ثُمَّ يَجِبُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمُرِيدُ تَوْحِيدُ خَالِقِكَ وَتَنْزِيهُهُ عَمَّا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

تَوْحِيدُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

(ثُمَّ) إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ (يَجِبُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمُرِيدُ تَوْحِيدُ) اللَّهِ تَعَالَى (خَالِقِكَ) وتوحيده تعالى هو أن لا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ (وَ) يَجِبُ عَلَيْكَ (تَنْزِيهُهُ) أي تبيعه في وصفك له عن أوصاف البشر وتقديسه (عَدَنُ كُلِّ) مَا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (مِنَ الْأَوْصَافِ وَالْأَسْمَاءِ):

١. فَيَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ تَعَالَى الْعَدَمُ وَيَجِبُ لَهُ الْوُجُودُ.
٢. وَيَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الشَّرِيكُ فِي ذَاتِهِ أَوْ صِفَاتِهِ أَوْ أَعْمَالِهِ أَوْ جَمِيعِ ذَلِكَ وَيَجِبُ لَهُ الْوَحْدَانِيَّةُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ.
٣. وَيَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْحُدُوثُ وَالْمَبْدَأُ وَيَجِبُ لَهُ الْقِدَمُ أَيِ الْأَزَلِيَّةُ بِمَعْنَى أَنَّهُ لَا مَبْدَأَ لَهُ وَلَا مُفْتَتَحَ.
٤. وَيَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْفَنَاءُ وَالزَّوَالُ وَيَجِبُ لَهُ الْبَقَاءُ وَالْأَبَدِيَّةُ وَالْدَيْمُومِيَّةُ.
٥. وَيَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْاِحْتِيَاجُ إِلَى الْغَيْرِ مِنْ مُعَيَّنٍ أَوْ ظَهِيرٍ أَوْ شَرِيكِ أَوْ وَزِيرٍ كَمَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْاِنْتِفَاعُ بِذَوَاتِ خَلْقِهِ أَوْ صِفَاتِهِمْ أَوْ أَعْمَالِهِمْ بَلْ يَجِبُ لَهُ الْقِيَامُ

.....
بالتَّنَفُّسِ أَيِ الاسْتِغْنَاءِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ بَلْ كُلُّ مَا عَدَاهُ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ وَمُحْتَاجٌ،
وَهُوَ جَلٌّ وَعَزٌّ لَا يَفْتَقِرُ إِلَى أَحَدٍ.

٦. وَيَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ أَنْ يُشَبِّهَ شَيْئًا مِنْ خَلْقِهِ أَوْ يُشَبِّهَهُ شَيْءٌ مِنْهُمْ ذَاتًا أَوْ صِفَةً أَوْ
فِعْلًا بَلْ يَجِبُ لَهُ الْمُخَالَفَةُ لِلْحَادِثَاتِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ، لِأَنَّ الْمُتَمَاثِلَاتِ تَسْتَوِي
فِيمَا يَجِبُ لَهَا مِنَ الْحُدُوثِ وَفِيمَا يَجُوزُ عَلَيْهَا مِنَ التَّغْيِيرِ وَمَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهَا
مِنَ الْأَزَلِيَّةِ بِمَعْنَى عَدَمِ الْإِبْتِدَاءِ، أَمَّا اللَّهُ تَعَالَى فَيَجِبُ لَهُ الْوُجُودُ الْأَزَلِيُّ
وَيَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ التَّغْيِيرُ.

٧. وَيَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ تَعَالَى الْعَجْزُ وَيَجِبُ لَهُ الْقُدْرَةُ التَّامَّةُ الَّتِي بِهَا يُؤَثِّرُ فِي الْحَادِثَاتِ
إِيجَادًا وَإِعْدَامًا، أَمَّا الْقِسْمَانِ الْآخِرَانِ: الْوَاجِبُ الْوُجُودِ وَهُوَ اللَّهُ وَصِفَاتُهُ،
وَالْمُسْتَحِيلُ الْعَقْلِيُّ كَوُجُودِ شَرِيكِ لِلَّهِ، فَكِلَاهُمَا - أَعْنِي الْوَاجِبَ وَالْمُسْتَحِيلَ
الْعَقْلِيَّينَ - لَا تَعْلُقُ لِلْقُدْرَةِ بِهِمَا لَا عَنْ قُصُورٍ فِي الْقُدْرَةِ وَوُضُوعٍ فِيهَا.

٨. وَيَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ مَغْلُوبًا لِأَحَدٍ أَوْ أَنْ يَوْجَدَ شَيْءٌ مِنَ الْحَادِثَاتِ
بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ فَيَجِبُ لَهُ تَعَالَى الْإِرَادَةُ الْأَزَلِيَّةُ. وَيُؤْخَذُ مِنْ وُجُوبِ الْإِرَادَةِ لَهُ عَزٌّ
وَجَلٌّ أَنَّ وُجُودَ الْمَخْلُوقَاتِ لَيْسَ بِطَرِيقِ التَّعْلِيلِ وَلَا بِطَرِيقِ الطَّبْعِ كَمَا تَقُولُ
الْفَلَسَفَةُ الْمَلَا حِدَةً.

يعنون بالوجود بطريق التعليل ما يُوجد بوجودِ علته من غير توقُّفٍ على أمرٍ
آخر، كحركة الإصبع فإنها علّةٌ لحركة الخاتم تُوجد متى وُجدت، ولهذا كَفَر
أولئك الفلاسفة بقولهم: "الله علّة وجود العالم"، وتبعهم على هذه التسمية
بعض المتصوّفة الرنادقة الذين قالوا عن الله "علّة العِلل" والعياذُ بالله تعالى.
وقد قال رُكنُ الإسلام عليّ السُّعدي رحمه الله: "مَن سَمَى اللهَ علّةً أو سبباً
كَفَر" اهـ.

ويعني الفلاسفة بالوجود بطريق الطّبع ما يتوقّف على شرطٍ وانتفاء مانعٍ
كالتار فإنها لا تُحرق إلا بشرطِ المُماسّة للممسوس وانتفاء البَلل كحرقها
الحطب الذي تُصيبه ولا بَلل فيه، فالتار عند الطبايعيين يُحرق بطبيعتها لا
يُخلق الله الإحراق فيها، والعياذُ بالله تعالى.

والحقُّ أنّ الله تعالى يخلق الإحراق في الحطب عند مُماسّته النار كما يخلق
حركة الخاتم عند وجود حركة الإصبع.

وقد نقل الإجماع على تكفير القائلين بالطبع وبالعلّة - دون إيجاد الخالق
لذلك - الشيخ أحمد العدويّ الأشعريّ المشهور بالدردير في منظومته «الحرّيدة
البيّهية» فقال:

.....
وَمَنْ يَقُلْ بِالطَّبْعِ أَوْ بِالْعِلَّةِ ❀❀ فَذَاكَ كُفْرٌ عِنْدَ أَهْلِ الْمِلَّةِ

٩. ويستحيل عليه تعالى البَكمُ وَيَجِبُ له الكلامُ الأزليُّ الأبديُّ الذي لا يُشبهه كلامُ أَحَدٍ مِنَ العالمين، فكلامه تعالى ليس حرفاً ولا صوتاً ولا لغةً ولا هو مُبتدأٌ ولا مُختتمٌ ولا متجزئٌ ولا مُتبعضٌ ولا مُتعاقبٌ ولا مُتلاحقٌ ولا مُتقطعٌ.

١٠. ويستحيل عليه تعالى الصَّمَمُ وَيَجِبُ له السَّمْعُ وهو صفةٌ أزليَّةٌ أبديَّةٌ له عزَّ وجلَّ يَسْمَعُ بها جميعَ المسموعاتِ مِنْ غيرِ أَذُنٍ وصماخينِ والتواءِ غَضاريفَ وانسِلالِ هواءٍ في تجويفٍ، بل سَمْعُهُ تعالى لا يُشبهه سَمْعَ غيره.

١١. ويستحيل عليه تعالى العَمَى وَيَجِبُ له البَصَرُ وهو صفةٌ أزليَّةٌ أبديَّةٌ له عزَّ وجلَّ يَرى بها جميعَ المُبصراتِ مِنْ غيرِ حَدَقَةٍ ولا ءالَةٍ أُخرى.

١٢. ويستحيل عليه تعالى الجهلُ، فهو العالمُ بكُلِّ ما كان وما يكونُ وما سيكونُ وما لا يكونُ أَنْ لو كان كيفَ يكونُ، فهو تعالى مُتَّصِفٌ بصفةِ العلمِ وهي صفةٌ أزليَّةٌ أبديَّةٌ له عزَّ وجلَّ يَعْلَمُ بها جميعَ المعلوماتِ.

فَأَمَّا تَوْحِيدُهُ فَلَوْ تَمَّ إِلَهٌ ثَانٍ مَعَ اللَّهِ لَأَمْتَنَعَ وَقُوعُ الْفِعْلِ مِنَ الْإِلَهَيْنِ لاختلاف

١٣. ويستحيل عليه تعالى الموت ويجب له الحياة، فهو تعالى موصوف بالحياة وهي صفة أزلية أبدية له عز وجل، وليس معنى الحياة في حقه تعالى ما يقوله الملاحدة الطبايعيون من قوة الحس أو قوة التغذية أو غير ذلك ولا ما يقوله الفلاسفة وأبو الحسين البصري من المعتزلة من أن معنى حياته تعالى كونه يصح أن يعلم ويقدر، بل القدرة صفة له تعالى والعلم صفة له والحياة صفة ثابتة له تقتضي صحة اتصافه تعالى بالعلم والقدرة والإرادة الأزلية.

فهذه الصفات الثلاث عشرة قد أجمعت الأمة عليها، ويجب على كل مكلف عينا معرفتها ولا يجب حفظ ألفاظها على كل فرد من المكلفين بل ذلك من فروض الكفاية، والدليل على وجوب معرفتها قطعي يفهم من قول الله عز وجل: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ﴾، وهو أمر اتفق عليه أهل السنة الأشاعرة والماتريدية.

دلالة التمانع في نفي وجود شريك لله

ثم تطرق الشيخ محيي الدين رحمه الله إلى إيراد دلالة تمانع وجود إلهين اثنين إنما هو الله إله واحد فقال: (فَأَمَّا تَوْحِيدُهُ) تعالى (ف) دليله عقلا أنه (لَوْ تَمَّ) أي لو كان (إِلَهُ ثَانٍ مَعَ اللَّهِ) كما تقول الثنوية المشركة (لَأَمْتَنَعَ) عقلا (وَقُوعُ الْفِعْلِ) أي صدور خلقا وإيجادا (مِنَ الْإِلَهَيْنِ) المزعوم وجودهما معا وذلك (لاختلاف

الإِرَادَاتِ وَجُودًا وَتَقْدِيرًا وَفَسَادِ النَّظَامِ وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَٰهَةٌ إِلَّا
ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].....

الإِرَادَاتِ) أَي لِتَضَادِّ مُرَادِيهِمَا (وُجُودًا) أَي إِيجَادًا وَإِعْدَامًا (و) لِتَضَادِّ مُرَادِيهِمَا
(تَقْدِيرًا) أَيضًا (و) لِمَا يَتَرْتَّبُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ (فَسَادِ النَّظَامِ) لِإِفْضَاءِ اجْتِمَاعِ
الإِرَادَتَيْنِ الْمُتَضَادَّتَيْنِ إِلَى اجْتِمَاعِ الْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ فِي الْمَحَلِّ الْوَاحِدِ وَوُجُودِ الْجَرَمِ
وَعَدَمِهِ فِي عَيْنٍ وَاحِدٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمُحَالَاتِ (وَذَلِكَ) يُفْهَمُ مِمَّا جَاءَ بِهِ (قَوْلُهُ
تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَٰهَةٌ﴾) أَي لِلسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَيْنِ (﴿إِلَّٰهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾) يُدَبِّرُهُمَا
(﴿لَفَسَدَتَا﴾) أَي لِحَرْبَتَا وَمَا فِيهِمَا بِسَبَبِ مَا يُوْدِّي إِلَيْهِ التَّضَادُّ وَالِاخْتِلَافُ
الْمَزْعُومَانِ بَيْنَ الإِرَادَتَيْنِ مِنْ فَسَادِ نِظَامِ الْعَوَالِمِ، وَخَرَابِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ -
عَلَى مَا هُوَ الْمُتَبَادِّرُ إِلَى الْفَهْمِ مِنْ لَفْظِ الْخَرَابِ - هُوَ انْخِلَالُ التَّرَكِيبِ وَانْفِصَالُ
أَجْزَاءِ التَّأْلِيفِ وَاخْتِلَالُ الْأَحْوَالِ، وَلَا يَخْفَى أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا هُمَا عَلَيْهِ
مِنْ تَأْلِيفٍ وَتَرْكِيبٍ غَيْرُ مُنَحَلٍّ وَلَا مُضْطَرَبٍّ، وَمَا عَلَيْهِ الْحَالُ مِنْ سَيْرِ الْكَوَاكِبِ
وَالْأَفْلَاقِ وَإِشْرَاقِ النُّجُومِ وَأُفُولِهَا وَصُعُودِهَا وَهُبُوطِهَا وَانْتِظَامِ الْفُصُولِ الْمُؤَقَّتَةِ
لِلْبُرُوجِ مَعْلُومَةِ الْحَرَكَةِ وَجَمِيعِ مَا يَوْجَدُ مِنَ الْآثَارِ الْعُلُويَّةِ وَالسُّفْلِيَّةِ عَلَى غَايَةِ
الِاعْتِدَالِ وَأَحْسَنِ النَّظَامِ مَا هُوَ فِي نَظَرِ الْعَاقِلِ الْمُتَفَكِّرِ إِلَّا دَلِيلٌ عَلَى صُنْعٍ وَتَدْبِيرٍ
خَالِقٍ حَيٍّ عَالِمٍ مُرِيدٍ قَادِرٍ لَا يُمَانِعُهُ أَحَدٌ وَلَا يُغَالِبُهُ وَلَا يُشَارِكُهُ وَلَا يُعِينُهُ، إِنَّمَا
هُوَ ٱللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ خَالِقٌ لَذَلِكَ كُلِّهِ وَمُدَبِّرٌ لَهُ.

الاستِدلالُ بالمَصنوعاتِ على وجودِ الصّانِعِ

وعاثرُ تدبِيرِ اللَّهِ المَصنوعاتِ ظاهرةٌ يَعْظُمُ علينا حصرُها وتضيُّقُ عن تَعَدادِها أعمارُنا ووجوهُ التفكُّرِ في ذلك كثيرةٌ منها:

١. فالسَّماءُ تزيَّنتْ بالأفلاكِ: فلَكَ فيهِ الكواكبُ الثابتةُ، وفلَكَ فيهِ الكواكبُ السَّيَّارةُ، ولكلِّ فلَكٍ استدارةٌ معلومةٌ ودَرجاتٌ محدودةٌ، ولكلِّ كوكبٍ فلَكٌ سَيرٌ معروفٌ مُنتظَمٌ، وللشَّمسِ والقمرِ من بينِ هذه الأجسامِ اختِصاصٌ بالضياءِ والنُّورِ ما لا نَرى لِغَيرِهما، فإذا كانتِ الشَّمسُ فوقَ بُقعةٍ مِنَ الأرضِ فذلك النَّهارُ حيثُ ضوءُها، وإذا كانتِ نائِيةً عن تلكَ النَّاحِيةِ مِنَ الأرضِ فذلك اللَّيْلُ.

٢. وفُصولُ السَّنَةِ بِمِثابَةِ ضابطٍ زَمَنِيٍّ لأنظِمةِ شَتَّى: فالشَّمسُ تَسيرُ سَيرًا مُقدَّراً لها معلوماً، فإذا تحرَّكت فوقَ وسطِ المعمورةِ مِنْ أوَّلِ بُرجِ الحَمَلِ إلى أن تَبْلُغَ عاخرَ الجوزاءِ فالزَّمانُ هُنالِكَ رَبيعٌ، وإذا تحرَّكت مِنْ أوَّلِ السَّرطانِ إلى أن تَبْلُغَ عاخرَ السُّنْبُلَةِ فالزَّمانُ صَيفٌ، وإذا تحرَّكت مِنْ أوَّلِ المِيزانِ إلى عاخرِ القوسِ فالزَّمانُ خَريفٌ، وإذا تحرَّكت مِنْ أوَّلِ الجُذْيِ إلى عاخرِ الحُوتِ فالزَّمانُ شِتاؤٌ.

.....
٣. والسَّحَابُ الْمُثْقَلُ بِالْمِيَاهِ: تَرَاهُ دُونَ السَّمَاءِ تَسُوْقُهُ الرِّيحُ ثُمَّ يَنْزِلُ مِنْهُ مَا يَنْزِلُ
ءَاكَامًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ [التَّبَا: ١٤] أَي مَاءٌ مُنْصَبًّا
بِتَتَابُجٍ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الْمَاءَ حَيَاةً لِلنَّاسِ وَعَامَّةَ الْحَيَوَانَاتِ وَلِلْأَرْضَيْنِ،
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ
كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحَجَّ: ٥] يَنْزِلُ الْمَاءُ مَطَرًا وَبَرَدًا، وَفِي كُلِّ مِنْهُمَا مَنْفَعَةٌ
وَفَائِدَةٌ مَخْصُوصَةٌ.

٤. وَالْجِبَالُ الشَّاهِقَاتُ فِي الْأَرْضِ: هِيَ لِلْأَرْضِ أَوْتَادٌ تَحُوطُهَا وَتَحْفَظُهَا مِنْ أَنْ
تَضْطَرِبَ بِأَهْلِهَا مِنْ ثِقَلِهِمْ وَحَرَكَتِهِمْ عَلَيْهَا، وَفِيهَا بَاطِنُ تِلْكَ الْجِبَالِ وَسُهُولِ
الْأَرْضِ الْمُنْبَسِطَةِ جَوَانِبُهَا مَعَادِنُ نَفِيسَةٌ كَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَأُخْرَى نَافِعَةٌ
كَالْحَدِيدِ وَالْثُّحَاسِ وَالرَّصَاصِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ كَالثُّورَةِ وَالزَّرْنِیْخِ وَالْمِلْحِ وَالتَّفْطِ
وَالْكِبْرِيتِ.

٥. وَالسُّهُولُ فِيهَا لِلْعِيشِ سُهولةٌ: فِيهَا الْمَسَاكِينُ مِنَ الْأَمْصَارِ وَالْقُرَى وَالْخُصُونِ
وغيرِهَا، وَبِهَا الْمَزَارِعُ وَالْمَغَارِسُ وَالْحَدَائِقُ، وَالزُّرُوعُ بِهَا أَصْنَافٌ وَالْغِرَاسُ
أَزْوَاجٌ، وَفِي كُلِّ صِنْفٍ وَزَوْجٍ مِنْهَا مَنْفَعَةٌ مَخْصُوصَةٌ.

٦. وذواتُ الأرواحِ أنواعٌ: فإذا تَأَمَّلَ الإنسانُ نَفْسَهُ عَلِمَ ما له مِنَ المَزِيَّةِ على جميعِ ذواتِ الأرواحِ في الأرضِ ورأى ما فيه مِنَ أماراتٍ تدُلُّ على تَدْبِيرِ مُدَبِّرٍ حَكِيمٍ وَصُنْعِ خَالِقٍ أَتَقَنَ صُنْعَهُ، فَإِنَّ الدَّوَابَّ وَإِنْ كَانَ لَهَا أَعْضَاءٌ وَجَوَارِحُ إِلَّا أَنَّ الَّذِي فِيهَا لَيْسَ كَهُوَ مِنَ الْإِنْسَانِ. وقد اخْتَصَّ الْإِنْسَانُ بِالْعَقْلِ وَالْبَيَانِ وتَوَصَّلَ بالتَّعَلُّمِ مِنْ أَبْنَاءِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ تَدْبِيرِ أُمُورِ المَعِيشَةِ الرَّئِيسَةِ وكَيْفِيَّةِ الْإِنْتِفَاعِ بِمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَوَابٍّ وَنَبَاتٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَتَيَسَّرَتْ لِلنَّاسِ أَصْنَافُ الطَّعَامِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَرَائِبِ وَالْفُرُشِ وَالْأَثَاثِ وَالذَّخَائِرُ وَالْأَمْوَالُ.

فكَيْفَ يَتَوَهَّمُ مَتَوَهَّمٌ أَنَّ تَكُونَ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُونَ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا فِيهِمَا قَدْ وُجِدَتْ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ بِدُونِ صَانِعٍ، فَلَمْ يُوَجَدْ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ إِلَّا بِصُنْعِ اللَّهِ الْخَالِقِ الْحَكِيمِ الْقَادِرِ الْقَوِيِّ الَّذِي لَيْسَ جِسْمًا وَلَا يُشَبِّهُهُ جِسْمٌ وَلَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ الْأَجْسَامِ، وَكَيْفَ يُشَبِّهُهَا وَهُوَ تَعَالَى خَالِقُهَا وَمُوجِدُهَا وَهُوَ الَّذِي خَصَّهَا بِمَا هِيَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَوْصَافِ.

(وَلَا تَسْأَلْ) أَيِ "لَا تَسْأَلْ" عَلَى لُغَةِ الْحَذَفِ تَخْفِيفًا (يَا أُخَيَّ) هُوَ تَصْغِيرٌ لِلتَّحْنُ وَالتَّلَطُّفِ، فَتَصْغِيرُ اللَّفْظِ يَأْتِي عَلَى مَعَانٍ، مِنْهَا: التَّحْقِيرُ كَقَوْلِكَ فِي "رَجُلٍ": رَجُلٌ،

ولتقليل العدد كقولك في "دراهم": دُرَيْهَمَات، ولتقريب المسافة كقولك: "نزلنا دُونِ الْمَنْزِلَةِ"، وللتفخيم والتّهويل كقول الحُبَابِ بْنِ الْمُنْذِرِ: "أَنَا جُدَيْلُهَا الْمُحَكَّكُ، وَعُدَيْقُهَا الْمُرَجَّبُ".

والمراد هنا من "لا تَسَلْ" لا تُبَالِ (بِمَنْ أَشْرَكَ) بالله تعالى أي عبد غيره معه أو غيره من دونه، فإن صنفًا من المشركين كانوا في القديم يعبدون الأوثان ويقولون كما أخبر الله عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] أي قُرْبِي إِلَى اللَّهِ بِزَعْمِهِمْ، فَأَكْفَرَهُمُ اللَّهُ تعالى بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

التَّوَسَّلُ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ لَيْسَ شِرْكًَا

وليس التَّوَسَّلُ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ إِلَى اللَّهِ تعالى عِبَادَةً لِأَوْلِيَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ حَاشَا، إِنَّمَا هُوَ طَلَبٌ مِنَ اللَّهِ تعالى أَنْ يَسْتَجِيبَ دُعَاءَ الدَّاعِي بِبَرَكَةِ هَؤُلَاءِ الْمَرْضِيِّينَ عِنْدَهُ فَلَيْسَ هُوَ عِبَادَةً لَيْسَ لِغَيْرِ اللَّهِ كما ادَّعَتِ الْمُجَسِّمَةُ الْمَشْبِهُةُ الْوَهَابِيَّةُ تَبَعًا لَشَيْخِهِمْ مُحَمَّدُ بْنُ الْوَهَّابِ الْجَارِي عَلَى سَنَنِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ وَتَلْمِيزِهِ ابْنَ الْقَيِّمِ فِي تَكْفِيرِهِمْ مَنْ تَوَسَّلَ إِلَى اللَّهِ بِجَاهِ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ أَوْ وَلِيٍّ صَالِحٍ.

وَلَا تَحْتَاجُ إِلَى إِقَامَةِ دَلِيلٍ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ وَالْأَحَدِيَّةِ.....

فالتَّوَسَّل والاستغاثة بنبيٍّ أو وليٍّ جائزٌ أجمع عليه الصَّحابةُ الكرامُ رضي الله عنهم والتابعون وأئمةُ مذاهبِ المسلمين وجميعُ علمائهم قديمًا وحديثًا سواءً كان المتوسَّل به نبيًّا أو وليًّا حيًّا كان أو ميتًا، فالتَّوَسَّل والاستغاثة بهؤلاء إلى الله تعالى من أقوى الأسبابِ لاجتلابِ البركات ونزولِ الرَّحْمَات واستجابةِ الدَّعَوَات وقضاءِ الحاجات لقوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]، والوسيلة هي التَّوَسَّل والاستغاثة بإنسانٍ تقِيٍّ أو يعمل صالحًا.

والأدلة على جوازِ التَّوَسَّل كثيرةٌ جدًا منها الحديثُ الذي رواه الطبرانيُّ وصحَّحه والذي فيه أنَّ الرسولَ ﷺ علَّم الأعمى أن يتوسَّل به، فذهب الأعمى فتوسَّل به في حالة غيبته ﷺ وعادَ إلى مجلسِ النبيِّ وقد أبصرَ، وكانَ ممَّا علَّمه رسولُ الله أن يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي - وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ - لِتُقْضَى لِي». فهذا الحديثُ بطلَ زعمُ الوهابيةِ أنه لا يجوزُ التَّوَسَّل إلا بالحيِّ الحاضرِ، لأنَّ هذا الأعمى لم يكن حاضِرًا في المجلسِ حين توسَّل برسولِ الله ﷺ بدليلٍ أنَّ راويَ الحديثِ عثمانَ بن حنيفٍ قالَ لَمَّا رَوَى حديثَ الأعمى: «فَوَاللَّهِ مَا تَفَرَّقْنَا وَلَا طَالَ بِنَا الْمَجْلِسُ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْنَا الرَّجُلُ وَقَدْ أَبْصَرَ».

وَلَا تَحْتَاجُ إِلَى إِقَامَةِ دَلِيلٍ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ وَالْأَحَدِيَّةِ فَإِنَّ الْمُشْرِكَ قَدْ أَثْبَتَ وُجُودَ
الْحَقِّ تَعَالَى مَعَكَ.....

العالم دليل على وجود الله عز وجل

(وَلَا تَحْتَاجُ) أَيُّهَا الْمُرِيدُ (إِلَى إِقَامَةِ) وَنَصِبِ (دَلِيلٍ) عَقْلِي تَفْصِيلِي (عَلَى) وَجُوبِ
(الْوَحْدَانِيَّةِ وَالْأَحَدِيَّةِ) لِلَّهِ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَذَلِكَ لِأَمْرَيْنِ: لِيُضَوِّحَ الدَّلِيلُ
عَلَى ذَلِكَ وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ قَرِيبًا، وَلِكُونَ هَذَا الْمُشْرِكَ بِاللَّهِ مُعْرِضًا عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ فَلَنْ
يَسْمَعَ سَمَاعَ قَبُولٍ مِنْكَ مَهْمَا بَيَّنْتَ لَهُ، فَأَعْرِضْ عَنْهُ وَاشْتَغِلْ بِمَا يَنْفَعُكَ مِنْ تَعْلِيمِ
مَنْ يَقْبَلُ مِنْكَ الْعِلْمَ مُقْبِلًا عَلَى أَمْرِ نَفْسِكَ وَالِاسْتِعْدَادِ لِآخِرَتِكَ (فَإِنَّ الْمُشْرِكَ)
الْمُعَانِدَ وَإِنْ امْتَنَعَ عَنِ الْإِقْرَارِ بِلِسَانِهِ وَعَنِ الْإِيمَانِ بِقَلْبِهِ بِوُجُودِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ
عَابِدًا مَعْبُودَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنَّهُ (قَدْ أَثْبَتَ) وَجُودَهُ (وُجُودَ) اللَّهِ (الْحَقِّ تَعَالَى) مُقَرَّرًا
(مَعَكَ) وَجُودًا وَإِنْ لَمْ يَقَرَّرْ لِسَانًا وَقَلْبًا إِلَّا أَنَّ وَجُودَهُ دَلِيلٌ عَلَى وَجُودِ اللَّهِ، وَذَلِكَ أَنَّ
وُجُودَ الْعَالَمِ عِلَامَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى وَجُودِ الْخَالِقِ الصَّانِعِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قَالَ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ﴾ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ ﴿إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ تَعَالَى حَالًا أَوْ حَالًا وَمَقَالًا
﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ فَالْجَمَادَاتُ تَدُلُّ فِي حَالِهَا عَلَى وَجُودِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
فَكَأَنَّهُا تَقُولُ: "سُبْحَانَ مَنْ أَوْجَدَنِي"، وَيَجُوزُ عَقْلًا تَسْبِيحُ الطَّيْرِ مِنَ الْحَيَوَانِ كَمَا
دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَفَقَاتٍ كُلُّ قَدْ

عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴿١﴾، وَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ فِي آيَةٍ أُخْرَى وَعَلَى تَسْبِيحِ الْجَمَادِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَجِبَالٌ أَوْبَى مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾، وَدَلَّ عَلَى تَسْبِيحِ الْجَمَادِ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مَتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾، وَقَالَ أَيْضًا: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْجَبَارَةِ لَمَّا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَنْشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَنْهَبُطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾، وَأَعَمَّ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾.

قال القاضي أبو بكر محمد بن العربي المعافري المالكي في «أحكام القرآن»: "كُلُّ عَاقِلٍ يَعْلَمُ أَنَّ الْكَلَامَ فِي الْآدَمِيِّينَ عَرَضٌ يَخْلُقُهُ اللَّهُ فِيهِمْ، وَلَيْسَ يَفْتَقِرُ الْعَرَضُ إِلَّا لَوْجُودِ جَوْهَرٍ أَوْ جِسْمٍ يَقُومُ بِهِ خَاصَّةً، وَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشُّرُوطِ فَإِنَّمَا هِيَ عَادَةٌ، وَلِلْبَارِئِ تَعَالَى نَقْضُ الْعَادَةِ وَخَرْقُهَا بِمَا شَاءَ مِنْ قُدْرَتِهِ لِمَنْ شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ وَبَرِيَّتِهِ، وَلِهَذَا حَنَّ الْجَذْعُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسَبَّحَ الْحَصَى فِي كَفِّهِ وَكَفَّ أَصْحَابِهِ، وَكَانَ بِمَكَّةَ حَجْرٌ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ، وَكَانَتِ الصَّحَابَةُ تَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ بِبَرَكَتِهِ ﷺ وَلَمْ يَكُنْ لَذَلِكَ كُلُّهُ هَيْئَةً وَلَا وَجِدَتْ لَهُ رُطُوبَةٌ وَلَا بِلَّةٌ" اهـ.

ثُمَّ هَذَا الْمُشْرِكُ بِاللَّهِ (وَ) إِنْ كَانَ قَدْ (زَادَ) بِالْقَوْلِ الْبَاطِلِ (عَلَيْهِ) أَيِ عَلَى اللَّهِ (الشَّرِيكَ) بِإِضَافَتِهِ إِلَيْهِ وَنَسَبَتِهِ لَهُ إِلَّا أَنَّ قَوْلَهُ لَا وَزْنَ لَهُ وَلَا تِلْفَاتَ إِلَيْهِ لِمُخَالَفَتِهِ

فَعَلَيْهِ الدَّلِيلُ عَلَى مَا زَادَ وَيَكْفِيكَ هَذَا فِي التَّوْحِيدِ، فَإِنَّ الْوَقْتَ عَزِيزٌ وَالْعَقْدُ سَالِمٌ

العقل والنقل، وقد أبطننا مقالة المشركين بدلالة التمانع قريباً، (ف) هذا المُشْرِكُ ليس له حَقٌّ يَسْتَنْدُ إِلَيْهِ بل هو وَهْمٌ مِنْهُ فَاسِدٌ سَاقِطٌ هو بسقوطه وإن قيل: (عَلَيْهِ) أي هذا المُشْرِكُ (الدَّلِيلُ عَلَى مَا) ادَّعَاهُ (وَزَادَ)هُ زُورًا فهو خَارِجٌ مَخْرَجَ التَّكْيِيتِ لَهُ لِإِفْحَامِهِ لَا لِاسْتِدْرَاجِهِ لِيُقَرَّرَ بِالْبَاطِلِ أَوْ يَنْطَقَ بِالْكَفْرِ، وَلَا دَلِيلَ لِهَذَا الْمُشْرِكِ عَلَى مَا زَعَمَ وَلَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى مَا ادَّعَى، وَعَلَى نَحْوِ ذَلِكَ يُحْمَلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ بِدَلِيلِ تَكْمِلَةِ الْآيَةِ فِيمَا بَعْدُ ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

(وَيَكْفِيكَ هَذَا) فِي الْاسْتِدْلَالِ (فِي) الْعَقْلِيَّاتِ فِي أُمُورِ (التَّوْحِيدِ، فَإِنَّ الْوَقْتَ عَزِيزٌ) فَاصْرِفْهُ فِي الْأَوَّلَى وَالْأَهَمِّ وَاشْتَغِلْ فِي تَحْصِيلِ مَا لَا بُدَّ لَكَ مِنْهُ مِنْ عُلُومِ الدِّينِ لَا سِيَّمَا فِي التَّوْحِيدِ فَإِنَّ أَبْوَابَهُ كَثِيرَةٌ وَأُصُولُهُ مُقَدِّمَةٌ وَفُرُوعُهُ مُهِمَّةٌ (وَ)إِنَّ (الْعَقْدَ) أَيِ الْإِعْتِقَادَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ (سَالِمٌ) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ وَقْتُ إِلَّا لِتَحْصِيلِ الْفَرْضِ الْعَيْنِيِّ مِنَ الْعِلْمِ فَاشْتَغِلْ بِذَلِكَ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ انْشَغَلُوا بِتَحْصِيلِ نَفَقَاتِهِمْ وَأُمُورِ دُنْيَاهُمْ فَلَمْ تَعُدِ الْهِمَمُ كَمَا كَانَتْ فِي عَهْدِ

وَالْمُخَالَفَ فِيهِ لَا عَيْنٌ مَوْجُودَةٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَأَمَّا تَنْزِيهُهُ فَهُوَ ءَاكُدُ عَلَيْكَ مِنْ أَجْلِ
الْمُشَبَّهَةِ وَالْمُجَسِّمَةِ

السَّلَفِ، فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ شُغِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ بِتَحْصِيلِ الدُّنْيَا بَدَلَ تَحْصِيلِ
الْعِلْمِ وَالتَّفَرُّغِ لَهُ (وَ) الْأَمْرُ (الْمُخَالَفَ فِيهِ) وَهُوَ ادِّعَاءُ الْمُشْرِكِ وَجُودَ شَرِيكِ اللَّهِ
(لَا عَيْنٌ مَوْجُودَةٌ) أَيِ لَا وُجُودَ لِهَذَا الشَّرِيكِ لِأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ الْوُجُودَ أَصْلًا، فَلَا يَجُوزُ
وُجُودُهُ شَرَعًا وَلَا عَقْلًا، وَالْمُخَالَفُ لَكَ فِيمَا خَالَفَكَ فِيهِ مِنَ التَّوْحِيدِ هَالِكٌ فِي
مُخَالَفَتِهِ وَدَلِيلُ أَهْلِ السُّنَّةِ ثَابِتٌ بِالتَّقْلِيلِ مُؤَيَّدٌ بِالْعَقْلِ (وَالْحَمْدُ لِلَّهِ) عَلَى ذَلِكَ.

بَيَانُ عَقَائِدِ الْمُشَبَّهَةِ وَالْمُجَسِّمَةِ

(وَأَمَّا تَنْزِيهُهُ) أَيِ تَنْزِيهِهِ اللَّهُ تَعَالَى وَتَقْدِيسُهُ عَمَّا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ (فَهُوَ ءَاكُدُ) أَشَدُّ
تَأَكِيدًا (عَلَيْكَ) لِإِنْحَائِيَّةِ إِقَامَةِ الدَّلِيلِ عَلَيْهِ (مِنْ أَجْلِ) فَتَنٍ وَشُبَّهِ (الْمُشَبَّهَةِ) أَيِ
الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ اللَّهَ تَعَالَى بِخَلْقِهِ (وَالْمُجَسِّمَةِ) الَّذِي يَصِفُونَ اللَّهَ بِالْجِسْمِيَّةِ أَوْ
بِصِفَاتِ الْجِسْمِ سِوَاءَ قَالُوا: "هُوَ جِسْمٌ" أَوْ قَالُوا: "هُوَ جِسْمٌ لَا كَالْأَجْسَامِ"،
وَالْمُجَسِّمَةُ فَرَّقَ ظَهَرَتْ قَدِيمًا وَلَمْ تَزَلْ مَوْجُودَةً إِلَى يَوْمِنَا هَذَا. فَمِنْ الْفِرَقِ الْقَدِيمَةِ:

١. الْهَشَامِيَّةُ: أَصْحَابُ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ، كَانُوا يَقُولُونَ بِالتَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ
وَيَقُولُونَ إِنَّ مَعْبُودَهُمْ جِسْمٌ لَهُ نِهَائِيَّةٌ وَحَدٌّ طَوِيلٌ عَرِيضٌ غَمِيقٌ وَأَنَّ طَوْلَهُ

.....
مثل عَرَضِهِ، وَأَوَّلُ مَنْ عُرِفَ مِنَ الْمُنتَسِبِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ الْقَائِلِينَ: "إِنَّ اللَّهَ جِسْمٌ" هُوَ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ.

٢. الْهِشَامِيَّةُ الْأُخْرَى: وَهُمْ أَصْحَابُ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ الْجَوَالِيقِيِّ، قَالُوا: "إِنَّ اللَّهَ عَلَى صُورَةِ إِنْسَانٍ"، وَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ لَحْمًا وَدَمًا، وَقَالُوا: "إِنَّهُ نُورٌ سَاطِعٌ يَتَلَأَلُ بَيَاضًا، وَذُو حَوَائِصَ خَمِيسٍ كَحَوَائِصِ الْإِنْسَانِ".

٣. الْيُونُسِيَّةُ: أَصْحَابُ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقُمِّيِّ، كَانَ لَهُ إِفْرَاطٌ فِي مَقَالَاتِ التَّشْبِيهِ، وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ، فَقَالَ: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى الْعَرْشِ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ"، وَهَذَا كُفْرٌ، وَتَشْبِيهُهُ فِي هَذَا فِرْقَةُ الْوَهَابِيَّةِ فِي عَصَرِنَا، وَزَعَمَتِ الْيُونُسِيَّةُ أَنَّ لِلَّهِ نِصْفًا أَعْلَى هُوَ مُجَوِّفٌ وَنِصْفًا أَدْنَى مُضْمَتٌ.

٤. الْبَيَانِيَّةُ: أَتْبَاعُ بَيَانَ بْنِ سَمْعَانَ الَّذِي قَالَ: "اللَّهُ عَلَى صُورَةِ إِنْسَانٍ وَيَفْقَى كُلُّهُ إِلَّا وَجْهَهُ، وَأَنَّ لِلَّهِ رُوحًا وَأَنَّهُ رُوحُهُ حَلَّتْ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ثُمَّ فِي ابْنِهِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ ثُمَّ فِي ابْنِهِ أَبِي هَاشِمٍ" وَهَذَا مِنْ أَبْشَعِ الْكُفْرِ.

٥. السَّبَّيَّةُ: أَتْبَاعُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَبَّاءٍ، وَهُمْ الَّذِينَ قَلَوْا لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: أَنْتَ أَنْتَ، قَالَ عَلِيٌّ: وَمَنْ أَنَا؟ قَالُوا: أَنْتَ الْخَالِقُ الْبَارِيُّ، فَاسْتَتَابَهُمْ عَلِيٌّ فَلَمْ يَرْجِعُوا، فَأَوْقَدَ لَهُمْ نَارًا صَخْمَةً وَأَحْرَقَهُمْ.

٦. الْمُغِيرِيَّةُ: أَتْبَاعُ مُغِيرَةَ بْنِ سَعِيدِ الْعِجْلِيِّ، كَانَ يَقُولُ: "اللَّهُ جِسْمٌ عِبَارَةٌ عَنْ صُورَةِ إِنْسَانٍ مِنْ نُورٍ عَلَى رَأْسِهِ تَاجٌ وَأَنْ لَهْتَ قَلْبًا هُوَ مَنْبَعُ الْحِكْمَةِ"، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ هَذَا الْكُفْرِ الشَّنِيعِ.

٧. الْمَنْصُورِيَّةُ: أَتْبَاعُ أَبِي مَنْصُورِ الْعِجْلِيِّ الَّذِي قَالَ: "إِنَّهُ صَعَدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلَى اللَّهِ وَإِنَّ اللَّهَ مَسَحَ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ بَلِّغْ عَنِّي" وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ مِنْ بَشَاعَةِ هَذَا الْكُفْرِ وَفَظَاعَتِهِ.

٨. الْخَطَّابِيَّةُ: أَتْبَاعُ أَبِي الْخَطَّابِ الْأَسَدِيِّ، كَانُوا يَقُولُونَ عَنْ زَعِيمِهِمْ إِنَّهُ إِلَهٌ وَيَدَّعُونَ أَنَّ الْأَيُّمَةَ ءَالِهَةٌ، وَكَانُوا يَسْتَحِلُّونَ شَهَادَةَ الزُّورِ لِمُوَافِقِهِمْ عَلَى مُحَالِفِهِمْ، وَاسْتَبَاحُوا الْمُحَرَّمَاتِ وَتَرَكُوا الْفَرَائِضَ.

٩. أَصْحَابُ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ: قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ جِسْمٌ لَهُ جُثَّةٌ وَهُوَ عَلَى صُورَةِ الْإِنْسَانِ لَهُ لَحْمٌ وَدَمٌ وَشَعْرٌ وَعَظْمٌ وَجَوَارِحُ وَأَعْضَاءٌ مِنْ يَدٍ وَرِجْلٍ وَرَأْسٍ وَعَيْنَيْنِ، وَقَالُوا: "وَهُوَ مَعَ هَذَا لَا يُشَبِّهُ غَيْرَهُ وَلَا يُشَبِّهُهُ غَيْرُهُ"، وَهَذَا الْأَخِيرُ يُشَبِّهُ مَقَالَاتِ الْوَهَابِيَّةِ الْمُجَسِّمَةِ.

١٠. الْكَرَّامِيَّةُ: يَتَّبِعُونَ مُؤَسَّسَهُمْ مُحَمَّدَ بْنَ كَرَّامِ السَّجِسْتَانِيِّ الَّذِي ذَهَبَ إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ الْمَعْبُودَ عَلَى الْعَرْشِ مُسْتَقَرٌّ وَأَنَّهُ بِجِهَةٍ فَوْقَ ذَاتَا، وَأُطْلِقَ عَلَيْهِ اسْمَ

الجوهر، وذلك كله كُفِّرَ. وزاد كُفِّرًا حيث قال ابن كرام: "إن الله مُمَّسٌّ للعرش من الصَّفحة العليا" وجَوَّزَ عَلَيْهِ الانتِقَالَ والتَّحَوُّلَ والنُّزُولَ على الحَقِيقَةِ. وقال بعضُ أتباعه: "إنَّ الله مُسْتَقَرٌّ على بعضِ أجزاءِ العرش"، ومنهم من قال: "امتلاً به العرش"، ثُمَّ صَارَتِ الفِرْقَةُ الأَخِيرَةُ مِنْهُمْ إلى القولِ بأنَّه تَعَالَى مُحَازٍ للعرش، وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إلى القولِ بأنَّ الله جِسْمٌ لا كالأجسام، وَكُلُّ ذَلِكَ كُفِّرَ والعياذُ باللهِ تَعَالَى. وقد نَقَلَ صَاحِبُ «الْخِصَالِ» مِنَ الْحَنَابِلَةِ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جِسْمٌ لَا كَالْأَجْسَامِ كَفَرَ"، وَهَذَا مِنَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ تَكْفِيرٌ صَرِيحٌ لِلْمُجَسِّمِ، نَقَلَهُ الزَّرْكَشِيُّ فِي «تَشْنِيفِ الْمَسَامِعِ»، وَقَالَ الْكَمَالُ بْنُ الْهُمَامِ الْحَنْفِيُّ فِي «فَتْحِ الْقَدِيرِ»: "مَنْ قَالَ اللَّهُ جِسْمٌ لَا كَالْأَجْسَامِ كَافِرٌ".

بَيَانُ بَعْضِ وَجُوهِ التَّطَابُقِ بَيْنَ عَقَائِدِ الْوَهَابِيَّةِ الْمُجَسِّمَةِ وَبَيْنَ الْيَهُودِ

وَأَمَّا مُجَسِّمَةُ الْعَصْرِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ فَهُمْ الْوَهَابِيَّةُ أَتْبَاعُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ النَّجْدِيِّ التَّمِيمِيِّ الَّذِي جَرَى فِي كَثِيرٍ مِنْ أَصُولِهِ الْفَاسِدَةُ عَلَى سَنَنِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ الْحَرَّانِيِّ الْمُجَسِّمِ وَبَعْضُ أَتْبَاعِهِ كَابْنِ الْقَيْمِ، ثُمَّ إِنَّ النَّاضِرَ الْمُتَأَمِّلَ يَجِدُ أَوْجَهَ تَطَابُقٍ بَيْنَ عَقَائِدِ الْوَهَابِيَّةِ وَاعْتِقَادَاتِ الْيَهُودِ الْكُفْرِيَّةِ الْفَاسِدَةِ، مِنْهَا:

-
١. نِسْبَةُ الْيَهُودِ الْجُلُوسَ وَالْقُعُودَ وَالْإِسْتِقْرَارَ وَالثَّقَلَ وَالْوِزْنَ وَالْحَجْمَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مِنْ كُفْرِهِمْ، وَبِذَلِكَ تَقُولُ الْوَهَّابِيَّةُ.
 ٢. نِسْبَةُ الْيَهُودِ الْجِسْمِيَّةِ وَالصُّورَةَ وَالشَّكْلَ وَمَا يَتَّبِعُ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَبِذَلِكَ تَقُولُ الْوَهَّابِيَّةُ.
 ٣. نِسْبَةُ الْيَهُودِ الْوَجْهَ الْحَقِيقِيَّ الْجَارِحَةَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، وَبِذَلِكَ تَقُولُ الْوَهَّابِيَّةُ.
 ٤. نِسْبَةُ الْيَهُودِ الصَّوْتِ الْمَعْهُودَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَقَالَتِ الْوَهَّابِيَّةُ: "إِنَّ اللَّهَ يَتَكَلَّمُ بِحَرْفٍ وَصَوْتٍ" وَهُوَ كُفْرٌ.
 ٥. نِسْبَةُ الْيَهُودِ الْفَمَ وَاللِّسَانَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَبِذَلِكَ تَقُولُ الْوَهَّابِيَّةُ.
 ٦. نِسْبَةُ الْيَهُودِ التَّغْيِيرَ وَالْحُدُوثَ وَالْحَرَكَةَ وَالْإِرْتِفَاعَ وَالنُّزُولَ الْحِسِّيَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَبِذَلِكَ تَقُولُ الْوَهَّابِيَّةُ.
 ٧. نِسْبَةُ الْيَهُودِ الْيَدَ وَالسَّاعِدَ وَالذِّرَاعَ وَالْكَفَّ وَالْأَصَابِعَ جَوَارِحَ حَقِيقِيَّةً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَبِذَلِكَ تَقُولُ الْوَهَّابِيَّةُ.

الظَّاهِرِينَ فِي هَذَا الزَّمَانِ فَأَعْقِدْ عَلَى قَوْلِهِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشُّورَى: ١١]،
وَحَسْبُكَ هَذَا.

٨. نِسْبَةُ الْيَهُودِ الرَّجُلَ وَالْعَيْنَ الْجَارِحَتَيْنِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَبِذَلِكَ تَقُولُ الْوَهَابِيَّةُ.

٩. نِسْبَةُ الْيَهُودِ الْجِهَةَ وَالْحَيَزَّ وَالْمَكَانَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَبِذَلِكَ تَقُولُ الْوَهَابِيَّةُ.

١٠. نِسْبَةُ الْيَهُودِ الْوَصْفَ الْقَبِيحَ وَالتَّعْتِ الشَّنِيعَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ،
وَبِذَلِكَ تَقُولُ الْوَهَابِيَّةُ.

فَلْيُحَذَرْ مِنَ الْمُجَسِّمَةِ (الظَّاهِرِينَ فِي هَذَا الزَّمَانِ) يَعْنِي ابْنُ عَرَبٍ بِذَلِكَ زَمَانَهُ
الْقَرْنَ السَّادِسَ الْهَجْرِيَّ وَإِلَى يَوْمِنَا هَذَا فِي الْقَرْنِ الْخَامِسَ عَشَرَ الْهَجْرِيَّ.

التَّمَسُّكُ بِمَعْنَى الْآيَةِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾

(فَأَعْقِدْ) قَلْبَكَ أَيِ اثْبُتْ فِي تَصْمِيمِكَ وَاعْتِقَادِكَ (عَلَى) التَّمَسُّكِ بِمَعْنَى (قَوْلِهِ)

تَعَالَى فِي أَصْرَحِ آيَةٍ فِي تَنْزِيهِ اللَّهِ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشُّورَى:

[١١] وقد صَرَّحَ بِكَرَاهِيَّتِهَا بَعْضُ الْمُشَبِّهَةِ لِعَنَهُمُ اللَّهُ حَتَّى إِنَّ أَحَدَ الْوَهَابِيَّةِ فِي

هَذَا الْعَصْرِ قَالَ: "لَيْتَهَا لَمْ تَكُنْ فِي الْقُرْآنِ" وَالْعِيَادُ لِلَّهِ، وَذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ كَرَاهَتِهِ

لِلتَّنْزِيهِ وَلَا سِتْدَلَالٍ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ بِهَا عَلَى نَفْيِ الْجِسْمِيَّةِ وَلَوَازِمِهَا عَنِ اللَّهِ

تَعَالَى، فَلَا تَلْتَفِتْ إِلَى تَشْوِيشِ الْمُجَسِّمَةِ (وَحَسْبُكَ) أَيِ يَكْفِيكَ (هَذَا) النَّصُّ فِي

الرَّدِّ عَلَى الْمُجَسِّمَةِ الْمُشَبِّهَةِ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ.

فَكُلُّ وَصْفٍ يُنَاقِضُ هَذِهِ الْآيَةَ مَرْدُودٌ، وَلَا تَزِدْ وَلَا تَبْرَحْ مِنْ هَذَا الْمَوْطِنِ، لِذَلِكَ جَاءَ فِي السُّنَّةِ: «كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ».

(فَكُلُّ وَصْفٍ) يُورِدُهُ أَحَدٌ مِمَّا (يُنَاقِضُ هَذِهِ الْآيَةَ) الْكَرِيمَةَ حَقِيقَةً فَهُوَ (مَرْدُودٌ) أَمَّا النُّصُوصُ الْمُتَشَابِهَةُ الْقُرْآنِيَّةُ وَالْحَدِيثِيَّةُ الثَّابِتَةُ الَّتِي تُعَارِضُ فِي ظَاهِرِهَا النُّصُوصَ الْمُحْكَمَةَ فَلَا يَجُوزُ حَمْلُهَا عَلَى ظَاهِرِهَا بَلْ تُرَدُّ إِلَى الْآيَاتِ الْمُحْكَمَاتِ تَفْوِيزًا أَوْ تَأْوِيلًا.

(وَلَا تَزِدْ) فِي مُنَازَرَتِكَ الْمُجَسِّمَ عَلَى الْإِسْتِشْهَادِ بِهَذِهِ الْآيَةِ (وَلَا تَبْرَحْ مِنْ هَذَا الْمَوْطِنِ) أَيِ لَا تَتْرُكْ هَذَا الْمَكَانَ بَلِ الزَّمْ هَذَا الدَّلِيلَ تُقِيمُهُ عَلَيْهِمْ فِي الْحِجَاجِ (لِذَلِكَ جَاءَ فِي السُّنَّةِ) الثَّابِتَةِ: «كَانَ اللَّهُ» فِي الْأَزْلِ (وَلَا شَيْءَ) كَانَ (مَعَهُ) فَإِنَّ فِيهَا رَدًّا عَلَى ابْنِ تَيْمِيَّةٍ وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ فِي التَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ حِينَ جَعَلُوا الْعَرْشَ أَزَلِيًّا بَنُوْعِهِ وَجِنْسِهِ بِمَعْنَى أَنَّ الْعَرْشَ لَمْ يَزَلْ مَعَ اللَّهِ وَلَكِنْ عَيْنُهُ لَيْسَ دَائِمًا بَلْ يَتَجَدَّدُ كُلُّ عَيْنٍ بَعْدَ عَدَمٍ، نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ هَذَا الْكُفْرِ الشَّنِيعِ، وَقَدْ نَقَلَ ذَلِكَ عَنْهُ الْإِمَامُ جَلَالُ الدِّينِ الدَّوَّانِيُّ وَهُوَ مِنْ ثِقَاتِ الْعُلَمَاءِ كَمَا وَثَّقَهُ الْحَافِظُ السَّخَاوِيُّ فِي «الْبَدْرِ اللَّامِعِ» وَنَسَبَ إِلَى ابْنِ تَيْمِيَّةٍ ذَلِكَ الْحَافِظَانِ الْجَلِيلَانِ الْمُعَاصِرَانِ لَهُ وَهُمَا الْحَافِظُ الْمُجْتَهِدُ تَقِيُّ الدِّينِ السُّبْكِيُّ وَالْحَافِظُ أَبُو سَعِيدٍ الْعَلَايِيُّ. وَفِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ تَكْذِيبُ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ [سورة الحديد: ٣]

تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا. وَكُلُّ آيَةٍ وَحَدِيثٍ يُوهِمُ التَّشْبِيهَ

لأنَّ مُرَادَ اللَّهِ تَعَالَى بِأَوَّلِيَّتِهِ الْأَوَّلِيَّةِ الْمُطْلَقَةَ لَيْسَتْ الْأَوَّلِيَّةُ الْمُقَيَّدَةُ النَّسَبِيَّةِ، إِذِ الْمَاءُ وَالْعَرْشُ لهُمَا تِلْكَ الْأَوَّلِيَّةُ النَّسَبِيَّةُ لِأَنَّهُمَا أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ وَلَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ قَبْلَهُمَا شَيْئًا كَمَا نَطَقَ بِذَلِكَ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ بِرَوَايَةِ الْبُخَارِيِّ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ»، فَثَبَّتَ أَنَّ ابْنَ تَيْمِيَّةَ كَذَّبَ هَذَا الْحَدِيثَ الصَّحِيحَ كَمَا كَذَّبَ الْآيَةَ الْمَذْكُورَةَ قَبْلًا وَكَذَّبَ الْإِجْمَاعَ لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ قَبْلَهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ "إِنَّ نَوْعَ الْعَالَمِ لَمْ يَزَلْ مَعَ اللَّهِ أَرْلِيًّا"، وَإِنَّمَا قَالَ بِذَلِكَ مُتَأَخِّرُو الْفَلَاسِفَةِ الَّذِينَ هُمْ عَلَى خِلَافِ رَأْيِ أَرِسْطُو.

(تَعَالَى) أَيِ تَنَزَّاهُ (اللَّهُ) وَتَقَدَّسَ (عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ) أَيِ الْكَافِرُونَ وَالْمُشَبَّهَةُ مِنَ وَصْفِ اللَّهِ بِمَا لَا يَلِيْقُ بِهِ (عُلُوًّا كَبِيرًا) أَيِ تَنَزُّهًا عَظِيمًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أَيِ الْبَالُغُونَ فِي الظُّلْمِ الْمُبْلَغِ الْعَظِيمِ، فَكُلُّ الظُّلْمِ الَّذِي هُوَ دُونَ الْكُفْرِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْكُفْرِ كَلَّا ظُلْمٍ وَالْكَفَّارُ هُمْ أَكْبَرُ ظُلْمًا أَيْ كُفْرُهُمْ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَكُلِّ الظُّلْمِ دُونَهُ.

التَّمَسُّكُ بِمَعْنَى الْآيَةِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾

(وَكُلُّ آيَةٍ) قُرْآنِيَّةٍ (وَحَدِيثٍ) ثَابِتٍ (يُوهِمُ) ظَاهِرُهُ (التَّشْبِيهَ) أَيِ تَشْبِيهِ اللَّهِ

مِمَّا يُعْطِيهِ كَلَامُ الْعَرَبِ أَوْ كَلَامٌ مَنْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ بِشَىْءٍ مِنَ الْوَحْيِ وَالتَّبْلِيغِ، فَيَجِبُ عَلَيْكَ الْإِيمَانُ بِهِ عَلَى حَدِّ مَا يَعْلَمُهُ اللَّهُ تَعَالَى وَمَا أُنْزِلُهُ لَا عَلَى مَا تَتَوَهَّمُهُ.....

بِحَلْقِهِ (مِمَّا يُعْطِيهِ) أَيُفْهِمُهُ (كَلَامُ الْعَرَبِ) عَلَى هَذَا النِّحْوِ (أَوْ) يُعَارِضُهُ فِي ظَاهِرِهِ (كَلَامٌ) التَّبْيِ ﷺ (مَنْ) أَيُ الَّذِي (أُنْزِلَ عَلَيْهِ بِشَىْءٍ مِنَ الْوَحْيِ) مِنَ اللَّهِ (وَالْتَّبْلِيغِ) لِلأُمَّةِ (فَإِنَّهُ) يَجِبُ عَلَيْكَ الْإِيمَانُ بِهِ (أَيُ بِالتَّصَوُّصِ الشَّرْعِيَّةِ) (عَلَى حَدِّ مَا يَعْلَمُهُ اللَّهُ تَعَالَى) أَيُ عَلَى مَا جَاءَ عَنِ اللَّهِ عَلَى مُرَادِ اللَّهِ مَعَ التَّفْوِيضِ أَيُ مِنْ دُونِ تَعْيِينِ مَعْنَى، كَمَا أَنَّهُ يَجِبُ الْإِيمَانُ عِنْدَ الْعَامِلِينَ بِالتَّأْوِيلِ الصَّحِيحِ الَّذِي يَكُونُ بِتَعْيِينِ مَعْنَى مُوَافِقٍ لِللُّغَةِ وَالشَّرْعِ، وَأَهْلُ الْحَقِّ الْمُفَوِّضُونَ وَالْمَأُولُونَ كِلَاهُمَا عَامِلٌ بِالتَّنْزِيهِ الَّذِي أَرَادَهُ اللَّهُ مِنَّا وَأَوْجَبَهُ عَلَيْنَا، فَكِلَا الْفَرِيقَيْنِ مُؤْمِنٌ تَحْتَ مُرَادِ اللَّهِ تَعَالَى.

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه: "ءَامَنْتُ بِاللَّهِ وَبِمَا جَاءَ عَنِ اللَّهِ عَلَى مُرَادِ اللَّهِ، وَءَامَنْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ وَبِمَا جَاءَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى مُرَادِ رَسُولِ اللَّهِ".

(وَ) الْإِيمَانُ بِذَلِكَ يَكُونُ عَلَى حَدِّ (مَا أُنْزِلُهُ) اللَّهُ وَأَرَادَهُ (لَا عَلَى مَا) قَدْ (تَتَوَهَّمُهُ) الْأَذْهَانُ وَتَذْهَبُ إِلَيْهِ الظُّنُونُ مِنَ الْمَعَانِي الْحِسِّيَّةِ الْجِسْمِيَّةِ الَّتِي لَا تَجُوزُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، وَكَلَامُ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُؤَيِّدُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ

وَأَصْرَفَ عِلْمَ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ. لَيْسَ بَعْدَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وَمَا يُنْزَهُهُ مُنْزَهُ.....

المَقْصُودُ مِنَ عَدَمِ حَمْلِ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الْمُتَشَابِهَةِ عَلَى الْمَعْنَى الَّتِي يُؤَدِّي إِلَى تَجْسِيمِ اللَّهِ بَلْ نَقُولُ إِنَّ اللَّهَ أَرَادَ بِذَلِكَ مَنَ الْمَعَانِي مَا أَرَادَ.

ثُمَّ التَّأْوِيلُ التَّفْصِيلِيُّ وَإِنْ كَانَ عَادَةً الْخَلْفُ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ أَيْضًا عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ أُمَّةِ السَّلَفِ وَأَكَابِرِهِمْ كَابْنِ عَبَّاسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَمُجَاهِدٍ تَلْمِيزِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنَ التَّابِعِينَ وَالْإِمَامِ أَحْمَدَ مِمَّنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ وَكَذَلِكَ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ، وَمِثَالُ ذَلِكَ مَا ثَبَتَ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ مِنْ تَأْوِيلِهِ الْمَجِيءِ الَّذِي ذُكِرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] أَنَّهُ قَالَ: "جَاءَ ثَوَابُهُ"، وَرُويَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: "جَاءَ أَمْرُهُ"، وَهَذَا التَّأْوِيلُ مِنَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ ثَابِتٌ قَدْ صَحَّحَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِهِ «مَنَاقِبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ». ثُمَّ أَظْهَرَ الشَّيْخُ مُحَمَّدِي الدِّينَ رَحِمَهُ اللَّهُ سُلُوكَهُ مَذْهَبَ التَّفْوِيضِ فَقَالَ: (وَأَصْرَفَ) أَيُ فَوْضَ (عِلْمَ ذَلِكَ) الْمُتَشَابِهِ (إِلَى اللَّهِ) تَعَالَى.

(لَيْسَ بَعْدَ) أَيُ فَوْقَ (﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾) فِي صَرَاخَةِ التَّنْزِيهِ (وَمَا يُنْزَهُهُ) أَيُ يُنْزَهُ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا النَّصُّ نَصٌّ (مُنْزَهُ) أَكْثَرُ صَرَاخَةٍ مِنْهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَهِيَ أَصْرَحُ آيَةٍ فِي تَنْزِيهِ اللَّهِ التَّنْزِيهِ الْكُلِّيِّ، وَأَمَّا أَفْضَلُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ فَآيَةُ الْكُرْسِيِّ، وَسَبَبُ كَوْنِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ أَصْرَحَ آيَةٍ فِي التَّنْزِيهِ أَنَّهَا نَفَتْ عَنِ اللَّهِ كُلَّ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ مِمَّا قَدْ يَخْطُرُ بِأَلْبَانَا مِمَّا لَا يَجُوزُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى.

إِذْ قَدْ نَزَّ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ.....

(إِذْ قَدْ نَزَّ) اللهُ تعالى (نَفْسَهُ) أي ذاته في القرآن الكريم (بِنَفْسِهِ) أي بإنزاله ذلك على نبيِّه ﷺ، فَبَيَّنَ أَنَّهُ ذاتٌ لا يُشَبِّهُ الدَّوَاتِ ولا مُعْظَلٌ عَنِ الصِّفَاتِ، لَيْسَ هو رُوحًا ولا لَهُ رُوحٌ بل هو خالقُ الأرواح فلا يُشَبِّهُها كما أَنَّهُ لا يُشَبِّهُ شَيْئًا مِنْ خَلْقِهِ.

ولا يَجُوزُ تَسْمِيَةُ اللهِ إِلَّا بِمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ أو فِي حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ الثَّابِتِ أو ما أَجْمَعَتْ عَلَيْهِ الأُمَّةُ، فَتَسْمِيَةُ بَعْضِ النَّاسِ اللهُ تَعَالَى سَبَبًا وَعِلَّةً كُفْرٌ، كما قال الإمام العلامة رُكنُ الإسلامِ عليُّ السُّعْدِيُّ مِنْ أَكابرِ الحَنَفِيَّةِ.

فَلْيُحَذَّرْ مِنْ تَسْمِيَةِ اللهِ "رُوحًا"، فَإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ وَصْفًا بل هو اسمٌ جامدٌ وفيه إِيْهَامُ التَّقْصِصِ لأنَّ الرُّوحَ جِسْمٌ لَطِيفٌ والجِسْمُ اللَّطِيفُ أَحَدُ نَوْعِي الجِسْمِ، وكذلك لا يَجُوزُ تَسْمِيَةُ اللهِ بالقُوَّةِ كما فَعَلَ سَيِّدُ قُطْبٍ، وَكَأَنَّهُ اقْتَدَى بِكَلَامِ بَعْضِ المَلاحِدَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: «إِنَّ لِلْعَالَمِ قُوَّةً مُدَبِّرَةً» وَيَعْنُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ هَذِهِ القُوَّةُ، وَلَعَلَّ هَذَا مِمَّا اكْتَسَبَهُ مِنْهُمْ حِينَ كَانَ مَعَ الشُّيُوعِيَّةِ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً كما اعْتَرَفَ هُوَ، وَكَذَلِكَ تَسْمِيَةُ سَيِّدِ قُطْبٍ اللهُ الْعَقْلَ المُدَبِّرَ الحَادِّ لأنَّ الْعَقْلَ صِفَةً مِنْ صِفَاتِ البَشَرِ وَالْجِنِّ وَالْمَلَائِكَةِ، وَهَذِهِ التَّسْمِيَةُ تَدْخُلُ تَحْتَ قَوْلِ الإِمَامِ أَبِي

وَهُوَ أَنْزَهُ مَا يَنْبَغِي لَهُ إِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعْظَمُ وَأَجَلُّ مِمَّا عَلِمْتَ وَجَهَلْتَ.....

جَعَفَرُ الطَّحَاوِيُّ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَلْفَهُ لِبَيَانِ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: «وَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ بِمَعْنَى مِنْ مَعَانِي الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ».

(و) تَنْزِيهُهُ تَعَالَى نَفْسَهُ بِنِصِّ الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ (هُوَ أَنْزَهُ مَا يَنْبَغِي) أَيِ غَايَةِ التَّنْزِيهِ وَالتَّعْظِيمِ (لَهُ) سُبْحَانَهُ (إِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعْظَمُ) قَدَرًا وَجَلَالًا (وَأَجَلُّ) وَأَعَزُّ شَأْنًا (مِمَّا عَلِمْتَ) فَإِنَّا لَا نُحِيطُ عِلْمًا بِاللَّهِ تَعَالَى بَلِ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: «لَا يَعْرِفُ اللَّهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا اللَّهُ»، وَقَالَ الْإِمَامُ الْقُطُبُ السَّيِّدُ أَحْمَدُ الرَّفَاعِيُّ الْكَبِيرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «غَايَةُ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ الْإِيقَانُ بِوُجُودِهِ تَعَالَى بِلا كَيْفٍ وَلَا مَكَانٍ» أَيِ أَقْصَى مَا يَصِلُ إِلَيْهِ الْعَبْدُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ الْإِيقَانُ أَيِ الْاِعْتِقَادُ الْجَازِمُ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ بِوُجُودِ اللَّهِ تَعَالَى بِلا كَيْفٍ وَلَا مَكَانٍ، وَفِي هَذَا تَنْزِيهِ صَرِيحٌ لِلَّهِ عَنِ الْجِسْمِ وَالْحَيْزِ وَالشَّكْلِ وَالْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ وَالِاتِّصَالِ وَالْانْفِصَالِ وَالْقُعُودِ، إِذْ كُلُّ ذَلِكَ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَاللَّهُ مَنْزَعٌ عَنْهُ، فَإِذَا أُيْقِنْتَ أَنَّ اللَّهَ مَوْجُودٌ بِلا كَيْفٍ وَلَا مَكَانٍ مَتَّصِفٌ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ الَّذِي يَلِيْقُ بِهِ فَقَدْ وَصَلْتَ إِلَى غَايَةِ مَا يَبْلُغُ الْإِنْسَانُ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ (و) قَدْ (جَهَلْتَ) مَا جَهَلْتَ لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ الْإِنْسَانَ أَنْ يُحِيطَ عِلْمًا بِاللَّهِ تَعَالَى، فَهُوَ سُبْحَانَهُ لَا يُتَصَوَّرُ فِي الْوَهْمِ لِأَنَّهُ لَا يُتَصَوَّرُ شَيْءٌ إِلَّا مَا كَانَ صُورَةً

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ أَيُّهَا الْمُرِيدُ يَجِبُ عَلَيْكَ الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ

وَلَا يُتَقَدَّرُ شَيْءٌ إِلَّا مَا كَانَ مُقَدَّرًا، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وَمَنْ لَا مِثْلَ لَهُ لَا يُتِمَّمُ فِي الْوَهْمِ.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ الْأَنْصَارِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ: "فَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ فَقَدْ عَرَفَهُ بِنِعَتِ جَلَالِهِ بِأَدِلَّةِ الْعُقُولِ وَهِيَ الْأَفْعَالُ الدَّالَّةُ عَلَيْهِ وَعَلَى صِفَاتِهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَدْ قِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْأُمْتَهُلَى﴾ [النجم: ٤٢] انْتَهَى فِكْرُ مَنْ تَفَكَّرَ، وَهَذَا قَوْلُ أَبِي بِنِ كَعْبٍ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَنْعُمٍ، وَرَوَى أَبِي بِنِ كَعْبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا فِكْرَةَ فِي الرَّبِّ»، وَرَوَى أَنَسُ بْنُ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ تَعَالَى فَاذْكُرُوا»، وَقَالَ: «تَفَكَّرُوا فِي الْخَلْقِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي الْخَالِقِ» اهـ

الْإِيمَانُ بِالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَبِمَا جَاءُوا بِهِ

(ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ) الَّذِي ذَكَرْتُ لَكَ (أَيُّهَا الْمُرِيدُ) اَعْلَمْ أَنَّهُ (يَجِبُ عَلَيْكَ الْإِيمَانُ) أَيِ التَّصَدِيقِ (بِالرُّسُلِ) أَيِ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ (صَلَوَاتُ) أَيِ رَحْمَةِ (اللَّهِ) الْخَاصَّةُ وَسَلَامُهُ (عَلَيْهِمْ) أَجْمَعِينَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥] أَيِ لَا نُؤْمِنُ بَعْضُ وَنَكْفُرُ بَعْضُ بَلْ نُؤْمِنُ بِأَنْبِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى جَمِيعِهِمْ.

والإيمان بالنبيين هو أن يؤمن بأن الله تعالى ارتضاهم بالنبوة واصطفاهم لتبليغ رسالته وأكرمهم بالسفارة بينه وبين عباده بما يوحى إليهم، وهم يُدرِّكون ذلك بما ركب الله تعالى فيهم من القوة على ذلك، وليست النبوة بمكتسبة بل كانت عطية خصصة من الله تعالى وموهبة جعلها الله تعالى فيمن شاء من عباده بدليل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤] وهم عليهم السلام معصومون عن التحريف والتبديل للشرعة وعن الفسق والضلال وعن جميع ما لا يليق بهم.

ويجب للأنبياء الصدق ويستحيل عليهم الكذب، وتجب لهم الفطنة ويستحيل عليهم البلادة والعباوة، وتجب لهم الأمانة ويستحيل عليهم الخيانة، وهم عليهم السلام سالمون من الكفر والكبائر وصغائر الحسنة وهذه هي العصمة الواجبة لهم، ويستحيل عليهم الرذالة والسفاهة والجبن وكل ما ينفر عن قبول الدعوة منهم.

وكُلُّهم عليهم السلام كانوا أذكاء فُطناء أصحاب عقول كاملة قوية الفهم، فليس فيهم بليد لا يفهم الكلام بسرعة إلا بعد أن يُكرَّر عليه عدة مرات ولا فيهم

وَبِمَا جَاءُوا بِهِ وَمَا أَخْبَرُوا عَنْهُ، ثُمَّ حُبُّ الصَّحَابَةِ

مَنْ هُوَ ضَعِيفٌ عَنْ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ لِمَنْ يِعَارِضُهُ بِالْبَيَانِ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أُرْسِلُوا لِيُبَلِّغُوا
النَّاسَ مَصَالِحَ آخِرَتِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَالْبَلَادَةُ تُنَافِي هَذَا الْمَطْلُوبَ مِنْهُمْ.

(و) يَجِبُ الْإِيمَانُ (بِمَا جَاءُوا بِهِ) أَنَّهُ حَقٌّ (وَمَا أَخْبَرُوا عَنْهُ) أَنَّهُ صِدْقٌ، سَوَاءً كَانَ
إِخْبَارًا عَنْ أَمْرٍ مَضَى أَوْ أَمْرٍ يَكُونُ حَالًا إِيَّاهُمْ أَوْ عَنْ شَيْءٍ يَكُونُ فِي
الْمُسْتَقْبَلِ فَإِنَّ ذَلِكَ صِدْقٌ وَحَقٌّ لَا مُحَالَةَ، فَمِنْ ذَلِكَ إِخْبَارُهُمْ عَنِ الْأَعْوَرِ الدَّجَالِ
كَمَا جَاءَ ذَلِكَ فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَامَ النَّبِيُّ
ﷺ فِي النَّاسِ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَالَ فَقَالَ: «إِنِّي أَنْذِرُكُمْوهُ،
وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أَنْذَرَهُ»^(١) قَوْمَهُ.

حُبُّ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

(ثُمَّ) إِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمُرِيدُ (حُبُّ الصَّحَابَةِ) مَحَبَّةَ تَعْظِيمٍ مِنْ حَيْثُ الْإِجْمَالُ
وَلَيْسَ الْمَعْنَى أَنَّهُ يَجِبُ مَحَبَّةٌ كُلِّ فَرْدٍ مِنْهُمْ، وَجُوبُ تَعْظِيمِهِمْ نَاشِئٌ عَنْ أَنَّهُمْ أَنْصَارُ
دِينِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا سِيَّمَا السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنْهُمْ، وَالصَّحَابَةُ جَمْعُ صَحَابِيٍّ وَهُوَ مَنْ

(١) يَأْتِيَاتِ هَاءُ الضَّمِيرِ فِي "أَنْذَرَ" أَيَّ أَنْذَرَهُمْ مِنْهُ.

اجْتَمَعَ مُؤْمِنًا بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنْ طَرِيقِ الْعَادَةِ وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ، فَيَجِبُ تَعْظِيمُهُمْ عَلَى الْإِجْمَالِ، وَبُغْضُ جَمِيعِهِمْ كُفْرٌ، وَأَمَّا إِنْ أَبْغَضَ أَحَدٌ بَعْضًا مِنْهُمْ فَلَا يُكْفَرُ. وَقَدْ أَثْنَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى السَّابِقِينَ دُخُولًا فِي الْإِسْلَامِ مِنْهُمْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فَهُؤُلَاءِ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ) أَيِ إِجْمَالًا، أَمَّا عِنْدَ التَّفْصِيلِ فَقَدْ أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ أَفْرَادًا مِنْ أَصْحَابِهِ يُعَذَّبُونَ عَلَى بَعْضِ الذُّنُوبِ، وَلَا يَكُونُ التَّقِيُّ مِنْ غَيْرِ الصَّحَابَةِ أَدْنَى مِنْ صَحَابِيٍّ أَخْبَرَ عَنْهُ النَّبِيُّ أَنَّهُ يُعَذَّبُ فِي نَارِ الْآخِرَةِ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، فَالْعِبْرَةُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِالتَّقْوَى، وَلَيْسَ ذَلِكَ مُنَافِيًا لِآيَةِ ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ﴾ لِأَنَّ أَوْلَكَ أَتْقِيَاءَ وَمُبَشَّرُونَ وَهُمْ أَعْلَى شَأْنًا مِنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَلَا يَسْتَوِي أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَنْ أَسْلَمَ بَعْدَ الْفَتْحِ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: كَانَ عَلَى

وَلَا سَبِيلَ إِلَى تَجْرِيحِهِمُ الْبَتَّةَ وَلَا الظَّنِّ فِيهِمْ

ثَقِلَ^(١) النَّبِيُّ ﷺ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ "كِرْكِرَةٌ فَمَاتَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هُوَ فِي النَّارِ» فَذَهَبُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَوَجَدُوا عَبَاءَةً قَدْ غَلَّهَا^(٢). وَكَذَلِكَ رَجُلٌ كَانَ يُظَنُّ أَنَّهُ فَقِيرٌ فَيَسْأَلُ النَّاسَ بِشَحَازَةٍ مُحَرَّمَةٍ فَلَمَّا مَاتَ وَجِدَ مَعَهُ دِينَارٌ أَوْ دِينَارَانِ، فَأَخْبَرَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ مَاتَ مُذْنِبًا مُسْتَحِقًّا لِلْعَذَابِ فَقَالَ: «كَيْتٌ أَوْ كَيْتَيْنِ» أَيِ بِالنَّارِ.

(وَلَا سَبِيلَ) لَكَ جَائِزٌ (إِلَى تَجْرِيحِهِمْ) أَيِ شَتْمِهِمْ وَذَمِّهِمْ أَجْمَعِينَ (الْبَتَّةَ) أَيِ قَطْعًا لِأَنَّ شَتْمَ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ كُفْرٌ كَمَا أَسْلَفْنَا، ثُمَّ وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ قَدْ عَصَى أَوْ أَخْبَرَ عَنْهُ النَّبِيُّ أَنَّهُ مَاتَ عَاصِيًّا إِلَّا أَنَّ جَمِيعَهُمْ عُذُولٌ فِي الرِّوَايَةِ فَلَيْسَ فِيهِمْ مَنْ يَكْذِبُ الْحَدِيثَ عَلَى رَسُولِ ﷺ وَإِنْ تَفَاوُتُوا فِي وَغْيٍ مَا يَقُولُهُ النَّبِيُّ ﷺ.

(وَلَا) سَبِيلَ جَائِزٌ إِلَى (الظَّنِّ فِيهِمْ) جُمْلَةً وَإِنَّمَا نُبَيِّنُ الْحَقَّ وَمَا بَيَّنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرُوكَ أَكْبَرَهُمْ بِمَا هُوَ فِيهِمْ وَلَا تَغْلُوا وَتُرْوِي مَا ثَبَتَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حَقِّ بَعْضِهِمْ رِوَايَةً لِبَيَانِ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ كَمَا رَوَاهُ الْأَيْمَةُ الْأَعْلَامُ فِي شَأْنِ كِرْكِرَةٍ وَمِدْعَمٍ وَغَيْرِهِمَا مِمَّنْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ مَعَ أَنَّهُمْ مَعْدُودُونَ فِي الصَّحَابَةِ.

(١) أَيِ مَتَاعٍ.

(٢) أَيِ أَخَذَهَا مِنَ الْغَنِيمَةِ قَبْلَ الْقِسْمَةِ الشَّرْعِيَّةِ.

.....

التَّحْذِيرُ مِنْ تَفْضِيلِ غُبَارِ نَعْلِ فَرَسٍ مُعَاوِيَةَ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

واعلم أيُّها المُريدُ أنَّه يَجِبُ الحَذَرُ والتَّحْذِيرُ مِنْ عِبَارَةٍ فَاسِدَةٍ هِيَ كُفْرٌ، وإنَّه لَيَحْزُنُنِي أَنَّهَا انتَشَرَتْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الكُتُبِ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: "غُبَارُ نَعْلِ فَرَسٍ مُعَاوِيَةَ أَفْضَلُ مِنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ" والعيادُ باللهِ مِنْ هَذَا الضَّلَالِ المُبِينِ، فَاَلْمُؤْمِنُ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْكَعْبَةِ وَمِنَ الْعَرْشِ وَمِنَ الْحِجَّةِ، فَإِذَا كَانَ الْفَاسِقُ فَاضِلًا الْكَعْبَةُ وَقَتْلُهُ بِغَيْرِ حَقٍّ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ هَدْمِ الْكَعْبَةِ فَكَيْفَ يَكُونُ أَحَقَرَ مِنْ غُبَارِ نَعْلِ فَرَسٍ مُعَاوِيَةَ أَوْ غَيْرِهِ! وَكَيْفَ بَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ الْعَالِمُ الْمُجْتَهِدُ الَّذِي هُوَ مِنْ أَكْبَرِ الْأَوْلِيَاءِ وَمُجَدِّدُ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ الْهِجْرِيِّ، وَقَدْ غَلَا بَعْضُهُمْ وَزَادُوا فِي الْغَيِّ وَالْكُفْرِ فَقَالُوا: "لَلْغُبَارِ الَّذِي دَخَلَ أَنْفَ فَرَسٍ مُعَاوِيَةَ خَيْرٌ مِنْ مِائَةِ وَاحِدٍ مِثْلِ ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ"، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مَسْخِ الْقُلُوبِ، وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى مَنْ رَكَّبَ هَذَا الْكَلَامَ مِنَ الْغُلَاةِ، فَلْيُحَذَرْ مِنْ هَذِهِ الْعِبَارَةِ الْفَاسِدَةِ فَإِنَّهَا كُفْرٌ.

وَلَا تُفْضِلْ أَحَدًا عَلَى الْآخَرِ إِلَّا بِمَا فَضَّلَهُ رَبُّهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ أَوْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ

تَفْضِيلُ بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى بَعْضٍ وَالتَّعْرِيفُ بِأُولَى الْعَزْمِ مِنْهُمْ

ثُمَّ رَجَعَ الشَّيْخُ إِلَى الْكَلَامِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَفِي الْكَلَامِ شَبِيهٌ بِاللَّفِّ وَالنَّشْرِ الْمُشَوَّشِ، فَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَا تُفْضِلْ أَحَدًا) مِنَ الْأَنْبِيَاءِ (عَلَى الْآخَرِ إِلَّا بِمَا فَضَّلَهُ رَبُّهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ أَوْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ) وَلَا يُخَاضُ فِي تَفْضِيلِ الْأَنْبِيَاءِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا بِدَلِيلٍ شَرْعِيٍّ، فَمَا وَرَدَ فِيهِ الدَّلِيلُ أَنَّ فَلَانًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَفْضَلُ قُلْنَا بِأَفْضَلِيَّتِهِ، وَقَدْ أَثْبَتَ الْقُرْءَانُ تَفْضِيلَ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وَقَالَ أَيْضًا: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥].

وَأَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ هُمُ الرُّسُلُ مِنْهُمْ، وَأَفْضَلُ هَؤُلَاءِ الرُّسُلِ هُمُ أُولُو الْعَزْمِ مِنْهُمْ، فَكُلُّ الْأَنْبِيَاءِ ذَوُو صَبْرٍ إِلَّا أَنَّ أُولَى الْعَزْمِ هُمُ الَّذِينَ بَلَغُوا الْغَايَةَ فِي الصَّبْرِ مِنْ بَيْنِهِمْ وَهُمْ خَمْسَةٌ عَلَى التَّرْتِيبِ الْوَارِدِ فِي الْحَدِيثِ: مُحَمَّدٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَنُوحٌ عَلَيْهِمُ وَعَلَى إِخْوَانِهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ صَلَوةٌ مِنَ اللَّهِ وَسَلَامٌ.

وَقَدْ جَاءَ ذِكْرُهُمْ فِي الْقُرْءَانِ تَفْصِيلًا كَمَا جَاءُوا جُمْلَةً فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَأُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى

وَيَجِبُ عَلَيْكَ تَعْظِيمُ مَنْ عَظَّمَ اللَّهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ.....

بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴿الشُّورَى: ١٣﴾.

وأفضل هؤلاء المرسلين الخمسة اثنان هما الخليلان إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم، والخلة هي بلوغ الغاية في حب الله تعالى، وقد أثبت الشرع لهما تلك المنزلة فقال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال رسول الله ﷺ: «فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا»، رواه مسلم في «صحيحه».

وأفضل الأنبياء والمرسلين جميعاً هو نبيُّنا وسيدنا وقرّة عيوننا محمد ﷺ، فقد قال ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ، وَلَا فَخْرَ، وَلِوَاءِ الْحَمْدِ بِيَدِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ» رواه مسلم وأبو داود والترمذي.

وَجُوبُ تَعْظِيمِ مَنْ عَظَّمَهُمُ اللَّهُ

(وَيَجِبُ عَلَيْكَ تَعْظِيمُ مَنْ عَظَّمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَ) وَعَظَّمَهُمُ (رَسُولُهُ) ﷺ،
كالملائكة الكرام فإنه يجب التصديق بوجودهم وتعظيمهم وأنهم كما قال الله

فِيهِمْ: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسِفُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧]، ﴿يُسَيِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ٢٠]، ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحریم: ٦]، فَمَنْ شَتَمَ وَاحِدًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَقَدْ خَرَجَ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة: ٩٨].

وَيَجِبُ تَعْظِيمُ الْآلِ، وَهُمْ إِنْ أُريدَ بِهِمْ مُطْلَقُ أَتْبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ الْأَتْقِيَاءُ فَتَجِبُ مَحَبَّتُهُمْ لِأَنَّهُمْ أَحِبَابُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِمَا لَهُمْ مِنَ الْقُرْبِ الْمَعْنَوِيِّ إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ الْكَامِلَةِ، وَإِنْ أُريدَ بِالْآلِ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ وَأَقْرِبَاؤُهُ الْمُؤْمِنُونَ فَوُجُوبُ مَحَبَّتِهِمْ لِمَا خُصُّوا بِهِ مِنَ الْفَضْلِ.

وَتَجِبُ مَحَبَّةُ عُمومِ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ أَيْ تَجِبُ مَحَبَّتُهُمْ مِنْ حَيْثُ الْإِجْمَالُ، أَمَّا الْفُسَّاقُ فَلَا يُطْلَقُ الْقَوْلُ بِوُجُوبِ مَحَبَّتِهِمْ، إِنَّمَا يُجَبُّونَ لِإِيمَانِهِمْ وَيُكْرَهُونَ لِفِسْقِهِمْ، وَلَيْسَ مَعْنَى وَجُوبِ مَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ أَنَّهُ يَجِبُ اسْتِحْضَارُ مَحَبَّةِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِالْقَلْبِ عِنْدَ ذِكْرِهِ بَلْ يَكْفِي اسْتِحْضَارُ مَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ مِنْ حَيْثُ الْإِجْمَالُ.

.....

وَإِذَا عَرَفْتَ بَعْضَ مَا يَجِبُ تَعْظِيمُهُ مِمَّا عَظَّمَهُ اللَّهُ فاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الاسْتِهَانَةُ بِمَا عَظَّمَ اللَّهُ وَلَا التَّصْغِيرُ لِمَا عَظَّمَ مِنْ طَاعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ أَوْ قُرْءَانٍ أَوْ عِلْمٍ أَوْ جَنَّةٍ أَوْ عَذَابِ نَارٍ، وَالاسْتِهَانَةُ قِلَّةُ الْمُبَالَاةِ كَأَنْ يَحْتَقِرَ أَحَدُ الْجَنَّةِ كَقَوْلِ بَعْضِ دَجَائِلَةِ الْمُتَصَوِّفَةِ: "الْجَنَّةُ لَعِبَةُ الصِّبْيَانِ" وَهَذَا حُكْمُهُ الرِّدَّةُ وَالْخُرُوجُ مِنَ الْإِسْلَامِ لِأَنَّهُ تَحْقِيرٌ لَشَأْنٍ مَا عَظَّمَ اللَّهُ.

وَمِنَ الْاسْتِهَانَةِ بِالْقُرْءَانِ أَنْ يَدَّعِي شَخْصٌ مُعَارَضَةً كَلَامِ الْقُرْءَانِ أَيْ زَعْمُهُ مُحَاوَلَةَ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، فَهَذَا رِدَّةٌ.

وَأَمَّا الْاسْتِهَانَةُ بِالْمَعْصِيَةِ فَكَأَنَّ يَرَى الْقَائِلُ مَا تَوَعَّدَ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ مِنَ الْعِقَابِ فِي الْآخِرَةِ شَيْئًا هَيِّنًا وَذَلِكَ كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ: "جَهَنَّمَ مُسْتَشْفَى أَيْ مَحَلُّ طِبَابَةٍ وَعِلَاجٍ وَتَنْظِيفٍ وَلَيْسَتْ مَحَلَّ عِقَابٍ وَتَعْذِيبٍ" وَذَلِكَ إِحَادٌ وَكُفْرٌ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ قَالَ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ جَمَاعَةُ أَمِينِ شَيْخُو وَعَبْدِ الْهَادِي الْبَانِي الدِّمَشْقِيَّانِ فَعَلَى زَعْمِهِمُ التَّعْذِيبُ لَا يَجُوزُ وَصَفُ اللَّهِ بِهِ، وَيَقُولُونَ: "﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة: ١٩٦] مَعْنَاهُ شَدِيدُ التَّعَقُّبِ"، وَيَقُولُونَ: "إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يَقْتُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَإِنَّ قَوْلَ اللَّهِ: ﴿وَقَتَلَهُمْ﴾

ثُمَّ التَّسْلِيمُ لِأَهْلِ هَذِهِ الطَّرِيقِ فِيمَا يُحْكِي عَنْهُمْ مِنَ الْحِكَايَاتِ وَكُلِّ مَا تَرَى مِنْهُمْ
مِمَّا لَا يَسَعُ الْعَقْلَ وَلَا الْعِلْمَ، وَحُسْنُ الظَّنِّ بِالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.....

الْأَنْبِيَاءُ ﴿[ءال عمران: ١٨١] معناه قَتْلُ الْكُفَّارِ دَعَوَتَهُمْ، وَيَقُولُونَ: "لَا يُصَابُونَ
بِجُرُوحِ بَسِلَاحِ الْكُفَّارِ"، وَيَقُولُونَ: "حَتَّى الْأَوْلِيَاءُ مُسْتَحِيلٌ أَنْ يُصَابُوا بِأَذَى".

التَّسْلِيمُ لِلصَّالِحِينَ مَا لَمْ يُخَالِفُوا الشَّرْعَ

(ثُمَّ) إِنَّهُ يَنْبَغِي مِنْكَ أَيُّهَا الْمُرِيدُ (التَّسْلِيمُ لِـ) الصَّالِحِينَ (أَهْلِ هَذِهِ الطَّرِيقِ) أَيِ
طَرِيقِ الصُّوفِيَّةِ الصَّادِقِينَ تَسْلِيمًا (فِيمَا يُحْكِي عَنْهُمْ مِنَ الْحِكَايَاتِ) عَلَى مَا يُوَافِقُ
الشَّرْعَ.

(و) سَلِّمَ لِلْقَوْمِ الصُّوفِيَّةِ فِي (كُلِّ مَا تَرَى مِنْهُمْ) مَا لَمْ يُخَالِفُوا الشَّرْعَ، وَلَا تُسَلِّمَ لَهُمْ
فِي مَا يَأْتُونَهُ (مِمَّا لَا يَسَعُ الْعَقْلَ) فَهَمُّهُ (وَلَا الْعِلْمَ) الشَّرْعِيَّ، أَيِ لَا يَقْبَلُهُ الشَّرْعُ
وَالْعَقْلُ السَّلِيمُ، وَلَا أَدَبٌ فَوْقَ أَدَبِ الشَّرْعِ، وَفِي ذَلِكَ قَالَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ الرَّفَاعِيُّ
الْكَبِيرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "سَلِّمَ لِلْقَوْمِ أَحْوَالَهُمْ مَا لَمْ يُخَالِفُوا الشَّرْعَ، فَإِذَا خَالَفُوا
فَكُنْ مَعَ الشَّرْعِ" اهـ.

حُسْنُ الظَّنِّ بِالْمُؤْمِنِينَ

(و) يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مِنْكَ (حُسْنُ الظَّنِّ بِالنَّاسِ) أَيِ الْمُؤْمِنِينَ (أَجْمَعِينَ) أَيِ

وسلامة الصدر.

المؤمنين ما لم تُوجد قرينةٌ مُعتبرةٌ على صدورِ سوءٍ من أحدهم. وقد روى البخاريُّ ومُسْلِمٌ من حديثِ أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ» فالظَّنُّ الَّذِي ذَمَّهُ رسولُ الله هو الظَّنُّ بِلا قرينةٍ مُعتبرةٍ، أمَّا إذا شهدَ عندَكَ عدلانِ أنَّ فلانًا عَمِلَ كذا مما هو شنيعٌ يَجُوزُ أَنْ تَظُنَّ بِهِ، وأمَّا إِنْ شهدَ عندَكَ واحدٌ فَقَطْ فلا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَجْزِمَ، لَكِنْ قال العلماء: إذا خِيفَتْ مَفْسَدَةٌ فَإِنَّهُ يُعْمَلُ بِخَبَرِ الواحدِ الثِّقَةِ ما يُؤَدِّي إلى مَنَعِهَا، كأنَّ أَخْبَرَكَ ثِقَةً واحدٌ بأنَّ الجماعةَ الفُلانيَّةَ مِنَ الجماعاتِ المُفْسِدَةِ تُريدُ أَنْ تَعْمَلَ مَفْسَدَةً كذا.

سلامة الصدرِ مع المؤمنين

(و) يَنْبَغِي مِنْكَ (سَلَامَةُ الصَّدْرِ) وَعَدَمُ الغِلِّ والحَقْدِ نُجَاهَ إِخْوَانِكَ الْمُؤْمِنِينَ. وقد سَئَلَ إبراهيمُ بنُ الحَسَنِ الصُّوفِيِّ عَن سَلَامَةِ القَلْبِ فَقَالَ: "العُزْلَةُ وَالصَّمْتُ وَتَرْكُ اسْتِمَاعِ خَوَاضِ النَّاسِ، وَلَا يَعْقِدُ القَلْبَ عَلَى ذَنْبٍ وَلَا عَلَى حَقْدٍ، وَيَهَبُ لِمَنْ ظَلَمَهُ حَقَّهُ". وقد بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ الوَسِيلَةَ إلى سَلَامَةِ الصَّدْرِ فَقَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَنَافَسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»، وقال أيضًا: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ

وَالدُّعَاءُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ

لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَحْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَهُنَا التَّقْوَى هَهُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ - بِحَسْبِ أَمْرٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَعَرَضُهُ وَمَالُهُ».

الدُّعَاءُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ

(و) يَنْبَغِي مِنْكَ (الدُّعَاءُ لِلْمُؤْمِنِينَ) إِجْمَالًا وَمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ تَفْصِيلًا بِمَا يَجُوزُ لَكَ الدُّعَاءُ فِيهِ (بِظَهْرِ الْغَيْبِ) أَيِ الدُّعَاءِ لِلْمَدْعُوِّ فِي غَيْبَتِهِ، فَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ صَفْوَانَ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ - وَكَانَتْ تَحْتَهُ الدَّرْدَاءُ - قَالَ: قَدِمْتُ الشَّامَ فَأَتَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فِي مَنْزِلِهِ فَلَمْ أَجِدْهُ وَوَجَدْتُ أُمَّ الدَّرْدَاءِ فَقَالَتْ: أَتُرِيدُ الْحَجَّ الْعَامَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَادْعُ اللَّهَ لَنَا بِخَيْرٍ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: ءَامِينَ وَلَكَ بِمِثْلِ».

وَقَدْ رَغِبَ الشَّارِعُ فِي الدُّعَاءِ لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ أَيْضًا، فَقَدْ رَوَى الطَّبْرَانِيُّ فِي «مُسْنَدِ الشَّامِيِّينَ» عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً».

وخدمة الفقراء برؤية المنة والفضل لهم في ذلك حيث ارتضوك خديماً لهم.....

وقال شيخنا الإمام الهرري رضي الله عنه: "أي له حسنة بعدد كل مؤمن فيما مضى من أيام آدام إلى الآن" اهـ.

وجاء في حديث آخر عند الطبراني وعنه نقله السيوطي أيضاً من طريق أبي الدرداء رضي الله عنه: «مَنِ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً كَانَ مِنَ الَّذِينَ يُسْتَجَابُ لَهُمْ».

خدمة الصوفية الزاهدين

(و) ينبغي منك (خدمة الفقراء) أي أولياء الصوفية الزاهدين، وقد عرفوا بالفقراء لأنهم أعرضوا عن الدنيا وملذاتها واقتصرُوا على ما لا بد منه من الطعام والشراب والنوم ونحو ذلك من حوائج الدنيا، فكأنوا في صفة الانقطاع عن الملذات ظاهراً كالفقير الذي لا يجد مالا ينال به تلك الملذات، لكن حالهم أنهم تركوا المألوفات والملذات باختيارٍ منهم وزهدوا في الدنيا وواظبوا على تقوى الله فنور الله قلوبهم.

وينبغي أن تكون خدمتك لهم (برؤية المنة) والفضل لهم في ذلك أي في أن تكون خادماً لهم (حيث ارتضوك خديماً لهم) أي خادماً لهم وإن كان ذلك في

وَحَمَلِ كُفَيْهِمْ وَتَحْمَلِ أَذَاهُمْ وَجَفَاهُمْ وَالصَّبْرِ عَلَى أَخْلَاقِهِمْ وَمِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ الصَّمْتُ
إِلَّا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَإِرْشَادِ الضَّالِّ وَأَمْرِ بِمَعْرُوفٍ وَنَهْيِ
عَنْ مُنْكَرٍ

قليل من الأمور لأنَّ انتِفَاعَكَ بِهِمْ كَبِيرٌ (وَحَمَلِ كُفَيْهِمْ) أي تحمّل التعب في
خِدْمَتِهِمْ (وَتَحْمَلِ أَذَاهُمْ) إنَّ صَدَرَ مِنْهُمْ وَالصَّفْحَ عَنْهُمْ وَالتَّصَحُّحَ لَهُمْ وَعَدَمُ
مُفَارَقَتِهِمْ لمجرّد ذلك (و) تحمّل (جَفَاهُمْ) في المُعَامَلَةِ إنَّ جَفْوَكَ (وَالصَّبْرَ عَلَى
أَخْلَاقِهِمْ) لأجل الانتِفَاعِ مِنْهُمْ لا سيّما وأنَّ في الصَّبْرِ عليهم ترويضًا للنفس.

جَوَامِعُ الْخَيْرَاتِ وَأَبْوَابُ الْمَبَرَّاتِ

(وَمِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ) للمُريدِ اغْتِنَامُ الْعُمُرِ فِي وَجْهِ الْخَيْرَاتِ وَالْمَبَرَّاتِ وَمِنْ أَوَّلَى ذَلِكَ
(الصَّمْتُ) إِلَّا مِنْ خَيْرٍ أَيْ (إِلَّا عَنْ) نَحْوِ (ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى) بِالتَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ
وَالتَّقْدِيسِ وَالاسْتِغْفَارِ وَالْحَوْقَلَةِ وَالْأَذْكَارِ الْمَأْثُورَةِ (وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ) مَعَ
تَصْحِيحِ الْحُرُوفِ وَالْمَخَارِجِ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ الْمُريدُ قَدْ تَلَقَّى ذَلِكَ الَّذِي يَتْلُوهُ مِنْ
قَارِئٍ ضَابِطٍ عَرَضَ قِرَاءَتُهُ عَلَيْهِ حَتَّى أَقَرَّهُ عَلَيْهَا (و) يَنْبَغِي لِلْمُريدِ أَنْ يُحْسِنَ إِلَى
مَنْ يَعْرِفُهُ وَمَنْ لَا يَعْرِفُهُ، فَيُقْبِلُ عَلَى (إِرْشَادِ الضَّالِّ) الطَّرِيقَ فَيَهْدِيهِ إِلَى سَبِيلِهِ أَوْ
يَهْدِي الضَّالَّ عَلَى الْحَقِّ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ (و) أَنْ يَشْتَغَلَ بِـ (أَمْرِ بِمَعْرُوفٍ)
لِلْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، سَوَاءً كَانَ هَذَا الْمَعْرُوفُ وَاجِبًا أَوْ مَدْبُوبًا، (و) أَنْ يَقُومَ بِـ (نَهْيِ
عَنْ مُنْكَرٍ) مِمَّنْ يُرْجَى أَنَّهُ يَنْتَهِي عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَا يَزِيدُهُ ذَلِكَ غَيًّا، فَمِنْ شَرَطِ

وإِصْلَاحَ بَيْنِ الْمُتَهَاجِرِينَ وَتَحْرِيطَ عَلَى صَدَقَةِ بَلِّ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ وَمِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ
طَلَبُ شَخْصٍ مُوَافِقٍ يُعِينُكَ عَلَى مَا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ.....

إنكار المنكر ألا يُؤدِّي إلى مُنكَرٍ أَعْظَمَ مِنْهُ (وَ) أَنْ يُقْبَلَ مَا أَمَكَّنَهُ عَلَى (إِصْلَاحِ
بَيْنِ الْمُتَهَاجِرِينَ) بِغَيْرِ حَقٍّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ
فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحُجُرَات: ١٠]، (وَ) تَصَدَّقْ فِي مَصَارِفِ الصَّدَقَاتِ وَقُمْ
بـ(تَحْرِيطِ) لِغَيْرِكَ (عَلَى صَدَقَةٍ) مَقْبُولَةٍ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِكَوْنِهَا خَالِصَةً لَهُ خَارِجَةً
مِنْ مَالٍ حَلَالٍ (بَلِّ) وَحَرِّكَ نَفْسَكَ وَحَرِّضْ غَيْرَكَ (عَلَى) فِعْلٍ (كُلِّ خَيْرٍ) مِنْ وُجُوهِ
الْمَبَرَّاتِ الْكَثِيرَةِ.

حُسْنُ اخْتِيَارِ الصَّاحِبِ

(وَمِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ) أَيِ يَنْبَغِي فِعْلُهُ لِلتَّعَاوُنِ عَلَى الْخَيْرِ هُوَ (طَلَبُ شَخْصٍ مُوَافِقٍ) لَكَ
فِي سُلُوكِ دَرَجَةِ الاسْتِقَامَةِ وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا فـ(يُعِينُكَ عَلَى مَا أَنْتَ) مَاضٍ
(بِسَبِيلِهِ) أَيِ فِيهِ مِنْ طَرِيقِ الاسْتِقَامَةِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا رَزَقَهُ
خَلِيلًا صَالِحًا إِنْ نَسِيَ ذِكْرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ».

(فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ) الْوَاحِدَ قَلِيلٌ بِمُفْرَدِهِ (كَثِيرٌ بِأَخِيهِ) وَقَدْ وَرَدَ نَصٌّ ذَلِكَ فِي حَدِيثٍ
ضَعِيفٍ رَوَاهُ الْحَافِظُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا، وَمَعْنَاهُ أَنَّ الرَّجُلَ وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا فِي نَفْسِهِ حِينَ
انْفِرَادِهِ إِلَّا أَنَّهُ كَثِيرٌ بِاجْتِمَاعِهِ مَعَ أَخِيهِ عَلَى الْخَيْرِ، فَإِنَّ الْأُخُوَّةَ فِي الدِّينِ بَيْنَهُمَا

وَأَيَّاكَ وَصُحْبَةَ الصِّدِّ.

وَمِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ طَلَبُ شَيْخٍ مُرْشِدٍ.....

تَبَعْتُ عَلَى التَّنَاصُرِ فِي الْحَقِّ وَالْأُلْفَةِ وَيَمْنَعُهُمَا ذَلِكَ مِنَ الْفُرْقَةِ وَتَسَلَّطِ الْأَعْدَاءِ عَلَيْهِمَا.

(وَأَيَّاكَ وَصُحْبَةَ الصِّدِّ) أَيِ احْذَرِ مِنْ أَنْ تُصَاحِبَ الْمَرْءَ الَّذِي يَكُونُ ضِدًّا لَكَ فِي الْمَسِيرِ وَالْمَمَشَى، فَإِنَّ الْفَاسِدَ ضِدُّ الصَّالِحِ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِمْ: "لَمْ يَهْنَأِ الْعَيْشُ مَنْ قَارَنَ الضِّدَّ"، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» أَيِ الْمَرْءُ غَالِبًا يُوَافِقُ صَاحِبَهُ فِي الْحَالِ وَالْعَادَةِ وَالْعَمَلِ. وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: "مُجَالَسَةُ الْحَرِيصِ وَمُخَالَطَتُهُ تُحَرِّكُ الْحَرِصَ، وَمُجَالَسَةُ الزَّاهِدِ وَمُخَالَاتَتُهُ تُزْهِدُ فِي الدُّنْيَا، لِأَنَّ الطَّبَاعَ مَجْبُولَةٌ عَلَى التَّشَبُّهِ وَالْإِقْتِدَاءِ".

السُّلُوكُ عَلَى يَدِ شَيْخٍ مُرْشِدٍ

(وَمِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ) وَلَيْسَ وَاجِبًا عَلَى الْمُسْلِمِ (طَلَبُ شَيْخٍ مُرْشِدٍ) وَلَا يَجِبُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ الْمَرْءُ مُنْتَسِبًا إِلَى طَرِيقَةٍ مِنَ الطَّرِيقِ الصُّوفِيَّةِ كَالرِّفَاعِيَّةِ أَوِ الْقَادِرِيَّةِ، إِنَّمَا الْوَاجِبُ أَنْ يُؤَدِّيَ الْوَاجِبَاتِ وَيَجْتَنِبَ الْمُحَرَّمَاتِ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ قَدْ حَصَلَ

وَالصَّدْقُ مِنْ شَعَائِرِ الْمُرِيدِ، فَإِنَّ الْمُرِيدَ إِذَا صَدَقَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى.....

الْفَرْضُ الْعَيْنِيُّ مِنَ الْعِلْمِ تَلَقِّيًّا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ الشِّقَاتِ، وَثُمَّ بَعْدَ هَذَا إِنْ سَلَكَ عَلَى شَيْخٍ مُرْشِدٍ فَهُوَ أَكْمَلُ وَأَحْسَنُ وَأَنْفَعُ لَهُ لِأَنَّهُ يُعَاوَنُهُ عَلَى تَهْدِيبِ نَفْسِهِ وَيُبَيِّنُ لَهُ طُرُقَ الْوُصُولِ إِلَى الْوِلَايَةِ وَيُعَوِّدُهُ الزُّهْدَ وَتَرْكَ الْمُسْتَلَذَّاتِ وَيُسَاعِدُهُ عَلَى التَّرَقِّي فِي الْمَقَامَاتِ.

فَلَيْسَ فِي الْأُمَّةِ إِمَامٌ مُحَقِّقٌ يَقُولُ بِفَرْضِيَّةٍ وَوُجُوبٍ أَخَذَ طَرِيقَةً مِنَ الطَّرِيقِ الصَّوْفِيَّةِ لِأَنَّ ذَلِكَ إِجَابٌ لِمَا لَمْ يَجِبْ إِجْمَاعًا، وَالطَّرِيقُ لَمْ تَظْهَرْ بَلْ وَلَمْ تَحْدُثْ إِلَّا فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ الْهَجْرِيِّ فَمَا بَعْدَهُ، وَلَا يَلِيقُ بِصَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَتْرُكُوا فَرْضًا مُؤَكَّدًا وَيُضَيِّعُوهُ عَلَى زَعْمٍ مَنْ يَقُولُ بِفَرْضِيَّةٍ أَخَذَ الطَّرِيقَةَ، فَكَلَامُهُ مُوجِبٌ أَخَذَهَا سَاقِطٌ، وَيُقَالُ لَهُ: "فَكَيْفَ عَرَفَ ذَلِكَ الْمُتَأَخَّرُونَ وَجْهَهُ وَأَهْمَلَهُ الْأَوَّلُونَ عَلَى زَعْمِكَ؟! وَقَدْ قَالَ ﷺ: «خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ».

صِدْقُ الْحَالِ وَالْقَالَ وَمَدْحُهُ

(وَالصَّدْقُ) وَالصَّفَاءُ فِي الْمُعَامَلَةِ مَعَ اللَّهِ (مِنْ شَعَائِرِ) أَيِ عِلَامَاتِ (الْمُرِيدِ، فَإِنَّ الْمُرِيدَ إِذَا صَدَقَ) الْمُعَامَلَةَ (مَعَ اللَّهِ تَعَالَى) بِأَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ كُلِّهَا وَاجْتِنَابِ الْمَحْرَمَاتِ جَمِيعِهَا ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْإِقْبَالِ عَلَى التَّوَافُلِ مَعَ الْإِدْبَارِ عَنْ

قَيَّضَ اللَّهُ مَنْ يَأْخُذُ بِيَدِهِ وَيُلْهِمُهُ الْخَيْرَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ مَا وُضِعَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا قَلَبَ اللَّهُ عَيْنَهُ.

الانغماس في ملذات الدنيا وشهواتها وملاهيها.

فالمریدُ الَّذي صافى المُعاملة مع الله وصدق فقد (قَيَّضَ) أي هَيَّأَ (الله) لَهُ (مَنْ يَأْخُذُ بِيَدِهِ) تسليكًا لَهُ إلى الخير (وَيُلْهِمُهُ) الله تعالى (الخير) فيُقبِلُ عليه هذا المریدُ الصافي غير مُدْبِرٍ، ولا عَجَبَ (فَإِنَّ الصِّدْقَ) عَظِيمُ سِرُّهُ باهرةٌ بَرَكَتُهُ فَإِنَّهُ (مَا وُضِعَ عَلَى شَيْءٍ) قَبِيحٍ كَسُوءِ الْخُلُقِ وَرَدِيءِ الْمُعاملةِ (إِلَّا قَلَبَ اللَّهُ عَيْنَهُ) بَأَنْ جَعَلَ الصِّدْقَ سَبَبًا فِي انْقِلَابٍ وَتَحَوُّلٍ أخلاقِ المرءِ مِنَ السَّيِّئِ وَالْقَبِيحِ إلى الْحَسَنِ وَالْمَلِيحِ، وقد مَدَحَ اللهُ تعالى الصِّدْقَ فِي الْحَالِ وَالْقَالَ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَذْكُرِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤]، وقال أيضًا: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، وقال أيضًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال أيضًا: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٤]، وقال جَلَّ جلالُهُ: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩] يعني الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣] وهؤلاء هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ صَدَّقُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فيما أَتَاهُمْ بِهِ وَاتَّقُوا الْكُفْرَ.

وَمِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ الْبَحْثُ عَنْ هَذِهِ اللَّقْمَةِ فَهِيَ الْأَسَاسُ فَعَلَيْهَا قَامَ عِمَادُ هَذَا الْأَمْرِ

طَلَبُ الرِّزْقِ الْحَلَالِ

(وَمِمَّا لَا بُدَّ) لِلْمُرِيدِ (مِنْهُ الْبَحْثُ عَنْ هَذِهِ اللَّقْمَةِ) الَّتِي يَحْتَاجُهَا لِيَقُومَ بِدَنْهُ لَكِنْ يَجِبُ عَلَيْهِ طَلَبُهَا مِنْ حَلَالٍ وَلَا يَجُوزُ لَهُ طَلَبُهَا مِنْ حَرَامٍ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]»، وَالآيَاتُ الَّتِي جَاءَ فِيهَا الْأَمْرُ بِأَكْلِ الْحَلَالِ دُونَ الْحَرَامِ كَثِيرَةٌ جِدًّا.

(فَدَكْسَبُ الْحَلَالِ وَالْأَكْلُ مِنَ الْحَلَالِ (هِيَ الْأَسَاسُ) أَي لَا يَقْبَلُ الْإِنْفَاقُ بَعْدَهَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ حَلَالٍ (فَعَلَيْهَا) أَي عَلَى أَكْلِ الْحَلَالِ (قَامَ عِمَادُ هَذَا الْأَمْرِ) وَذَلِكَ بَأَنْ كَانَ أَكْلُ الْحَلَالِ مِنْ جُمْلَةِ الْوَاجِبَاتِ وَالْفَرَائِضِ، وَجَدِيرٌ بِنَا عِنْدَ ذَلِكَ التَّذْكِيرُ بِقَوْلِهِ ﷺ حِينَ ذَكَرَ «الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَعُذْيُ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ».

وَمِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ أَنْ تَرْفَعَ كُفَّتَكَ عَنِ الْخَلْقِ وَلَا تُثْقِلَ عَلَى أَحَدٍ وَاحْتَرِزْ وَتَوَرَّعْ فِي
كَسْبِكَ وَنُطْقِكَ وَنَظْرِكَ.....

الإرشاد إلى أخلاق الكاملين وصفات الصالحين

(وَمِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ) لَتَنْتَظِمَ فِي سِلَكِ الْكَامِلِينَ إِذَا ثَبَّتَ عَلَى التَّقْوَى (أَنْ تَرْفَعَ كُفَّتَكَ
عَنِ الْخَلْقِ) فَلَا تَكُونَ كِلْفًا عَلَى غَيْرِكَ فَتَحْمِلَهُ مَا لَا يُطِيقُ (وَلَا تُثْقِلَ عَلَى أَحَدٍ)
فِي طَلَبِكَ لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ مُقَابِلَكَ كَرِيمٌ جَوَادٌ أَوْ فَقِيرٌ حَيٌّ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَأْكُلَ مَالَ
غَيْرِكَ أَوْ تَأْخُذَهُ بِاسْتِحْيَاءٍ مِنْهُ وَأَنْتَ تَعْلَمُ ذَلِكَ فِيهِ، فَقَدْ قَالَ ﷺ: «لَا يَحِلُّ مَالُ
أَمْرِيٍّ مُسْلِمٍ إِلَّا بِطَيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ»، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «فَمَنْ أَخَذَهُ بِطَيْبِ نَفْسٍ
بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا
يَشْبَعُ».

(وَاحْتَرِزْ) أَيِ تَحَفَّظْ مِنْ أَكْلِ الْحَرَامِ (وَتَوَرَّعْ) أَيِ تَجَنَّبِ الْحَرَامَ وَكُلَّ مَا يَرِيبُكَ (فِي
كَسْبِكَ) فَاجْعَلْ كَسْبَكَ حَلَالًا صَافِيًا لَا شُبْهَةَ فِيهِ (وَتَوَرَّعْ فِي (نُطْقِكَ) فَلَا
تَنْطِقْ إِلَّا بِحَيْرٍ (وَتَوَرَّعْ فِي (نَظْرِكَ) فَلَا تَنْظُرْ إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَذَكَّرْ
قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «زَنَا الْعَيْنَيْنِ التَّظَرُّ، وَزَنَا الشَّفَتَيْنِ التَّقْبِيلُ، وَزَنَا الْيَدَيْنِ
الْبَطْشُ، وَزَنَا الرَّجْلَيْنِ الْمَشْيُ، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ الْفَرْجُ، فَإِنْ تَقَدَّمَ بِفَرْجِهِ
كَانَ زَانِيًا، وَإِلَّا فَهُوَ اللَّمَمُ».

وَفِي جَمِيعِ حَرَكَاتِكَ وَلَا تَتَوَسَّعْ فِي مَسْكَنٍ وَلَا فِي مَلْبَسٍ وَلَا فِي مَأْكَلٍ وَلَا مَشْرَبٍ
فَإِنَّ الْحَلَالَ قَلِيلٌ لَا يَحْتَمِلُ السَّرْفَ.

(وَتَوَرَّعْ فِي جَمِيعِ حَرَكَاتِكَ) واجعلها وسكناتك في طاعة الله (وَلَا تَتَوَسَّعْ فِي)
مألوفات الدنيا، لا في (مَسْكَنٍ) بل ابتغ المأوى الذي يسد الحاجة (وَلَا فِي مَلْبَسٍ)
بل ازهد والبس ما يليق بأمثالك من الثياب المتواضعة ولا تتجاوزهُ إلى فاخرِ
الثياب حيث لا ملصحة، وإلا فإن كنت مُقبلاً على تعليم الدين أناساً من أهلِ
الدنيا الذين لا يقبلون منك إلا أن رأوك بثياب حسنة فاخرة فافعل لا بنية الكبر
بل بنية الاستعانة بذلك على تعليمهم الدين (وَلَا) تَتَوَسَّعْ (فِي مَأْكَلٍ وَلَا مَشْرَبٍ)
أصنافاً وأنواعاً بل كُلْ مِنْ صِنْفٍ مَا يَسُدُّ الْحَاجَةَ الَّتِي يَقُومُ بِهَا الْبَدَنُ وَلَا تَغْفُلْ
عَنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَا مَلَأَ عَادِمِي وَعَاءٌ شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُكَ يَا ابْنَ آدَمَ
لُقِمَاتٌ يُقْمَنُ صُلْبُكَ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَثُلْثُ طَعَامٍ، وَثُلْثُ شَرَابٍ، وَثُلْثُ نَفْسٍ»
(فَإِنَّ الْحَلَالَ) كما قال سُفيانُ الثوريُّ رضي الله عنه: (قَلِيلٌ) وَجُودُهُ (لَا يَحْتَمِلُ
السَّرْفَ) أي لا يجوزُ تضييعه وإتلافه ولا ينبغي إنفاقه فيما لا حاجة للمرء إليه،
لأنَّ تحصيلَ المالِ الحلالِ لا سيَّما في هذا الزَّمانِ فيه مَشَقَّةٌ، فإذا كان كذلك فلا
يَهْنُ عليك صرفُهُ في غيرِ محلِّهِ بل خُذْ مِنْهُ مَا يَسُدُّ حَاجَتَكَ دُونَ تَوَسُّعٍ ثُمَّ أَنْفِقِ
الباقِي في وجوه البرِّ لا سيَّما مع وجودِ الصُّروراتِ، وقد قالَ اللهُ تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ

حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

وَأَعْلَمَ أَنَّ التُّفُوسَ إِذَا زَرَعَ الْإِنْسَانُ فِيهَا الشَّهَوَاتِ ثَبَتَتْ أَصُولُهَا فَبَعِيدٌ أَنْ تَنْقَلِعَ
بَعْدَ ذَلِكَ فَلَيْسَ لِلْمُرِيدِ سَعَةٌ وَلَا رَاحَةٌ.

التَّحْذِيرُ مِنْ اتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ

(وَأَعْلَمَ أَنَّ التُّفُوسَ) قَابِلَةٌ لِمَا يُزْرَعُ فِيهَا فـ (إِذَا زَرَعَ الْإِنْسَانُ فِيهَا الشَّهَوَاتِ) فَقَدْ
(ثَبَتَتْ أَصُولُهَا) أَيِ جُذُورُهَا (فَبَعِيدٌ) صَعْبٌ (أَنْ تَنْقَلِعَ) مِنَ النَّفْسِ (بَعْدَ ذَلِكَ)
وَقَدْ قَالَ الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى ﷺ: «حُقَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُقَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ».

فَجَاهِدْ نَفْسَكَ أَيُّهَا الْمُرِيدُ (فَ) لِأَنَّهُ (لَيْسَ لِلْمُرِيدِ) أَيِ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ (سَعَةٌ) أَيِ
اسْتِغْرَاقُ فِي الْمَلَذَّاتِ وَتَوْسُّعٌ فِي الْمَأْلُوفَاتِ وَالْمُسْتَهْطَاتِ (وَلَا رَاحَةً) لَهُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ
الرَّاحَةَ أَمْنِيَّةُ النَّفْسِ وَهِيَ مِيَالَةٌ فِي طَبْعِهَا إِلَى الرَّاحَةِ وَالرُّكُونِ وَالْكَسَلِ وَنِيلِ
الْأُمُورِ بِلَا كَدٍّ وَلَا تَعَبٍ، وَأَخْرَجَ ابْنُ الْمُبَارَكِ وَالطَّبْرَانِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو
بْنِ الْعَاصِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَسَنَّتُهُ، فَإِذَا فَارَقَ الدُّنْيَا فَارَقَ
السِّجْنَ وَالسَّنَةَ».

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله: "معنى قوله ﷺ «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ
وَسَنَّتُهُ» أَنَّ الْمُؤْمِنَ وَإِنْ كَانَ فِي النِّعْمَةِ وَالسَّعَةِ فَهُوَ بِحُجُبٍ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ
فِي الْجَنَّةِ كَأَنَّهُ فِي السِّجْنِ، فَمَنْ كَانَ عَاقِلًا لَا يَكُونُ مَسْرُورًا فِي السِّجْنِ وَلَا يَطْلُبُ
الرَّاحَةَ.

وَمِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ التَّقْلِيلُ مِنَ الطَّعَامِ فَإِنَّهُ يُورِثُ النَّشَاطَ فِي الطَّاعَةِ وَيُذْهِبُ.....

فالمؤمن في الدنيا يبقى في حُزنٍ إلى أن يُبَشِّرَهُ الْمَلَكُ عِنْدَ الْمَوْتِ، فالدُّنْيَا لَا تُؤْمَنُ وَلَا تَقْلُبَاتُهَا بِأَهْلِهَا، فالمؤمنُ الْكَامِلُ يَبْقَى قَلْبًا وَجَلًّا خَائِفًا، إِنْ أَطَاعَ اللَّهُ رَجَا ثَوَابَهُ وَإِنْ عَصَاهُ خَافَ عَذَابَهُ، وَيَكُونُ دَائِمَ الْفِكْرَةِ دَائِمَ الْأَحْزَانِ إِلَى لَحْظَةِ النَّجَاةِ وَالبُشْرَى بِالْجَنَانِ، وَإِنَّمَا يَخْجُزُهُ هَذَا عَنِ الْاسْتِرْسَالِ فِي طَلَبِ وَتَحْصِيلِ شَهَوَاتِ نَفْسِهِ وَتَتَبُّعِ مَلَادِ الدُّنْيَا وَعَنِ الْوُقُوعِ وَالْإِنْعِمَاسِ فِي الْمَحْرَمَاتِ وَالْآثَامِ.

الْمَنَافِعُ الْحِسِّيَّةُ وَالْمَعْنَوِيَّةُ لِتَقْلِيلِ الطَّعَامِ

(وَمِمَّا لَا بُدَّ) لَكَ (مِنْهُ) أَيُّهَا الْمُرِيدُ (التَّقْلِيلُ مِنَ الطَّعَامِ) وَقَدْ سَبَقَ أَنْ ذَكَرْنَا قَوْلَهُ ﷺ: «مَا مَلَأَ عَادِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُكَ يَا ابْنَ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقْمَنَ صُلْبُكَ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَتُلُكْ طَعَامٌ، وَتُلُكْ شَرَابٌ، وَتُلُكْ نَفْسٌ»، وَإِنَّ لِتَقْلِيلِ الطَّعَامِ مَنَافِعَ حِسِّيَّةٍ (فَإِنَّهُ يُورِثُ النَّشَاطَ فِي الطَّاعَةِ) وَقَدْ قَالَ شَيْخُنَا الْإِمَامُ الْهَرِيرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "الْجُوعُ مَعَ التَّقْوَى يُنَوِّرُ الْقَلْبَ"، وَضِدُّ النَّشَاطِ الْكَسَلُ وَهُوَ مِيرَاثُ السَّبْعِ. قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ: "إِنَّ النَّفْسَ إِذَا شَبِعَتْ قَوِيَتْ، فَإِذَا قَوِيَتْ أَخَذَتْ بِحَظِّهَا وَغَلَبَتْ الْقَلْبَ بِوَصْلِهَا إِلَى حَظِّهَا، وَمُدَاوَاتُهَا التَّجْوِيعُ، فَإِنَّهَا إِذَا جَاعَتْ عَدِمَتْ حَظَّهَا وَضَعُفَتْ فَغَلَبَ عَلَيْهَا الْقَلْبُ فَإِذَا غَلَبَ عَلَيْهَا حَمَلَهَا عَلَى الطَّاعَةِ وَأَسْقَطَ عَنْهَا الْكَسَلَ" فَلِذَلِكَ قُلْنَا إِنَّ الْجُوعَ يَجْلِبُ النَّشَاطَ (وَيُذْهِبُ)

الْكَسَلِ. وَعَلَيْكَ بِتَعْمِيرِ الْأَوْقَاتِ فِي لَيْلٍ وَنَهَارٍ فَأَمَّا السَّاعَاتُ الَّتِي دَعَاكَ الشَّرْعُ
إِلَى الْوُقُوفِ فِيهَا بَيْنَ يَدَيِ رَبِّكَ.....

أَيُّ يَطْرُدُ (الْكَسَلِ) وَإِيَّاكَ وَصُحْبَةَ الْكُسَالَى فَتَكْسَلُ، وَقَدْ أَنْشَدَ بَعْضُ أَهْلِ الْأَدَبِ
فِي ذَلِكَ [الْكَامِلُ]:

لَا تَصْحَبِ الْكُسْلَانَ فِي حَالَاتِهِ * * كَمْ صَالِحٍ بَفَسَادٍ آخِرٍ يَفْسُدُ
عَدَوَى الْبَلِيدِ إِلَى الْجَلِيدِ ^(١) سَرِيعَةً * * وَالْجَمْرُ يُوضَعُ فِي الرَّمَادِ فَيُخَمَدُ
وَأَنْشَدَ غَيْرُهُ [الْبَسِيطُ]:

الْجِدُّ فِي الْجِدِّ وَالْحِرْمَانُ فِي الْكَسَلِ * * فَأَنْصَبُ تُصَبُّ عَنْ قَرِيبٍ غَايَةَ الْأَمَلِ

المُحَافَظَةُ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْفَرَايِضِ وَالتَّوَافِلِ

(وَعَلَيْكَ) أَيُّهَا الْمُرِيدُ (بِتَعْمِيرِ الْأَوْقَاتِ) تَعْمِيرًا نَافِعًا (فِي لَيْلٍ وَنَهَارٍ) فِي أَصْنَافِ
الطَّاعَاتِ وَأَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ (فَأَمَّا السَّاعَاتُ) أَيُّ الْأَوْقَاتِ لَا السَّاعَاتُ الْفَلَكَيَّةُ
خُصُوصًا (الَّتِي دَعَاكَ الشَّرْعُ) الْحَنِيفُ (إِلَى الْوُقُوفِ فِيهَا بَيْنَ يَدَيِ رَبِّكَ) أَيُّ
الْوُقُوفِ لِعِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ وَلَيْسَ مَعْنَاهُ التَّحْيِيزُ وَالْمَكَانَ وَالْجَوَارِحَ وَالْأَعْضَاءَ لِتَنْزِهِ
اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَالْعَبْدُ يَقِفُ مُشْتَغَلًا بِطَاعَةِ رَبِّهِ، كَمَا يُقَالُ: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَخَافُ

(١) أَيُّ الْقَوِيِّ الشَّدِيدِ.

فَهِيَ خَمْسَةُ أَوقَاتٍ لِلصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَةِ وَبَقِيَ مَا بَيْنَهَا مِنَ الْأَوْقَاتِ.

وُقُوفَهُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْحِسَابِ" فَلَيْسَ مَعْنَاهُ الْمُقَابَلَةُ وَالْجِهَةُ وَالْمَكَانَ وَلَيْسَ فِيهِ نِسْبَةُ الْيَدِ الْجَارِحَةِ بِمَعْنَى الْعُضْوِ وَالْجِسْمِ وَالْجُزْءِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ. ثُمَّ إِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ (فَ)اعْلَمْ أَنَّ الْأَوْقَاتَ نَوَاعِينَ: أَوقَاتٌ لِلْمَفْرُوضَاتِ وَأَوْقَاتٌ لِلْمَنْدُوبَاتِ، وَالْأُولَى (هِيَ خَمْسَةُ أَوقَاتٍ) فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ (لِلصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَةِ) الظُّهْرُ وَوَقْتُهَا إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ إِلَى مَصِيرِ ظِلِّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ غَيْرِ ظِلِّ الْإِسْتِوَاءِ، وَالْعَصْرُ وَوَقْتُهَا مِنْ بَعْدِ وَقْتِ الظُّهْرِ إِلَى مَغِيبِ الشَّمْسِ، وَالْمَغْرِبُ وَوَقْتُهَا مِنْ بَعْدِ مَغِيبِ الشَّمْسِ إِلَى مَغِيبِ الشَّفَقِ الْأَحْمَرِ، وَالْعِشَاءُ وَوَقْتُهَا مِنْ بَعْدِ وَقْتِ الْمَغْرِبِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ الصَّادِقِ، وَالصُّبْحُ وَوَقْتُهَا مِنْ بَعْدِ الْعِشَاءِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَهَذَا مَذْهَبُ الشَّافِعِيَّةِ مَعَ اخْتِلَافٍ فِي انْتِهَاءِ الْمَغْرِبِ بَيْنَ الْمَذْهَبِ الْقَدِيمِ وَالْجَدِيدِ لِلْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(وَبَقِيَ مَا بَيْنَهَا) أَيِ بَيْنَ أَوقَاتِ الْمَفْرُوضَاتِ (مِنَ الْأَوْقَاتِ) مَغْنَمٌ لَكَ، فَإِنَّ سَعَةَ الْوَقْتِ لِكُلِّ فَرِيضَةٍ مَغْنَمٌ لِمَنْ أَنْ يَرَادَ أَنْ يَشْغَلَهُ بِالصَّلَوَاتِ الْمَنْدُوبَاتِ فِي غَيْرِ الْأَوْقَاتِ الْمَكْرُوهَاتِ الْخَمْسَةِ، ثَلَاثَةٌ مِنْهَا تَتَعَلَّقُ بِالزَّمَانِ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ لِمَنْ صَلَّى صَاحِبَةُ الْوَقْتِ وَلِمَنْ لَمْ يُصَلِّ، وَاثْنَانِ يَتَعَلَّقَانِ بِفِعْلِ صَاحِبَةِ الْوَقْتِ فَمَنْ فَعَلَهَا حَرُمَ عَلَيْهِ بَعْدَهَا الصَّلَاةُ الَّتِي لَا سَبَبَ لَهَا مُتَقَدِّمٌ أَوْ مُقَارِنٌ وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَفْعَلْهَا

فَإِنْ كُنْتَ صَاحِبَ حِرْفَةٍ فَاجْتَهِدْ أَنْ تَعْمَلَ فِي يَوْمٍ مَا يَقُوتُكَ فِي أَيَّامٍ.....

فلا حُرْمَةٌ عَلَيْهِ، وَنَعْنِي بِالثَّلَاثَةِ: وَقْتُ طُلُوعِ الشَّمْسِ حَتَّى تَرْتَفَعَ قَدَرُ رُمُحٍ تَقْرِبًا فِيمَا يَظْهَرُ لِلرَّائِي، وَوَقْتُ الاسْتِواءِ إِلَّا يَوْمَ الْجُمُعَةِ حَتَّى تَزُولَ الشَّمْسُ، وَوَقْتُ اصْفِرَارِ الشَّمْسِ حَتَّى تَغْرُبَ، وَنَعْنِي بِالْاِثْنَيْنِ: الْوَقْتُ بَعْدَ فِعْلِ صَلَاةِ الصُّبْحِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، "وَالْوَقْتُ بَعْدَ فِعْلِ صَلَاةِ الْعَصْرِ وَلَوْ مَجْمُوعَةً فِي وَقْتِ الظُّهْرِ حَتَّى تَغْرُبَ.

وَلَا يَحْرُمُ مَا لَهُ سَبَبٌ غَيْرُ مُتَأَخِّرٍ عَنْهَا كِفَائِيَّةٍ وَلَوْ نَفْلًا مَا لَمْ يَقْصِدْ تَأْخِيرَهَا إِلَيْهَا، وَكُسُوفٍ وَاسْتِسْقَاءٍ وَجِنَازَةٍ لَمْ يَقْصِدْ تَأْخِيرَ الصَّلَاةِ عَلَيْهَا إِلَى وَقْتِ الْمَكْرُوهِ^(١) وَمَنْذُورَةٍ وَمُعَادَةٍ وَسُنَّةٍ وَضُوءٍ وَطَوَافٍ وَدُخُولِ مَنْزِلٍ وَتَحِيَّةٍ وَسَجْدَةٍ تِلَاوَةٍ وَشُكْرِ إِنْ لَمْ يَقْصِدْ بِهِ تَأْخِيرَهَا إِلَيْهَا لِيُصَلِّيَهَا فِيهَا، وَيَحْرُمُ مَا لَهَا سَبَبٌ مُتَأَخِّرٌ عَنْهَا كَصَلَاةِ الاسْتِخَارَةِ وَرُكْعَتَيِ الْإِحْرَامِ لِتَأْخِيرِ سَبَبِ الاسْتِخَارَةِ وَالْإِحْرَامِ عَنْهُمَا وَالْمُتَأَخِّرُ ضَعِيفٌ بِاحْتِمَالِ وَقُوعِهِ وَعَدَمِهِ.

(فَإِنْ كُنْتَ) أَيُّهَا الْمُرِيدُ (صَاحِبَ حِرْفَةٍ) أَيِّ مِهْنَةٍ تَكْتَسِبُ مِنْهَا نَفَقَتَكَ وَنَفَقَةَ مَنْ تَمُونُهُمْ (فَاجْتَهِدْ أَنْ تَعْمَلَ فِي يَوْمٍ) لِكَسْبِ (مَا يَقُوتُكَ فِي أَيَّامٍ) أَيِّ يَسُدُّ حَاجَتَكَ مِنَ الْقُوتِ أَنْتَ وَمَنْ تَمُونُهُمْ لِأَيَّامٍ فَتَكُونَ بِذَلِكَ غَيْرَ شَاغِلٍ وَقَتِكَ كُلَّهُ

(١) لَا لِفَضِيلَةٍ فِيهِ كَكَثْرَةِ الْمُصَلِّينِ.

كَالسَّبْتِيِّ ابْنُ هَارُونَ الرَّشِيدِ.

وَأَسْبُوعَكَ بِأَكْمَلِهِ فِي الْعَمَلِ لِتَحْصِيلِ التَّفَقُّهِ بَلْ كُنْ فِي ذَلِكَ (ك) أَبِي الْعَبَّاسِ
أَحْمَدَ الزَّاهِدِ الْمَعْرُوفِ بِ(السَّبْتِيِّ ابْنِ) الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ الْخَامِسِ (هَارُونَ
الرَّشِيدِ) وَسُمِّيَ ابْنُ هَارُونَ السَّبْتِيُّ لَكُونِهِ لَا يَعْمَلُ إِلَّا يَوْمَ السَّبْتِ أَجِيرًا فِي الطِّينِ
فِيَكْسِبُ دِرْهَمًا وَدَانِقًا ثُمَّ يُقْبِلُ عَلَى الْعِبَادَةِ بَقِيَّةَ أَيَّامِ الْأُسْبُوعِ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْفَرَجِ الْعَابِدُ: احْتَجْتُ إِلَى صَانِعٍ يَصْنَعُ لِي شَيْئًا مِنْ أَمْرِ
الرُّوزْجَارِيِّينَ^(١) فَاتَيْتُ السُّوقَ فَإِذَا فِيءَاخِرِهِمْ شَابٌّ مُصَفَّرٌ بَيْنَ يَدَيْهِ زَنْبِيلٌ^(٢) كَبِيرٌ
وَمَرٌّ^(٣) وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ صُوفٍ وَمِزْرٌ صُوفٍ، فَقُلْتُ لَهُ: تَعْمَلُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: بِكَمْ؟
قَالَ: بِدِرْهَمٍ وَدَانِقٍ^(٤)، قُلْتُ لَهُ: قُمْ حَتَّى تَعْمَلَ، فَقَالَ: عَلَى شَرِيطَةٍ، قُلْتُ: وَمَا هِيَ؟
قَالَ: إِذَا كَانَ وَقْتُ الظُّهْرِ وَأَدْنَى الْمُؤَدِّ خَرَجْتُ فَتَطَهَّرْتُ وَصَلَّيْتُ فِي الْمَسْجِدِ
جَمَاعَةً ثُمَّ رَجَعْتُ، فَإِذَا كَانَ وَقْتُ الْعَصْرِ فَكَذَلِكَ، قُلْتُ: نَعَمْ. فَقَامَ مَعِيَ فَجِئْنَا
الْمَنْزِلَ فَوَافَقْتُهُ عَلَى مَا يَنْقُلُهُ مِنْ مَوْضِعٍ فَشَدَّ وَسَطَهُ وَجَعَلَ يَعْمَلُ وَلَا يُكَلِّمُنِي

(١) أَيِ الْعَامِلِينَ بِأَجْرٍ يَوْمِيًّا.

(٢) أَيِ قُبَّةٍ أَوْ وِعَاءٍ.

(٣) أَيِ حَبْلٍ.

(٤) أَيِ سُدُسٍ دِرْهَمٍ.

وَلَا تُفَارِقُ مُصَلَّاكَ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ إِلَى أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ.....

حَتَّى أَذَّنَ الظُّهْرَ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ قَدْ أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ، فَقُلْتُ: شَأْنُكَ، فَخَرَجَ فَصَلَّى وَعَادَ فَعَمِلَ عَمَلًا جَيِّدًا إِلَى الْعَصْرِ، فَلَمَّا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ خَرَجَ فَصَلَّى ثُمَّ رَجَعَ فَعَمِلَ إِلَى آخِرِ النَّهَارِ، فَوَزَنْتُ لَهُ أَجْرَتَهُ فَانصَرَفَ.

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ احْتَجْنَا إِلَى عَمَلٍ فَقَالَتْ لِي زَوْجَتِي: اطْلُبْ لَنَا ذَاكَ الصَّانِعَ الشَّابَّ فَإِنَّهُ قَدْ نَصَحَنَا فِي عَمَلِنَا. فَجِئْتُ إِلَى السُّوقِ فَلَمْ أَرَهُ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقَالُوا: تَسْأَلُ عَنْ ذَاكَ الْمُصَفِّرِ الْمُشَوُّومِ الَّذِي لَا نَرَاهُ إِلَّا مِنْ سَبْتٍ إِلَى سَبْتٍ لَا يَجْلِسُ إِلَّا وَحْدَهُ فِي آخِرِ النَّاسِ، فَانصَرَفْتُ. فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ السَّبْتِ أَتَيْتُ السُّوقَ فَصَادَفْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ: تَعْمَلُ مَعِيَ؟ فَقَالَ: قَدْ عَرَفْتَ الْأَجْرَةَ وَالشَّرْطَ، فَقُلْتُ: اسْتَخِرِ اللَّهَ تَعَالَى، فَقَامَ فَعَمِلَ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ، فَلَمَّا وَزَنْتُ لَهُ الْأَجْرَةَ زِدْتُهُ، فَأَبَى أَنْ يَأْخُذَ الزِّيَادَةَ، فَأَلْحَحْتُ عَلَيْهِ، فَضَجِرَ وَتَرَكَنِي وَمَضَى، فَعَمَّيْتُ ذَلِكَ، فَاتَّبَعْتُهُ وَدَارَيْتُهُ حَتَّى أَخَذَ أَجْرَتَهُ فَقَطَ.

(وَلَا تُفَارِقُ مُصَلَّاكَ) أَي مَكَانَ صَلَاتِكَ (بَعْدَ) أَدَاءِ (صَلَاةِ الصُّبْحِ) أَي فَرَضِهِ بَلْ امْكُثْ فِي مُصَلَّاكَ ذَاكِرًا اللَّهَ تَعَالَى بِحُضُورِ قَلْبٍ وَخُشُوعٍ (إِلَى أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ) قَدَّرَ رُمُحٌ ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ صَلَاةَ الصُّحَى لِتَنَالِ الْفَضِيلَةَ الَّتِي جَاءَتْ فِي الْحَدِيثِ،

وَلَا بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ ذَاكِرًا اللَّهَ بِمَحْضُورٍ وَخُشُوعٍ.

فَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ^(١) فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ^(٢) تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ».

وَجَاءَ فِي حَدِيثٍ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ عَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَعَدَ فِي مُصَلَّاهُ حِينَ يَنْصَرِفُ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ حَتَّى يُسَبِّحَ رَكْعَتَي الضُّحَى لَا يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا غُفِرَ لَهُ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ الْبَحْرِ».

وكَذَلِكَ جَاءَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَأَحْمَدُ وَابِيهَقِي: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا أَنْ أَقْعَدَ أَذْكُرُ اللَّهَ وَأُكَبِّرُهُ وَأُحْمَدُهُ وَأُسَبِّحُهُ وَأُهَلِّلُهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتِقَ رَقَبَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَمِنْ بَعْدِ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتِقَ أَرْبَعَ رِقَابٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ»، وَلِذَلِكَ قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدِي الدِّينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَا) تَقُمْ مِنْ مُصَلَّاكَ (بَعْدَ) آدَاءِ (صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ) بَلِ امْكُثْ فِيهِ (ذَاكِرًا اللَّهَ) تَعَالَى (بِمَحْضُورٍ) قَلْبٍ (وَخُشُوعٍ) تَامِينَ.

(١) أَيِ الصُّبْحِ.

(٢) أَيِ مِنَ التَّوَاتُلِ.

وَلَا يَفُتُّكَ الْوُقُوفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الظُّهْرِ إِلَى الْعَصْرِ وَمِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْعِشَاءِ الْأَخِيرَةِ بِعِشْرِينَ رَكْعَةً.

(وَلَا يَفُتُّكَ) أَيُّهَا الْمُرِيدُ (الْوُقُوفُ) مُصَلِّيًّا (بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى) أَيِ الْوُقُوفِ لِعِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ وَلَيْسَ مَعْنَاهُ التَّحَيُّزُ وَالْمَكَانَ وَالْجَوَارِحَ وَالْأَعْضَاءَ لِتَنْزِهِ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَالْعَبْدُ يَقِفُ مُشْتَغِلًا بِطَاعَةِ رَبِّهِ، كَمَا يُقَالُ: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَخَافُ وَقُوفَهُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْحِسَابِ" فَلَيْسَ مَعْنَاهُ الْمُقَابَلَةُ وَالْجِهَةُ وَالْمَكَانَ وَلَيْسَ فِيهِ نِسْبَةُ الْيَدِ الْجَارِحَةِ بِمَعْنَى الْعُضْوِ وَالْجِسْمِ وَالْجُزْءِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ. فَأَوْصَى الشَّيْخُ بِالْوُقُوفِ فِي طَاعَةِ (مِنَ الظُّهْرِ إِلَى الْعَصْرِ) بِعِشْرِينَ رَكْعَةً نَافِلَةً (وَمِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْعِشَاءِ الْأَخِيرَةِ بِعِشْرِينَ رَكْعَةً) نَافِلَةً، أَمَّا الْأَوَّلُ فَلَعَلَّ لِلشَّيْخِ مُحِي الدِّينِ فِيهِ أَثَرٌ، وَأَمَّا الثَّانِي فَلِحَدِيثِ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُمَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ عِشْرِينَ رَكْعَةً بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ» وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ، وَجَاءَ فِي حَدِيثٍ ضَعِيفٍ أَيْضًا: «مَنْ صَلَّى مَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ إِلَى صَلَاةِ الْعِشَاءِ فَإِنَّهَا صَلَاةُ الْأَوَّابِينَ»، وَالْحَدِيثَانِ وَإِنْ كَانَا ضَعِيفَيْنِ إِلَّا أَنَّهُ يُعْمَلُ بِالضَّعِيفِ فِي فَضَائِلِ الْأَعْمَالِ بِشَرْطِهِ.

وقد قال شيخنا الإمام الحافظ عبد الله الهرري رضي الله عنه: "صلاة الأوابين الواردة في حديث ضعيف هي بين المغرب والعشاء من ركعتين إلى ست إلى

وَحَافِظٌ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ أَوَّلَ النَّهَارِ وَقَبْلَ الظُّهْرِ وَبَعْدَهُ قَبْلَ الْعَصْرِ.....

عَشْرِينَ رُكْعَةً، وَالْحَدِيثُ الَّذِي وَرَدَ فِيهَا يُعْمَلُ بِهِ. وَالْأَوَّابُونَ مَعْنَاهُ التَّوَّابُونَ الَّذِينَ يُكْثِرُونَ الرَّجُوعَ إِلَى اللَّهِ إِذَا وَقَعُوا فِي الْمَعْصِيَةِ يَتُوبُونَ قَوْرًا وَهَكَذَا كُلَّمَا عَصَا يَتُوبُونَ" اهـ.

(و) لَا تَنْسَ فَضِيلَةَ صَلَاةِ الضُّحَى وَ(حَافِظٌ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ) مِنْهَا إِنْ اسْتَطَعْتَ، وَوَقْتُ فِعْلِهَا (أَوَّلَ النَّهَارِ) أَيُّ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ قَدَرِ رُمُحٍ إِلَى مَا قَبْلَ دُخُولِ وَقْتِ الظُّهْرِ، وَأَدْنَاهَا رَكَعَتَانِ وَأَقْصَاهَا ثِنْتَا عَشْرَةَ وَأَفْضَلُهَا ثَمَانٌ، فَوَاطِبُ عَلَيْهَا رَجَاءُ نَيْلِكَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ مِنَ اللَّهِ وَالْفَضِيلَةِ الْوَارِدَةِ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» وَالتِّرْمِذِيُّ وَالبَيْهَقِيُّ وَالدَّارِمِيُّ وَغَيْرُهُمْ مِنْ حَدِيثِ نُعَيْمِ بْنِ هَمَّارٍ الْعَطْفَانِيِّ^(١) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرَوِيهِ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا ابْنَ آدَمَ صَلِّ لِي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ أَوَّلَ النَّهَارِ أَكْفِكَ آخِرَهُ».

(و) حَافِظٌ عَلَى رَوَاتِبِ الصَّلَوَاتِ أَيُّ السُّنَنِ التَّابِعَةِ لَهَا وَهِيَ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ سَبْعَةٌ عَشَرَ رُكْعَةً: رَكَعَتَا الْفَجْرِ، وَأَرْبَعُ (قَبْلَ الظُّهْرِ وَ) رَكَعَتَانِ (بَعْدَهُ) وَأَرْبَعُ (قَبْلَ الْعَصْرِ) وَرَكَعَتَانِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ وَثَلَاثٌ بَعْدَ الْعِشَاءِ يُوتَرُّ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ، وَوَاطِبٌ عَلَى التَّوَافِلِ الْمُؤَكَّدَاتِ الثَّلَاثِ: صَلَاةُ اللَّيْلِ، وَصَلَاةُ الضُّحَى، وَصَلَاةُ التَّرَاوِيحِ،

(١) هُوَ صَحَابِيٌّ مَعْدُودٌ فِي الشَّامِيِّينَ لِأَنَّهُ نَزَلَ دِمَشْقَ فِيمَا بَعْدَ.

وَأَجْعَلْ وَتَرَكَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، وَلَا تَنْمِ إِلَّا عَنْ غَلْبَةٍ.....

(وَأَجْعَلْ وَتَرَكَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً) تَأْسِيًّا أَيِ اقْتِدَاءً بِمَا رُوِيَ مِنْ فِعْلِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَدْ رَوَى أَصْحَابُ الصَّحاحِ الأربعة البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَابْنُ خُزَيْمَةَ وَحِبَّانٌ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً مِنْهَا الْوُتْرُ»، وَفِي رَوَايَةٍ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً يُوتِرُ مِنْ ذَلِكَ بِخَمْسٍ لَا يَجْلِسُ فِي شَيْءٍ إِلَّا فِي آخِرِهَا».

الِاقْتِصَارُ عَلَى الْحَاجَةِ مِنَ التَّوْمِ وَالْمَأْكَلِ وَالْمَلْبَسِ

(وَلَا تَنْمِ إِلَّا عَنْ غَلْبَةٍ) أَيِ بَأْنِ يَغْلِبُكَ ذَلِكَ فَتَنَامُ عَنْ حَاجَةِ بَدْنِكَ إِلَى ذَلِكَ، وَلَا تَرْكَنْ إِلَى التَّوْمِ كُلَّمَا أَحْسَسْتَ بُعَاسٍ، فَإِذَا كَسَلْتَ فَتَوَضَّأْ وَصَلِّ رَكَعَتَيْنِ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ نَشَاطًا لِبَدْنِكَ. وَقَدْ قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: "خَصَلْتَانِ تُقَسِّيَانِ الْقَلْبَ: كَثْرَةُ التَّوْمِ وَكَثْرَةُ الْأَكْلِ" اهـ.

وَرُوِيَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمَانَ بِنْتُ دَاوُدَ لِسُلَيْمَانَ: يَا بُنَيَّ لَا تُكْثِرِ التَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَإِنَّ كَثْرَةَ التَّوْمِ بِاللَّيْلِ تَنْزُكُ الرَّجُلَ فَقِيرًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَقَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ: "كَانَتْ رَابِعَةُ الْعَدَوِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَقُومُ اللَّيْلِ وَتَهْجَعُ

عِنْدَ السَّحَرِ، فَإِذَا انْتَبَهَتْ قَالَتْ: يَا نَفْسُ كَمْ تَنَامِينَ؟ يُوشِكُ أَنْ تَنَامِيَ فَلَا تَقُومِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ". وَقَدْ قِيلَ فِي ذَلِكَ [الْحَفِيف]:

يَا كَثِيرَ الرُّقَادِ وَالْعَفَلَاتِ ❀❀ كَثْرَةُ النَّوْمِ ثَوْرُثُ الْحَسَرَاتِ

(وَلَا) تَكُنْ أَيْهَا الْمَرِيدُ مِنَ الْمُتَنَعِّمِينَ، فَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: «يَا مُعَاذُ إِيَّاكَ وَالتَّنَعُّمُ، فَإِنَّ عِبَادَ اللَّهِ لَيَسُوءُ بِالْمُتَنَعِّمِينَ»، فَلَا (تَأْكُلْ إِلَّا عَنْ فَاقَةٍ) أَيِ حَاجَةٍ إِلَى الطَّعَامِ وَافْتِقَارٍ إِلَيْهِ لِيُقَوْمَ الْبَدَنُ وَلَيْسَ لِمَجَرَّدِ إِشْبَاعِ شَهْوَةِ النَّفْسِ وَتَطْلُعِهَا إِلَى ذَوْقِ مَا تَشْتَهِيهِ.

وَقَدْ حَكَى يَوْسُفُ الْهَمْدَانِيُّ الزَّاهِدُ عَنْ شَيْخِهِ عَبْدِ اللَّهِ الْخَوْفِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ خُبْزَ الْبَلُّوطِ بِغَيْرِ إِدَامٍ وَكَانَ أَصْحَابُهُ يَسْأَلُونَهُ أَنْ يَأْكُلَ شَيْئًا مِنَ الدَّهْنِ وَالذُّسُومَاتِ فَلَا يَفْعَلُ.

وَحُكِيَ أَنَّ مَالِكََ بْنَ دِينَارٍ قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ: إِنِّي لَأَشْتَهِي رَغِيفًا لَيْتًا بَلْبَنٍ رَائِبٍ، فَاَنْطَلَقَ فَجَاءَهُ بِهِ، فَجَعَلَ مَالِكُ يُقَلِّبُهُ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَشْتَهِيكَ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَعَلَبْتُكَ حَتَّى كَانَ الْيَوْمُ تُرِيدُ أَنْ تَغْلِبَنِي إِلَيْكَ عَنِّي، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَهُ.

وَلَا تَلْبَسْ إِلَّا عَنْ وَقَايَةٍ مِنْ حَرٍّ أَوْ بَرْدٍ بِنِيَّةِ سِتْرِ الْعَوْرَةِ وَدَفْعِ الْأَذَى الْقَاطِعِ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّكَ. وَإِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يَعْرِفُ أَنْ يَكْتُبَ فَاجْعَلْ عَلَى نَفْسِكَ وَرَدًّا مِنَ الْقُرْآنِ فِي الْمُصْحَفِ تُمْسِكُهُ فِي حِجْرِكَ وَتُلْقِي يَدَكَ.....

(وَلَا تَلْبَسْ) الثِّيَابِ (إِلَّا عَنْ) حَاجَةٍ إِلَى (وَقَايَةٍ) لِبَدَنِكَ (مِنْ حَرٍّ أَوْ بَرْدٍ) يُصِيبُهُ وَ(بِنِيَّةٍ) حَسَنَةٍ فِي (سِتْرِ الْعَوْرَةِ) فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَوْجَبَ عَلَى الْمُكَلَّفِينَ سِتْرَ عَوْرَاتِهِمْ عِنْدَ مَنْ لَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهَا، فَإِذَا فَعَلْتَ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْكَ فَتَقَرَّبَ بِذَلِكَ الْوَاجِبِ إِلَى اللَّهِ تَنَلَّ جَزِيلَ الثَّوَابِ مِنْهُ (وَ) لِيُعِينَكَ هَذَا السِّتْرُ عَلَى (دَفْعِ الْأَذَى) عَنْكَ سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ مِنَ الْأَذَى (الْقَاطِعِ) لَكَ (عَنْ) أَدَاءِ (عِبَادَةِ رَبِّكَ) مِنْ صَلَاةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ أَوْ غَيْرِ مَا نَعِيَ عَنْهَا، لِأَنَّ حِفْظَ النَّفْسِ وَاجِبٌ وَهُوَ أَحَدُ الْكُلِّيَّاتِ الْخَمْسِ الَّتِي قَرَّرَتِ الشَّرَائِعُ كُلُّهَا حِفْظَهَا.

المُؤَاطَبَةُ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ بِتَدَبُّرٍ

(وَإِنْ كُنْتَ) أَيُّهَا الْمُرِيدُ (مِمَّنْ يَعْرِفُ أَنْ يَكْتُبَ) أَيَّ يَعْرِفُ أَنْ يَقْرَأَ الْمَكْتُوبَ وَإِنْ كَانَ عَاجِزًا عَنِ الْخَطِّ لِضَعْفٍ أَوْ عَاقَةٍ (فَاجْعَلْ عَلَى نَفْسِكَ) أَيَّ الزِّمْمَا (وَرَدًّا) أَيَّ وَظِيفَةً تِلَاوَةٍ (مِنَ الْقُرْآنِ) الْكَرِيمِ مَعَ التَّنْظِيرِ (فِي الْمُصْحَفِ) وَكَيْفِيَّةُ ذَلِكَ أَنَّكَ (تُمْسِكُهُ فِي حِجْرِكَ) وَأَنْتَ عَلَى طَهَارَةٍ كَامِلَةٍ بِهَيْئَةٍ تَعْظِيمٍ لَهُ (وَتُلْقِي يَدَكَ

الْيُسْرَى تَحْتَ الْمُصْحَفِ وَتُمَشِّي بِيَدِكَ الْيُمْنَى عَلَى حُرُوفِهِ وَأَنْتَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ.....

(الْيُسْرَى) أَي تَضَعُهَا (تَحْتَ الْمُصْحَفِ) الشَّرِيفِ (وَتُمَشِّي) أَي تُسِيرُ (بِ) سَبَابَةِ (يَدِكَ الْيُمْنَى عَلَى حُرُوفِهِ) غَيْرَ سَاتِرٍ لَهَا لِتَمَكَّنَ مِنْ قِرَاءَتِهَا (وَأَنْتَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ) مُسْتَحْضِرًا تَعْظِيمَهُ فِي قَلْبِكَ.

قال الحافظُ التَّوِيُّ رحمه الله: "وقراءةُ القرآنِ مِنَ الْمُصْحَفِ أَفْضَلُ مِنَ الْقِرَاءَةِ عَنْ ظَهْرِ الْقَلْبِ لِأَنَّ النَّظَرَ فِي الْمُصْحَفِ عِبَادَةٌ مَطْلُوبَةٌ فَتَجْتَمِعُ الْقِرَاءَةُ وَالنَّظَرُ، هَكَذَا قَالَهُ الْقَاضِي حُسَيْنٌ مِنْ أَصْحَابِنَا وَأَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ وَجَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ. وَنَقَلَ الْغَزَالِيُّ فِي «الْإِحْيَاءِ»^(١) أَنَّ كَثِيرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَانُوا

(١) لِيُحَذَّرَ مِنْ بَعْضِ مَا فِي كِتَابِ «إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ» مِمَّا نَعْتَقِدُ دَسَّهُ عَلَى الْغَزَالِيِّ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الدَّاسِينِ عَلَى الْغَزَالِيِّ: "لَوْ رَأَيْتَ أَبَا يَزِيدَ مَرَّةً وَاحِدَةً كَانَ أَنْفَعَ لَكَ مِنْ أَنْ تَرَى اللَّهَ سَبْعِينَ مَرَّةً"، وَهَذَا مُعَارِضٌ لِمَا جَاءَ فِي نصوصٍ حَدِيثِيَّةٍ وَإِجْمَاعٍ عَلَى أَنَّ أَعْظَمَ نَعِيمٍ أَهْلُ الْجَنَّةِ رُؤْيُتُهُمْ رَبَّهُمْ وَهُوَ تَعَالَى بِلاَ كَيْفٍ وَلَا مَكَانٍ وَلَا جِهَةٍ وَلَا مُقَابَلَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يُشَبِّهُهُمْ، وَمِنْ أَشْنَعِ ذَلِكَ مَا وَضَعَ الْوَضَاعُونَ الْكَذَّابُونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَوْلَهُمْ: «مَنْ قَالَ أَنَا عَالِمٌ فَهُوَ جَاهِلٌ، وَمَنْ قَالَ أَنَا مُؤْمِنٌ فَهُوَ كَافِرٌ» وَهُوَ كَلَامٌ مَرْدُودٌ مُضَادٌّ لِلشَّرِيعَةِ لَا يَجُوزُ عَلَى رَسُولِ ﷺ، وَلَا نَعْتَقِدُ إِلَّا دَسَّ إِيْرَادِ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ عَلَى الْغَزَالِيِّ، وَقَدْ أَفْرَدْنَا فِي ذَلِكَ رِسَالَةً أَسَمَيْنَاهَا «تَنْبِيهُ الْأَحْيَاءِ عَلَى بَعْضِ مَا فِي كِتَابِ الْإِحْيَاءِ» فَاَنْظُرُوهُ.

وَتَرْفَعُ صَوْتَكَ بِحَيْثُ تَسْمِعُ نَفْسَكَ وَتُرْتِّلُ الْقُرْآنَ

يَقْرَأُونَ مِنَ الْمُصْحَفِ وَيَكْرَهُونَ أَنْ يَخْرُجَ يَوْمٌ وَلَمْ يَنْظُرُوا فِي الْمُصْحَفِ. وَرَوَى ابْنُ أَبِي دَاوُدَ الْقِرَاءَةَ فِي الْمُصْحَفِ عَنْ كَثِيرِينَ مِنَ السَّلَفِ وَلَمْ أَرْ فِيهِ خِلَافًا، وَلَوْ قِيلَ إِنَّهُ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَشْخَاصِ فَيُخْتَارُ الْقِرَاءَةُ فِي الْمُصْحَفِ لِمَنِ اسْتَوَى خُشُوعُهُ وَتَدَبُّرُهُ فِي حَالَتِي الْقِرَاءَةِ فِي الْمُصْحَفِ وَعَنْ ظَهْرِ الْقَلْبِ وَيُخْتَارُ الْقِرَاءَةُ عَنْ ظَهْرِ الْقَلْبِ لِمَنْ لَمْ يَكْمُلْ بِذَلِكَ خُشُوعُهُ وَيَزِيدُ عَلَى خُشُوعِهِ وَتَدَبُّرِهِ لَوْ قَرَأَ مِنَ الْمُصْحَفِ لَكَانَ هَذَا قَوْلًا حَسَنًا، وَالظَّاهِرُ أَنَّ كَلَامَ السَّلَفِ وَفِعْلَهُمْ مَحْمُولٌ عَلَى هَذَا التَّفْصِيلِ " اهـ.

(و) إِذَا حَمَلْتَ الْمُصْحَفَ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ فَانْظُرْ فِيهِ وَأَنْتَ (تَرْفَعُ صَوْتَكَ) فِي تِلَاوَتِهِ (بِحَيْثُ تَسْمِعُ نَفْسَكَ) وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَرْفَعَ فَوْقَ ذَلِكَ شَيْئًا فَعَلْتَ (وَتُرْتِّلُ الْقُرْآنَ) تَرْتِيلًا، فَقَدْ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى اسْتِحْبَابِ التَّرْتِيلِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [الْمُزْمَل: ٤].

وَعَنْ يَعْلَى بْنِ مَمْلُوكٍ: أَنَّهُ سَأَلَ أُمَّ سَلَمَةَ عَنْ قِرَاءَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَلَاتِهِ فَقَالَتْ: «وَمَا لَكُمْ وَصَلَاتُهُ، كَانَ يُصَلِّي ثُمَّ يَنَامُ قَدْرَ مَا صَلَّى، ثُمَّ يُصَلِّي قَدْرَ مَا نَامَ، ثُمَّ يَنَامُ قَدْرَ مَا صَلَّى حَتَّى يُصْبِحَ»، وَنَعَتَتْ لَهُ قِرَاءَتَهُ، فَإِذَا هِيَ تَنَعَتْ قِرَاءَةً مُفَسَّرَةً حَرْفًا حَرْفًا، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

وَتَسْأَلُ فِي الْآيَةِ الَّتِي تُوجِبُ السُّؤَالَ فِيهَا، وَتَعْتَبِرُ فِي آيَاتِ الْاِعْتِبَارِ، وَتُعَامِلُ كُلَّ
آيَةٍ بِحَسَبِ مَا تَنْزَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ اسْتِعَاذَةٍ وَاسْتِغْفَارٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَإِذَا قَرَأْتَ وَصَفَهُ
لِلْمُؤْمِنِينَ.....

غَرِيبٌ.

وعن معاوية بن قرة رضي الله عنه عن عبد الله بن معقل رضي الله عنه قال:
«رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ فَتَحَ مَكَّةَ عَلَى نَاقَتِهِ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ»، رواه الشيخان.

(و) تَسْتَبْشِرُ (و) (تَسْأَلُ) اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فَضْلِهِ (فِي) تِلَاوَةِ (الْآيَةِ الَّتِي تُوجِبُ) أَيِ
تَقْتَضِي مِنَ الْقَارِئِ (السُّؤَالَ فِيهَا) أَيِ الدُّعَاءِ عِنْدَهَا، وَهِيَ آيَاتُ الرَّحْمَةِ نَحْوُ قَوْلِهِ
تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل
عمران: ٨] (وَتَعْتَبِرُ فِي آيَاتِ الْاِعْتِبَارِ) كَالآيَاتِ الَّتِي جَاءَ فِيهَا ذِكْرُ عَاقِبَةِ قَوْمٍ عَادٍ
وَقَوْمٍ هُودٍ (وَتُعَامِلُ كُلَّ آيَةٍ بِحَسَبِ مَا تَنْزَلَتْ عَلَيْهِ) أَيِ مِنْ مَوْضُوعِهَا (مِنْ)
إِتْيَانِكَ بـ (اسْتِعَاذَةٍ) إِذَا مَرَرْتَ بِآيَةِ عَذَابٍ أَوْ تَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ"
(و) إِتْيَانِكَ بـ (اسْتِغْفَارٍ) إِذَا مَرَّ بِآيَةِ عَفْوٍ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ
نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠]، (وَعَبْرَ ذَلِكَ) كَمُرُورِكَ
بِآيَةِ تَنْزِيهِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّكَ تُنْزِلُهُ وَتُقَدِّسُهُ فَتَقُولُ: سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَوْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
أَوْ جَلَّ جَلَالُهُ أَوْ عَزَّ شَأْنُهُ (وَإِذَا قَرَأْتَ وَصَفَهُ) أَيِ الْقُرْآنَ (لِلْمُؤْمِنِينَ) الْكَمَلِ

فَانْظُرْ مَا عِنْدَكَ مِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ وَمَا فَقَدْتَ مِنْ ذَلِكَ فَاشْكُرْهُ عَلَى مَا عِنْدَكَ وَحَصِّلْ مَا فَاتَكَ. وَكَذَلِكَ إِذَا قَرَأْتَ وَصْفَهُ لِلْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ ، فَانْظُرْ هَلْ فِيكَ مِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ شَيْءٌ أَمْ لَا.

وَمِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ مُحَاسَبَتُكَ نَفْسَكَ

بِالصِّفَاتِ الْحَسَنَةِ (فَانْظُرْ مَا عِنْدَكَ) أَيِ فِيكَ (مِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ) وَاحْمَدِ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ (وَ) أَمَّا (مَا فَقَدْتَ مِنْ ذَلِكَ) مِنْ الْخِصَالِ فَإِنَّهُ مِنْ تَقْصِيرِكَ (فَاشْكُرْهُ) عَزَّ وَجَلَّ (عَلَى مَا عِنْدَكَ) مِنْ الْخِصَالِ الْحَسَنَةِ (وَحَصِّلْ مَا فَاتَكَ) مِنْ ذَلِكَ (وَكَذَلِكَ إِذَا قَرَأْتَ وَصْفَهُ) أَيِ الْقُرْآنَ (لِلْمُنَافِقِينَ) وَهُمْ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ الْإِيمَانَ وَيُبْطِنُونَ الْكُفْرَ (وَ) وَصْفَهُ (الْكَافِرِينَ) وَسُوءَ خِصَالِهِمْ، فَإِنَّهُ مِنْ خِصَالِهِمْ مَا يَزِيدُهُمْ كُفْرًا وَمِنْهَا مَا يَزِيدُهُمْ إِثْمًا (فَانْظُرْ) نَظَرَ تَفَكُّرٍ (هَلْ فِيكَ مِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ) السَّيِّئَةِ (شَيْءٌ أَمْ لَا) وَإِنْ لَمْ تَصِلْ بِكَ إِلَى الْوُقُوعِ فِي الْكُفْرِ، كَالْبُخْلِ بِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ مِنْ إِنْفَاقٍ وَالْحَسَدِ الْمَحْرَمِ وَالْحِقْدِ عَلَى الْمُسْلِمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ سَيِّئِ الْخِصَالِ.

مُحَاسَبَةُ النَّفْسِ وَمُرَاعَاةُ الْخَوَاطِرِ

(وَ) اْعْلَمْ أَيُّهَا الْمُرِيدُ أَنَّ (مِمَّا لَا بُدَّ) لَكَ (مِنْهُ مُحَاسَبَتُكَ نَفْسَكَ) كُلَّ يَوْمٍ وَعَدَمُ غَفْلَتِكَ عَنْهَا فِي أَيِّ وَقْتٍ، فَإِنَّ مُرَاقَبَةَ الْقَلْبِ تُعِينُ عَلَى كَبْحِ الْجَوَارِحِ عَنِ الْوُقُوعِ فِي الْحَرَامِ، وَقَدْ أَشَارَ الْقُرْآنُ إِلَى ذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ

وَمُرَاعَاةُ خَوَاطِرِكَ مَعَ الْأَوْقَاتِ

زَكَّاهَا ﴿[الشَّمْس: ٩]﴾ أَي فَازَ مَنْ أَصْلَحَهَا وَظَهَّرَهَا مِنَ الذُّنُوبِ وَرَاقَبَهَا فَلَمْ يَتْرُكْهَا
لِلسَّقُوطِ فِي مَهَاوِي الْآثَامِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ
نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨]، وَقَدْ قَالَ سَيِّدُ
النَّاسِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ» أَي الْعَاقِلُ
الْفَطْنُ الذَّكِيُّ هُوَ الَّذِي يُحَاسِبُ نَفْسَهُ فِي الْحَيَاةِ فَيَعْمَلُ لِآخِرَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ فَيُحَاسَبَ عَلَى عِصْيَانِهِ وَتَقْصِيرِهِ فِي مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ.

(وَمُرَاعَاةُ) أَي مُرَاقَبَةُ (خَوَاطِرِكَ) بِمُلَاحَظَتِهَا (مَعَ الْأَوْقَاتِ) كُلِّهَا، فَلَا تَلْتَفِتْ إِلَى
الرَّدِيِّ مِنْهَا بَلْ رُدَّهُ ابْتِدَاءً لئَلَّا يَسْتَحْكِمَ بَعْدَ ذَلِكَ. وَالْخَوَاطِرُ خِطَابٌ يَرِدُ عَلَى
الضَّمَائِرِ، فِيمَا أَنْ يَكُونَ بِإِلْقَاءِ مَلَكٍ فَيَكُونُ حَسَنًا أَوْ بِإِلْقَاءِ شَيْطَانٍ خَبِيثٍ
فَيَكُونُ قَبِيحًا، وَكَذَلِكَ يَكُونُ مِنْ أَحَادِيثِ النَّفْسِ.

فَإِذَا كَانَ مِنَ الْمَلَكِ فَهُوَ الْإِلْهَامُ، وَإِذَا كَانَ مِنَ قِبَلِ النَّفْسِ قِيلَ لَهُ الْهَوَاجِسُ، وَإِذَا
كَانَ مِنَ قِبَلِ الشَّيْطَانِ فَهُوَ الْوَسْوَاسُ.
وَإِذَا كَانَ مِنَ قِبَلِ الْمَلَكِ فَإِنَّمَا يُعْلَمُ صِدْقُهُ بِمُوَافَقَةِ الْعِلْمِ وَلِهَذَا قَالُوا: كُلُّ خَاطِرٍ لَا
يَشْهَدُ لَهُ ظَاهِرٌ ^(١) فَهُوَ بَاطِلٌ.

(١) أَي ظَاهِرٍ مِنَ الشَّرْعِ.

وَأَشْعِرِ الْحَيَاءَ مِنَ اللَّهِ قَلْبَكَ ، فَإِنَّكَ إِذَا اسْتَحْيَيْتَ مِنَ اللَّهِ مَنَعَتْ قَلْبَكَ أَنْ يَخْطُرَ

وإذا كان من قِبَل الشَّيْطَانِ فَأَكْثَرُهُ يَدْعُو إِلَى الْمَعَاصِي وَإِذَا كَانَ مِنْ قِبَل النَّفْسِ فَأَكْثَرُهُ يَدْعُو إِلَى اتِّبَاعِ شَهْوَةٍ أَوْ اسْتِشْعَارِ كِبَرٍ أَوْ مَا هُوَ مِنْ خَصَائِصِ أَوْصَافِ النَّفْسِ.

وقد قال الإمام أبو القاسم القشيري: "وَاتَّفَقَ الْمَشَايِخُ عَلَى أَنَّ مَنْ كَانَ أَكَلَهُ مِنَ الْحَرَامِ لَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ الْإِلْهَامِ وَالْوَسْوَسَةِ" اهـ

وَفَرَّقَ الْجَنِيدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَيْنَ هَوَاجِسِ النَّفْسِ وَوَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ بِأَنَّ النَّفْسَ إِذَا طَالَبَتْكَ بِشَيْءٍ أَلَحَّتْ فَلَا تَزَالُ تُعَاوِدُ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ حَتَّى تَصِلَ إِلَى مُرَادِهَا وَتُحْصِلَ مَقْصُودَهَا، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَدُومَ صِدْقُ الْمَجَاهِدَةِ، ثُمَّ إِنَّهَا تُعَاوِدُ وَتُعَاوِدُ، وَأَمَّا الشَّيْطَانُ إِذَا دَعَاكَ إِلَى زَلَّةٍ فَخَالَفْتَهُ فَقَدْ يَتْرُكُ ذَلِكَ وَيُوسَّسُ بَزَلَّةٍ أُخْرَى لِأَنَّ جَمِيعَ الْمُخَالَفَاتِ لَهُ سَوَاءٌ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ دَاعِيًا أَبَدًا إِلَى زَلَّةٍ مَا، وَمَا كَانَ مِنَ الْكُفْرِ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ، ثُمَّ الْكِبَائِرُ عَلَى تَرْتِيبِهَا، وَلَا غَرَضَ لَهُ فِي تَخْصِصِ وَاحِدٍ دُونَ وَاحِدٍ.

(وَأَشْعِرْ) أَيُّهَا الْمُرِيدُ (الْحَيَاءَ مِنَ اللَّهِ قَلْبَكَ) بَتَرِكِ عِصْيَانِهِ وَالتَّزَامِ أَوْامِرِهِ، فَإِذَا دَعَتْكَ نَفْسُكَ إِلَى مَا تَنْقَطِعُ بِهِ عِنْدَ حَظِّكَ فَاجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا حَاجِزًا هُوَ الْحَيَاءُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى (فَإِنَّكَ إِذَا اسْتَحْيَيْتَ مِنَ اللَّهِ) حَقَّ الْحَيَاءِ (مَنَعَتْ قَلْبَكَ أَنْ يَخْطُرَ)

(فِيهِ خَاطِرٌ يَذْمُهُ اللَّهُ) وَيُبْغِضُهُ، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَكُونُ فِي وَسْعِكَ أَنْ لَا يَخْطُرَ عَلَى قَلْبِكَ خَاطِرٌ رَدِيءٌ بَلِ الْمُرَادُ أَنْ لَا تَفْرَحَ وَلَا تُصَدِّقَ وَلَا تَرْكَنَ إِلَى الْخَوَاطِرِ الرَّدِيئَةِ الْخَبِيثَةِ الَّتِي فِيهَا الْحُثُّ عَلَى الْمَعْصِيَةِ وَالشَّرِّ وَالظُّلْمِ وَالْكُفْرِ، فَإِنَّ الْخَاطِرَ مَهْمَا كَانَ خَبِيثًا وَكَرِهْتَهُ فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ، وَإِنَّ الْخَاطِرَ يَرُدُّ عَلَى الْقَلْبِ بِدُونِ إِرَادَةٍ مِنْكَ، وَمِصْدَاقُ ذَلِكَ مَا جَاءَ فِيهِمَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاطَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: «وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «ذَلِكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ».

فَمَنْعَكَ قَلْبَكَ مِنْ ذَلِكَ هُوَ حِرَاسَتُهُ مِنَ الْعَمَلِ بِمُقْتَضَى الْخَوَاطِرِ، وَلَيْسَ فِي وَسْعِ الْإِنْسَانِ وَمَقْدُورِهِ أَنْ يَمْنَعَ وَرُودَهَا عَلَى الْقَلْبِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿مِنْ شَرِّ أَلْوَسَائِصِ الْخَنَاسِ ۖ﴾ الَّذِي يُوسَّوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿[النَّاسِ: ٤-٥]﴾.

فَحَقُّ عَلَيْكَ أَنْ تَسْتَحْيِيَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ»، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: «لَيْسَ ذَٰلِكَ، وَلَكِنَّ الْإِسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ

أَوْ تَتَحَرَّكَ بِحَرَكَةٍ لَا يَرْتَضِيهَا اللَّهُ وَلَقَدْ كَانَ لِي شَيْخٌ يُقَيِّدُ حَرَكَاتِهِ فِي نَهَارِهِ فِي كِتَابٍ، فَإِذَا أُمْسَى جَعَلَ صَحِيفَتَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَحَاسَبَ نَفْسَهُ عَلَى مَا فِيهَا، وَزِدْتُ أَنَا عَلَى شَيْخِي بِتَقْيِيدِ خَوَاطِرِي.

وَمَا حَوَى، وَلْتَذَكِّرِ الْمَوْتَ وَالْبَلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ».

وَإِذَا اسْتَحْيَيْتَ مِنَ اللَّهِ مَنَعْتَ نَفْسَكَ أَنْ تَسْكُنَ سَكْنَةً (أَوْ تَتَحَرَّكَ بِحَرَكَةٍ لَا يَرْتَضِيهَا اللَّهُ) فَالْأُولَى كَجُلُوسِكَ عَنِ الْقِيَامِ بِمَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكَ مِنَ الْوَاجِبَاتِ، وَالثَّانِيَةُ كَاتِيَانِكَ أَمْرًا تُخَالِفُ فِيهِ أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى.

قَالَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَقَدْ كَانَ لِي شَيْخٌ يُقَيِّدُ) أَيِ يَكْتُبُ (حَرَكَاتِهِ) الَّتِي يَعْمَلُهَا (فِي نَهَارِهِ فِي كِتَابٍ، فَإِذَا أُمْسَى) أَيِ إِذَا دَخَلَ فِي الْمَسَاءِ (جَعَلَ صَحِيفَتَهُ) الَّتِي كَتَبَ فِيهَا مَا عَمِلَ فِي نَهَارِهِ مَنْشُورَةً (بَيْنَ يَدَيْهِ) يَقْرَأُ فِيهَا مَا قَيَّدَهُ مِنْ حَرَكَاتِهِ (فَحَاسَبَ نَفْسَهُ عَلَى مَا فِيهَا) أَيِ فِي الصَّحِيفَةِ وَتَدَارَكَ مَا قَصَرَ فِيهِ. وَقَدْ كَانَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ، بَلْ قَالَ: (وَزِدْتُ أَنَا عَلَى شَيْخِي بِتَقْيِيدِ خَوَاطِرِي) مِنْ بَابِ مُرَاقَبَةٍ مَا يَخْطُرُ لَهُ لِيَبْقَى حَذِرًا أَلَّا يَعْمَلَ بِمُقْتَضَى الْخَوَاطِرِ الرَّدِيئَةِ.

وَمِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ مُرَاعَاةُ الْأَوْقَاتِ بِأَنْ تَنْظُرَ لِلْوَقْتِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ وَتَنْظُرَ مَا قَالَ لَكَ
الشَّرْعُ أَنْ تَعْمَلَ فِيهِ فَتَفْعَلَهُ، فَإِنْ كُنْتَ فِي وَقْتٍ فَرَضَ فَأَدِّهِ أَوْ نَدَبٍ فَبَادِرْ إِلَيْهِ
وَإِنْ كُنْتَ فِي وَقْتٍ مُبَاحٍ.....

مُرَاعَاةُ الْأَوْقَاتِ وَشُغْلُهَا بِالطَّاعَاتِ

(و) اَعْلَمْ أَيُّهَا الْمُرِيدُ أَنَّ (مِمَّا لَا بُدَّ) لَكَ (مِنْهُ مُرَاعَاةُ الْأَوْقَاتِ) فَذَلِكَ مِنْ عِلَامَاتِ
التَّيَقُّظِ، وَمُرَاعَاتِكَ لَهَا (بِأَنْ تَنْظُرَ لِلْوَقْتِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ) فَتَشْتَغِلْ بِمَا هُوَ أَوْلَى بِهِ
مِنَ الْعِبَادَاتِ فِي الْحَالِ، تَقُومُ بِمَا هُوَ مَطْلُوبٌ مِنْكَ فِي الْحِينِ وَتَدُورُ حَيْثُ تَدُورُ
الْمَصْلَحَةُ. وَفِي ذَلِكَ قَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ: "وَلَنْ يَتَحَقَّقَ الْمُرِيدُ بِهَذَا
الْمَعْنَى حَتَّى يَدُورَ مَعَ الْوَقْتِ كَيْفَ مَا كَانَ" اهـ

(و) مِنْ مُرَاعَاتِكَ الْوَقْتِ أَنْ (تَنْظُرَ) بِفِكْرِكَ إِلَى (مَا قَالَ لَكَ الشَّرْعُ) أَيِ أَمْرِكَ (أَنْ
تَعْمَلَ فِيهِ) أَيِ فِي الْوَقْتِ (فَتَفْعَلَهُ) فَيَكُونُ الْوَقْتُ مُسَاعِدًا لَكَ، وَفِي ذَلِكَ قَالَ
بَعْضُ الصُّوفِيَّةِ الْمُتَحَقِّقِينَ: "مَنْ سَاعَدَهُ الْوَقْتُ فَالْوَقْتُ لَهُ وَقْتُ، وَمَنْ نَاكَدَهُ
الْوَقْتُ فَالْوَقْتُ عَلَيْهِ مَقْتُ".

فَالْكَيْسُ الْفَطِنُ مَنْ كَانَ يُحْكِمُ وَقْتَهُ (فَإِنْ كُنْتَ فِي وَقْتٍ فَرَضَ) كَصَلَاةٍ أَوْ صَوْمٍ
مَفْرُوضَيْنِ (فَأَدِّهِ) أَيِ اثْنْتَ بِهَذَا الْوَاجِبِ عَلَيْكَ (أَوْ) كُنْتَ فِي وَقْتٍ (نَدَبٍ)
كَصَلَاةٍ أَوْ صَوْمٍ مَنْدُوبَيْنِ (فَبَادِرْ) بِلَا تَسْوِيفٍ وَلَا تَأْخِيرٍ (إِلَيْهِ) أَيِ إِلَى فِعْلِ ذَلِكَ
الْمَنْدُوبِ بُغْيَةَ الثَّوَابِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى (وَإِنْ كُنْتَ فِي وَقْتٍ مُبَاحٍ) لَيْسَ هُوَ وَقْتُ

فَاشْغَلْ نَفْسَكَ فِيهِ بِمَا نَدَبَكَ الْحَقُّ إِلَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ عَلَى أَنْوَاعِهِ، وَإِذَا شَرَعْتَ فِي عَمَلٍ مَشْرُوعٍ يُعْطِي قُرْبَةً فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِأَنَّكَ تَعِيشُ بَعْدَهُ إِلَى عَمَلٍ آخَرَ وَاجْعَلْ ذَلِكَ آخِرَ عَمَلِكَ مِنَ الدُّنْيَا الَّذِي تَلْقَى بِهِ رَبَّكَ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ هَذَا

فريضة مؤقتة أي منوطة بذلك الوقت ولا هو وقت عمل مندوب منوط بذلك الوقت (فأشغل نفسك فيه) أي في هذا الوقت المباح (بما ندبك) أي دعاك الله (الحق) أي الثابت الوجود (إليه) أي إلى فعله (من الخير على أنواعه) عملاً بالحديث النبوي الشريف: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنَّ تَلْقَى أَحَاكَ بِوَجْهِ طَلِقَ».

(وَإِذَا شَرَعْتَ) أي دخلت (في عمل مشروع) أي مندوب إليه مثاب عليه (يعطي) فاعله (قربة) أي تنال به أجراً (فلا تحدث نفسك) ولا تؤملها (بأنك تعيش بعده) أي بعد هذا العمل (إلى عمل آخر) من البر (واجعل) في حسابك (ذلك) العمل (آخر عملك من الدنيا) وأنت بعد ذلك على الحال (الذي تلقى به ربك) أي تموت عليه، فليس معنى لقاء العبد ربه أن الله يكون في جهة مقابلة للعبد، حاشا لله، فالله تعالى موجود بلا مكان ولا جهة.

الإخلاص بالطاعة لله وحده

ولا تجعل همك مدح الناس لك (فإنك) أيها المريد (إذا فعلت هذا) الذي ذكرته

أَخْلَصْتُ، وَمَعَ الْإِخْلَاصِ يَكُونُ الْقَبُولُ.....

لَكَ فَقَدْ (أَخْلَصْتُ) لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ هُمُّكَ عِنْدَ الْفِعْلِ إِلَّا نَيْلَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ أَوْصَى بِذَلِكَ الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى ﷺ فَقَالَ: «إِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ فَصَلِّ صَلَاةَ مُودِّعٍ» فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى صَلَاةً مَنْ لَا يَبْقَى إِلَى صَلَاةٍ أُخْرَى جَدَّ وَاجْتَهَدَ وَحَرَّصَ عَلَى الْإِتْيَانِ بِالصَّلَاةِ عَلَى الْوَجْهِ التَّامِّ سُنَّاءً وَعَادَابًا وَتَجَنَّبَ الْمَكْرُوهَاتِ وَاسْتَدَامَ الْخُشُوعَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

(و) لَا تَنْسَ أَنَّ (مَعَ الْإِخْلَاصِ) فِي الطَّاعَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ (يَكُونُ) لِلْعَامِلِ (الْقَبُولُ) مِنَ اللَّهِ، فَيَجْزِي اللَّهُ الْعَامِلَ بَرًّا ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ تَعَالَى، فَقَدْ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَنَّى لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ [آل عمران: ١٩٥]، فَيَكُونُ هُمُّ الْعَبْدِ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى لَا الرِّيَاءَ وَلَا السُّمْعَةَ وَلَا الْمِدْحَةَ مِنَ النَّاسِ، فَإِنَّ الرِّيَاءَ شِرْكٌ أَصْغَرُ أَيْ ذَنْبٌ كَبِيرٌ لَا يُخْرِجُ مِنَ الْإِسْلَامِ لَكِنَّهُ يَزِيدُ فَوْقَ الْإِثْمِ عَلَى فَاعِلِهِ أَنَّهُ يَمْنَعُهُ ثَوَابَ الْعَمَلِ الَّذِي عَمِلَهُ رِيَاءً.

وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ لَا يَغُلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ^(١): إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَمُنَاصَحَةُ وُلَاةِ الْأَمْرِ، وَلُزُومُ جَمَاعَةِ

(١) أَيِ مُسْلِمٍ كَامِلٍ.

أَخْلَصْتُ، وَمَعَ الْإِخْلَاصِ يَكُونُ الْقَبُولُ. وَمِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ الْجُلُوسُ عَلَى طَهَارَةٍ
دَائِمًا.....

الْمُسْلِمِينَ».

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: تَرَكُ الْعَمَلِ ^(١) مِنْ أَجْلِ النَّاسِ رِيَاءً، وَالْعَمَلِ ^(٢)
مِنْ أَجْلِ النَّاسِ شِرْكٌ ^(٣)، وَالْإِخْلَاصُ أَنْ يُعَافِيَكَ اللَّهُ مِنْهُمَا.

وَقَالَ ذُو الثُّونِ الْمِصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "الْإِخْلَاصُ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالصِّدْقِ فِيهِ وَالصَّبْرِ
عَلَيْهِ، وَالصِّدْقُ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالْإِخْلَاصِ فِيهِ وَالْمُداوِمَةِ عَلَيْهِ".

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمَرْعَشِيُّ الصُّوفِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "الْإِخْلَاصُ أَنْ تَسْتَوِيَ أَفْعَالُ الْعَبْدِ فِي
الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ".

الْحَثُّ عَلَى الْجُلُوسِ عَلَى طَهَارَةٍ

(و) اَعْلَمْ أَيُّهَا الْمُرِيدُ أَنَّ (مِمَّا لَا بُدَّ) لَكَ (مِنْهُ الْجُلُوسُ) أَيِ الْمُكْثِ (عَلَى) حَالِ
(طَهَارَةٍ) عَنِ الْحَدِيثَيْنِ (دَائِمًا) فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْآدَابِ وَلَيْسَ مِنَ الْوَاجِبِ فِي كُلِّ

(١) أَيِ تَرَكُ عَمَلِ الْمَحْرَمَاتِ.

(٢) أَيِ عَمَلِ الطَّاعَةِ.

(٣) أَيِ شِرْكٍ أَصْعَرَ لَا يُخْرِجُ صَاحِبَهُ عَنِ الْمِلَّةِ وَإِنَّمَا هُوَ ذَنْبٌ كَبِيرٌ، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّ صَاحِبَهُ
أَشْرَكَ فِي النِّيَّةِ مَرْضَاةَ النَّاسِ.

وَمَتَى أَحَدَثْتَ تَوَضَّأْتَ وَمَتَى تَوَضَّأْتَ صَلَّ رَكَعَتَيْنِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْوَقْتُ الَّذِي قَدْ نَهَيْتَ عَنْ إِيْقَاعِ الصَّلَاةِ فِيهِ وَهِيَ ثَلَاثَةُ أَوْقَاتٍ: عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَعِنْدَ غُرُوبِهَا، وَعِنْدَ الاسْتِوَاءِ إِلَّا يَوْمَ الْجُمُعَةِ خَاصَّةً فَإِنَّ الصَّلَاةَ تَجُوزُ وَقْتُ الاسْتِوَاءِ.

حِينَ، أَمَّا إِذَا أَرَدْتَ الصَّلَاةَ فَيَلْزِمُكَ الظَّهَارَةُ عَنِ الْحَدِيثَيْنِ الْأَكْبَرِ وَالْأَصْغَرِ لِصَحَّةِ صَلَاتِكَ (وَمَتَى أَحَدَثْتَ) حَدَّثًا أَصْغَرَ (تَوَضَّأْتَ) وَضُوءًا كَامِلًا (وَمَتَى تَوَضَّأْتَ) فَـ(صَلَّ رَكَعَتَيْنِ) نَافِلَتَيْنِ (إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْوَقْتُ) هُوَ (الَّذِي قَدْ نَهَيْتَ) نَهْيَ تَحْرِيمِ (عَنْ إِيْقَاعِ) أَيِ فِعْلِ (الصَّلَاةِ) الَّتِي لَا سَبَبَ لَهَا مُتَقَدِّمٌ أَوْ مُقَارِنٌ (فِيهِ) أَيِ فِي الْوَقْتِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ (وَهِيَ) مِنْ حَيْثُ الْإِجْمَالُ (ثَلَاثَةُ أَوْقَاتٍ) قَدْ قَدَّمْنَا الْكَلَامَ عَلَيْهَا فِي بَابِ "الْمُحَافَظَةُ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْفَرَايِضِ وَالتَّوَافِلِ"، وَقَدْ أَجْمَلَهَا الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ فِي ثَلَاثَةِ أَوْقَاتٍ (عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَعِنْدَ غُرُوبِهَا وَعِنْدَ الاسْتِوَاءِ) أَيِ اسْتِوَاءِ الشَّمْسِ فِي وَسْطِ السَّمَاءِ (إِلَّا يَوْمَ الْجُمُعَةِ خَاصَّةً فَإِنَّ الصَّلَاةَ تَجُوزُ) فِيهِ (وَقْتُ الاسْتِوَاءِ) لِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَا: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْهَى عَنِ الصَّلَاةِ نِصْفَ النَّهَارِ إِلَّا يَوْمَ الْجُمُعَةِ» رَوَاهُ الْحَافِظُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «مَعْرِفَةِ السُّنَنِ وَالْآثَارِ»، وَالتَّفْصِيلُ أَنَّ الْأَوْقَاتَ خَمْسَةً لَا ثَلَاثَةً، فَرَاغْنَاهُ فِي الْبَابِ الَّذِي أَسْلَفْنَا فِيهِ ذِكْرَهَا مُبَيَّنَّةً.

وَمِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ الْبَحْثُ عَنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَإِتْيَانِهَا مَهْمَا تَعَيَّنَ عَلَيْكَ مِنْهَا،
وَكَذَلِكَ سُوءُ الْأَخْلَاقِ اجْتِنَبَهَا كُلُّهَا.....

الْحَثُّ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ

(و) اَعْلَمْ أَيُّهَا الْمُرِيدُ أَنَّ (مِمَّا لَا بُدَّ) لَكَ (مِنْهُ الْبَحْثُ) أَيِ التَّفْتِيشِ (عَنْ مَكَارِمِ
الْأَخْلَاقِ) أَيِ مَحَاسِنِهَا (وَإِتْيَانِهَا) أَيِ التَّخَلُّقِ بِهَا وَالْعَمَلُ بِمُقْتَضِيَاتِهَا (مَهْمَا تَعَيَّنَ
عَلَيْكَ مِنْ) مُغَالَبَتِكَ لِنَفْسِكَ وَقَهْرِكَ لَهَا فَالْتَفَتْ إِلَى مَا تَحَوَّرَهُ مِنَ الثَّوَابِ وَلَا
تَنْظُرْ إِلَى حَظِّ النَّفْسِ مِنَ الْمِدْحَةِ وَالسُّمْعَةِ.

(وَكَذَلِكَ سُوءُ) أَيِ مَسَاوِي (الْأَخْلَاقِ اجْتِنَبَهَا كُلُّهَا) وَلَا تَتَخَلَّقْ بِشَيْءٍ مِنْهَا، وَقَدْ
عَلَّمَ النَّبِيُّ الْأَكْرَمُ ﷺ أُمَّتَهُ الْإِسْتِعَاذَةَ مِنْهَا فَقَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ
الشَّقَاقِ وَالتَّفَاقِ وَسُوءِ الْأَخْلَاقِ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ، وَفِي مُقَابِلِ ذَلِكَ حَدَّثَ ﷺ
عَلَى حُسْنِ الْخُلُقِ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ مِنْهَا قَوْلُ ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ^(١) بَيْتٍ فِي رَبْضِ
الْجَنَّةِ^(٢) لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ^(٣) وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ

(١) أَيِ كَفِيلٍ وَضَامِنٍ.

(٢) أَيِ أَطْرَافِهَا. قَالَ شَيْخُنَا الْإِمَامُ الْمَهْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "الْبَيْتُ فِي رَبْضِ الْجَنَّةِ لَيْسَ أَمْرًا
هَبْنًا، أَيْ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ الْجَنَّةِ وَلَوْ مِقْدَارَ مِثْرٍ وَاحِدٍ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا" اهـ

(٣) أَيِ الْجِدَالِ الَّذِي لَا يُرَادُ بِهِ إِحْقَاقُ الْحَقِّ وَإِبْطَالُ الْبَاطِلِ.

وَأَنَّ كُلَّ مَنْ تَرَكَ خُلُقًا كَرِيمًا فَإِنَّمَا تَرَكَهُ لِسُوءِ خُلُقٍ ذَمِيمٍ، وَأَنَّ الْخُلُقَ عَلَى أَصْنَافٍ شَتَّى كَمَا هُمْ الْخُلُقُ عَلَى أَصْنَافٍ، فَيَنْبَغِي أَنْ تَعْرِفَ أَيَّ خُلُقٍ تَسْتَعْمِلُهُ مَعَهُمْ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ. وَالَّذِي يَعُمُّ أَكْثَرَ الْأَصْنَافِ إِيصَالُ الرَّاحَةِ إِلَيْهِمْ وَدَفْعُ الْأَذَى عَنْهُمْ، وَلَكِنْ فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى فَاجْتَهِدْ.

وإن كَانَ مَا زِحًا، وَبَيِّتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقُهُ.

(وَ)اعْلَمْ أَيُّهَا الْمُرِيدُ (أَنَّ كُلَّ مَنْ تَرَكَ خُلُقًا كَرِيمًا) وَعَدَلَ عَنْهُ إِلَى مُقَابِلِهِ (فَإِنَّمَا تَرَكَهُ لِسُوءِ خُلُقٍ ذَمِيمٍ) أَيِّ مَمْقُوتٍ فِيهِ، فَمَنْ تَرَكَ التَّوَاضُّعَ وَرَكِبَ التَّكَبُّرَ فَإِنَّمَا ذَلِكَ لِحُبِّهِ فِيهِ، وَمَنْ تَرَكَ كَفَّ الْأَذَى عَنِ الْغَيْرِ فَاعْتَدَى عَلَيْهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ وَظَلَمَهُمْ فَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ لِمَرَضٍ فِي نَفْسِهِ، وَهَلُمَّ جَرًّا.

(وَ)اعْلَمْ أَيُّهَا الْمُرِيدُ (أَنَّ الْخُلُقَ عَلَى أَصْنَافٍ) أَيِّ صُورٍ وَأَنْوَاعٍ (شَتَّى) مُتَنَوِّعَةٍ (كَمَا هُمْ الْخُلُقُ) أَيِّ النَّاسِ أَيْضًا (عَلَى أَصْنَافٍ) شَتَّى (فَيَنْبَغِي) لَكَ (أَنْ تَعْرِفَ أَيَّ خُلُقٍ تَسْتَعْمِلُهُ مَعَهُمْ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ) فَلَيْسَتْ الْأَفْهَامُ كُلُّهَا مُتَسَاوِيَةً (وَالَّذِي يَعُمُّ أَكْثَرَ الْأَصْنَافِ) أَيِّ يَشْتَرِكُونَ فِيهِ (إِيصَالُ الرَّاحَةِ إِلَيْهِمْ) لِأَنَّ النَّفْسَ مَيَّالَةً بِطَبْعِهَا إِلَى الرَّاحَةِ (وَ)يَعْمُرُهُمْ (دَفْعُ الْأَذَى عَنْهُمْ) أَيِّ ذَلِكَ مِنْ مَطَالِبِهِمْ، (وَلَكِنْ) إِذَا عَمِلْتَ عَلَى ذَلِكَ وَاجْتَهَدْتَ فِي الْإِحْسَانِ إِلَى الْخُلُقِ (فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى فَاجْتَهِدْ) فِيمَا تُحْسِنُ بِهِ إِلَيْهِمْ لَا طَلَبًا لِمَدَحِهِمْ لَكَ وَثَنَائِهِمْ عَلَيْكَ وَإِلَّا

وَأَعْلَمَ أَنَّ خَلْقَ اللَّهِ عَبِيدٌ مُسَخَّرُونَ مَجْبُورُونَ فِي حَرَكَاتِهِمْ وَنَوَاصِيهِمْ بِيَدِ مُحَرِّكِهِمْ.

فإنَّ تشريكَ طلبِ المَدْحَةِ مِنَ النَّاسِ فِي الْعِبَادَاتِ مَعَ التَّيَّةِ لِلَّهِ يُثَبِّتُ عَلَيْكَ وَزَرَ الرِّيَاءِ وَيَمْنَعُكَ ثَوَابَ الْعَمَلِ.

أَفْعَالُ الْعِبَادِ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى

(وَأَعْلَمَ) أَيِ اثْبُتْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ عَلَى الْعِلْمِ بـ (أَنَّ خَلْقَ اللَّهِ عَبِيدٌ) لَهُ يَتَصَرَّفُ فِيهِمْ كَيْفَ يَشَاءُ فَهُمْ (مُسَخَّرُونَ) أَيِ مُيَسَّرُونَ لِمَا خُلِقُوا لَهُ (مَجْبُورُونَ) أَيِ ذَوَاتُ الْأَرْوَاحِ مِنْهُمْ مُحْتَارُونَ فِي صُورَةِ مَجْبُورِينَ وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَا اخْتِيَارَ لِلْعِبَادِ وَلَا مَشِيئَةَ لَهُمْ بَلْ مَشِيئَتُهُمْ تَحْتَ مَشِيئَةِ اللَّهِ، فَلَا مَشِيئَةَ لِلْعِبَادِ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لَهُمْ أَنْ يَشَاءُوهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩] فَهُمْ (فِي حَرَكَاتِهِمْ) وَسَكَنَاتِهِمْ تَحْتَ مَشِيئَةِ اللَّهِ، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ لَهُمْ أَنْ يَكْسِبُوهُ (وَنَوَاصِيهِمْ بِيَدِ مُحَرِّكِهِمْ) أَيِ شَأْنُهُمْ مَاضٍ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَتَقْدِيرِهِ وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَهُ يَدٌ أَوْ عُضْوٌ يُمَسِّكُ بِهِ الْعِبَادَ بِالْمُبَاشَرَةِ وَالْمُمَاسَّةِ، حَاشَا لِلَّهِ أَنْ يُشَبَّهَ خَلْقُهُ، فَهُوَ تَعَالَى لَا جِسْمَ لَهُ وَلَا جُثَّةَ وَلَا عُضْوَ.

وَكَلَامُ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ هُنَا مُقْتَبَسٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [هود: ٥٦]، وَمِنْ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ حُزْنٌ: "اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ^(١)، مَا ضِيقَ حُكْمِكَ، عَدْلٌ فِي قَضَائِكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ بَصَرِي، وَجِلَاءً^(٢) حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي " إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ؟، قَالَ: «أَجَلٌ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ» حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ وَغَيْرُهُ.

فائدة: أَوَّلُ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ - وَهُوَ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ - تَأْوِيلًا تَفْصِيلِيًّا عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ فَقَالَ فِي «الصَّحِيحِ»: «أَيُّ فِي مَلِكِهِ وَسُلْطَانِهِ" اه

الْعَفْوُ وَالصَّفْحُ عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ

وَالكَلَامُ هُنَا عَلَى الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ لَا سِيَّمَا عِنْدَ مَنْ هُوَ قَادِرٌ عَلَى الْإِنْتِقَامِ (وَالنَّبِيُّ ﷺ)

(١) أَي مَشِيَّتِي تَحْتَ مَشِيَّتِكَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ.

(٢) بِفَتْحِ الْحِيمِ وَكُسْرِهَا.

قَدْ أَرَاخَنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ فَقَالَ ﷺ: «بُعِثْتُ لِأَتِمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»، فَكُلُّ مَوْضِعٍ قَالَ لَكَ الشَّرْعُ فِيهِ: «إِنْ شِئْتَ انْتَصَرْتَ وَإِنْ شِئْتَ تَرَكْتَ» أَوْ قَالَ لَكَ: «إِنْ شِئْتَ جَازَيْتَ وَإِنْ شِئْتَ عَفَوْتَ» فَاجْنَحْ إِلَى الْعَفْوِ وَالتَّرْكِ وَالصَّفْحِ وَأَجْرُكَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى. وَكُلُّ مَوْضِعٍ قَالَ لَكَ الشَّرْعُ فِيهِ: «اغْضَبْ».....

(قَدْ أَرَاخَنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ) حَيْثُ بَشَّرْنَا بِأَنَّهُ مُتِمِّمٌ سَنَنِ الْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ (فَقَالَ ﷺ: «بُعِثْتُ لِأَتِمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»)) أَيِ الْفَضَائِلِ وَالْمَحَاسِنِ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ لَهُ ﷺ ذَلِكَ وَهُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [الْقَلَمُ: ٤].

(فَكُلُّ مَوْضِعٍ قَالَ لَكَ الشَّرْعُ فِيهِ إِنْ شِئْتَ انْتَصَرْتَ) وَانْتَقَمْتَ مِمَّنْ ءَاذَاكَ (وَإِنْ شِئْتَ تَرَكْتَ) مَعَ مَقْدِرَتِكَ عَلَى الْإِنْتِقَامِ (أَوْ قَالَ لَكَ) الشَّرْعُ (إِنْ شِئْتَ جَازَيْتَ) مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ (وَإِنْ شِئْتَ عَفَوْتَ) عَنْهُ (فَاجْنَحْ) أَيِ مِلْ (إِلَى) جَانِبِ (الْعَفْوِ) عَنِ الْمُسِيءِ (وَالْتَرَكِ) لِلإِنْتِقَامِ مِنْهُ (وَقُمْ بِ) (الصَّفْحِ) أَيِ تَرِكِ الْمُعَاقِبَةِ (وَأَجْرُكَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى) أَيِ ثَبَتَ لَكَ الْأَجْرُ مِنَ اللَّهِ تَفَضُّلاً مِنْهُ وَإِحْسَانًا إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ بَنِيَّةً حَسَنَةً، وَذَلِكَ مُقْتَبَسٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشُّورَى: ٤٠].

الغَضَبُ فِي اللَّهِ هُوَ الْمَدْوَحُ

(وَكُلُّ مَوْضِعٍ قَالَ لَكَ الشَّرْعُ فِيهِ اغْضَبْ) وَهُوَ كَائِنٌ إِذَا انْتَهَكْتَ مُحَارِمُ اللَّهِ

فَاغْضَبْ، فَإِنْ لَمْ تَغْضَبْ فَلَيْسَ بِمُخْلَقٍ مُحَمَّدٍ، فَإِنَّ الْغَضَبَ لِلَّهِ تَعَالَى مِنْ مَكَارِمِ
الْأَخْلَاقِ، وَمَنْ أَحْسَنَ الْمُعَامَلَةَ مَعَ اللَّهِ فَطُوبَى لَهُ.....

واعْتَدِي عَلَى دِينِهِ، وَمِنْهُ غَضَبُ الْمُسْلِمِ إِذَا ظَلِمَ وَأُوذِيَ بِغَيْرِ حَقٍّ فَإِنَّ غَضَبَهُ هُنَا
مَمْدُوحٌ شَرْعًا لِأَنَّهُ انْتِصَارٌ لِلْحَقِّ وَبُغْضٌ لِلْبَاطِلِ وَالظُّلْمِ، فَكُلُّ مَوْضِعٍ مِنْ نَحْوِ ذَلِكَ
(فَاغْضَبْ) عِنْدَهُ لِلَّهِ لَا لِمَجَرَّدِ الْانْتِصَارِ لِنَفْسِكَ (فَإِنْ لَمْ تَغْضَبْ) الْغَضَبُ
الْمَحْمُودَ إِذَا انْتَهَكْتَ مُحَارِمُ اللَّهِ وَاعْتَدِي عَلَى دِينِهِ (فَلَيْسَ) ذَلِكَ (بِمُخْلَقٍ مُحَمَّدٍ)
مِنْكَ، فَإِنْ لَمْ تَغْضَبْ لَذَلِكَ فَلِأَيِّ شَيْءٍ تَغْضَبُ إِذَنْ. وَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَغْضَبْ انْتِصَارًا
لِلدِّينِ فَتَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَأَنْتَ تَارِكٌ بِهَذَا الْوَاجِبِ وَاقِعٌ فِي الْحَرَجِ
وَالْفِعْلِ الذَّمِّيمِ الْمَقِيَّتِ (فَإِنَّ الْغَضَبَ لِلَّهِ تَعَالَى مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَنْ أَحْسَنَ
الْمُعَامَلَةَ مَعَ اللَّهِ) وَالْمُعَامَلَةُ الصَّافِيَةُ مَعَ اللَّهِ هِيَ أَدَاؤُكَ الْوَاجِبَاتِ وَاجْتِنَابُكَ
الْمُحَرَّمَاتِ، وَهَذَا مَعْنَى "النَّصِيحَةِ لِلَّهِ" الْوَاردَةِ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ وَهِيَ كَلِمَةُ
جَامِعَةٌ تَعْنِي الْإِيمَانَ بِاللَّهِ وَنَفْيَ الشِّرْكِ عَنْهُ وَالْقِيَامَ بِطَاعَتِهِ وَاجْتِنَابَ مَعْصِيَتِهِ
وَالْحُبَّ فِيهِ وَالبُغْضَ فِيهِ وَجِهَادَ مَنْ كَفَرَ بِهِ وَالاعْتِرَافَ بِنِعْمَتِهِ وَالشُّكْرَ عَلَيْهَا -
بِعَدَمِ اسْتِعْمَالِهَا فِي مَعْصِيَةٍ وَبِالْتِّئَاءِ عَلَيْهِ تَعَالَى - وَالْإِخْلَاصَ فِي جَمِيعِ الْعِبَادَاتِ
وَالدُّعَاءِ وَالْحَثِّ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ. (فَدَمَنْ عَمِلَ بِذَلِكَ فَطُوبَى) أَيِ خَيْرٌ كَثِيرٌ (لَهُ)
قَدْ أَصَابَهُ.

فَمَعَ ذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ تَعْرِفَ الْأَخْلَاقَ الَّتِي أَتَى عَلَيْهَا اللَّهُ وَبَيَّنَّهَا وَأَوْضَحَهَا. وَمِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ مُجَانَبَةُ الْأُضْدَادِ وَمَنْ لَيْسَ مِنْ جِنْسِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَعْتَقِدَ فِيهِمْ سُوءًا أَوْ يَخْطُرَ ذَلِكَ فِي خَاطِرِكَ.....

(فَمَعَ) كُلِّ (ذَلِكَ يَنْبَغِي) لَكَ (أَنْ تَعْرِفَ الْأَخْلَاقَ) الْحَسَنَةَ (الَّتِي أَتَى عَلَيْهَا) أَي مَدَحَهَا (اللَّهُ) وَرَغَّبَ فِيهَا وَحَثَّ عَلَيْهَا (وَ) قَدْ (بَيَّنَّهَا) لَنَا أَحْسَنَ بَيَانٍ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ جُمْلِيًّا أحيانًا وَتَفْصِيلِيًّا أُخْرَى (وَأَوْضَحَهَا) بِوَاسِطَةِ الْهَدْيِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ، وَنَعَمَ رَسُولُنَا ﷺ فِي ذَلِكَ الْقُدْوَةُ، فَقَدْ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ﴾ أَي قُدْوَةٌ ﴿حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

مُجَانَبَةُ الْأُضْدَادِ وَتَجَنُّبُ سُوءِ الظَّنِّ بِعِبَادِ اللَّهِ

(وَ) اْعْلَمْ أَيُّهَا الْمُرِيدُ أَنَّ (مِمَّا لَا بُدَّ) لَكَ (مِنْهُ مُجَانَبَةُ) أَي الْبُعْدُ عَنِ (الْأُضْدَادِ) أَي السَّالِكِينَ طَرِيقًا غَيْرَ طَرِيقِكَ، وَسُمُّوا أُضْدَادًا لِأَنَّهُمْ لَا يَجْتَمِعُونَ مَعَ الْمَرْءِ فِي مَقْصُودِهِ، فَيَنْبَغِي اتِّخَاذُ الْجَانِبِ الْمُقَابِلِ لَهُمْ (وَ) كَذَلِكَ مُجَانَبَةُ (مَنْ لَيْسَ مِنْ جِنْسِكَ) أَي لَا يُوَافِقُكَ فِي مَسْلِكَكَ (مِنْ غَيْرِ أَنْ تَعْتَقِدَ) أَوْ تَظُنَّ (فِيهِمْ سُوءًا) مِنْ غَيْرِ قَرِينَةٍ مُعْتَبَرَةٍ شَرْعًا (أَوْ يَخْطُرَ ذَلِكَ فِي خَاطِرِكَ) أَي مِنْ غَيْرِ أَنْ تَظُنَّ فِيهِمْ

وَلَكِنْ بِنِيَّةٍ حُسْنٍ مُعَامَلَةِ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ وَإِثَارِهِ عَلَيْهِمْ وَكَذَلِكَ مُعَامَلَتُكَ مَعَ
الْحَيَوَانَاتِ مِنَ الشَّفَقَةِ عَلَيْهِمْ وَالرَّحْمَةِ بِهِمْ.....

ذَلِكَ ظَنًّا بِإِرَادَتِكَ وَلَيْسَ مُرَادُهُ هُنَا الْخُطُورَ الَّذِي يَرِدُ عَلَى قَلْبِهِ بِإِلَاحَةِ إِرَادَةٍ مِنْهُ
(وَلَكِنْ) اتَّقِ اللَّهَ وَاعْمَلْ (بِ) مُقْتَضَى (نِيَّةٍ حُسْنٍ) أَيِ صَفَاءِ الـ (مُعَامَلَةِ) مَعَ
اللَّهِ (الْحَقِّ) أَيِ الثَّابِتِ الْوُجُودِ، وَقَدْ سَبَقَ قَرِيبًا مَعْنَى التَّصْيِحَةِ لِلَّهِ أَيِ صَفَاءِ
الْمُعَامَلَةِ مَعَ اللَّهِ، (وَ) كَذَلِكَ اْعْمَلْ بِحُسْنِ نِيَّةٍ مَعَ (أَهْلِهِ) أَيِ أَهْلِ اللَّهِ وَهُمْ أَوْلِيَائُهُ
وَأَحِبَّائُهُ الصَّالِحُونَ، وَلَيْسَ مَعْنَى "أَهْلُ اللَّهِ" أَنَّ لِلَّهِ أَصْلًا أَوْ فَرْعًا، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى:
﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣] (وَ) لِيَكُنْ عَمَلُكَ مَاضِيًّا فِي (إِثَارِهِ) أَيِ إِثَارِ
رِضَا اللَّهِ تَعَالَى وَتَقْدِيمِ ذَلِكَ (عَلَيْهِمْ) أَيِ عَلَى رِضَا النَّاسِ، فَقَدْ قَالَ الْحَبِيبُ
المُصْطَفَى ﷺ: «مَنْ التَّمَسَّ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَى النَّاسَ
عَنْهُ، وَمَنْ التَّمَسَّ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَسَخَطَ النَّاسَ عَلَيْهِ»
رواهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ».

الرَّحْمَةُ بِالْبَهَائِمِ وَالرِّفْقُ بِهِمْ

(وَ) احْرِضْ (كَذَلِكَ) عَلَى أَنْ تَكُونَ (مُعَامَلَتُكَ مَعَ الْحَيَوَانَاتِ) بِمَا يَلِيْقُ (مِنْ)
الشَّفَقَةِ عَلَيْهِمْ وَالرَّحْمَةِ بِهِمْ) فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصْنِعِي الْإِنَاءَ لِلْهَرَّةِ لِتَشْرَبَ وَمَا

فَإِنَّهُمْ مِمَّنْ سَخَّرَهُمُ اللَّهُ لَكَ.....

ذَلِكَ إِلَّا دَلِيلٌ عَلَى كَمَالِ تَوَاضُعِهِ ﷺ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ وَمَرَرْنَا بِشَجَرَةٍ فِيهَا فَرْخَا حُمْرَةٍ فَأَخَذْنَاهُمَا، قَالَ: فَجَاءَتِ الْحُمْرَةُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ تَصِيحُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِفَرْخَيْهَا؟» قَالَ: فَقُلْنَا: نَحْنُ، قَالَ: «فَرُدُّوهُمَا» رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَأَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ.

وكذلك جاء في الحديث الذي رواه مُسْلِمٌ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: مَرَّ ابْنُ عُمَرَ بِفَتْيَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ نَصَبُوا طَيْرًا وَهُمْ يَرْمُونَهُ، وَقَدْ جَعَلُوا لِصَاحِبِ الطَّيْرِ كُلِّ حَاطِئَةٍ مِنْ نَبْلِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَعَنَ مَنْ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا».

وَلِمُسْلِمٍ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ عَلَيْهِ حِمَارٌ قَدْ وُسمَ (١) فِي وَجْهِهِ فَقَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الَّذِي وَسَمَهُ».

(فَإِنَّهُمْ مِمَّنْ سَخَّرَهُمُ) أَي دَلَّلَهُمُ (اللَّهُ لَكَ) لَتَنْتَفِعَ بِهِمْ، وَقَدْ اْمْتَنَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ بِذَلِكَ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا

(١) أَي كُوي.

فَلَا تُحْمِلُهُمْ فَوْقَ طَاقَتِهِمْ

تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِلَاغِيهِ إِلَّا بَشِقٌ الْآنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ [التَّحَلُّ: ٥-٨] وَإِذَا حَمَلَتْ عَلَيْهِمْ وَحَمَلْتَهُمْ (فَلَا تُحْمِلُهُمْ فَوْقَ طَاقَتِهِمْ) فَقَدْ ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَرَدَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَسْرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أَحَدٌ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَاجَتِهِ ^(١) هَدَفًا أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ ^(٢)، قَالَ: فَدَخَلَ حَائِطًا ^(٣) لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ، فَقَالَ: «مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ، لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟» فَجَاءَ فَتَى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا، فَإِنَّهُ شَكََا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْبِيهِ» ^(٤).

(١) أي لقضاء حاجته.

(٢) هو نخل مجتمِع مُلتَف كَأَنَّهُ لَا لِفَافِهِ يُحُوشُ بَعْضُهُ بَعْضًا.

(٣) أي بُسْتَانًا.

(٤) أي تُكِدُّهُ وَتُنْعِبُهُ فِي الْعَمَلِ.

وَلَا تَرْكَبْ مَا تَرْكَبُ مِنْهَا بَطْرًا وَلَا أَشْرًا. وَكَذَلِكَ مِلْكُ الْيَمِينِ مِنَ الرَّقِيقِ ، لِأَتَّهُمْ
 إِخْوَانُكَ الَّذِينَ مَلَكَكَ اللَّهُ نَوَاصِيَهُمْ لِيَرَى كَيْفَ تَتَصَرَّفُ فِيهِمْ وَأَنْتَ عَبْدٌ لَهُ
 سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَمَا تُحِبُّ أَنْ يُفْعَلَ مِنَ الْجَمِيلِ وَالْحَسَنِ مَعَكَ فَذَلِكَ بِعَيْنِهِ أَفْعَلُهُ
 مَعَ غِلْمَانِكَ وَجَوَارِيكَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُجَازِيكَ وَمَا تُحِبُّ أَنْ يُصْرَفَ عَنْكَ مِنَ
 الْقَبِيحِ وَالسُّوءِ فَذَلِكَ بِعَيْنِهِ أَفْعَلُهُ مَعَهُمْ تُجْزَ بِذَلِكَ يَوْمَ.....

(وَ) إِذَا رَكِبْتَ دَابَّةً فـ(لَا تَرْكَبْ مَا تَرْكَبُ) هـ (مِنْهَا بَطْرًا) أَي تَكَبُّرًا (وَلَا أَشْرًا)
 أَي افْتِخَارًا وَتَعَالِيًا عَلَى النَّاسِ.

الرِّفْقُ بِالْعَبِيدِ الْمَمْلُوكِينَ وَالْإِمَاءِ الْمَمْلُوكَاتِ

(وَكَذَلِكَ مِلْكُ الْيَمِينِ مِنَ الرَّقِيقِ) يَنْبَغِي أَنْ تُعَامِلَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَتَرْفُقَ بِهِمْ، لَا سِيَّمَا
 الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ (لِأَتَّهُمْ) أَي الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ (إِخْوَانُكَ) فِي الدِّينِ (الَّذِينَ مَلَكَكَ اللَّهُ
 نَوَاصِيَهُمْ) أَي إِيَّاهُمْ، فَيَجُوزُ لَكَ أَنْ تَتَنَفَّعَ بِهِمْ فِي مَا جَازَ لَكَ وَأَنْ تَتَّبِعَهُمْ لِمَنْ شِئْتَ
 وَأَنْ تَهَبَّهُمْ إِنْ شِئْتَ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكَ عَلَيْهِمْ مِلْكَ يَمِينٍ (لِيَرَى) أَي لِيُظْهِرَ
 لِلْخَلْقِ (كَيْفَ تَتَصَرَّفُ فِيهِمْ) إِمَّا بِالْعَدْلِ أَوْ بِالْجَوْرِ (وَأَنْتَ عَبْدٌ لَهُ سُبْحَانَهُ
 وَتَعَالَى، فَمَا تُحِبُّ أَنْ يُفْعَلَ مِنَ) الْفِعْلِ (الْجَمِيلِ وَالْحَسَنِ مَعَكَ فَذَلِكَ بِعَيْنِهِ) أَي
 مِثْلَهُ (أَفْعَلُهُ مَعَ غِلْمَانِكَ) أَي عَبِيدِكَ الْمَمْلُوكِينَ (وَجَوَارِيكَ) أَي إِمَائِكَ الْمَمْلُوكَاتِ
 (فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُجَازِيكَ) عَلَى مَا تَعْمَلُ (وَمَا تُحِبُّ أَنْ يُصْرَفَ عَنْكَ مِنَ) الْأَمْرِ
 (الْقَبِيحِ وَالسُّوءِ فَذَلِكَ بِعَيْنِهِ) أَي مِثْلَهُ (أَفْعَلُهُ مَعَهُمْ تُجْزَ) فِي الدُّنْيَا (بِذَلِكَ يَوْمَ)

حَاجَتِكَ إِلَيْهِ. وَكَذَلِكَ إِنْ كَانَ لَكَ أَهْلٌ فَأَحْسِنِ الْعِشْرَةَ مَعَهُمْ فَالْكُلُّ عِيَالُ اللَّهِ
تَعَالَى وَأَنْتَ مِنْ جُمْلَةِ الْعِيَالِ.....

(حَاجَتِكَ إِلَيْهِ) سِوَى مَا يَكُونُ لَكَ مِنَ الْأَجْرِ فِي الْآخِرَةِ إِنْ كُنْتَ تُحَسِّنُ إِلَيْهِمْ
بَنِيَّةً طَيِّبَةً.

حُسْنُ الْعِشْرَةِ مَعَ الْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ

(وَكَذَلِكَ) أَحْسِنِ الْعِشْرَةَ مَعَ أَقَارِبِكَ لَا سِيَّمَا (إِنْ كَانَ لَكَ أَهْلٌ) أَيِ زَوْجٍ
(فَأَحْسِنِ الْعِشْرَةَ مَعَهُمْ) فِي الْمُعَامَلَةِ وَالتَّفَقُّعِ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ مُعِيلُهُمْ (فَالْكُلُّ عِيَالُ
اللَّهِ تَعَالَى) أَيِ مُحْتَاجُونَ مُفْتَقرُونَ إِلَيْهِ (وَأَنْتَ مِنْ جُمْلَةِ الْعِيَالِ) أَيِ الْفُقَرَاءِ إِلَى
اللَّهِ، فَالْغَنَى وَالْفَقِيرُ مِنَ النَّاسِ فَقِيرٌ إِلَى اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ
الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فَاطِر: ١٥].

وَلَا يُرَادُ بِالْعِيَالِ الْأَوْلَادُ فَحَسَبُ كَمَا قَدْ يَتَوَهَّمُ الْبَعْضُ، بَلْ إِنَّهُ بِسَبَبِ جَهْلِ كَثِيرٍ
مِنَ النَّاسِ بِاللُّغَةِ وَبِمَعْنَى الْعِيَالِ ظَنُّوا أَنَّ الْحَدِيثَ الْوَاهِي الضَّعِيفَ جَدًّا: "الْخُلُقُ
كُلُّهُمْ عِيَالُ اللَّهِ" عَلَى زَعْمِهِمُ الْفَاسِدِ يُرَادُ بِهِمْ أَوْلَادُ اللَّهِ، فَتَسَبُّوا الْوَلَدَ لِلَّهِ تَعَالَى
وَهَذَا كُفْرٌ صَرَّاحٌ، سَوَاءٌ أَرَادُوا الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّ بِمَعْنَى الْجَزْئِيَّةِ وَالْفَرْعِيَّةِ أَوْ

المجازي بمعنى بُنُوَّة المحبة والعطف والرحمة والحنان، كُلُّ كُفْرٍ وَتَكْذِيبٌ
لِصَرِيحِ الْعَقْلِ وَصَحِيحِ النَّقْلِ وَإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ قَاطِبَةً.

قال شيخنا الحافظ الهريزي رضي الله عنه: "حديث: 'الخلق كُلُّهم عيال الله' فيه
كذابان هو مثل الموضوع ضَعِيفٌ ساقِطٌ وإِ(١). في لغة العرب إذا قيل عيال فلان
معناه الذين يُنفِقُ عليهم، أبوك الضَّعِيفُ الذي تَصْرِفُ عليه وَجَدُّكَ الضَّعِيفُ
هؤلاء كُلُّهم عيالك. فمعنى 'الخلق كُلُّهم عيال الله' محتاجون إلى الله فقراء إليه،
الأغنياء فقراء إلى الله والفقراء أيضًا فقراء إليه، لا أَحَدَ يَسْتَغْنِي عَنْهُ.

(١) وقد تكلم على ضعف هذا الحديث الكثير من الحفاظ، منهم:

- الحافظ النووي فقال في فتاويه: رواه أبو يعلى الموصلي من رواية يوسف بن عطية عن
ثابت عن أنس عن النبي ﷺ قال: "الخلق عيال الله وأحبُّهم إلى الله أنفعهم لعياله"، وهو
حديث ضعيف لأن يوسف بن عطية ضعيفٌ باتِّفاق الأئمة.
- وقال الحافظ البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة: "قُلْتُ: مَدَارُ إِسْنَادِ حَدِيثِ أَنَسٍ هَذَا عَلَى
يُوسُفَ بْنِ عَطِيَّةَ الصَّقَّارِ، وَهُوَ مُجْمَعٌ عَلَى ضَعْفِهِ" اهـ
- وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في المطالب العالية: "قُلْتُ تَفَرَّدَ بِهِ يُوسُفٌ وَهُوَ ضَعِيفٌ
جَدًّا" اهـ
- وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد: "رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه عُمَيْرٌ
وهو أبو هارون القرشي متروكٌ" اهـ

وَإِنْ كَانَ لَكَ وَلَدٌ فَعَلِمَهُ كِتَابَ اللَّهِ.....

فهذا الحديث ضَعِيفٌ لَيْسَ ثَابِتًا عَنِ الرَّسُولِ وَلَا نَعْتَقِدُ أَنَّ الرَّسُولَ قَالَهُ، لَكِنْ رَوَاهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ فِي كُتُبِهِمْ. وَالْعِيَالُ لَيْسَ مَعْنَاهُ الْأَوْلَادُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ الْأَصْلِيَّةِ أَيَّ فِي اللُّغَةِ الْفُصْحَى، لَكِنْ تَغَيَّرَ لُغَةُ الْعَوَامِّ مِنَ الْعَرَبِ الْيَوْمَ أَوْ هُمْ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ هَذَا حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ وَفَسَّرَهُ بِالْأَوْلَادِ هَذَا كَفَرَّ وَلَا عُذْرَ لَهُ اهـ.

ثُمَّ لَا يَدْفَعُ عَنْ أَوْلَاكَ التَّكْفِيرَ أَنَّهُمْ قَصَدُوا بِذَلِكَ "الْبُتُوَّةَ مَجَازًا" بَلْ شَأْنُهُمْ شَأْنُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الَّذِينَ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْ كُفْرِهِمْ فِي الْقُرْآنِ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة: ١٨]، فَهَؤُلَاءِ لَمْ يَقْصِدُوا بِبُنُوَّتِهِمْ بُتُوَّةَ الْجَزِيئَةِ الْحَقِيقِيَّةِ مِنَ اللَّهِ بَلْ أَرَادُوا الْمَجَازَ أَيْضًا وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ حَكَّمَ اللَّهُ تَعَالَى بِكُفْرِهِمْ. وَقَالَ الْقَاضِي الْمُفَسِّرُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْحَقِّ ابْنُ عَطِيَّةَ الْأَنْدَلُسِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ سُورَةَ التَّوْبَةِ مَا نَصُّهُ: "وَيُقَالُ: إِنَّ بَعْضَهُمْ يَعْتَقِدُهَا بُتُوَّةَ حُنُوٍّ وَرَحْمَةٍ، وَهَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا لَا يَحِلُّ أَنْ تُطْلَقَ الْبُتُوَّةُ عَلَيْهِ فِي حَقِّ اللَّهِ وَهُوَ كُفْرٌ" اهـ.

(وَإِنْ كَانَ لَكَ وَلَدٌ) ذَكَرَ أَوْ أَنْتَى (فَعَلِمَهُ كِتَابَ اللَّهِ) تِلَاوَةً وَتَجْوِيدًا وَتَرْتِيلًا وَتَفْسِيرًا لِبَعْضِ آيَاتِهِ لَا سِيَّمَا الَّتِي فِيهَا دَلَائِلُ التَّوْحِيدِ وَأَصُولُ الْعَقِيدَةِ، فَعَلِمَهُ

لَا لِيَغْرِضَ مِنْ أَغْرَاضِ الدُّنْيَا، وَلِزِمَهُ مُحَافَظَةُ الْآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِ الدِّينِيَّةِ،
وَاحْمِلُهُ عَلَى الرِّيَاضَةِ مِنْ صِغَرِهِ حَتَّى يَعْتَادَهَا.....

ذلك (لَا لِيَغْرِضَ مِنْ أَغْرَاضِ الدُّنْيَا) كَالْفَخْرِ وَالتَّعَالِي عَلَى مَنْ دُونَهُ فِي الْعِلْمِ بِلِ
ابْتِغَاءِ مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى وَنَيْلِ ثَوَابِهِ.

(وَلِزِمَهُ) أَي وَلَدَكَ الـ (مُحَافَظَةَ) عَلَى (الْآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ) الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا الْقُرْءَانُ
وَبَيَّنَهَا الْهُدْيُ النَّبَوِيُّ (وَ) لَزِمَهُ كَذَلِكَ الْمُحَافَظَةُ عَلَى (الْأَخْلَاقِ الدِّينِيَّةِ) أَيِ الَّتِي
أَمَرَ بِهَا الشَّرْعُ وَرَغَّبَ فِيهَا.

تَنْشِئَةُ الْوَلَدِ عَلَى تَرْكِ التَّنَعُّمِ

(وَاحْمِلُهُ) أَي وَلَدَكَ (عَلَى الرِّيَاضَةِ) وَهِيَ نَوْعَانِ: رِيَاضَةُ بَدَنِ وَرِيَاضَةُ نَفْسٍ. أَمَّا
الْأُولَى فَإِنَّهَا تُعِينُ عَلَى الْقِيَامِ بِالْعِبَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ مِنْ صِيَامٍ وَصَلَاةٍ وَقِيَامٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ
لِمَا فِيهَا مِنْ مَنَافِعٍ طَارِدَةٍ لِلْكَسَلِ عَنِ الْبَدَنِ، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَهِيَ تَرْكُ الْكَسَلِ اعْتِمَادًا
عَلَى تَهْذِيبِ النَّفْسِ وَتَرْكِ الشَّهَوَاتِ وَالْمُحَرَّمَاتِ وَالْإِبْتِعَادِ عَنِ الْإِنْغِمَاسِ فِي
الْمُلَذَّاتِ وَإِنْ كَانَتْ مُبَاحَةً، وَلِيَكُنْ حَمْلُكَ وَلَدَكَ عَلَى ذَلِكَ (مِنْ صِغَرِهِ حَتَّى
يَعْتَادَهَا) فَتَكُونَ سَهْلَةً عَلَيْهِ فِي نَشَأَتِهِ.

وَلَا تَزْرَعِ الشَّهَوَاتِ فِي قَلْبِهِ، وَبَعْضُ إِلَيْهِ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا يُؤُولُ إِلَيْهِ صَاحِبُهَا
مِنْ نَقْصِ الْحِظِّ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا تَعْمَلْ ذَلِكَ شُحًّا عَلَى دِرْهِمِكَ وَمَالِكَ.
وَمِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ أَنْ لَا تَقْتَرِبَ مِنْ أَبْوَابِ السَّلَاطِينِ.....

(وَلَا تَزْرَعِ الشَّهَوَاتِ) وَحُبَّهَا (فِي قَلْبِهِ) وَذَكَرَهُ أَنَّ الْجَنَّةَ حُقَّتْ بِالْمَكَارِهِ وَهِيَ
الْأَعْمَالُ الشَّاقَّةُ مِنْ فِعْلِ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَأَنَّ النَّارَ حُقَّتْ بِالشَّهَوَاتِ
(وَبَعْضُ) أَيِ كَرِهَ (إِلَيْهِ زِينَةُ) أَيِ زَخَارِفِ (الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) وَمِلَذَّاتِهَا (وَمَا يُؤُولُ)
أَيِ يَصِلُ (إِلَيْهِ صَاحِبُهَا) مُتَتَّبِعُهَا بِسَبَبِ تَفْرِيطِهِ حِينًا أَوْ تَقْصِيرِهِ حِينًا ءَاخِرَ (مِنْ
نَقْصِ الْحِظِّ) مِنَ الدَّرَجَاتِ وَالنَّعِيمِ (فِي الْآخِرَةِ) فَلَا يَكُونُ مَعَ الْأَعْلَى فِي الْجَنَّةِ،
فَإِنَّ لِلْجَنَّةِ طَرَفًا وَوَسَطًا وَأَعْلَى، فَأَخْبَرَهُ عَنْ نَعِيمِهَا وَدَرَجَاتِهَا تُشَوِّقُهُ لِلْعَمَلِ بِمَا
يُوصِلُهُ إِلَيْهَا (وَ) إِذَا عَوَدَتْهُ تَقْلِيلُ التَّنْعِيمِ وَالزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا (فَلَا تَعْمَلْ ذَلِكَ شُحًّا)
أَيِ مِنْ شِدَّةِ حِرْصِكَ (عَلَى دِرْهِمِكَ وَمَالِكَ) تُرِيدُ أَنْ تَحْفَظَهُ بَلْ اْعْمَلْ ذَلِكَ بَنِيَّةً
حَسَنَةً تُجْزِي بِهِ.

الابتعاد عن أبواب السلاطين

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدِي الدِّينِ لِلْمُرِيدِ: (وَمِمَّا لَا بُدَّ) لَكَ (مِنْهُ أَنْ لَا تَقْتَرِبَ مِنْ أَبْوَابِ
السَّلَاطِينِ) لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ تَقْسُو قُلُوبَهُمْ فَيَنْشَغِلُونَ بِالْجُلُوسِ فِي مَجَالِسِ

وَلَا تُصَاحِبِ الْمُتَنَافِسِينَ فِي الدُّنْيَا

السُّلَاطِينَ بِأُمُورِ الدُّنْيَا وَمَطَالِبِهَا وَيَتَنَافِسُونَ فِيهَا بَيْنَهُمْ مَنْ يَقْتَرِبُ مِنْهُمْ أَكْثَرُ مِنَ السُّلْطَانِ، وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ: «وَمَنْ أَتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتُتِنَ، وَمَا زِدَادَ عَبْدٍ مِنَ السُّلْطَانِ قُرْبًا إِلَّا زِدَادَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدًا»^(١) رواه الترمذي وأحمد والبيهقي.

وقد جاء في حَدِيثٍ آخَرَ: «إِنَّ أَنْاسًا مِنْ أُمَّتِي سَيَتَفَقَّهُونَ فِي الدِّينِ وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَقُولُونَ: نَأْتِي الْأُمَرَاءَ فَنُصِيبُ مِنْ دُنْيَاهُمْ وَنَعْتَزِلُهُمْ بِدِينِنَا، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ، كَمَا لَا يُجْتَنَى مِنَ الْقِتَادِ إِلَّا الشَّوْكُ كَذَلِكَ لَا يُجْتَنَى مِنْ قُرْبِهِمْ إِلَّا الْخَطَايَا» رواه ابن ماجه.

وقال أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ: قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: يَا أَيُّوبُ احْفَظْ عَنِّي ثَلَاثَ خِصَالٍ: "إِيَّاكَ وَأَبْوَابَ السُّلْطَانِ، وَإِيَّاكَ وَمَجَالِسَ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ، وَالرِّمَّ سَوْقَكَ، فَإِنَّ الْغِنَى مِنَ الْعَافِيَةِ".

الابتعاد عن مصاحبة أهل الدنيا

(وَلَا تُصَاحِبِ الْمُتَنَافِسِينَ فِي الدُّنْيَا) وشهواتها وملذاتها لا سيما الفاسقين منهم

(١) أي إن كان يمنعُه قُربُه مِنَ السُّلْطَانِ مِنَ التَّقْوَى فهو بعيدٌ مِنْ رِضا اللَّهِ تَعَالَى.

فَإِنَّهُمْ يَأْخُذُونَ بِقَلْبِكَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنْ اضْطَرَّكَ أَمْرٌ إِلَى صُحْبَتِهِمْ فَعَامِلُهُمْ
بِالنَّصِيحَةِ وَلَا تَغْشَهُمْ، وَمَهْمَا فَعَلْتَ ذَلِكَ سَخِرُوا بِكَ.

(فَإِنَّهُمْ يَأْخُذُونَ بِقَلْبِكَ) أَي يَصْرِفُونَهُ وَيُشَتَّتُونِ اهْتِمَامَهُ (عَنِ) السَّعْيِ إِلَى نَيْلِ
رِضَا (اللَّهِ تَعَالَى) بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَإِنْ خَاطَرَهُمْ عَظِيمٌ سَيِّئًا إِذَا كَانُوا فَسَقَةً فِدَارَوْكَ
وَحَسَّنُوا لَكَ الْقَبِيحَ فَفَتَّنُوكَ (فَإِنْ اضْطَرَّكَ أَمْرٌ إِلَى صُحْبَتِهِمْ) وَأَنْتَ ءَامِنٌ عَلَى
نَفْسِكَ مِنَ الْإِفْتِتَانِ بِهِمْ (فَ) صَاحِبُهُمْ وَ(عَامِلُهُمْ بِالنَّصِيحَةِ) فَلَا تَخْشَى فِي اللَّهِ
لَوْمَةً لَأَنْ لَكِنَّ الزِّمَ الْحِكْمَةَ وَالْمَوْعِظَةَ الْحَسَنَةَ فِي نُصْحِكَ لَهُمْ (وَلَا) تُدَاهِنُهُمْ فِي
الْبَاطِلِ (فَ) (تَغْشَهُمْ) وَلَا تَتْرِكِ الْحَقَّ مُرَاعَاةً لَهُمْ، فِرِضَا اللَّهِ وَخَشْيَتُهُ أَوْلَى مِنْ رِضَا
النَّاسِ وَخَشْيَتِهِمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَآخِشُوا﴾ [المائدة: ٤٤].

(وَلَا) تَتَعَجَّبْ إِذَا رَفَضُوا النَّصِيحَةَ وَتَغَاضَوْا عَنْ سَمَاعِهَا وَصَمُّوا ءَاذَانَهُمْ عَنْ
قَبُولِ الْحَقِّ، فَإِنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ الدُّنْيَا الْفُسَّاقُ لَا يُصْغُونَ إِلَى النَّصِيحَةِ وَ(مَهْمَا فَعَلْتَ
ذَلِكَ) أَيِ مِنَ التُّصْحِ لَهُمْ (سَخِرُوا بِكَ) لِأَنَّ قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةٌ لَا تَلْتَفِتُ إِلَّا إِلَى مَفَاتِيحِ
الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا، وَتَذَكَّرْ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَدْ نَصَحُوا أُمَّمَهُمْ
وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ اسْتَهْزِئَ بِهِمْ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَكْفُؤُوا عَنْ قَوْلِ الْحَقِّ وَلَا ابْتَعَدُوا عَنْ جَادَةِ
الصَّوَابِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ
سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام: ١٠].

وَلَتَكُنْ فِي عُمُومِ أَحْوَالِكَ مَصْرُوفَ الْهِمَّةِ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى اللَّهِ فِي تَخْلُصِكَ مِمَّا أَنْتَ فِيهِ بِمَا هُوَ أَحْسَنُ لَكَ فِي دِينِكَ.

وَمِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ الْحُضُورُ مَعَ الْحَقِّ

(وَلَتَكُنْ) أَيُّهَا الْمُرِيدُ (فِي عُمُومِ) أَيِ سَائِرِ (أَحْوَالِكَ) فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ (مَصْرُوفَ الْهِمَّةِ بِالتَّوَجُّهِ) فِي التَّضَرُّعِ (إِلَى اللَّهِ) تَعَالَى وَسْوَائِهِ (فِي تَخْلُصِكَ) وَخَلَاصِكَ (مِمَّا أَنْتَ فِيهِ) مِنَ الْحَالِ (بِمَا) أَيِ بِالْحَالِ الَّذِي (هُوَ أَحْسَنُ لَكَ) مِنْهُ (فِي دِينِكَ)

حُضُورُ الْقَلْبِ بِالْخُشُوعِ

(وَ) اْعْلَمْ أَيُّهَا الْمُرِيدُ أَنَّ (مِمَّا لَا بُدَّ) لَكَ (مِنْهُ الْحُضُورُ) أَيِ حُضُورِ الْقَلْبِ (مَعَ) الْخُشُوعِ لِلَّهِ (الْحَقِّ) أَيِ الثَّابِتِ الْوُجُودِ، فَاخْضَعْ بِقَلْبِكَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَادْكُرْهُ ذِكْرًا كَثِيرًا. وَقَدْ بَيَّنَّا فِي الرِّسَائِلِ الثَّلَاثَةِ مِنْ هَذَا الْمَجْمُوعِ عَلَى بَرَاءَةِ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ ابْنِ عَرَبِيٍّ وَنَقَاوَةِ مَنْهَجِهِ مِنْ عَقِيدَةِ الْحُلُولِ، فَلَا يُرِيدُ بِقَوْلِهِ: "مَعَ الْحَقِّ" أَنَّ الْعَبْدَ يَحُلُّ فِيهِ الرُّبُّ أَوْ يَكُونَانِ وَاحِدًا كَمَا تَدَّعِي الرِّزَاذِقَةُ الْكُفْرَةَ، حَاشَاهُ، فَالشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ يُكْفِّرُ مَنْ يَقُولُ بِالْحُلُولِ وَالِاتِّحَادِ وَقَدْ أَسْلَفْنَا بَيَانَ ذَلِكَ وَنَقَلَهُ عَنْهُ مِنْ عِبَارَاتِهِ فِي الرِّسَائِلِ الثَّلَاثَةِ مِنْ هَذَا الْمَجْمُوعِ.

وقد أثنى الله تعالى على المؤمنين الخاشعين له فقال عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢]، وقال أيضاً: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦].

وقال الحكيم الترمذي: "الخاشع من خمدت نيران شهوته وسكن دخان صدره وأشرق نور التعظيم في قلبه فماتت شهوته وحيي قلبه فخشعت جوارحه".
وقال الحسن البصري: "الخشوع الخوف الدائم اللازم للقلب".

وسئل الجنيد عن الخشوع فقال: تذلل القلوب لعلام الغيوب، قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

تنبيه: مما ينبغي الحذر منه قول بعض الناس عن الله: "حضره الحق، وحضره الله، وجناب الحق، وجناب الله" فقد منع منها العلماء كما ذكر ذلك الشهاب الرملي في الحاشية على «أسنى المطالب» حيث قال ما نصه: "قال العراقي: سئلت عمن حلف بالجناب الرفيع وأراد به الله تعالى هل تتعقد يمينه وتلزمه الكفارة إذا حنث؟ فأجبت بأنها لا تتعقد لأن مدلول جناب الإنسان فناء داره ولا يجوز أن يطلق ذلك على الله عز وجل، وإطلاقه على الله تعالى إلحاد في أسمائه" اهـ وبيان ذلك أن

فِي جَمِيعِ حَرَكَاتِكَ وَسَكَنَاتِكَ. وَأَوْصِيكَ بِالْإِنْفَاقِ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالشَّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى ثِقَةِ الْقَلْبِ بِمَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

الحضرة المَكَانُ الْقَرِيبُ، والجَنَابَ مَا حَوْلَ الشَّخْصِ وَهُمَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ الْمُحَدَّثَاتِ الْمُتَحَيِّزَاتِ، تَعَالَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ ذَلِكَ.

وَلْيَكُنْ قَلْبُكَ خَاشِعًا لِلَّهِ (فِي جَمِيعِ حَرَكَاتِكَ وَسَكَنَاتِكَ) فَإِنَّ هَذَا مِمَّا يَنْهَاكَ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيُدْفَعُكَ إِلَى الْبَقَاءِ مُشْتَغَلًا فِي طَاعَتِهِ أَبَدًا.

الْإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

(وَأَوْصِيكَ) أَيُّهَا الْمُرِيدُ (بِالْإِنْفَاقِ فِي) وَجْهِ الْبِرِّ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَثَوَابِهِ، سِوَاهُ ذَلِكَ وَقْتِ (السَّرَّاءِ) أَيِ الْمَسَرَّةِ وَالْعَافِيَةِ (وَقْتِ) (الضَّرَّاءِ) أَيِ الْبَلَاءِ وَالضَّرِّ (وَقْتِ) (الشَّدَّةِ) (وَقْتِ) (الرَّخَاءِ) فَلَا تَنْتَظِرُ نُزُولَ الْبَلَاءِ حَتَّى تُسْرِعَ إِلَى الْإِنْفَاقِ رَجَاءً ائْتِدَاعِهِ عَنْكَ، بَلْ أَنْفِقْ فِي كُلِّ أَحْوَالِكَ سِرًّا وَجَهْرًا مُتَوَكِّلًا عَلَى اللَّهِ (فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ) ظَاهِرٌ (عَلَى ثِقَةِ الْقَلْبِ) وَقُوَّةِ الْيَقِينِ (بِمَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى) فَهُوَ وَحْدَهُ الرَّزَاقُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَيْفَ أَتَيْنَ مِنْ دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رَزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٠]، وَقَالَ أَيْضًا: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هُود: ٦].

وَاعْلَمْ أَنَّ التَّوَكُّلَ مُحَلَّهُ الْقَلْبِ، وَالْحَرَكَةُ بِالظَّاهِرِ لَا تُنَافِي التَّوَكُّلَ بِالْقَلْبِ بَعْدَمَا

وَإِنَّ الْبُخْلَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّ الْبَخِيلَ جَبَانٌ يَأْتِيهِ الشَّيْطَانُ فَيَمْدُّ أَمَلَهُ وَيُطِيلُ
عُمُرَهُ وَيَقُولُ لَهُ:.....

تَحَقَّقَ الْعَبْدُ أَنَّ التَّقْدِيرَ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِنْ تَعَسَّرَ شَيْءٌ فَبِتَقْدِيرِهِ وَإِنْ اتَّفَقَ
شَيْءٌ فَبِتَّيْسِيرِهِ.

وَسُئِلَ حَمْدُونُ الْقَصَارُ عَنِ التَّوَكُّلِ فَقَالَ: "إِنْ كَانَ لَكَ عَشْرَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَعَلَيْكَ
دَانِقٌ دَيْنٍ لَمْ تَأْمَنْ أَنْ تَمُوتَ وَيَبْقَى ذَلِكَ فِي عُقُوكَ، وَلَوْ كَانَ عَلَيْكَ عَشْرَةُ أَلْفِ
دِرْهَمٍ دَيْنٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَتْرَكَ لَهَا وِفَاءً لَا تَيَأَسُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَقْضِيَهُ عَنْكَ".

التَّحْذِيرُ مِنَ الْبُخْلِ وَوَسْوَسةِ الشَّيْطَانِ

إِيَّاكَ أَنْ تَبْخَلَ بِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْكَ مِنْ زَكَاةٍ أَوْ نَفَقَةٍ وَاجِبَتَيْنِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَشْنَعِ
الْخِصَالِ الذَّمِيمَةِ فِي الْمَرْءِ (وَإِنَّ الْبُخْلَ مِنَ الشَّيْطَانِ) لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَحُثُّ عَلَيْهِ
وَيُجِبُّهُ لِأَنَّهُ يُبْعِدُ عَنِ الْخَيْرِ، (فَإِنَّ الْبَخِيلَ) فِيمَا أَوْجَبَ اللَّهُ وَالْمُمْسِكُ عَمَّا رُغِبَ
فِي الْإِنْفَاقِ فِيهِ نَفْلًا بِلا عُدْرٍ حِرْصًا عَلَى مَالِهِ (جَبَانٌ يَأْتِيهِ الشَّيْطَانُ) مِنْ طُرُقِ
شَتَّى بَوَسَاوِسَ كَثِيرَةٍ (فَيَمْدُّ) أَيِ يُطِيلُ لَهُ (أَمَلَهُ) فِي نَفْسِهِ (وَيُطِيلُ) لَهُ فِي حِسَابِنِهِ
(عُمُرَهُ) ظَنًّا وَوَهْمًا لَا حَقِيقَةً لِأَنَّ الْأَجَلَ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ لَا تَزِيدُ وَلَا تَنْقُصُ (وَيَقُولُ
لَهُ) الشَّيْطَانُ بِوَاسِطَةِ الْوَسَاوِسِ أَوْ عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ مِنَ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ أَوْ الْمُشَبِّطِينَ

"إِنْ أَنْفَقْتَ مَالَكَ هَلَكْتَ وَبَقِيَتْ بِلَا شَيْءٍ مِثْلَةٌ بَيْنَ أَصْحَابِكَ وَأَمْثَالِكَ، فَأَمْسِكْ عَلَيْكَ وَاسْتَعِذَّ لِيُصْرُوفَ الزَّمَانِ وَلَا تَغْتَرَّ بِهَذَا الرَّخَاءِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ، فَمَا تَدْرِي مَا يُحْدِثُ اللَّهُ فِي الْعَامِ الْقَابِلِ، وَإِنْ كَانَ فِي وَقْتِ الصَّرَاءِ وَالشِّدَّةِ فَيَقُولُ لَكَ: "أَمْسِكْ عَلَيْكَ مَالَكَ وَلَا تُعْطِ أَحَدًا مِنْهُ شَيْئًا فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى تَنْقُضِي هَذِهِ الشِّدَّةَ، وَلَا تَحْسَبْ هَذَا الْأَمْرَ....."

عَنِ الطَّاعَةِ: ("إِنْ أَنْفَقْتَ مَالَكَ) فِي وُجُوهِ الْبِرِّ أَوْ سِوَاهَا (هَلَكْتَ) بِقَنَاءِ مَالِكَ وَتَبَدُّدِهِ (وَبَقِيَتْ) أَنْتَ صِفَرُ الْيَدَيْنِ فَقِيرًا (بِلَا شَيْءٍ) تَمْلِكُهُ (مِثْلَةٌ) أَيِ مَطْعَنًا وَمَهْزَأَةً (بَيْنَ أَصْحَابِكَ وَأَمْثَالِكَ) لَتَبْدِيدِكَ مَالَكَ بِيَدِكَ وَإِرَادَتِكَ (فَأَمْسِكْ عَلَيْكَ) مَالَكَ أَيِ احْفَظْهُ وَلَا تُنْفِقْهُ (وَاسْتَعِذَّ) أَيِ تَهَيَّأْ (لِصُرُوفِ) أَيِ نَوَائِبِ وَمَصَائِبِ (الزَّمَانِ) وَتَقَلُّبَاتِهِ (وَلَا تَغْتَرَّ بِهَذَا الرَّخَاءِ) وَالرَّغْدِ مِنَ الْعَيْشِ (الَّذِي أَنْتَ فِيهِ) الْآنَ (فَإِنَّكَ) (مَا) أَيِ لَسْتَ (تَدْرِي مَا) الَّذِي (يُحْدِثُ)هُ (اللَّهُ فِي الْعَامِ الْقَابِلِ) أَيِ الْقَادِمِ فَيَتَغَيَّرُ حَالُكَ"، وَهَذَا مِمَّا قَدْ يَعْرِبُهُ الشَّيْطَانُ الْمَرَّةَ.

(وَإِنْ كَانَ) الْإِنْفَاقُ فِي وُجُوهِ الْبِرِّ مُرَادًا لَكَ (فِي وَقْتِ الصَّرَاءِ وَالشِّدَّةِ) الَّذِي أَنْتَ فِيهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِيكَ (فَيَقُولُ لَكَ: "أَمْسِكْ عَلَيْكَ مَالَكَ) أَيِ احْبِسْهُ عِنْدَكَ (وَلَا تُعْطِ أَحَدًا مِنْهُ شَيْئًا) فَقِيرًا كَانَ الْمُعْطَى أَوْ غَنِيًّا، قَرِيبًا أَوْ جَارًا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، (فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى تَنْقُضِي) أَيِ تَزُولُ عَنْكَ (هَذِهِ الشِّدَّةُ) فَرُبَّمَا كَانَتْ طَوِيلَةً الْأَمَدِ مُتَمَدَّةً، فَلَا تُؤَمِّلْ أَنَّهَا تَزُولُ غَدًا (وَلَا تَحْسَبْ هَذَا الْأَمْرَ) الَّذِي أَنْتَ فِيهِ مِنْ

إِلَّا فِي زِيَادَةٍ، وَاحْفَظْ نَفْسَكَ فَإِنَّ أَحَدًا لَا يَنْفَعُكَ إِذَا لَمْ يَبْقَ لَكَ شَيْءٌ تُفَاخِرُ بِهِ
وَتَثْقُلُ عَلَى الْخَلْقِ وَيَذْهَبُ مَاءٌ وَجْهِكَ". فَإِنْ اسْتَمَرَّتْ هَذِهِ الْوَسْوَسةُ عَلَى قَلْبٍ هَذَا
الْمِسْكِينِ أَذْنَهُ إِلَى الْبُخْلِ وَالشُّحِّ وَحَالَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا
يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ﴾ [مُحَمَّد: ٣٨].

شِدَّةُ الْبَلَاءِ (إِلَّا فِي زِيَادَةٍ) عَلَيْكَ (وَاحْفَظْ نَفْسَكَ) بِحِفْظِ مَالِكَ عَلَيْكَ (فَإِنَّ أَحَدًا
لَا يَنْفَعُكَ) فِيمَا بَعْدُ وَلَا يُعِينُكَ (إِذَا لَمْ يَبْقَ لَكَ) مِنَ الْمَالِ (شَيْءٌ تُفَاخِرُ) الْخَلْقَ
(بِهِ) وَتَعْلُو عَلَيْهِمْ بَلْ (وَقَدْ تَثْقُلُ) إِغَاثَتُكَ وَقَتْنِيذِ (عَلَى الْخَلْقِ) فَلَا تَجِدُ لَكَ
مُغِيثًا مِنْهُمْ وَلَا مُعِينًا (وَيَذْهَبُ مَاءٌ وَجْهِكَ) أَي تَزُولُ هَيْبَتُكَ، فَهَذَا كُلُّهُ مِمَّا قَدْ
يَعُزُّ بِهِ الشَّيْطَانُ الْمَرَّةَ أَيْضًا.

(فَإِنْ اسْتَمَرَّتْ) شِدَّةُ (هَذِهِ الْوَسْوَسةُ) مِنَ الشَّيْطَانِ (عَلَى قَلْبٍ هَذَا الْمِسْكِينِ)
الضَّعِيفِ الْهَمَّةِ (أَذْنَهُ) تِلْكَ الْوَسْوَسةُ (إِلَى) الْوُقُوعِ فِي (الْبُخْلِ) بِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ فِي
الْحَرِصِ عَلَى عَدَمِ الْإِنْفَاقِ فِي وُجُوهِ الْبِرِّ وَلَوْ نَفَلًا (وَقَدْ فَتَنَهُ فِي شِبَاكِ) (الشُّحِّ) أَي
شِدَّةِ الْحَرِصِ عَلَى الْمَالِ وَشِدَّةِ الْبُخْلِ فَصَارَ شَحِيحًا خَبِيثَ النَّفْسِ (وَحَالَتْ) أَي
تَوَسَّطَتْ (بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ﴾ [مُحَمَّد: ٣٨])
بِمَعْنَى أَنَّ الْوَسْوَسةَ كَانَتْ هِيَ النَّاقِلَ لَهُ مِنْ جَانِبٍ كَانَ فِيهِ عَلَى تَرَدُّدٍ مِنَ الْإِنْفَاقِ إِلَى
جَانِبٍ أَضْحَى فِيهِ بِخِيَلًا بِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ وَالامْتِنَاعَ عَمَّا حَثَّ الشَّرْعُ عَلَى الْإِنْفَاقِ

فيه من وجوه البر فينطبق عليه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَفْسِهِ﴾ أي صَرَّرَ بُخْلِهِ عَلَى نَفْسِهِ وَتَفْوِئَتِهِ الثَّوَابَ إِنَّمَا هُوَ رَاجِعٌ عَلَيْهَا، وَأَشَدُّ ذَلِكَ كُفْلُهُ الْبُخْلُ بِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهُ تَعَالَى قَدْ تَوَعَّدَ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَوْجَبَ عَلَيْهِمْ فِي أَمْوَالِهِمْ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، وكذلك جاء في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان وابنا حبان وخزيمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سُجَاعًا» (١) أَقْرَعَ (٢) لَهُ زَبِيبَتَانِ (٣) يُطَوَّقُهُ (٤) يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِمَا مَتْنِيهِ - يَعْنِي بِشِدْقِيهِ - ثُمَّ يَقُولُ أَنَا مَالِكُ أَنَا كَزُكْ.

فائدة: قد يُوصَفُ بِالْبُخْلِ أَيْضًا مَنْ تَكَاسَلَ عَنِ الطَّاعَةِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ: «الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ» أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ ابْنُ حَبَّانَ.

(١) أي أفغى ذكراً.

(٢) أي لا شَعْرَ لَهُ عَلَى رَأْسِهِ.

(٣) هُمَا نُكْتَتَانِ سَوَادَاوَانِ فَوْقَ عَيْنَيْهَا أَوْ نُقْطَتَانِ تَكْتَنِفَانِ فَاهَهَا أَوْ زُبْدَتَانِ فِي شِدْقَيْهَا.

(٤) بفتح الواو المشددة أي يُجْعَلُ لَهُ كَالطَّوْقِ فِي عُنُقِهِ.

وَعِنْدَنَا فِي هَذَا الطَّرِيقِ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا التَّحَقَّ بِأَهْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَوْلِيَائِهِ ثُمَّ بَخَلَ فَإِنَّهُ يُسْتَبَدَّلُ وَيُنْزَلُ عَنْ ذَلِكَ وَيُجْعَلُ فِيهِ كَرِيمٌ مِنْ كُرَمَاءِ الْخَلْقِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَقِيبَ آيَةٍ فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الْبُخْلِ: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [مُحَمَّد: ٣٨]، وَحَالَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ.....

(وَعِنْدَنَا) يعني معاشر الصُّوفِيَّةِ السَّالِكِينَ (فِي هَذَا الطَّرِيقِ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا التَّحَقَّ بِأَهْلِ اللَّهِ تَعَالَى) أي أَحِبَّائِهِ (وَأَوْلِيَائِهِ ثُمَّ بَخَلَ) عَنِ الْإِنْفَاقِ (فَإِنَّهُ يُسْتَبَدَّلُ) أي يَفُوقُهُ غَيْرُهُ رُتْبَةً (وَيُنْزَلُ عَنْ ذَلِكَ) الْمَقَامِ أَي لَا يُعَدُّ فِي أَعْلَى الْمَقَامَاتِ (وَيُجْعَلُ فِيهِ) أَي فِي الْمَقَامِ الْعَالِيِّ وَلِيٍّ صَالِحٍ (كَرِيمٌ مِنْ كُرَمَاءِ الْخَلْقِ) فَإِنَّ الْأَوْلِيَاءَ عَلَى دَرَجَاتٍ وَرُتَبٍ، وَقَدْ يُقَصِّرُ بَعْضُهُمْ ثُمَّ يَجِدُّ بَعْدَ ذَلِكَ وَيَجْتَهِدُ فِي الْعِبَادَةِ، وَيُوجَدُ فِي الْأَوْلِيَاءِ الْكَرِيمِ وَالْأَكْرَمِ وَالْجَوَادِ وَالْأَجْوَدُ.

وقد (قَالَ اللَّهُ تَعَالَى) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (عَقِيبَ آيَةٍ فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الْبُخْلِ: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾) أي وَإِنْ تُعْرِضُوا وَلَا تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تُنْفِقُوا فِيمَا أُوجِبَ عَلَيْكُمْ ﴿يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [مُحَمَّد: ٣٨] أَي يَقْمُ مَقَامَكُمْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ مُطِيعِينَ مُنْفِقِينَ فِيمَا أُوجِبَ اللَّهُ تَعَالَى.

(وَ) إِنْ أَطَاعَ الْعَبْدُ وَسُوسَةَ الشَّيْطَانِ فَأَمْسَكَ عَنِ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ جَعَلَ الْوَسُوسَةَ سُتْرَةً حَاجِبَةً (حَالَتْ) أَي حَجَزَتْ (بَيْنَهُ وَبَيْنَ) الْوُصُولِ إِلَى الْعَمَلِ

قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ: ٣٩]، وَحَالِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي دَعْوَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى فِرْعَوْنَ لَمَّا أَرَادَ إِهْلَاكَهُمْ دَعَا عَلَيْهِمْ فَقَالَ: ﴿رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [يونس: ٨٨] فَضَيَّعُوا فَقَرَأَهُمْ حَتَّى هَلَكُوا مِنْ الْجُوعِ.

بِمُقْتَضَى التَّرْغِيبِ فِي الْإِنْفَاقِ الَّذِي جَاءَ فِي (قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ: ٣٩]) أَيْ مَهْمَا تُنْفِقُونَ مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ يُعَوِّضُكُمْ بَدَلًا مِنْهُ مَالًا فِي الدُّنْيَا أَوْ ثَوَابًا فِي الْعُقْبَى أَوْ كِلَيْهِمَا.

(و) إِنْ أَطَاعَ الْعَبْدُ الْوَسْوَةَ فِي الْإِمْسَاكِ عَنِ الْإِنْفَاقِ فِيمَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَدْ نَصَبَ الْوَسْوَةَ سَبِيلًا (حَالًا) أَيْ تَوَسَّطَ (بَيْنَهُ وَبَيْنَ) الْوُصُولِ إِلَى حَالِ فَقْدِ الْمَالِ وَهَلَاكِهِ، كَمَا أَصَابَ ذَلِكَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ حِينَ اسْتَعَانُوا بِنِعَمِ اللَّهِ عَلَى مَعْصِيَتِهِ فَصَارَتْ أَمْوَالُهُمْ حِجَارَةً كَهَيْئَاتِ التُّقُودِ مَنْقُوشَةً، وَهَذَا مَعْنَى مَا جَاءَ فِي (قَوْلِهِ تَعَالَى فِي) الْكِتَابِ الْمُبِينِ مِنَ الْإِخْبَارِ عَنْ (دَعْوَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى فِرْعَوْنَ لَمَّا أَرَادَ إِهْلَاكَهُمْ دَعَا عَلَيْهِمْ فَقَالَ: ﴿رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [يونس: ٨٨]) فَتَحَقَّقَتْ دَعْوَةُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِمْ (فَضَيَّعُوا فَقَرَأَهُمْ) وَلَمْ يَهْتَدُوا إِلَى الْإِنْفَاقِ عَلَيْهِمْ (حَتَّى هَلَكُوا) أَيْ فُقِرُوا (مِنْ الْجُوعِ) وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يُؤْمِنْ جَمِيعُهُمْ.

وَحَالَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَالِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنْفِقْ بِلَالٌ وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا» وَبَيْنَ قَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَكًا فِي كُلِّ يَوْمٍ يُنَادِي عِنْدَ الصَّبَاحِ: اللَّهُمَّ أَعْطِ كُلَّ مُنْفِقٍ خَلْفًا

(و) إِنْ أَطَاعَ الْعَبْدُ الْوَسْوَةَ فِي الْإِمْسَاكِ عَنِ الْإِنْفَاقِ فِيمَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَدْ نَصَبَ الْوَسْوَةَ سُتْرَةً (حَالَتْ) مَنَعًا (بَيْنَهُ وَبَيْنَ) الْوُصُولِ إِلَى (حَالِ) الْمُنْفِقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْمُتَوَكِّلِ وَهِيَ الْحَالُ الْمَحْبُوبَةُ عِنْدَ (النَّبِيِّ ﷺ) وَقَدْ أَعْلَنَ عَنْهَا حِينَ قَالَ لِبِلَالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «(أَنْفِقْ بِلَالٌ) أَيِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ (وَلَا تَخْشَ) أَيِ اثْبُتْ عَلَى عَدَمِ الْخَشْيَةِ (مِنْ) أَنْ يُصِيبَكَ مِنْ (ذِي) أَيِ مِنْ مَالِكٍ وَخَالِقِ (الْعَرْشِ) الْعَظِيمِ (إِقْلَالًا)» أَيِ فَقَرًا بِسَبَبِ إِنْفَاقِكَ، فَإِنَّكَ تَغْنَى بِالثَّوَابِ وَإِنْ نَقَصَ مَالُكَ، وَإِنْ كُتِبَ لَكَ أَنْ تُخْلَفَ مَالًا غَيْرَهُ فَلَا تَخْشَ أَنْ لَا يَأْتِيكَ ذَلِكَ وَاثْبُتْ عَلَى تَوَكُّلِكَ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ تَدْبِيرَ أَمْرِ رِزْقِكَ لَهُ وَحْدَهُ، كَيْفَ لَا وَهُوَ تَعَالَى قَدْ دَبَّرَ الْعَرْشَ وَحَفِظَهُ مِنْ أَنْ يَسْقُطَ بِلَا مُمَاسَةٍ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَلَا تَعَبٍ وَلَا مُبَاشَرَةً بِأَعْضَاءٍ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا مَكَانَ لَهُ وَلَا جِسْمَ وَلَا يُشْبِهُ الْمَخْلُوقَاتِ بِأَيِّ وَجْهِ مِنْ الْوُجُوهِ.

(و) إِنْ أَطَاعَ الْعَبْدُ الْوَسْوَةَ فِي الْإِمْسَاكِ عَنِ الْإِنْفَاقِ فِيمَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَدْ نَصَبَ الْوَسْوَةَ سَبِيلًا بَيْنَهُ (بَيْنَ) الْوُصُولِ إِلَى أَنْ يَتَحَقَّقَ فِيهِ مَا جَاءَ فِي أَمْرِ الْبَخِيلِ بِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ فِي (قَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَكًا فِي كُلِّ يَوْمٍ يُنَادِي عِنْدَ الصَّبَاحِ: اللَّهُمَّ أَعْطِ كُلَّ مُنْفِقٍ) فِي وُجُوهِ الْبِرِّ مِنْ زَكَاةٍ وَصَدَقَاتٍ وَنَحْوِهَا (خَلْفًا) أَيِ مَالًا

وَأَعْطِ كُلَّ مُمْسِكٍ تَلَفًا»، وَحَالَتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا فَعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ أُعْطِيَ
الْكَنْزَيْنِ فَاخْتَارَ تَرْكَهُمَا عَلَى أَخْذِهِمَا وَبَيْنَ فِعْلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
حِينَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِجَمِيعِ مَالِهِ فَقَالَ لَهُ: «مَا تَرَكْتَ لِأَهْلِكَ فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ.
وَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ.....

غَيْرُهُ يَخْلُفُهُ فِي الدُّنْيَا وَثَوَابًا جَزِيلًا عَلَى ذَلِكَ فِي الْعُقَبَى (وَأَعْطِ كُلَّ مُمْسِكٍ) أَيِ
مَانِعِ الْإِنْفَاقِ الْوَاجِبِ كَالزَّكَاةِ الْوَاجِبَةِ عَلَيْهِ (تَلَفًا) حِسًّا أَوْ مَعْنَى.

(و) إِنْ أَطَاعَ الْعَبْدُ الْوَسْوَةَ فِي الْإِمْسَاكِ عَنِ الْإِنْفَاقِ فِيمَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَدْ
نَصَبَ الْوَسْوَةَ سُتْرَةً (حَالَتَ) مَنَعًا (بَيْنَهُ وَبَيْنَ) الْوُصُولِ إِلَى نَيْلِ فَضْلِ عَظِيمٍ
اِقْتِدَاءً بـ (مَا فَعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ أُعْطِيَ الْكَنْزَيْنِ) الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ (فَ) كَانَ
ذَلِكَ فِي أُمَّتِهِ لِكِنَّهِ ﷺ (اخْتَارَ تَرْكَهُمَا عَلَى أَخْذِهِمَا) لِنَفْسِهِ وَقَدْ صَحَّ أَنَّهُ قَالَ: «مَا
لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَائِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا».

وَقَدْ حَالَتْ وَسْوَةُ الشَّيَاطِينِ لِلْعَبْدِ الْمَمْتَنِعِ مِنَ الْإِنْفَاقِ فِيمَا أَوْجَبَ اللَّهُ بَيْنَ الْعَبْدِ
نَفْسِهِ (وَبَيْنَ) الْوُصُولِ إِلَى نَيْلِ فَضْلِ عَظِيمٍ تَأْسِيًا بـ (فِعْلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ حِينَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِجَمِيعِ مَالِهِ فَقَالَ لَهُ) النَّبِيُّ ﷺ: «مَا تَرَكْتَ) أَيِ
مَاذَا أَبْقَيْتَ (لِأَهْلِكَ) مِنَ الْمَالِ (فَقَالَ) أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَمْ أَتْرُكْ لَهُمَا شَيْئًا
مِنَ الْمَالِ إِلَّا أَنِّي فَعَلْتُ مَا يُرْضِي (اللَّهُ وَرَسُولَهُ) حَالَ كَوْنِي غَيْرَ مُضَيِّعٍ مَا يَجِبُ عَلَيَّ
مِنْ نَفَقَةٍ مِّنْ أَعُولٍ. (و) رُوِيَ أَنَّهُ (جَاءَ) بَعْدَهُ (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

يَنْصِفُ مَالِهِ وَتَرَكَ النَّصْفَ، فَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ: «مَا بَيْنَكُمَا كَمَا بَيْنَ كَلِمَتَيْكُمَا». فَلَاِئْتِفَاقُ سَبَبٍ لِاسْتِجْلَابِ الْأَرْزَاقِ مِنَ الرَّزَاقِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَكُلُّ مَنْ أَمْسَكَ فَهُوَ لِلَّهِ تَعَالَى مُتَّهِمٌ وَعَلَى مَالِهِ مُعْتَمِدٌ. وَمَنْ كَانَتْ ثِقَتُهُ بِدِرْهِمِهِ أَعْظَمَ مِنْ ثِقَتِهِ بِرَبِّهِ فَهَذَا طَعْنٌ بِإِيْمَانِهِ فَتَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى الْعَافِيَةَ، فَعَلَيْكَ بِالْإِئْتِفَاقِ فِي الشَّدَّةِ.....

(يَنْصِفُ مَالِهِ وَتَرَكَ النَّصْفَ، فَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ: «مَا بَيْنَكُمَا كَمَا بَيْنَ كَلِمَتَيْكُمَا») أَي بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ تَفَاضُلٌ، وَالْمَنْزِلَةُ الْأُولَى هِيَ ضِعْفُ الثَّانِيَةِ.

(فَلَاِئْتِفَاقٌ) فِي وُجُوهِ الْبِرِّ (سَبَبٌ لِاسْتِجْلَابِ الْأَرْزَاقِ مِنْ) اللَّهِ (الرَّزَاقِ فِي الدُّنْيَا وَ) سَبَبٌ لِتَلِيلِ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ فِي (الْآخِرَةِ، فَكُلُّ مَنْ أَمْسَكَ) أَي عَنِ الْإِئْتِفَاقِ فِيمَا أَوْجَبَ اللَّهُ (فَهُوَ لِلَّهِ تَعَالَى مُتَّهِمٌ) لَعَلَّهُ أَرَادَ الشَّيْخُ بِهَذَا أَنَّ الْمُمْسِكَ يُسِيءُ الظَّنَّ بِرَبِّهِ بِمَا لَا يُؤَدِّي بِهِ إِلَى الْكُفْرِ (وَ) مَعَ ذَلِكَ فَهُوَ (عَلَى مَالِهِ) أَي الْمَالِ الَّذِي رَزَقَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ (مُعْتَمِدٌ) نَاسِيًا فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْهِ.

(وَمَنْ كَانَتْ ثِقَتُهُ بِدِرْهِمِهِ) قَدْ بَلَغَتْ حَدًّا صَارَتْ مَعَهُ عِنْدَهُ (أَعْظَمَ مِنْ ثِقَتِهِ بِرَبِّهِ) فَصَارَ يُعَظِّمُ الْمَالَ أَكْثَرَ مِنْ تَعْظِيمِهِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (فَهَذَا طَعْنٌ) أَي مَطْعَنَةٌ وَقَدْ حُ (بِإِيْمَانِهِ) وَلَا شَكَّ فِي كُفْرِ فَاعِلِهِ (فَتَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى الْعَافِيَةَ) فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(فَعَلَيْكَ) أَيُّهَا الْمُرِيدُ (بِالْإِئْتِفَاقِ) فِي وُجُوهِ الْبِرِّ سِوَاءُ (فِي) حَالِ (الشَّدَّةِ وَ) حَالِ

الرَّخَاءِ وَلَا تَفْرَغْ وَلَا تَخْفِ الْفَقْرَ. فَلَيْسَ لِلرَّجُلِ إِلَّا كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِلَّا مَنْ قَالَ بِمَالِهِ هَكَذَا وَهَكَذَا» يَمِينًا وَشِمَالًا، وَاللَّهُ تَعَالَى مُوفٍ لَكَ مَا وَعَدَكَ بِهِ شِئْتَ أَمْ أَبَيْتَ وَشَاءَ الْعَالَمُ أَمْ أَبِي، فَمَا هَلَكَ سَخِيٌّ قَطُّ، وَلَوْلَا قَصْدِي.....

(الرَّخَاءِ وَلَا تَفْرَغْ وَلَا تَخْفِ الْفَقْرَ) بسبب الإنفاق، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ» أي وإن كان من حيث الظاهر والحس نقص المال إلا أنه في المعنى قد زاد لأن صاحبه قد نال ثوابًا جزيلاً وقد يُخلفه الله غيره. (فَلَيْسَ لِلرَّجُلِ) أي المرء ذكرًا كان أو أنثى (إِلَّا كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِلَّا مَنْ قَالَ بِمَالِهِ) أي أنفقَه (هَكَذَا وَهَكَذَا») يعني في جميع وجوه المكارم والخير (يَمِينًا وَشِمَالًا) ولم يخش من الإنفاق فقرًا.

(وَاللَّهُ تَعَالَى مُوفٍ) أي مُنَجِّزُ (لَكَ مَا وَعَدَكَ بِهِ) عَلَى الصَّدَقَةِ وَرَازِقُكَ مَا كَتَبَ لَكَ (شِئْتَ أَمْ أَبَيْتَ) أي سواء رَضِيتَ بِمَا قُسِمَ لَكَ مِنَ الرِّزْقِ أَوْ طَمَعْتَ بِأَزِيدَ مِنْهُ (وَسَوَاءٌ) (شَاءَ الْعَالَمُ أَمْ أَبِي) وَقَدْ قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ: ٣٩] (فَمَا هَلَكَ) أي لَمْ يَهْلِكْ (سَخِيٌّ) أي كَرِيمٌ يُنْفِقُ فِي وَجْهِ الْبِرِّ (قَطُّ) بِسَبَبِ إِنْفَاقِهِ، فَالْإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تِجَارَةٌ رَاجِحَةٌ^(١) (وَلَوْلَا قَصْدِي) فِي

(١) وهو اسمُ رسالةٍ لَنَا فِي الْحَثِّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَبَيَانِ فَضْلِهَا.

الاختِصَارَ لَسُقْنَا مِنَ الْأَخْبَارِ مَا يَتَّبَعُ بِهِ مَا ذَكَرْنَا.

(فَصْلٌ): وَعَلَيْكَ بِكَظْمِ الْغَيْظِ، فَإِنَّهُ دَلِيلٌ عَلَى سَعَةِ الصَّدْرِ، فَإِنَّكَ إِذَا كَظَمْتَ الْغَيْظَ أَرْضَيْتَ الرَّحْمَنَ.....

رِسَالَتِي هَذِهِ (الْاِخْتِصَارَ) وَالْاِيجَازَ فِي نُصْحِكَ (لَسُقْنَا) أَيِ لِأُورِدْنَا (مِنَ الْأَخْبَارِ) الْمَأْثُورَةِ (مَا يَتَّبَعُ) أَيِ يَظْهَرُ (بِهِ) تَأْيِيدُ (مَا ذَكَرْنَا) فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ.

(فَصْلٌ) فِي كَظْمِ الْغَيْظِ وَكَسْرِ النَّفْسِ

(وَعَلَيْكَ) أَيُّهَا الْمُرِيدُ (بِكَظْمِ) أَيِ إِمْسَاكِ وَمَنْعِ وَحْبَسِ (الْغَيْظِ) وَرَدَّهُ فِي جَوْفِكَ إِذَا امْتَلَأَتْ مِنْهُ وَعَدَمَ إِظْهَارِهِ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ بَلِ الْكَفُّ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ بِالصَّبْرِ، وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى أَوْلَئِكَ الَّذِي يَكْظُمُونَ غَيْظَهُمْ وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يَعْمَلُوا بِمُقْتَضَى الْغَضَبِ الَّذِي نَشَأَ فِيهِمْ لِأَمْرِ دُنْيَوِيٍّ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [آءِ عِمْرَان: ١٣٣-١٣٤] (فَإِنَّهُ) أَيِ كَظَمَ الْغَيْظَ (دَلِيلٌ عَلَى سَعَةِ) أَيِ اتِّسَاعِ (الصَّدْرِ) لِلتَّحَمُّلِ (فَإِنَّكَ إِذَا كَظَمْتَ الْغَيْظَ) ابْتِغَاءَ رِضَا اللَّهِ مَعَ كَوْنِكَ قَادِرًا عَلَى إِمْضَائِهِ وَالْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهُ فَإِنَّكَ (أَرْضَيْتَ الرَّحْمَنَ) أَيِ عَمِلْتَ بِمَا يُرْضِي

وَأَسْخَطَتِ الشَّيْطَانَ، وَقَمَعَتْ نَفْسَكَ وَرَدَعَتْهَا حَيْثُ لَمْ تَنْتَصِرْ لَهَا، وَأَدْخَلَتْ
السُّرُورَ عَلَى قَلْبٍ مَنِ كَظُمْتَ غَيْظَكَ عَنْهُ وَلَمْ تُجَازِهِ بِفِعْلِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ أَشَدَّ عَلَيْهِ
فِي نَفْسِهِ، وَسَبَبًا فِي رُجُوعِهِ إِلَى الْحَقِّ وَإِنْصَافِهِ، وَإِقْرَارِهِ بِالْجَفَاءِ عَلَيْكَ وَالتَّعَدِّيِ،
وَرُبَّمَا كَانَ ثَمَرَةً مَا وَقَعَ مِنْكَ مَوْضِعَ الْقَبُولِ فَتَخَلَّقَ بِذَلِكَ تَجِدُهُ.

الله (وَأَسْخَطَتْ) أَيِ أَغْضَبَتْ وَغِظَتْ (الشَّيْطَانَ) لَعَنَهُ اللهُ (وَقَمَعَتْ) أَيِ لَجَمَتْ
(نَفْسَكَ وَرَدَعَتْهَا) أَيِ زَجَرَتْهَا وَرَدَدَتْهَا (حَيْثُ لَمْ تَنْتَصِرْ لَهَا) مَعَ قُدْرَتِكَ عَلَى ذَلِكَ
(وَأَدْخَلَتْ السُّرُورَ عَلَى قَلْبٍ مَنِ كَظُمْتَ غَيْظَكَ عَنْهُ وَلَمْ تُجَازِهِ بِفِعْلِهِ) الَّذِي
ابْتَدَأَكَ بِهِ، بَلْ (وَكَانَ ذَلِكَ) الْعَفْوُ مِنْكَ (أَشَدَّ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ) لِمَا يَجِدُ مِنْ إِسَاءَتِهِ
إِلَيْكَ ابْتِدَاءً (وَرُبَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ) سَبَبًا فِي رُجُوعِهِ عَنِ السُّوءِ (إِلَى الْحَقِّ) بِالتَّوْبَةِ
(وَإِنْصَافِهِ) إِلَيْكَ (وَإِقْرَارِهِ) أَيِ اعْتِرَافِهِ عَلَى نَفْسِهِ (بِالْجَفَاءِ) أَيِ الْغِلْظَةِ (عَلَيْكَ
وَالْتَّعَدِّيِ) فِيمَا لَا يَجُوزُ لَهُ (وَرُبَّمَا كَانَ ثَمَرَةً) أَيِ فَائِدَةٍ (مَا وَقَعَ) أَيِ صَدَرَ (مِنْكَ)
مِنْ كَظْمٍ لِلْغَيْظِ وَعَفْوٍ عَنْهُ (مَوْضِعَ الْقَبُولِ) عِنْدَ اللهِ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ بَنِيَّةً حَسَنَةً
(فَتَخَلَّقَ) أَيِ أَحْمَلَ نَفْسَكَ عَلَى التَّحَلِّيِ (بِذَلِكَ) الْخُلُقِ الْحَسَنِ وَتَكَلَّفَهُ (تَجِدُهُ)
أَيِ تَجِدُ عِنْدَ ذَلِكَ ثَمَرَتَهُ.

وقد رَوَى ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيخِهِ» بِسَنَدِهِ إِلَى طَاهِرِ بْنِ يَحْيَى الْحُسَيْنِيِّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ
جَارِيَةً لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ كَانَتْ تَسْكُبُ عَلَيْهِ الْمَاءَ يَتَهَيَّأُ لِلصَّلَاةِ فَسَقَطَ الْإِبْرِيُّ مِنْ

وَأَيَّةُ فَائِدَةٍ أَتَمُّ مِنْ عَفْوِكَ عَنْ أَخِيكَ وَاحْتِمَالِكَ أَذَاهُ وَكَظْمِ غَيْظِكَ، فَاجْتَهِدْ فِي هَذِهِ الصِّفَاتِ فَإِنَّهَا تُورِثُ الْمَوَدَّةَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ أَمَرَنَا بِالتَّوَدُّدِ وَالتَّحَابُّبِ.....

يَدِ الْجَارِيَةِ عَلَى وَجْهِهِ فَشَجَّهَ، فَرَفَعَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ رَأْسَهُ إِلَيْهَا فَقَالَتْ الْجَارِيَةُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ فَقَالَ لَهَا: قَدْ كَظَمْتُ غَيْظِي، قَالَتْ: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ فَقَالَ: قَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ، قَالَتْ: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ قَالَ: فَادْهَبِي فَأَنْتِ حُرَّةٌ.

(وَأَيَّةُ فَائِدَةٍ أَتَمُّ) فِي هَذَا الْمَقَامِ أَيُّ أَعْظَمُ (مِنْ عَفْوِكَ) أَيُّ صَفْحِكَ (عَنْ أَخِيكَ) إِذَا أَسَاءَ إِلَيْكَ (وَاحْتِمَالِكَ) أَيُّ تَحْمِيلِكَ (أَذَاهُ) مَعَ قُدْرَتِكَ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنْهُ (وَكَظْمِ) لَكَ أَيُّ حَبْسِكَ وَصَدِّكَ (غَيْظِكَ) عَنْ ظُهُورِ لَازِمِهِ مِنْ فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ (فَاجْتَهِدْ فِي) التَّحَلِّيِ بِ(هَذِهِ الصِّفَاتِ) الْحَسَنَةِ (فَإِنَّهَا تُورِثُ) أَيُّ تُكْسِبُ (الْمَوَدَّةَ) وَالْإِلْفَةَ (فِي قُلُوبِ النَّاسِ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ أَمَرَنَا بِالتَّوَدُّدِ وَالتَّحَابُّبِ) فَقَالَ ﷺ: «أَلَا إِنَّ مَثَلَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَثَلَ تَوَادُّهُمْ وَتَحَابُّهُمْ وَتَرَاحُمِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى بَعْضُهُ تَدَاعَى سَائِرُهُ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى»، وَقَالَ أَيْضًا: «مَا تَحَابَّ رَجُلَانِ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا كَانَ أَحْفَظَهُمَا أَشَدُّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ»، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَالَّذِي

وَهَذَا مِنْ أَعْلَى الْأَسْبَابِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى الْمَحَبَّةِ.

(فَصْلٌ): وَعَلَيْكَ بِالْإِحْسَانِ، فَإِنَّهُ دَلِيلٌ عَلَى الْحَيَاءِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَعَلَى تَعْظِيمِ اللَّهِ تَعَالَى فِي قَلْبِ الْمُحْسِنِ، قَالَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:.....

نَفْسِي بِيَدِهِ^(١)، لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا^(٢) حَتَّى تَحَابُّوا، وَأَفْشُوا السَّلَامَ تَحَابُّوا»، وكذلك قَالَ: «الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغِطُّهُمْ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ»^(٣) (وَهَذَا مِنْ أَعْلَى) أَيِ أَكْثَرِ (الْأَسْبَابِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى الْمَحَبَّةِ) ثَمَرَةً.

(فَصْلٌ) فِي مَعْرِفَةِ دَرَجَةِ الْإِحْسَانِ

(وَعَلَيْكَ) أَيُّهَا الْمُرِيدُ (بِالْإِحْسَانِ) مَعَ التَّقْوَى كَيْ تَصِلَ إِلَى دَرَجَةِ الْإِحْسَانِ (فَإِنَّهُ) أَيِ بُلُوغُ دَرَجَةِ الْإِحْسَانِ (دَلِيلٌ عَلَى الْحَيَاءِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَعَلَى تَعْظِيمِ اللَّهِ تَعَالَى فِي قَلْبِ الْمُحْسِنِ) وَدَرَجَةُ الْإِحْسَانِ هِيَ الْمُبَيَّنَةُ فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (قَالَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ) سَائِلًا النَّبِيَّ ﷺ مُعَلِّمًا الْحَاضِرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ:

(١) أَيِ أَحْلَفَ بِاللَّهِ الَّذِي نَفْسِي تَحْتَ مَشِيئَتِهِ وَتَصَرُّفِهِ، وَاللَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الْجَارِحَةِ وَالْعُضْوِ.

(٢) أَيِ الْإِيمَانَ الْكَامِلَ.

(٣) أَيِ يُعْجِبُهُمْ ذَلِكَ.

مَا الْإِحْسَانُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ». فَهَذَا الْإِحْسَانُ دَلِيلٌ عَلَى الْحَيَاءِ مِنَ الْمُحْسِنِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

(مَا الْإِحْسَانُ؟) أَيُّ مَا هِيَ دَرَجَةُ الْإِحْسَانِ (فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ».) وَمَعْنَاهُ أَنْ تَخْشَى اللَّهَ الْخَشْيَةَ الْكَامِلَةَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ إِلَّا أَنْ الْمُؤْمِنَ وَهُوَ فِي الدُّنْيَا مَهْمَا بَلَغَ فِي الْوِلَايَةِ مَرْتَبَةً عَالِيَةً فَلَيْسَ يَرَى رَبَّهُ تَعَالَى الْمَوْجُودَ أَزْلاً وَأَبْداً بِلَا مَكَانٍ وَلَا جِهَةٍ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِىْ أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْكَلْبَابَاذِيُّ الْحَنْفِيُّ فِي «التَّعْرِفِ لِمَذْهَبِ أَهْلِ التَّصَوُّفِ»: «وَأَجْمَعُوا أَنَّهُ لَا يُرَى فِي الدُّنْيَا بِالْأَبْصَارِ وَلَا بِالْقُلُوبِ» اه فَاثْبُتْ عَلَى فِعْلٍ مَا يُرْضِي اللَّهَ خَاشِعاً لَهُ خَاضِعاً فَإِنَّهُ يَرَاكَ بِرُؤْيَيْهِ الْأَزَلِيَّةِ الْأَبَدِيَّةِ.

(فَهَذَا الْإِحْسَانُ) الَّذِي هُوَ دَرَجَةٌ أَعْلَى مِنْ مَجَرَّدِ الثَّوَابِ الَّذِي يَنَالُهُ الْعَامِّيُّ مِنَ النَّاسِ بِصَدَقَةٍ تَصَدَّقَهَا، بَلْ دَرَجَةٌ الْإِحْسَانِ أَعْلَى دَرَجَةٍ تَنَالُهَا وَفِيهَا يَتَفَاوَتُ الْأَوْلِيَاءُ وَالصَّالِحُونَ أَيْضاً، فَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَعْلَى مِنْ غَيْرِهِ مِنْ أَوْلِيَاءِ الْبَشَرِ ثُمَّ كُلُّ عَلَى دَرَجَةٍ يَعْلَمُهَا اللَّهُ تَعَالَى، وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ (دَلِيلٌ عَلَى الْحَيَاءِ مِنَ الْمُحْسِنِ) أَيُّ الَّذِي بَلَغَ هَذِهِ الرُّتْبَةَ (مِنَ اللَّهِ تَعَالَى) وَقَدْ جَاءَ فِي شَأْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْحَيَاءَ خَيْرٌ كُلُّهُ»، فَمِنْ الْمُحَالِ عِنْدَ الْمُؤْمِنِ أَنْ
يَكُونَ مَعَهُ شَرٌّ فَكَذَلِكَ إِذَا لَزِمَهُ الْقَلْبُ.....

عنه في الحديث المرفوع: «تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ» أي يَعْرِفُونَ شِدَّةَ حَيَائِهِ وَغَلَبَتَهُ
عليه رضي الله عنه.

(وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْحَيَاءَ» أي الممدوح (خَيْرٌ كُلُّهُ)) وقد قال الحافظ
النووي: "فقد يُشْكَلُ على بعض الناس من حيث إنَّ صاحب الحياء قد يَسْتَحِي أَنْ
يُوجِبَ بِالْحَقِّ مَنْ يُجِلُّهُ فَيَتْرَكَ أَمْرَهُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَقَدْ يَحْمِلُهُ الْحَيَاءُ
عَلَى الْإِخْلَالِ بِبَعْضِ الْحَقُوقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي الْعَادَةِ، وَجَوَابُ هَذَا مَا
أَجَابَ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ مِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الصَّلَاحِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ هَذَا
الْمَانِعَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ لَيْسَ بِحَيَاءٍ حَقِيقَةً بَلْ هُوَ عَجْزٌ وَخَوَرٌ^(١) وَمَهَانَةٌ. وَإِنَّمَا تَسْمِيَّتُهُ
حَيَاءً مِنْ إِطْلَاقِ بَعْضِ أَهْلِ الْعُرْفِ أَطْلَقُوهُ مَجَازًا لِمِشَابَهَتِهِ الْحَيَاءَ الْحَقِيقِيَّ وَإِنَّمَا
حَقِيقَةُ الْحَيَاءِ خُلُقٌ يَبْعَثُ عَلَى تَرْكِ الْقَبِيحِ وَيَمْنَعُ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي حَقِّ ذِي الْحَقِّ
وَنَحْنُ هَذَا" اهـ.

(فَمِنْ الْمُحَالِ عِنْدَ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ) أي فِي جِنْسِ الْخَيْرِ (شَرٌّ) فَالْإِحْسَانُ
كُلُّهُ خَيْرٌ لَيْسَ فِيهِ شَرٌّ (فَكَذَلِكَ) يَكُونُ الْإِحْسَانُ (إِذَا لَزِمَهُ) أي حَوَاهُ (الْقَلْبُ)

(١) أي ضَعْفٌ وَانْكِسَارٌ.

مِنَ الْمُحَالِ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ شَرٌّ عَلَيْهِ أَلْبَتَّةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِذَا غَلَبَ الدَّلِيلُ عَلَى الثَّانِي الَّذِي هُوَ التَّعْظِيمُ عَلَى قَلْبِ الْمُحْسِنِ مَنَعَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدٍ سُلْطَانٌ عَلَى هَذَا الْقَلْبِ الْمَذْكُورِ. فَاجْتَهِدْ فِي تَحْصِيلِ صِفَةِ الْإِحْسَانِ وَالزَّمْ هَذَا الْمَقَامَ، فَقَدْ أُعْطِيتُكَ فَائِدَتَهُ.

وكان هذا حاله وتَحَقَّقَ فيه وتمكَّنَ فإنه (مِنَ الْمُحَالِ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ شَرٌّ عَلَيْهِ) أي لا يكون في الإحسان إلا خَيْرٌ ولا شَرٌّ بِسَبَبِهِ على صاحِبِهِ (أَلْبَتَّةَ) أي قَطْعًا (فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) فَإِنَّ الْإِحْسَانَ لَا يَأْتِي بِالشَّرِّ أَبَدًا.

ثُمَّ الْإِحْسَانُ أَي دَرَجَتُهُ دَلِيلٌ عَلَى أَمْرَيْنِ: أَوَّلُهُمَا الْحَيَاءُ مِنَ اللَّهِ، وَثَانِيهِمَا تَعْظِيمُ اللَّهِ (وَإِذَا غَلَبَ الدَّلِيلُ) أَي بَرَزَتِ الدَّلَالَةُ (عَلَى) الْمَدْلُولِ (الثَّانِي) مِنْ مَدْلُولِي الْإِحْسَانِ وَ(الَّذِي هُوَ التَّعْظِيمُ) أَي غَلَبَةُ التَّعْظِيمِ (عَلَى قَلْبِ الْمُحْسِنِ) أَي بِالْغِ مَقَامِ الْإِحْسَانِ (مَنَعَ) ذَلِكَ (أَنْ يَكُونَ لِأَحَدٍ سُلْطَانٌ) أَي غَلَبَةُ (عَلَى هَذَا الْقَلْبِ الْمَذْكُورِ) فَلَا يَغْلِبُ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَلَا يَشْغَلُهُ إِلَّا تَعْظِيمُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهَذَا مِنْ عَظِيمِ مَقَامِ الْإِحْسَانِ.

(فَاجْتَهِدْ) أَيُّهَا الْمُرِيدُ (فِي تَحْصِيلِ صِفَةِ الْإِحْسَانِ) الَّتِي هِيَ أَعْلَى دَرَجَةٍ فِي الْإِيمَانِ (وَالزَّمْ هَذَا الْمَقَامَ) أَي لَا تَقْطَعْ سَعْيَكَ فِي الْوُصُولِ إِلَيْهِ (فَقَدْ أُعْطِيتُكَ) أَي بَيَّنَّنْتُ لَكَ (فَائِدَتَهُ) الْعَظِيمَةَ.

(فَصَلِّ): وَعَلَيْكَ بِلُزُومِ الذِّكْرِ.....

(فَصَلِّ) فِي الْحَثِّ عَلَى لُزُومِ الذِّكْرِ وَالِاسْتِغْفَارِ

(وَعَلَيْكَ) أَيُّهَا الْمُرِيدُ (بِلُزُومِ الذِّكْرِ) أَيِ ذِكْرِ اللَّهِ بِتَهْلِيلٍ وَتَسْبِيحٍ وَتَحْمِيدٍ وَتَكْبِيرٍ وَتَمْجِيدٍ وَتَقْدِيسٍ وَتَنْزِيهِ فَإِنَّهُ يُنَوِّرُ الْقَلْبَ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فَقَالَ: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ [البقرة: ١٥٢]، وَقَالَ أَيْضًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ ① وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢]، وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى جَزَاءَ الْمُدَاوِمَةِ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَاتِينَ وَالْقَنَاتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «سَبَقَ الْمُفَرَّدُونَ»^(١)، قَالُوا: وَمَا الْمُفَرَّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ».

(١) قَالَ النَّوَوِيُّ: "رُوي "المفردون" بتشديد الراء وتخفيفها، والمشهور الذي قاله الجمهور التشديد" اهـ.

وَعَلَيْكَ بِالْإِسْتِغْفَارِ.....

وَسُئِلَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الصَّلَاحِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنِ الْقَدْرِ الَّذِي يَصِيرُ بِهِ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ فَقَالَ: "إِذَا وَاطَبَ عَلَى الْأَذْكَارِ الْمَأْثُورَةِ الْمُثَبَّتَةِ صَبَاحًا وَمَسَاءً وَفِي الْأَوْقَاتِ وَالْأَحْوَالِ الْمُخْتَلِفَةِ لَيْلًا وَنَهَارًا كَانَ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ" اهـ.

وقد أجمع العلماء على جواز الذِّكْرِ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ لِلْمُحْدِثِ وَالْجُنُبِ وَالْحَائِضِ وَالتَّنَفُّسِ، وَذَلِكَ فِي التَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّكْبِيرِ وَالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالدُّعَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ عَلَى الْجُنُبِ وَالْحَائِضِ وَالتَّنَفُّسِ حَرَامٌ، وَيَجُوزُ لَهُمْ إِجْرَاءُ الْقُرْآنِ عَلَى الْقَلْبِ مِنْ غَيْرِ لَفْظٍ بِاللِّسَانِ.

(وَعَلَيْكَ) أَيُّهَا الْمُرِيدُ (ب) لَزُومِ (الِإِسْتِغْفَارِ) بِأَيِّ لَفْظٍ مُجْزِئٍ نَحْوُ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ أَوْ رَبِّ اغْفِرْ لِي أَوْ غُفْرَانِكَ رَبِّي، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ وَسَيِّحُ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: ٥٥]، وَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَمَتَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ ۖ﴾ (١٦) الصَّادِقِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿[ءال عمران: ١٦-١٧].

فَإِنَّ الاسْتِغْفَارَ إِنْ كَانَ عَقِيبَ ذَنْبٍ مَحَاهُ وَأَزَالَهُ.....

وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ: "اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ^(١)، أُبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ^(٢)، وَأُبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي^(٣) فَاعْفُرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ" إِذَا قَالَ حِينَ يُمْسِي فَمَاتَ دَخَلَ الْجَنَّةَ أَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِذَا قَالَ حِينَ يُصْبِحُ فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ مِثْلُهُ^(٤)».

وَكَيْفَ يُتْرَكُ الاسْتِغْفَارُ مَعَ مَا لَهُ مِنَ الْفَوَائِدِ الْعِظَامِ وَالْأَسْرَارِ الْجِسَامِ (فَإِنَّ الاسْتِغْفَارَ إِنْ كَانَ عَقِيبَ) أَي بَعْدَ (ذَنْبٍ مَحَاهُ وَأَزَالَهُ) إِنْ قُرِنَ بِالتَّوْبَةِ وَإِلَّا فَلَا اسْتِغْفَارَ دُعَاءٍ أَيْ طَلَبٍ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَمْحُو الذَّنْبَ عَنِ الْعَبْدِ وَلَا يُسَاحِجَهُ، وَأَمَّا الْوَاجِبُ فَهُوَ التَّوْبَةُ، وَالتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ، كَذَلِكَ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ

(١) معناه أنا على ما عاهدتُك ووعدتُك من الإيمان بك والإخلاص بالطاعة لك وأنا مُقيم على ما عَهِدْتُ إِلَيَّ مِنْ أَمْرِ دِينِكَ وَمُتَمَسِّكٌ بِهِ وَأَنْتَ مُنَجِّزٌ وَعْدَكَ بِالتَّوْبَةِ وَالْأَجْرِ عَلَى ذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ.

(٢) أَي أَعْتَرَفْتُ وَأَقْرَرْتُكَ بِأَنَّكَ الْمُنْعِمَ عَلَيَّ بِجَمِيعِ النِّعَمِ الَّتِي أُعْطِيتُهَا.

(٣) أَي أَعْتَرَفْتُ أَيْضًا بِوُقُوعِ الذَّنْبِ مِنِّي.

(٤) أَي دَخَلَ الْجَنَّةَ.

الثَّابِتِ، وقد قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤]، فلا يُشْتَرَطُ الاستِغْفَارُ اللِّسَانِيُّ لِقَبُولِ التَّوْبَةِ، وقد يُطْلَقُ الاستِغْفَارُ أحيانًا على معنى التَّوْبَةِ، أمَّا الاستِغْفَارُ اللِّسَانِيُّ فالمرادُ بِهِ الوردُ نحو "أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ" وما شابهَهُ فهذا لا يُشْتَرَطُ لِصِحَّةِ التَّوْبَةِ. واعلمَ أَنَّهُ يُمكنُ تفصيلُ التَّوْبَةِ باعتبارِ ثَلَاثِ حَيثِيَّاتٍ:

(١) فَمِنْ حَيثِيَّةٍ هِيَ: إِمَّا نَاقِصَةٌ وَإِمَّا كَامِلَةٌ.

- فَالْكَامِلَةُ: هِيَ الرُّجُوعُ عَنِ كُلِّ الْمَعَاصِي.

- وَالنَّاقِصَةُ: هِيَ أَنْ يَتُوبَ مِنْ بَعْضِ مَعَاصِيهِ دُونَ بَعْضٍ.

(٢) وَمِنْ حَيثِيَّةٍ أُخْرَى هِيَ: إِمَّا نَصُوحٌ وَإِمَّا غَيْرُ نَصُوحٍ.

١. فَالنَّصُوحُ: أَنْ يَتُوبَ مِنَ الذَّنْبِ وَلَا يَعُودَ إِلَيْهِ.

٢. وَغَيْرُ النَّصُوحِ: أَنْ يَعُودَ إِلَى الذَّنْبِ بَعْدَ أَنْ تَابَ مِنْهُ.

(٣) وَمِنْ حَيثِيَّةٍ ثَالِثَةٍ: إِمَّا أَنْ تَكُونَ تَوْبَةً مِنْ ذَنْبٍ تَتَعَلَّقُ بِهِ تَبِعَةٌ عَلَى الْمُذْنِبِ

أَوْ لَا. فَإِنْ تَعَلَّقَتْ بِذَلِكَ تَبِعَةٌ: فإِمَّا أَنْ يَتَعَلَّقَ ذَلِكَ بِحَقِّ لِلَّهِ أَوْ بِحَقِّ لِأَدَمِيٍّ:

وَإِنْ كَانَ عَقِيبَ طَاعَةٍ وَإِحْسَانٍ فَنُورٌ عَلَى نُورٍ وَسُرُورٌ وَارِدٌ عَلَى سُرُورٍ.....

- فَإِنْ تَعَلَّقَ بِحَقِّ لِلَّهِ: كَصَلَاةٍ مَفْرُوضَةٍ تَرَكَهَا، فَإِنَّ التَّوْبَةَ تَكْمُلُ بِشَرَائِطٍ أَرْبَعَةٍ: الإِقْلَاعُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، وَالنَّدَمُ، وَالْعَزْمُ عَلَى تَرْكِ الْعَوْدِ إِلَى الذَّنْبِ، وَالِاتِّبَانُ بِالْفَرَضِ الْمَتْرُوكِ.

- وَإِنْ تَعَلَّقَ بِحَقِّ عَادِمِيٍّ: فَإِمَّا أَنْ يَتَعَلَّقَ بِمَالٍ أَوْ جِنَايَةٍ أَوْ إِيْدَاءٍ دُونَ ذَلِكَ كَالشَّتَمِ، وَفِي الْحَالَاتِ الثَّلَاثَةِ يَجِبُ الإِقْلَاعُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، وَالنَّدَمُ، وَالْعَزْمُ عَلَى عَدَمِ الْعَوْدِ إِلَى الذَّنْبِ، وَيُزَادُ عَلَيْهَا أَنَّهُ:

○ إِنْ تَعَلَّقَ الذَّنْبُ بِمَالٍ: رَدُّهُ إِلَيْهِ وَاسْتِسْمَحَهُ أَوْ اسْتَرْضَاهُ.

○ وَإِنْ تَعَلَّقَ بِجِنَايَةٍ: مَكَّنَ الْمُقْتَضَ مِنْهُ الْمُقْتَضَ مِنَ الْقِصَاصِ بِضَوَابِطِ ذَكَرَهَا الْفُقَهَاءُ.

○ وَإِنْ تَعَلَّقَ بِمَا دُونَ ذَلِكَ: كَالشَّتَمِ اسْتِسْمَحَهُ.

(وَإِنْ كَانَ) الاستغفارُ (عَقِيبَ) أي بَعْدَ (طَاعَةٍ) عَمِلَتْهَا (وَإِحْسَانٍ) فَعَلَتْهُ (فَنُورٌ عَلَى نُورٍ) وطاعةٌ بَعْدَ طاعةٍ (وَسُرُورٌ وَارِدٌ عَلَى) أي مَزِيدٌ فَوْقَ (سُرُورٍ) فَإِنَّ الاستغفارَ يَكُونُ لِلتَّرَقِّي كَمَا يَكُونُ لَطَلَبِ مَحْوِ الذُّنُوبِ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ، فَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ».

فَإِنَّ الذِّكْرَ أَجْمَعُ لِلْهِمِّ وَأَصْفَى لِلْخَاطِرِ. وَإِنْ شِئْتَ فَانْتَقِلْ إِلَى الْقُرْآنِ مُرْتَلًّا بِتَدْبِيرٍ
وَتَفَكُّرٍ وَتَعْظِيمٍ عِنْدَ آيَةِ تَوْحِيدٍ وَتَنْزِيهِهِ، وَسُؤَالٍ عِنْدَ آيَةِ رَجَاءٍ خَيْرٍ، وَتَضَرُّعٍ عِنْدَ
آيَةِ خَوْفٍ وَوَعِيدٍ، وَاعْتِبَارٍ عِنْدَ آيَةِ قَصَصٍ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ لَا يَسْأَمُ قَارِئُهُ

(فَإِنَّ الذِّكْرَ) على أنواعه (أَجْمَعُ لِلْهِمِّ) مُزِيلٌ لَهُ أَوْ مُخَفِّفٌ مِنْهُ (وَأَصْفَى لِلْخَاطِرِ)
شَارِحٌ لِلصَّدْرِ.

(وَإِنْ شِئْتَ) أَنْ تَرِيدَ فِي الْخَيْرِ (فَانْتَقِلْ) مِنَ الذِّكْرِ (إِلَى) تِلَاوَةِ (الْقُرْآنِ مُرْتَلًّا)
لَهُ (بِتَدْبِيرٍ) فِي الْمَعَانِي (وَتَفَكُّرٍ) فِيهَا (وَ) اسْتِشْعَارِ (تَعْظِيمٍ) لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (عِنْدَ)
الْمُرُورِ بـ (آيَةِ تَوْحِيدٍ وَتَنْزِيهِهِ) نَحْوُ: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [التَّحْلُ: ٦٠] أَيُّ لَهُ الْوَصْفُ
الَّذِي لَا يُشَبِّهُ وَصْفَ غَيْرِهِ، (وَ) اشْتَغَلَ بـ (سُؤَالٍ) أَيُّ دُعَاءٍ وَرَجَاءٍ (عِنْدَ) الْمُرُورِ
بـ (آيَةِ رَجَاءٍ خَيْرٍ) نَحْوُ: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا
لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الْفُرْقَان: ٧٤] ، (وَ) الْجَأُ إِلَى اللَّهِ بـ (تَضَرُّعٍ) أَيُّ ابْتِهَالٍ وَتَذَلُّلٍ لَهُ
تَعَالَى (عِنْدَ) الْمُرُورِ بـ (آيَةِ خَوْفٍ وَوَعِيدٍ) نَحْوُ: ﴿وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا
وَارْحَمْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] (وَ) ارْجِعْ إِلَى (اعْتِبَارٍ) أَيُّ اتِّعَاضٍ (عِنْدَ) الْمُرُورِ بـ (آيَةِ
قَصَصٍ) أَيُّ فِيهَا إِخْبَارٌ عَنْ أَخْبَارِ الْأَقْوَامِ الْمَاضِينَ وَعَاقِبَةِ أَمْرِهِمْ، وَلَا تَمَلَّ مِنَ
الْإِكْثَارِ مِنَ التَّلَاوَةِ الْمَصْحُوبَةِ بِالتَّدْبِيرِ (فَإِنَّ الْقُرْآنَ) كِتَابٌ جَلِيلٌ عَظِيمٌ (لَا
يَسْأَمُ) أَيُّ لَا يَمَلُّ (قَارِئُهُ) الْمُخْلِصُ الْمُقْبِلُ عَلَيْهِ مِنْ تَرْدَادِهِ لِمَا فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ

لَاخْتِلَافِ الْمَعَانِي الْوَارِدَةِ فِيهِ.

(فَصْلٌ): وَعَلَيْكَ بِحَلِّ عُقْدِ الْإِصْرَارِ مِنْ قَلْبِكَ، وَلَا تُطَيِّقْ ذَلِكَ إِلَّا بِأَنْ تَقُولَ فِي نَفْسِكَ فِي النَّفْسِ الْخَارِجِ عَنْكَ: هَلْ تَدْرِينَ يَا نَفْسُ أَنَّ النَّفْسَ الْآخَرَ بَعْدَ هَذَا يَأْتِيكَ أَمْ لَا فَلَعَلَّكَ تَمُوتِينَ فِي هَذَا النَّفْسِ الْخَارِجِ وَأَنْتِ مُصِرَّةٌ عَلَى السُّوءِ.....

مِنْ الْبَرَكَةِ وَ(لَاخْتِلَافِ الْمَعَانِي) وَتَنَوُّعِ الْمَوَاضِعِ (الْوَارِدَةِ فِيهِ) نَفَعَنَا اللَّهُ بِهِ.

(فَصْلٌ) فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الْإِصْرَارِ عَلَى الذَّنْبِ

(وَعَلَيْكَ) أَيُّهَا الْمُرِيدُ (بِحَلِّ) أَيِ فَلَكَ (عُقْدٌ) أَيِ عَزَائِمٍ (الْإِصْرَارِ) عَلَى حُبِّ الدُّنْيَا وَطَلِبِهَا وَالسَّعْيِ فِي لَدَاتِهَا الْمَحْرَمَةِ (مِنْ قَلْبِكَ) وَيَنْبَغِي فَوْقَ ذَلِكَ التَّخَلِّيَ عَنْ إِصْرَارِ النَّفْسِ عَلَى تَتَبُّعِ الْمَلَذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ لِأَنَّ تَرْكَهَا مَعَ لُزُومِ التَّقْوَى هُوَ طَرِيقُ الْكَامِلِينَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ (وَلَا تُطَيِّقُ) أَيِ لَا يَسْهُلُ عَلَيْكَ إِطَاقُهُ (ذَلِكَ) إِلَّا بِأَنْ تَقُولَ فِي نَفْسِكَ (لِنَفْسِكَ) وَاعِظَا لَهَا مُذَكِّرًا إِيَّاهَا (فِي) شَأْنِ (النَّفْسِ) الْمُتَرَدِّدِ فِي صَدْرِكَ (الْخَارِجِ عَنْكَ) مِنَ الْبَدَنِ: (هَلْ تَدْرِينَ) أَيِ هَلْ تَعْرِفِينَ (يَا نَفْسُ أَنَّ النَّفْسَ الْآخَرَ) أَيِ التَّالِيِ مِنْ أَنْفَاسِكَ (بَعْدَ هَذَا يَأْتِيكَ) فَتَعِيشِينَ (أَمْ) أَنَّهُ (لَا) يَأْتِيكَ نَفْسٌ بَعْدَ هَذَا، فَأَنْتِ يَا نَفْسُ لَا تَعْرِفِينَ مَتَى يَكُونُ الْأَجَلُ، (فَلَعَلَّكَ تَمُوتِينَ فِي هَذَا النَّفْسِ الْخَارِجِ) فَيَكُونُ هُوَ الْأَخِيرَ لَكَ فَتَمُوتِينَ (وَأَنْتِ مُصِرَّةٌ عَلَى السُّوءِ)

وَعِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمُصْرِينَ عَلَى الذُّنُوبِ مِنَ الْعَذَابِ مَا لَا تُطِيقُهُ الْجِبَالُ الرَّاسِخَةُ،
فَكَيْفَ بِضَعِيفَةٍ مِثْلِكَ؟! فَتَوْبِي إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّكَ لَا تَذَرِينَ مَتَى تَفْجَأُكَ الْمَنِيَّةُ

مُلَازِمَةٌ لَهُ (وَ) إِنَّ (عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى) جَزَاءً (لِلْمُصْرِينَ عَلَى) ارْتِكَابِ (الذُّنُوبِ)
بِحَيْثُ غَلَبَتْ سَيِّئَاتُهُمْ فِي الْعَدَدِ حَسَنَاتِهِمْ (مِنَ الْعَذَابِ) فِي الْقَبْرِ وَالْآخِرَةِ، وَذَلِكَ
لَأَنَّ الْإِصْرَارَ عَلَى الصَّغَائِرِ الْمَعْدُودِ فِي الْكِبَائِرِ هُوَ أَنْ تَغْلِبَ سَيِّئَاتُهُ الصَّغَائِرُ
حَسَنَاتِهِ فِي الْعَدَدِ، وَمِثَالُ ذَلِكَ لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا ارْتَكَبَ إِلَى هَذَا الْوَقْتِ مِنْ عُمْرِهِ
عَشْرَةَ أَلْفِ صَغِيرَةٍ وَلَمْ يَتُبْ مِنْهَا وَكَانَتْ حَسَنَاتُهُ إِذَا عُدَّتْ أَقَلَّ مِنْ هَذَا،
فَيَكُونُ بِذَلِكَ وَاقِعًا فِي ذَنْبٍ كَبِيرٍ سِوَى الصَّغَائِرِ يُسَمَّى "الْإِصْرَارَ عَلَى الذَّنْبِ"،
وَلَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الصَّغَائِرَ الَّتِي فَعَلَهَا فِيمَا مَضَى قَبْلَ أَنْ تَغْلِبَ سَيِّئَاتُهُ الصَّغَائِرُ
حَسَنَاتِهِ تَنْقَلِبُ بِعَيْنِهَا كَبِيرَةً، لَا، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَيْضًا أَنَّ هَذِهِ الصَّغَائِرَ تُمَحَى كُلُّهَا
عَنْهُ بِمُجَرَّدِ أَنْ كُتِبَ عَلَيْهِ هَذِهِ الْكَبِيرَةُ.

فَكَيْفَ يُعْرِضُ الْعَبْدُ نَفْسَهُ لـ (مَا لَا تُطِيقُهُ) أَيِ لَا تَحْتَمِلُهُ (الْجِبَالُ الرَّاسِخَةُ) مِنَ
الْعَذَابِ (فَكَيْفَ بـ) نَفْسِ (ضَعِيفَةٍ مِثْلِكَ) أَيْتُهَا النَّفْسُ (فَتَوْبِي إِلَى اللَّهِ تَعَالَى)
تَوْبَةً نَصُوحًا (فَإِنَّكَ لَا تَذَرِينَ مَتَى تَفْجَأُكَ) أَيِ تُبَاغِتُكَ وَتَبْهَتُكَ (الْمَنِيَّةُ) أَيِ

فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ﴾ [النساء: ١٨]

فَجَاءَ الْمَوْتُ، (فَإِنَّ اللَّهَ) تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ﴾ مَقْبُولَةً (لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ) وَلَا يَتُوبُونَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي تُقْبَلُ فِيهِ التَّوْبَةُ بَلْ يُسَوِّفُونَ وَيُؤَخِّرُونَ التَّوْبَةَ إِلَى وَقْتٍ لِقَاءِ مَلِكِ الْمَوْتِ أَوْ بُلُوغِ وَقْتِ الْيَأْسِ مِنَ الْحَيَاةِ فَيَبْلُغُ تَأْخِيرُهُمْ ﴿حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ بِحُضُورِ مَلِكِ الْمَوْتِ أَوْ وَقْتِ الْيَأْسِ مِنَ الْحَيَاةِ فَرِغَ إِلَى التَّوْبَةِ فِي وَقْتٍ لَا تُقْبَلُ فِيهِ تَوْبَتُهُ وَ﴿قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ﴾ وَلَا تَوْبَةَ لَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَمَا حَصَلَ ذَلِكَ مَعَ فِرْعَوْنَ حِينَ بَلَغَ وَقْتِ الْيَأْسِ مِنَ الْحَيَاةِ حِينَ أَدْرَكَ أَنَّهُ غَارِقٌ لَا مَحَالَةَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ ءَبْنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ٩٠ ءَالْكَفَرِ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ٩١ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿يُونُس: ٩٠-٩٢﴾، فَلَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَوْبَةَ فِرْعَوْنَ اللَّعِينِ حِينَ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ وَعَلِمَ أَنَّهُ هَالِكٌ غَرَقًا لَا مَحَالَةَ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ءَالْكَفَرِ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ فَهَذِهِ الْآيَةُ اسْتِفْهَامُ انْكَارِيٍّ، وَنَصٌّ عَلَى عَدَمِ قَبُولِهِ تَعَالَى الْإِيمَانَ وَالْإِسْلَامَ مِنْ فِرْعَوْنَ

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْبَلُ تَوْبَةَ عَبْدِهِ مَا لَمْ يُغْرِغْ»، وَكَمْ مِنْ شَخِصٍ فَجَأَهُ الْمَوْتُ وَهُوَ يَأْكُلُ أَوْ يَشْرَبُ أَوْ يَنْكِحُ أَوْ يَمْشِي أَوْ يَنَامُ فَلَا يَسْتَيْقِظُ وَتُمْسِكُ رُوحُهُ فَيَمُوتُ مُصِرًّا عَلَى الذُّنُوبِ.....

في مثل هذه الحالة التي وصل إليها، وقد نقل ابن حجر الهيتمي المكي في «الزَّوْجِر» إجماع الأمة على موت فرعون كافرًا.

(و) يُوَكِّدُ مَا نَصَّتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ الَّتِي سَلَفَتْ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ مَا (قَالَ) هُ (رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ حِبَّانَ وَالْبَيْهَقِيُّ وَأَحْمَدُ وَاللَّفْظُ لَهُ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْبَلُ تَوْبَةَ عَبْدِهِ» سواءً كانت توبة دخول في الإسلام بالشَّهَادَيْنِ أو توبة رجوع عن المعاصي ما دون الكُفْرِ، لكنَّ قبول التَّوْبَةِ مَنْوُطٌ بِكَوْنِ الْعَبْدِ (مَا لَمْ يُغْرِغْ) أي ما لم تصلِ الرُّوحُ إلى مَوْضِعِ الْغَرْغَرَةِ مِنَ الْخَلْقِ وَمِنْ الْغَرْغَرَةِ تَرُدُّ الرُّوحُ فِي الْخَلْقِ.

(وَكَمْ مِنْ شَخِصٍ فَجَأَهُ الْمَوْتُ) أي بَعَثَهُ وَبَهَتَهُ (وَهُوَ) مُنْشَغِلٌ فِي أَمْرِهِ قَبْلَ ذَلِكَ (يَأْكُلُ أَوْ يَشْرَبُ أَوْ يَنْكِحُ) عَقْدًا أَوْ مُبَاشَرَةً (أَوْ يَمْشِي أَوْ يَنَامُ فَلَا يَسْتَيْقِظُ) عَقِبَ ذَلِكَ (وَتُمْسِكُ رُوحُهُ) أي تُقْبِضُ وَلَا تُرَدُّ إِلَى الْجَسَدِ بَعْدَ أَنْ خَرَجَتْ مِنَ الْخَلْقِ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ تَائِبٍ مُرْتَكِبًا ذَنْبَ الْإِصْرَارِ عَلَى الذُّنُوبِ الْمَعْدُودَةِ مِنَ

فَيَمُوتُ مُصِرًّا عَلَى الذُّنُوبِ. فَعِظْ نَفْسَكَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ فَإِنَّهُ مَتَى كَثُرَ مِنْكَ مِثْلُ
هَذَا انْحَلَّتْ عَنْكَ عُقْدُ الْإِصْرَارِ.

(فَصْلٌ): وَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَهُوَ الْحَذَرُ مِنْ عِقَابِهِ، فَإِنَّهُ مَنْ
خَافَ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ بَادَرَ.....

الكبائر وقد فجأه الموت (فَدِإَتُهُ يَمُوتُ) حِينَئِذٍ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْكِبَائِرِ (مُصِرًّا
عَلَى الذُّنُوبِ) مُسْتَحِقًّا لِلْعَذَابِ إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ.

(فَعِظْ نَفْسَكَ) أَيُّهَا الْمُرِيدُ (بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ) الَّتِي ذَكَرْتُهَا لَكَ (فَإِنَّهُ مَتَى كَثُرَ
مِنْكَ مِثْلُ هَذَا) الْإِتْعَاطُ (انْحَلَّتْ) أَيِ انْفَكَّتْ (عَنْكَ عُقْدُ) أَيِ قَيْدُ (الْإِصْرَارِ)
عَلَى حُبِّ الدُّنْيَا وَطَلِبِهَا وَالسَّعْيِ فِي لَذَائِهَا الْمَحْرَمَةِ.

(فَصْلٌ) فِي الْأَمْرِ بِلُزُومِ التَّقْوَى

(وَيَحِبُّ) (عَلَيْكَ) أَيُّهَا الْمُرِيدُ الْإِلْتِزَامُ (بِتَقْوَى اللَّهِ) أَيِ أَدَاءِ جَمِيعِ الْوَاجِبَاتِ
وَاجْتِنَابِ سَائِرِ الْمُحَرَّمَاتِ (فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ) إِلَى الْمَمَاتِ، وَذَلِكَ هُوَ حَقُّ
التَّقْوَى، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] (و) إِنَّ الْبَاعِثَ عَلَى لُزُومِ التَّقْوَى (هُوَ الْحَذَرُ مِنْ عِقَابِهِ)
عَزَّ وَجَلَّ وَالرَّغْبَةُ فِي نَيْلِ رِضَاهُ (فَإِنَّهُ مَنْ خَافَ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ بَادَرَ) أَيِ سَارَعَ

لِلأَفْعَالِ الَّتِي تُرْضِي اللَّهَ تَعَالَى، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].
وَالْتَقَوَى مُشْتَقٌّ مِنَ الْوَقَايَةِ.....

(لـ) لِقِيَامِ بـ (لِأَفْعَالِ الَّتِي تُرْضِي اللَّهَ تَعَالَى، وَاللَّهُ) جَلَّ شَأْنُهُ وَعَزَّ (يَقُولُ: ﴿وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]) أي يُحَذِّرُكُمْ أَنْ تَعْصُوهُ فَتَسْتَحِقُّوا عِقَابَهُ (وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]) أي اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُبْدُونَ فَلَا تَرْتَكِبُوا إِثْمًا مِنْ عَاثِمِ الْقَلْبِ وَاحْذَرُوا عِقَابَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُمُوهُ فَإِنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا تَكْسِبُونَ بِقُلُوبِكُمْ لِأَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥]، وَقَالَ أَيْضًا: ﴿وَإِنْ بُدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُوا يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

(وَالْتَقَوَى) اسْمٌ (مُشْتَقٌّ مِنْ) فِعْلٍ "وَقَى"، تَقُولُ: "اتَّقَيْتُ الشَّيْءَ تَقًى وَتَقِيَّةً وَتَقَاءً" أي حَذَرْتُهُ، فَيَكُونُ مَعْنَى التَّقَوَى الْحَذَرَ، وَذَهَبَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ إِلَى أَنَّ اسْتِقَاقَهَا مِنَ (الْوَقَايَةِ) وَهُوَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْفَيْرُوزْآبَادِي فِي «الْبَصَائِرِ»، وَالتَّقَوَى وَالتَّقَى وَاحِدٌ، وَالتَّقَاءُ هِيَ التَّقِيَّةُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَدَّ﴾ [آل عمران: ٢٨]، فَالتَّقِيُّ هُوَ مَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَعَاصِي وَقَايَةً تَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا أَوْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ

وَأَعْظَمُ الْخَيْرِ وَأَقْوَاهُ تَقْوَى اللَّهِ فَاتَّقِ اللَّهَ فِعْلَ اللَّهِ بِفِعْلِ اللَّهِ كَمَا قَالَ ﷺ: «أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخِطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ»، وَاتَّقِ اللَّهَ بِاللَّهِ كَمَا قَالَ: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ» فَكُلُّ شَيْءٍ تَخَافُهُ وَتَخْشَاهُ.....

الوصول إلى العذابِ وقايةٌ هي أداء الواجباتِ واجتنابُ المحرّماتِ (وَأَعْظَمُ الْخَيْرِ وَأَقْوَاهُ تَقْوَى اللَّهِ) ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧].

(فَاتَّقِ فِعْلَ اللَّهِ) أي اتَّقِ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ عَذَابُهُ (بِفِعْلِ اللَّهِ) أي مفعوله، يعني بواسطة المَفْعُولِ الَّذِي جَعَلَهُ فِيكَ وهي الأعضاء والآلات، فيكونُ المعنى: اتَّقِ اللَّهَ باستعمالِكَ النِّعَمِ الَّتِي أَعْطَاكَهَا فِي مَا يَرْضَاهُ، (كَمَا قَالَ ﷺ: «أَعُوذُ بِرِضَاكَ» أي أَسْتَجِيرُ بِكَ وَأَسْأَلُكَ رِضَاكَ الَّذِي يُبْعِدُنِي (مِنْ) حُلُولِ (سَخِطِكَ) أي عَاقِبَةِ غَضَبِكَ عَلَيَّ (وَبِمُعَافَاتِكَ) أي أُلْجَأُ إِلَى نَيْلِ عَفْوِكَ عَنِّي الَّذِي يُبْعِدُنِي (مِنْ) حُلُولِ (عُقُوبَتِكَ) عَلَيَّ.

(وَاتَّقِ اللَّهَ) أي الزَّمْ تَقْوَى اللَّهَ مُسْتَجِيرًا (بِاللَّهِ) مِنْ عَذَابِهِ أَوْ مُسْتَعِيدًا بِاللَّهِ مِنَ الشُّرُورِ (كَمَا قَالَ: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ») أي أَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تُعِيدَنِي مِنْ شَرِّ خَلْقَتِهِ أَنْتَ، لَأَنَّ الْخَيْرَ وَجَدَ بِخَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى وَالشَّرَّ وَجَدَ بِخَلْقِهِ تَعَالَى، الْعِبَادُ لَيْسُوا هُمْ يَخْلُقُونَ الْكُفَرَ وَالْمَعَاصِيَ وَلَا الطَّاعَاتِ (فَكُلُّ شَيْءٍ تَخَافُهُ وَتَخْشَاهُ) كَعَذَابِ

فَيُنَبِّغِي لَكَ اجْتِنَابُ الطَّرِيقَةِ الْمُوَصَّلَةِ إِلَيْهِ فَإِنَّ الْمَعْصِيَةَ طَرِيقٌ مُوَصَّلَةٌ إِلَى الشَّقَاوَةِ وَالطَّاعَةَ طَرِيقٌ مُوَصَّلَةٌ إِلَى السَّعَادَةِ وَتَتَقِي النَّارَ بِالْجَنَّةِ كَمَا تَتَقِي السَّخَطَ بِالرِّضَا هَكَذَا فَاْمَشِ عَلَى مَنَازِلِ التَّقْوَى وَمَرَاتِبِهَا.....

الْآخِرَةَ (فَيُنَبِّغِي لَكَ اجْتِنَابُ الطَّرِيقَةِ الْمُوَصَّلَةِ إِلَيْهِ) بل وَالْعَمَلُ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ، وَمَعْنَاهُ أَتْرَكَ مَا تَشْكُ فِي جَوَازِهِ وَاعْدِلْ عَنْهُ إِلَى مَا لَا تَشْكُ فِيهِ، فَمِنْ بَابِ أَوَّلَى تَرْكِ الْمَعْصِيَةِ (فَإِنَّ الْمَعْصِيَةَ طَرِيقٌ) أَي سَبِيلٌ (مُوَصَّلَةٌ) بِسَعْيِ الْعَبْدِ (إِلَى الشَّقَاوَةِ) أَي قَدْ تَكُونُ سَبَبًا لِسُوءِ الْخَاتِمَةِ وَالْوُقُوعِ فِي الْكُفْرِ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِمْ: "الْمَعَاصِي بَرِيدُ الْكُفْرِ" أَي قَدْ تُوصِلُ مَنْ اسْتَرْسَلَ فِيهَا وَتَوَغَّلَ إِلَى الْكُفْرِ، فَيُخَافُ عَلَى الْمُكْثَرِ مِنْهَا أَنْ تَكُونَ عَاقِبَةُ سُؤْمِهَا الْمَصِيرَ إِلَى الْكُفْرِ وَالْوَفَاةِ عَلَيْهِ (و) أَمَّا (الطَّاعَةُ) فَهِيَ (طَرِيقٌ مُوَصَّلَةٌ) بِسَعْيِ الْعَبْدِ (إِلَى السَّعَادَةِ) الْأَبَدِيَّةِ فِي الْجَنَّةِ (أَي تَتَقِي الْمَعْصِيَةَ) يَعْنِي تَجْتَنِبُهَا وَتَشْتَغِلُ عَنْهَا (بِالطَّاعَةِ) فَإِنَّ ذَلِكَ يُرْضِي اللَّهَ تَعَالَى (و) هَكَذَا (تَتَقِي النَّارَ) أَي تَجْتَنِبُ مَا يُوصِلُ إِلَى عَذَابِهَا (بِ) الْمَشْيِ فِي الطَّرِيقِ الْمُوَصَّلَةِ إِلَى (الْجَنَّةِ) وَنَعِيمِهَا الْأَبَدِيِّ (كَمَا تَتَقِي السَّخَطَ بِالرِّضَا) أَي تَجْتَنِبُ مَا يَكُونُ سَبَبًا لِحُلُولِ غَضَبِ اللَّهِ عَلَيْكَ وَذَلِكَ بِالْعَمَلِ لِئَلِ رِضَاهُ (هَكَذَا فَاْمَشِ) سَائِرًا (عَلَى مَنَازِلِ التَّقْوَى) مُتَرَقِّيًا بِلِزُومِكَ إِيَّاهَا وَطُولِ ثَبَاتِكَ عَلَيْهَا (و) مُتَنَقِّلًا بَيْنَ (مَرَاتِبِهَا) صُعُودًا إِذَا رَسَخْتَ فِيهَا قَدَمُكَ، فَإِنَّ التَّقْوَى مِنْ مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ، وَإِنَّ

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ١٨٩]، وَقَالَ ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، فَاسْلُكْ طَرِيقَ التَّقْوَى عَلَى مَا رَسَمْتَ لَكَ تَنْجَحْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.
 (فَصْلٌ): وَإِيَّاكَ أَنْ تَخْدَعَ نَفْسَكَ بِاسْتِمْرَارِكَ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ اعْتِمَادًا عَلَى كَرَمِ اللَّهِ
 تَعَالَى وَحِلْمِهِ

الإيمان يزيدُ كمالًا بالطاعاتِ لِدَلَائِلَ كَثِيرَةٍ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ
 مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ
 يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا
 إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤] وغيرهما.

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ١٨٩] وهو أمرٌ لِلْجُوبِ (وَقَالَ) أَيْضًا
 ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ﴾ [آل عمران: ١٣١] أي بِمُقْتَضَى مَا تَقُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ مِنْ عَذَابِ
 النَّارِ (فَاسْلُكْ طَرِيقَ التَّقْوَى) بِنَاءً (عَلَى مَا رَسَمْتَ) أي كَتَبْتَ وَوَصَفْتَ (لَكَ
 تَنْجَحْ) فِي لُزُومِ التَّقْوَى (إِنْ شَاءَ اللَّهُ) تَعَالَى.

(فَصْلٌ) فِي التَّحْذِيرِ مِنْ تَغْيِيرِ الشَّيْطَانِ وَتَلْيِيسِهِ

(وَإِيَّاكَ) أَيُّهَا الْمُرِيدُ (أَنْ تَخْدَعَ نَفْسَكَ) وَتَغُرَّهَا (بِاسْتِمْرَارِكَ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ) غَيْرَ
 تَائِبٍ (اعْتِمَادًا) مِنْكَ (عَلَى كَرَمِ) وَفَضْلِ (اللَّهِ تَعَالَى وَحِلْمِهِ) أي عَدَمِ تَعْجِيلِهِ

وَيُخَذِّعُكَ إِبْلِيسُ بِأَنْ يَقُولَ لَكَ: "لَوْلَا ذَنْبُكَ وَمُخَالَفَتُكَ مِنْ أَيْنَ يَظْهَرُ كَرَمُهُ
تَعَالَى وَعَفْوُهُ وَمَغْفِرَتُهُ وَرَحْمَتُهُ وَهَذَا غَايَةُ الْخِزْيِ لِمَنْ تَأْمَلُ، فَإِنَّ مِنْ كَرَمِهِ وَرَحْمَتِهِ
تَعَالَى أَنْ يُؤَفِّقَنَا لِمَطَاعَتِهِ وَيُحِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُخَالَفَتِهِ وَيَقُولَ لَكَ إِبْلِيسُ: "مَا عَلَى
الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ فَإِنَّ الرَّحْمَةَ قَدْ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ.....

العِقَابَ لَكَ (وَإِيَّاكَ أَنْ (يُخَذِّعَكَ إِبْلِيسُ) لَعَنَهُ اللَّهُ (بِأَنْ يَقُولَ لَكَ) مُوسَوَسًا:
("لَوْلَا ذَنْبُكَ) الَّذِي ارْتَكَبْتَ (وَمُخَالَفَتُكَ) الَّتِي اجْتَرَحْتَ (مِنْ أَيْنَ يَظْهَرُ) لَكَ
(كَرَمُهُ) أَيِ بَعْضِ أَثَارِ كَرَمِهِ (تَعَالَى وَ) كَيْفَ يَظْهَرُ لَكَ (عَفْوُهُ) عَنْكَ
(وَمَغْفِرَتُهُ) لَكَ (وَرَحْمَتُهُ) بِكَ"، (وَهَذَا) الْوَسْوَسُ هُوَ (غَايَةُ الْخِزْيِ) وَالْخُسْرَانِ
(لِمَنْ تَأْمَلُ) بِعَقْلِهِ، (فَإِنَّ مِنْ كَرَمِهِ وَرَحْمَتِهِ تَعَالَى أَنْ يُؤَفِّقَنَا لِمَطَاعَتِهِ) أَيِ أَنَّهُ يَخْلُقُ
الْقُدْرَةَ فِي الْمُؤَفَّقِ عَلَى أَدَاءِ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى (وَ) مِنْ مَنِّهِ وَفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ تَعَالَى بِنَا
أَنْ (يُحِيلَ) أَيِ يَجْعَلُ مَانِعًا وَوَاقِيًا (بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُخَالَفَتِهِ) فَيُؤَفِّقُنَا لِلتَّقْوَى فَلَا
نَعْصِيهِ، وَهَذَا هُوَ غَايَةُ الْفَلَاحِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ
اسْتَقْلَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشَرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي
كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٠].

(وَ) قَدْ (يَقُولُ لَكَ إِبْلِيسُ) لَعَنَهُ اللَّهُ: ("مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ) أَيِ لَيْسَ
عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ وَلَا خَوْفٌ (فَإِنَّ الرَّحْمَةَ قَدْ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ) وَظَهَرَ عُمُومُهَا

فِي الدُّنْيَا بِمَا وُفِّقُوا لَهُ مِنَ الطَّاعَاتِ، فَإِذَا كَانَ غَدٌ يُظْهِرُ كَرَمَهُ وَحُكْمَهُ وَرَحْمَتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ فِي الْعَاصِينَ مِنْ عِبَادِهِ، فَلَا يَغْرَتُكَ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ وَاحْفَظْ نَفْسَكَ وَقُلْ لَهُ: أَمَّا حُكْمُهُ وَكَرَمُهُ وَمَا ذَكَرْتَ مِنْ عَفْوِهِ فَصَحِيحٌ أَنَّهُ لَوْلَا الْمُخَالَفَةُ وَالذُّنُوبُ لَمَا ظَهَرَتْ هَذِهِ الصِّفَاتُ عَلَى زَعْمِكَ وَالْآثَارُ صَحِيحَةٌ.....

عَلَيْهِمْ (فِي الدُّنْيَا) وَذَلِكَ (بِ) دَلِيلٍ (مَا وُفِّقُوا لَهُ) أَيِ إِلَى فِعْلِهِ (مِنَ الطَّاعَاتِ) وَلَا تَحْشَ أَنَّكَ مِنَ الْمُقْصِرِينَ (فَإِذَا كَانَ غَدٌ) أَيِ يَوْمُ الْقِيَامَةِ فَإِنَّ اللَّهَ (يُظْهِرُ كَرَمَهُ) أَيِ أَثَارَ ذَلِكَ (وَيُظْهِرُ (حُكْمَهُ) فِي الْعِبَادِ (وَرَحْمَتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ فِي الْعَاصِينَ مِنْ عِبَادِهِ) الَّذِينَ شَاءَ الْعَفْوَ عَنْهُمْ، وَفِي هَذَا الْكَلَامِ لِإِبْلِيسَ تَغْيِيرٌ لِلْعِبَادِ، (فَلَا يَغْرَتُكَ) الشَّيْطَانُ (بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ) الْغَرَارَةُ (وَاحْفَظْ نَفْسَكَ) مِنَ الْوُقُوعِ فِي تَلْبِيسَاتِ إِبْلِيسَ (وَقُلْ لَهُ) رَدًّا عَلَيْهِ: "أَيُّهَا الْخَبِيثُ (أَمَّا حُكْمُهُ) أَيِ حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى (وَكَرَمُهُ وَمَا ذَكَرْتَ مِنْ عَفْوِهِ) عَزَّ وَجَلَّ عَنِ الْعِبَادِ (فَصَحِيحٌ أَنَّهُ لَوْلَا الْمُخَالَفَةُ وَالذُّنُوبُ) الظَّاهِرَةُ مِنَ الْعِبَادِ (لَمَا ظَهَرَتْ) أَثَارُ (هَذِهِ الصِّفَاتُ عَلَى زَعْمِكَ) وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ تَعْطِيلٌ لِصِفَاتِ اللَّهِ، حَاشَا لِلَّهِ، بَلْ مَعْنَاهُ أَنَّ الْمَغْفِرَةَ لِلذُّنُوبِ تَقْتَضِي أَنْ يُوجَدَ ذَنْبٌ فَيُغْفَرَ (وَالْآثَارُ) فِي ذَلِكَ (صَحِيحَةٌ) ثَابِتَةٌ كَحَدِيثِ: «لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ» وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَقَدْ قَالَ فِي مَعْنَاهُ شَيْخُنَا الْإِمَامُ الْحَافِظُ الْهَرِيرِيُّ

وَالْأَخْبَارُ فِيهَا كَثِيرَةٌ وَلَكِنْ يَا مَلْعُونُ تُرِيدُ أَنْ تَغْرِي بِكَرَمِهِ حَتَّى أَعْصِيَهُ
إِتْكَالًا عَلَى رَحْمَتِهِ؟! وَمِنْ أَيْنَ أَعْلَمُ أَنِّي مِمَّنْ يُعْفَى عَنْهُ أَوْ يُرْحَمُ أَوْ يُغْفَرُ لَهُ.....

رَحِمَهُ اللَّهُ: "معناه اللَّهُ يُحِبُّ الْمَغْفِرَةَ لِعِبَادِهِ لِأَنَّ اللَّهَ كَتَبَ أَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ
يُذْنِبُونَ وَيَسْتَغْفِرُونَ فَيُغْفَرُ لَهُمْ، وَاللَّهُ يُحِبُّ مَنْ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَسْتَغْفِرَهُ، فَهَذَا
الْحَدِيثُ لَيْسَ فِيهِ تَشْجِيعٌ عَلَى الْمَعَاصِي" اهـ

(وَالْأَخْبَارُ فِيهَا) أَيِ فِي شَأْنِ ظُهُورِ عَائِلَةِ الْمَغْفِرَةِ عَلَى مَنْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ عَصَاةِ
الْمُؤْمِنِينَ (كَثِيرَةٌ، وَلَكِنْ) يَا إِبْلِيسُ (يَا مَلْعُونُ تُرِيدُ أَنْ تَغْرِي) وَتَمَيِّنِي
(بِكَرَمِهِ) عَزَّ وَجَلَّ (حَتَّى أَعْصِيَهُ) أَيِ أَخَالَفَ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ (إِتْكَالًا) أَيِ اعْتِمَادًا
(عَلَى رَحْمَتِهِ) وَمَغْفِرَتِهِ لِي بَعْدَ عِصْيَانِي؟! (وَمِنْ أَيْنَ أَعْلَمُ) أَيِ لَسْتُ أَعْلَمُ (أَنِّي)
أَكُونُ (مِمَّنْ يُعْفَى عَنْهُ أَوْ يُرْحَمُ أَوْ يُغْفَرُ لَهُ) إِذَا مِتُّ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ.

(نَعَمْ) فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ (يَلْحَقُ كَرَمُهُ وَرَحْمَتُهُ وَمَغْفِرَتُهُ وَعَفْوُهُ) أَيِ تُصِيبُ عَائِلَتَهُ
كَرَمِهِ وَرَحْمَتِهِ وَمَغْفِرَتِهِ وَعَفْوِهِ (مَنْ شَاءَ) اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُ ذَلِكَ (مِنْ) عَصَاةِ
(عِبَادِهِ) الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ
يَشَاءُ﴾ [النِّسَاءُ: ٤٨]، (كَمَا يَلْحَقُ عُقُوبَتُهُ وَنَقْمَتُهُ) أَيِ عُقُوبَتُهُ أَيْضًا (وَعَذَابُهُ
طَائِفَةٌ) أَيِ جَمَاعَةٌ (مِنْ عَصَاةِ عِبَادِهِ) الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ
أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النِّسَاءُ: ١٠]

وَأَنَا لَا أَدْرِي مِنْ أَيِّ الْفَرِيقَيْنِ أَنَا عِنْدَهُ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَخَّرَ التَّوْبَةَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ
فَيَنْتَقِمُ مِنِّي وَحِينَئِذٍ أَخْرَجُ مِنْهَا إِذَا أَنَا مِتُّ مُسْلِمًا، أَلَا وَإِنَّ الْمَعَاصِيَ بَرِيدُ الْكُفْرِ

وَقَدْ وَقَعَ فِي هَذَا الذَّنْبِ بَعْضُ عُصَاةِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَاتُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتُوبُوا، وَكَذَلِكَ
جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الْمَرْفُوعِ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ
مِنْ إِيْمَانٍ»، وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ»، وَالْأَحَادِيثُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ جِدًّا.

فَيَرُدُّ الشَّيْطَانُ بَأَن يُقَالَ لَهُ: تُمَنِّينِي أَيُّهَا الْخَبِيثُ أَنْ أَقَعَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى (وَأَنَا
لَا أَدْرِي مِنْ أَيِّ الْفَرِيقَيْنِ أَنَا عِنْدَهُ) أَيِّ فِي الْآخِرَةِ، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَهُ
مَكَانٌ يَسْكُنُهُ، تَعَالَى اللَّهُ عَنِ مُشَابَهَةِ الْمَخْلُوقَاتِ، فَلَسْتُ أَدْرِي إِنْ عَصَيْتُ اللَّهَ
بِكَبِيرِ ذَنْبٍ وَمِتُّ قَبْلَ التَّوْبَةِ هَلْ أَكُونُ مِنَ الْمَغْفُورِ لَهُمْ وَالْمَغْفُورِ عَنْهُمْ أَمْ أَكُونُ
مِنَ الْمُعَذِّبِينَ الْمُعَاقَبِينَ بِذُنُوبِهِمْ.

وَلَا تُمَنِّينِي أَيُّهَا الشَّيْطَانُ بِالتَّوْبَةِ قَبْلَ الْمَوْتِ فَتُجَرِّئَنِي عَلَى الْعِصْيَانِ، نَعَمْ لَعَلِّي أَتُوبُ
قَبْلَ الْمَوْتِ وَلَعَلِّي لَا أَدْرِكُ ذَلِكَ، (وَلَعَلَّ اللَّهَ أَخَّرَ التَّوْبَةَ) لِي (عَنِ الْمَعْصِيَةِ)
فَأَعَصِيهِ وَلَا أَتُوبُ عَلَى الْفَوْرِ (فَيَنْتَقِمُ) اللَّهُ (مِنِّي) فِي الدُّنْيَا بِتَعْجِيلِ الْعُقُوبَةِ لِي
(وَحِينَئِذٍ أَخْرَجُ مِنْهَا إِذَا أَنَا مِتُّ) بِسَبَبِ تِلْكَ الْعُقُوبَةِ (مُسْلِمًا) عَاصِيًا غَيْرَ مُدْرِكٍ
لِلتَّوْبَةِ (أَلَا وَإِنَّ الْمَعَاصِيَ بَرِيدُ) أَيِّ مُوَصِّلَةٍ إِلَى (الْكُفْرِ) أَيِّ قَدْ تُودِي بِصَاحِبِهَا

فَلَوْ عَلِمْتُ أَنِّي مِمَّنْ يُعْفَى عَنْهُ قَطْعًا وَلَا يُؤَاخَذُ بِذَنْبٍ رَبَّمَا اغْتَرَرْتُ بِكَلَامِكَ،
وَذَلِكَ حُمُقٌ مِنِّي وَجَهَالَةٌ، بَلْ كَانَ الْوَاجِبُ عَلَيَّ لَا أَنْجُوَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَنْ أَبْذُلَ طَاقَتِي
وَجَهْدِي فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى شُكْرًا لِلَّهِ وَحَيَاءً مِنْهُ، فَإِنَّهُ أَوْلَى أَنْ أَسْتَحْيِيَ مِنْهُ

إلى أن يُخْتَمَ لَهُ بِسُوءِ الْخَاتِمَةِ فَيَمُوتَ عَلَى الْكُفْرِ فَيُخَلَّدَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وقد جاءَ في
الحديث الصحيح مرفوعًا: «فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ
وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَإِنَّ
الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ
الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ» رواه الشيخان.

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدِي الدِّينِ فِي تَلْقِينِ مُرِيدِهِ الرَّدَّ عَلَى الشَّيْطَانِ: (فَلَوْ عَلِمْتُ) أَيُّهَا
الشَّيْطَانُ (أَنِّي مِمَّنْ يُعْفَى عَنْهُ) فِي الْآخِرَةِ (قَطْعًا وَلَا يُؤَاخَذُ بِذَنْبٍ) تَوْبِيخًا أَوْ
تَعْذِيبًا (رَبَّمَا اغْتَرَرْتُ بِكَلَامِكَ) وَلَكِنَّ الْأَمْرَ أَنَّ عَاقِبَتَنَا مَحْجُوبَةٌ عَنَّا، (وَ) إِنْ
عَصَيْتُ اللَّهَ اعْتِمَادًا عَلَى تَغْرِيرِ الشَّيْطَانِ لِي فَـ (مَذَلِكَ حُمُقٌ) أَيَّ ضَعْفُ عَقْلٍ (مِنِّي
وَجَهَالَةٌ) مِنْ نَفْسِي (بَلْ كَانَ الْوَاجِبُ عَلَيَّ) لِرَامًا (لَا أَنْجُوَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ) فِي الْقَبْرِ
وَالْآخِرَةِ (أَنْ أَبْذُلَ طَاقَتِي) أَيَّ وَسْعِي (وَجَهْدِي) أَيَّ غَايَةِ وَسْعِي (فِي طَاعَةِ اللَّهِ
تَعَالَى) وَأَنْ لَا أَعْصِيَهُ (شُكْرًا لِلَّهِ) تَعَالَى (وَحَيَاءً مِنْهُ) عَزَّ وَجَلَّ (فَإِنَّهُ أَوْلَى) وَأَحَقُّ
(أَنْ أَسْتَحْيِيَ مِنْهُ) حَقَّ الْحَيَاءِ بِأَنْ لَا أَعْصِيَهُ.

فَكَيْفَ وَمَا بَشَّرَنِي عَلَى التَّعْيِينِ وَلَا أَمَّنِي بَلْ تَرَكَنِي مُنْهَلًا فِي مَعْصِيَتِي بَيْنَ عَفْوِهِ
وَعَذَابِهِ، كَيْفَ أَغْتَرُّ بِزُورِكَ وَزُورِ نَفْسِي الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ.

(فَصْلٌ): وَعَلَيْكَ بِالْوَرَعِ وَهُوَ اجْتِنَابُ كُلِّ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ مِنْ شَيْءٍ.....

(فَكَيْفَ) لي أن أعصيه سبحانه وقد أنعم عليّ بما لا أحصيه من النعم وهو خالقي
ورازقي ولا أستغني عنه طرفة عين (وَمَا بَشَّرَنِي) أي لم يُبَشِّرَنِي بآمانِ العاقبة (عَلَى
التَّعْيِينِ وَلَا أَمَّنِي) العذاب مهما عمِلْتُ في هذه الدنيا (بَلْ) إني إذا عصيته ربّما
لم يُعَاجِلْنِي العقوبة في الدنيا بَلْ (تَرَكَنِي مُنْهَلًا فِي مَعْصِيَتِي) فلم يُعَذِّبْنِي بَلْ
جَعَلَنِي (بَيْنَ عَفْوِهِ وَعَذَابِهِ) فإن ثبت إليه قبل الموتِ فأنا التاجي وإلا فإن متُّ
مؤمنًا مُثْقَلًا بِذَنْبٍ كبيرٍ فأنا تحت المشيئة إن شاء الله عَذَّبَنِي وإن شاء عَفَا عَنِّي،
فإذا كانَ هذا الحالُ فـ(كَيْفَ أَغْتَرُّ) بعدَ ذلكَ (بِزُورِكَ) أي كَذِبِكَ (وَزُورِ
نَفْسِي) أي كَذِبِهَا وتوهمها أنها ءامنةٌ وهي النَّفْسُ (الْأَمَّارَةُ) أي الكَثِيرَةُ الْأَمْرُ
لِصَاحِبِهَا (بِالسُّوءِ) أي القَبَائِحِ.

(فَصْلٌ) فِي لُزُومِ الْوَرَعِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ

(وَعَلَيْكَ) أَيُّهَا الْمُرِيدُ (بِ)لُزُومِ (الْوَرَعِ وَهُوَ اجْتِنَابُ كُلِّ مَا حَاكَ) أي تَرَدَّدَ
وَتَحَرَّكَ وَاتَّزَعَ (فِي صَدْرِكَ) أي فِي نَفْسِكَ (مِنْ شَيْءٍ) بَأْنُ لَمْ يَنْشَرْخْ لَهُ وَحَلَّ فِي

قَالَ ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ». وَلَوْ لَمْ تَجِدْ فِي الْوَقْتِ غَيْرَهُ وَأَنْتَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ فَلَا تَسْتَعْمِلْهُ أَلْبَتَّةَ وَاتْرُكْهُ لِلَّهِ تَعَالَى يُعَوِّضُكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ.

الْقَلْبِ بِسَبَبِهِ الْخَوْفُ وَالْقَلَقُ، (قَالَ ﷺ: «دَعْ» أَيِ اتْرُكْ (مَا يَرِيْبُكَ) أَيِ مَا تَشْكُ فِي جَوَازِهِ وَاعْدِلْ عَنْهُ (إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ) أَيِ إِلَى مَا لَا تَشْكُ فِيهِ، وَفَتْحُ الْيَاءِ فِي "يَرِيْبُكَ" أَفْصَحُ وَأَشْهَرُ مِنْ صَمِّهَا، وَهَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ.

(وَلَوْ لَمْ تَجِدْ) أَيُّهَا الْمُرِيدُ (فِي الْوَقْتِ) الْمَعِيْنِ (غَيْرُهُ) أَيِ غَيْرَ هَذَا الشَّيْءِ الَّذِي تَشْكُ فِي حِلِّهِ (وَأَنْتَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ) لَا لِسَدِّ رَمَقِكَ مِنَ الْهَلَاكِ بَلْ حَاجَةٌ دُونَ ذَلِكَ (فَلَا تَسْتَعْمِلْهُ أَلْبَتَّةَ) أَيِ قَطْعًا (وَاتْرُكْهُ) تَوَرُّعًا (لِلَّهِ تَعَالَى يُعَوِّضُكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ) إِنْ شَاءَ.

وَقَدْ قَالَ ﷺ لِأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ» رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ وَابِيهَقِي.

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "كُنَّا نَدْعُ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ الْحَلَالِ مَخَافَةَ أَنْ نَقَعَ فِي بَابٍ مِنَ الْحَرَامِ" اهـ.

لَطِيفَةٌ: رَهْنُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يَوْمًا سَطَلَا لَهُ عِنْدَ بَقَالٍ بِمَكَّةَ، فَلَمَّا أَرَادَ فَكَاكُهُ أَخْرَجَ الْبَقَالَ إِلَيْهِ سَطْلَيْنِ وَقَالَ: خُذْ أَيُّهُمَا لَكَ، فَقَالَ أَحْمَدُ: أَشْكَلُ عَلَيَّ سَطْلِي

وَلَا تَسْتَعْجِلْ فَإِذَا كَانَ حَالُكَ الْوَرَعَ الَّذِي هُوَ أَسَاسُ الدِّينِ وَالطَّرِيقُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى
زَكَتْ أَعْمَالُكَ وَنَجَحَتْ أَفْعَالُكَ وَتَمَّتْ أَحْوَالُكَ وَسَارَعَتْ إِلَيْكَ الْكَرَامَاتُ وَلَمْ
يَتِمَّكَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ.

فهو لك والدَّراهمُ لك، فقال البَقَّالُ: سَطَّلَكَ هذا وأنا أَرَدْتُ أَنْ أَجَرِّبَكَ، فقال: لا
ءَاخُذْهُ، وَمَضَى وَتَرَكَ السَّطْلَ عِنْدَهُ.

(وَلَا تَسْتَعْجِلْ) أَيُّهَا الْمُرِيدُ (فَإِذَا كَانَ حَالُكَ الْوَرَعَ الَّذِي هُوَ) مِنْ بَعْدِ التَّقْوَى
(أَسَاسُ) التَّرَقِّي فِي الْكَمَالَاتِ فِي (الدِّينِ) وَلَا شَكَّ أَنَّ الْأَصْلَ وَالْأَسَاسَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَتَجَنُّبُ الْكُفْرِيَّاتِ وَالشُّبُهَاتِ (وَ) إِذَا كَانَ حَالُكَ الْوَرَعَ الَّذِي هُوَ (الطَّرِيقُ)
لِلْوُصُولِ (إِلَى) رِضَا (اللَّهِ تَعَالَى) فَقَدْ (زَكَتْ) أَي نَمَتْ بِالْخَيْرِ (أَعْمَالُكَ) الطَّيِّبَةُ
وَكَثُرَتْ (وَنَجَحَتْ أَفْعَالُكَ) الْخَيْرَةُ (وَتَمَّتْ) أَي كَمَلَتْ (أَحْوَالُكَ) السَّنِيَّةُ
(وَسَارَعَتْ إِلَيْكَ الْكَرَامَاتُ) أَي الْفَضَائِلُ أَوْ الْمَعْنَى أَنَّكَ تَصِيرُ وَلِيًّا بِثَبَاتِكَ عَلَى
التَّقْوَى وَالْإِكْتِسَابِ مِنَ التَّوَافِلِ وَتَظْهَرُ عَلَى يَدَيْكَ الْكَرَامَاتُ (وَلَمْ يَتِمَّكَ الشَّيْطَانُ
مِنْكَ) بِوَسْوَستِهِ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢]
فَلَا يَسْتَطِيعُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُغْرِقَ الْوَلِيَّ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ بِالْمَعَاصِي وَلَا أَنْ يُوقِعَهُمْ فِي
الْكُفْرِ، لَكِنْ قَدْ يَقَعُ الْوَلِيُّ فِي مَعْصِيَةٍ لَكِنْ يَمُوتُ تَائِبًا.

اللَّهُ اللَّهُ يَا أُخَيَّ، الْوَرَعَ الْوَرَعَ مَا اسْتَطَعْتُ.

(فَصْلٌ): وَعَلَيْكَ بِالزُّهْدِ وَقِلَّةِ الرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا بَلِ اعْدِمُهَا مِنْ قَلْبِكَ جُمْلَةً وَاحِدَةً، فَإِنْ كُنْتَ وَلَا بُدَّ لَهَا طَالِبًا فَاقْتَصِرْ عَلَى قُوتِكَ مِنْهَا مِنْ وَجْهَةٍ وَلَا تُنَافِسْ أَبْنَاءَهَا فَإِنَّهَا عَرَضٌ لَا يَبْقَى.....

اتَّقِ (اللَّهُ) ثُمَّ اتَّقِ (اللَّهُ يَا أُخَيَّ) وَالزَّمِ (الْوَرَعَ) ثُمَّ الزَّمِ (الْوَرَعَ مَا اسْتَطَعْتُ) بِالْإِبْتِعَادِ عَنِ الْحَرَامِ وَالشُّبُهَاتِ.

(فَصْلٌ) فِي الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا

(وَعَلَيْكَ) أَيُّهَا الْمُرِيدُ (بِالزُّهْدِ) أَيِ تَرْكِ التَّنَعُّمِ (و)ب(قِلَّةِ الرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا) وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الْإِنْعِمَاسِ فِي مَلَذَّاتِهَا وَتَتَبُعْ شَهَوَاتِهَا طَلَبًا لِرِضَا اللَّهِ وَالرَّاحَةِ فِي الْآخِرَةِ.

وَلَا تَقْتَصِرْ عَلَى تَقْلِيلِ الرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا (بَلِ اعْدِمُهَا) أَيِ أَزِلْهَا (مِنْ قَلْبِكَ جُمْلَةً وَاحِدَةً) أَيِ بِالْكُلِّيَّةِ، (فَإِنْ كُنْتَ وَلَا بُدَّ لَهَا طَالِبًا فَاقْتَصِرْ عَلَى قُوتِكَ) الَّذِي تَحْتَاجُهُ (مِنْهَا مِنْ وَجْهَةٍ) أَيِ مِنْ هَذِهِ التَّاحِيَةِ.

(وَلَا تُنَافِسْ أَبْنَاءَهَا) أَيِ أَبْنَاءَ الدُّنْيَا عَلَى نَعِيمِهَا (فَإِنَّهَا عَرَضٌ) أَيِ حَالٌ حَادِثٌ (لَا يَبْقَى) بَلِ هُوَ زَائِلٌ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ مُحَمَّدٌ الشَّافِعِيُّ

وَلَا يَنَالُ الرَّاعِبُ مِنْهَا مُرَادَهُ أَبَدًا، فَإِنَّ عَامَالَ الرَّاعِبِ فِيهَا مُتَّسِعَةٌ جِدًّا، وَاللَّهُ مَا
يُعْطِيهِ مِنْهَا إِلَّا مَا قَدَرَهُ لَهُ سَوَاءٌ رَغِبَ فِيهَا أَوْ عَنِيَ مُهْتَمًّا بِهَا كَثِيرَ الْحُزْنِ عَلَيْهَا
مَمْقُوتًا عِنْدَ اللَّهِ، فَإِنَّهُ مَثَلُ طَالِبِ الدُّنْيَا الرَّاعِبِ فِيهَا كَشَارِبِ مَاءِ الْبَحْرِ كُلَّمَا
ازْدَادَ شُرْبًا ازْدَادَ عَطْشًا.....

مرفوعًا: «أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا عَرَضٌ حَاضِرٌ» أي عاجلٌ محسوسٌ «يَأْكُلُ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ»
أي المؤمن والكافر «أَلَا وَإِنَّ الْآخِرَةَ أَجَلٌ صَادِقٌ وَيَقْضِي فِيهَا مَلِكٌ قَادِرٌ».

(وَلَا يَنَالُ الرَّاعِبُ) في الدُّنْيَا (مِنْهَا مُرَادَهُ) الدُّنْيَوِيَّ (أَبَدًا، فَإِنَّ عَامَالَ) وَأَمَانِيَّ
(الرَّاعِبِ فِيهَا مُتَّسِعَةٌ جِدًّا) مُتَدَّةٌ مَدَى أَجَلِهِ، (وَاللَّهُ) تَعَالَى (مَا يُعْطِيهِ) أي لَيْسَ
يُعْطِي الرَّاعِبَ في الدُّنْيَا (مِنْهَا إِلَّا مَا قَدَرَهُ) اللَّهُ تَعَالَى وَشَاءَهُ (لَهُ) أي لِهَذَا الرَّاعِبِ
في الدُّنْيَا، (سَوَاءٌ رَغِبَ) الرَّاعِبُ (فِيهَا أَوْ عَنِيَ) أي تَعَبَ وَأَصَابَهُ عَنَاءٌ (مُهْتَمًّا بِهَا)
أي مُصَابًا بِالْهَمِّ مُغْتَمًّا بِسَبَبِهَا (كَثِيرَ الْحُزْنِ) وَالْأَسْفِ (عَلَيْهَا مَمْقُوتًا) أي
مَذْمُومًا حَالَهُ (عِنْدَ اللَّهِ) بِسَبَبِ تَرْكِهِ تَقْوَى اللَّهِ لِأَجْلِ تَتَبُعِ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا (فَإِنَّهُ
مَثَلُ طَالِبِ الدُّنْيَا) وَنَعِيمِهَا (الرَّاعِبِ فِيهَا) وَفِي مَلَذَّاتِهَا (كَشَارِبِ مَاءِ الْبَحْرِ) أي
مِنْهُ، فَإِنَّهُ (كُلَّمَا ازْدَادَ) مِنْهُ (شُرْبًا ازْدَادَ عَطْشًا) لِمُلُوحَتِهِ الَّتِي تَزِيدُ الشَّارِبَ مِنْهُ
عَطْشًا.

وَحَسْبُكَ مِنْ تَسْمِيَةِ النَّبِيِّ ﷺ إِيَّاهَا بِالْحَيْفَةِ وَالْمَزْبَلَةِ، وَهَلْ يَجْتَمِعُ عَلَى الْحَيْفَةِ
وَالْمَزْبَلَةِ إِلَّا الْكِلَابُ؟! أَتَرْضَى لِنَفْسِكَ أَنْ تَكُونَ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ، لَا وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ
عَاقِلًا.

قال الشيخ محيي الدين رحمه الله: (وَحَسْبُكَ) أي وَيَكْفِيكَ (مِنْ تَسْمِيَةِ النَّبِيِّ ﷺ
إِيَّاهَا) أي تَسْمِيَتِهِ الدُّنْيَا (بِالْحَيْفَةِ) وَيُرِيدُ بِذَلِكَ الْحَدِيثَ: «الدُّنْيَا حَيْفَةٌ وَطَلَّابُهَا
كِلابٌ» وهو لَا يَثْبُتُ مَرْفُوعًا، فَقَدْ قَالَ الْعَجَلُونِيُّ فِي «كَشَفِ الْخَفَاءِ»: "قال الصَّغَانِيُّ:
مَوْضُوعٌ. أقول: وَإِنْ كَانَ مَعْنَاهُ صَحِيحًا لَكِنَّهُ لَيْسَ بِحَدِيثٍ. وقال النّجم: لَيْسَ
بِهَذَا اللَّفْظِ فِي الْمَرْفُوعِ، وَعِنْدَ أَبِي نُعَيْمٍ عَنْ يُوسُفَ بْنِ أَسْبَاطٍ قَالَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ
أَبِي طَالِبٍ: «الدُّنْيَا حَيْفَةٌ، فَمَنْ أَرَادَهَا فَلْيَصِرْ عَلَى مُحَاظَةِ الْكِلابِ» اهـ.

(و) تَسْمِيَتِهِ الدُّنْيَا بـ (الْمَزْبَلَةِ) يُرِيدُ بِذَلِكَ الْحَدِيثَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الدُّنْيَا
بِحَذَائِيرِهَا، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذِهِ الْمَزْبَلَةِ» رواه ابنُ المُبَارَكِ عَنِ الْحَسَنِ مُرْسَلًا.

(وَهَلْ يَجْتَمِعُ عَلَى الْحَيْفَةِ وَالْمَزْبَلَةِ) يَتَقَاتَلُ عَلَيْهَا (إِلَّا الْكِلابُ؟!) والمرادُ بِذَلِكَ
التَّشْبِيهُ، فَكُلُّ مَا يُلْهِى عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ فَهُوَ مَذْمُومٌ لَا خَيْرَ فِيهِ يَتَقَاتَلُ عَلَيْهِ أَهْلُ
الدُّنْيَا، (أَتَرْضَى لِنَفْسِكَ أَنْ تَكُونَ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ) تُنَافِسُ أَهْلَ الدُّنْيَا عَلَى مَلَاهِيهَا
وَمَلَذَاتِهَا الْمَذْمُومَةِ الْمُبْعَدَةِ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ؟! (لَا وَاللَّهِ) لَسْتُ تَرْضَى (إِنْ كُنْتُ
عَاقِلًا) أَنْ تَكُونَ كَذَلِكَ.

فَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا بُدَّ أَنْ يُوصِلَهُ إِلَيْكَ شِئْتَ أَمْ أَبَيْتَ.

هَبْكَ يَا أَخِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَعْطَاكَ الدُّنْيَا بِجَمِيعِ حَذَائِهَا هَلْ لَكَ مِنْهَا إِلَّا بَيْتٌ
يُكِنُّكَ وَثَوْبٌ يَسْتُرُ عَوْرَتَكَ وَكِسْرَةٌ تَسُدُّ جَوْعَتَكَ وَهَذَا يَنَالُهُ مَنْ قُبِضَتْ عَنْهُ الدُّنْيَا
وَزَادَ عَلَيْكَ بِخَفَّةِ الْحِسَابِ

(فَارْضَ) يَا أَخِي (بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ) أَيِ قَدَرِهِ لَكَ وَأَرَادَهُ (فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ) وَتَعَالَى لَا
تَتَغَيَّرُ مَشِئَتُهُ وَلَا يَتَبَدَّلُ تَقْدِيرُهُ فـ (لَا بُدَّ أَنْ يُوصِلَهُ إِلَيْكَ) أَيِ أَنْ يُعْطِيَكَ مَا
قَدَرَهُ لَكَ وَأَرَادَهُ، سَوَاءٌ (شِئْتَ) أَيِ أَرْضَيْتَ بِمَا قَسَمَ لَكَ (أَمْ أَبَيْتَ) هُ أَيِ لَمْ تَرْضَ
بِهِ.

(هَبْكَ) أَيِ احْسِبْ وَاغْدُدْ (يَا أَخِي) لَوْ (أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَعْطَاكَ الدُّنْيَا بِجَمِيعِ
حَذَائِهَا) أَيِ بِتَمَامِهَا وَأَسْرِهَا (هَلْ) يَكُونُ (لَكَ مِنْهَا) مِمَّا تَتَنَعَّمُ (إِلَّا بَيْتٌ
يُكِنُّكَ) أَيِ يُؤْزِيكَ مَهْمَا كَانَ وَاسِعًا لَا يُوَازِيهِ فِي الدُّنْيَا قَصْرٌ، (وَتَوْبٌ يَسْتُرُ
عَوْرَتَكَ) وَإِنْ كَانَ مَنْسُوجًا مِنْ ذَهَبٍ وَحَرِيرٍ، وَحَرَامٌ لُبْسُهُ عَلَى الرِّجَالِ، (وَكِسْرَةٌ)
مِنْ خُبْزٍ أَوْ أُكْلَةٍ (تَسُدُّ جَوْعَتَكَ) أَوْ تَأْكُلُهَا تَلَذُّدًا مَهْمَا كَانَتْ فَاحِرَةً (وَهَذَا يَنَالُهُ)
مِنْ حَيْثُ جِنْسُهُ - وَإِنْ كَانَ الْوَصْفُ مُخْتَلِفًا - الْفَقِيرُ (مَنْ قُبِضَتْ) أَيِ أُمْسِكَتْ
(عَنْهُ الدُّنْيَا) تَوَسَّعًا وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْهَا إِلَّا مَا يَسُدُّ حَاجَتَهُ فَقَطْ، فَلَمْ تَفْضُلْهُ بِالْجَنَسِ
وَإِنْ فَضَلْتَهُ بِالْوَصْفِ الَّذِي تَمَكَّنْتَ بِهِ مِنَ الْانْعِمَائِ فِي الْمَلَكَّاتِ سَوَاءٌ كَانَتْ مِنْ
حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ إِنْ لَمْ تُبَالِ، بَلْ (وَزَادَ عَلَيْكَ) الْفَقِيرُ التَّقِيُّ (بِخَفَّةِ الْحِسَابِ) فَإِنَّ

بِخَفَّةِ الْحِسَابِ وَرَاحَةِ الْقَلْبِ وَوَضْعِ الْوِزْرِ، فَإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَبِيعَ حَظَّكَ مِنْ مَوْلَاكَ
بِعَرَضٍ يَفْنَى عَنْكَ بِفَنَائِكَ، وَلَعَلَّكَ تَمُوتُ فِي أَوَّلِ قَدَمٍ تَضَعُهَا فِي طَلَبِ الدُّنْيَا وَمَا
انْقَضَى لَكَ مِنْ أَمَالِكَ شَيْءٌ.

وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ لِلْآخِرَةِ أَبْنَاءً وَلِلدُّنْيَا أَبْنَاءً.....

الْعَبْدَ مَسْئُولٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ (وَ) زَادَ عَلَيْكَ
الْفَقِيرُ التَّقِيُّ بـ (رَاحَةِ الْقَلْبِ) حَيْثُ إِنَّهُ قَدْ حَاسَبَ نَفْسَهُ وَأَعَدَّ الْجَوَابَ لِلسُّؤَالِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ (وَ) زَادَ عَلَيْكَ الْفَقِيرُ التَّقِيُّ بـ (مَوْضِعِ) أَيْ مَحْوِ (الْوِزْرِ) لِأَنَّهُ تَقِيٌّ نَقِيٌّ
مِنَ الذُّنُوبِ.

(فَإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ) أَيْ الْحَذَرَ ثُمَّ الْحَذَرَ (أَنْ تَبِيعَ حَظَّكَ) أَيْ الْفَوْرَ بِالرِّضَا (مِنْ) اللَّهُ
(مَوْلَاكَ) أَيْ مُتَوَلِّي أَمْرِكَ (بِعَرَضٍ) أَيْ مُقَابِلِ حَالٍ حَادِثٍ عَارِضٍ لَا يَسْتَمِرُّ أَبَدًا
بَلْ (يَفْنَى) أَيْ يَزُولُ (عَنْكَ بـ) مُجَرَّدَ (فَنَائِكَ) أَيْ مُفَارَقَتِكَ الدُّنْيَا بِمَوْتِكَ، وَقَدْ
سَبَقَ قَرِيبًا شَرْحُنَا الْحَدِيثَ الْمَرْفُوعَ: «أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا عَرَضٌ حَاضِرٌ»، (وَلَعَلَّكَ) يَا
أَخِي (تَمُوتُ فِي أَوَّلِ قَدَمٍ تَضَعُهَا فِي) طَرِيقِ السَّعْيِ فِي (طَلَبِ) نَعِيمِ (الدُّنْيَا) الْفَانِي
(وَمَا انْقَضَى) أَيْ كُلُّ ذَلِكَ حَالٌ كَوْنِكَ لَمْ يَنْقُضْ (لَكَ مِنْ أَمَالِكَ) وَلَمْ تَنْلُ مِنْ
أَمَانِيكَ (شَيْءٌ) قَبْلَ مَوْتِكَ، وَتَذَكَّرْ فِي ذَلِكَ قِصَّةَ قَارُونَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

(وَقَدْ عَلِمْتَ) يَا أَخِي (أَنَّ لِلْآخِرَةِ أَبْنَاءً وَلِلدُّنْيَا أَبْنَاءً) أَيْ مُتَعَلِّقُونَ بِكُلِّ مِنْهُمَا.

كَمَا قَالَ ﷺ: «فَكُونُوا مِنْ أبنَاءِ الآخِرَةِ وَلَا تَكُونُوا مِنْ أبنَاءِ الدُّنْيَا»، فَتَدَبَّرْ كَلَامَ مَوْلَاكَ إِذَا قَرَأْتَهُ وَانْظُرْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هُود: ١٥-١٦].....

(كَمَا قَالَ ﷺ) والذي عليه أكثرُ المُحدِّثينَ وهو الصَّحيحُ أَنَّهُ القولُ لِسَيِّدِنَا عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «(فَكُونُوا مِنْ أبنَاءِ الآخِرَةِ) الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِالطَّاعَةِ فِي الدُّنْيَا لِلْوُصُولِ إِلَى الرَّاحَةِ الْآبِدِيَّةِ فِي الآخِرَةِ (وَلَا تَكُونُوا مِنْ أبنَاءِ الدُّنْيَا) أَيِ الْمُتَعَلِّقِينَ بِهَا الْمُذْبِرِينَ عَنْ دَرَجَةِ التَّقْوَى.

(فَتَدَبَّرْ) أَيُّهَا الْمُرِيدُ (كَلَامَ مَوْلَاكَ) يَعْنِي الْقُرْآنَ كَلَامَ اللَّهِ أَيِ الْأَلْفَاظِ الْمُنْزَلَةِ الَّتِي هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ كَلَامِ اللَّهِ الذَّاتِيِّ الْأَزَلِيِّ، فَإِيَّاكَ وَالْغَفْلَةَ عَنْ تَدَبُّرِ مَعَانِي الْقُرْآنِ (إِذَا قَرَأْتَهُ) مِنْ بَعْدِ أَنْ تَلَقَّيْتَ تِلَاوَتَهُ عَلَى مُعَلِّمٍ ثِقَّةٍ لِتَأْمَنَ أَنَّكَ لَا تَلْحَنُ فِيهِ أَيِ لَا تَقْرَأْهُ عَلَى خِلَافِ الصَّوَابِ، (وَانْظُرْ) نَظَرَ فِكْرٍ بَعْدَ إِبْصَارٍ (فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ﴾) كَافِرًا ﴿يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾) أَيِ يَعْطَى هَذَا الْكَافِرُ فِي الدُّنْيَا صِحَّةً وَزَرْقًا وَنَحْوَ ذَلِكَ بِالْخَيْرِ الَّذِي يَعْمَلُهُ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَكُونُ لَهُ حَسَنَةٌ وَاحِدَةٌ لِأَنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ لَا تُقْبَلُ إِلَّا مِنَ الْمُسْلِمِ ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾) أَيِ فِي الدُّنْيَا ﴿لَا يُبْخَسُونَ﴾ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]، وَقَالَ فِي طَلَبِ الْحَلَالِ: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧]، وَقَالَ فِي أَصْحَابِ نَبِيِّكَ ﷺ أَسْلَفَنَا الصَّالِحِينَ حِينَ أَرَادُوا إِعَادَةَ أَمْوَالِهِمْ: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَتْلُوا بَأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾.....

صَهَوُفِهَا فِيهَا) (أَي لَمْ يَنَالُوا ثَوَابًا يَنْفَعُهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا جَزَاءَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ) ﴿وَبَطِلْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (أَي لَمْ يَخْرُجُوا مِنَ الدُّنْيَا بِثَوَابٍ) [هُود: ١٦]، وَتَفَكَّرْ (فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾) (أَي ثَوَابَهَا) ﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ (أَي يُضَاعَفُ ثَوَابُهُ) ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا﴾ (أَي كَانَ عَمَلُهُ لِلدُّنْيَا وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالْآخِرَةِ (نُؤْتِهِ مِنْهَا) أَي يُؤْتَى بَعْضُ مَا فِي الدُّنْيَا وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَافِرًا لِأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْآخِرَةِ (وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ) [الشورى: ٢٠]، وَقَالَ) اللَّهُ تَعَالَى (فِي) الْفُرْعَانِ فِي الْكَلَامِ عَلَى أَثْنَانِ فِي الْأَرْضِ وَالْفِدْيَةِ كَلَامًا أَخَذَ مِنْهُ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ إِشَارَةً إِلَى التَّأَكِيدِ عَلَى (طَلَبِ الْحَلَالِ: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾) (أَي الْمَالِ فِيهَا) ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ﴾) لَكُمْ ثَوَابَ (﴿الْآخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧]، وَقَالَ) تَعَالَى (فِي أَصْحَابِ نَبِيِّكَ ﷺ أَسْلَفَنَا الصَّالِحِينَ حِينَ أَرَادُوا إِعَادَةَ أَمْوَالِهِمْ: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَتْلُوا

وَهِيَ رُجُوعُهُمْ إِلَى أَمْوَالِهِمْ بِالنَّظَرِ فِيهَا ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴿وَهِيَ رُجُوعُهُمْ إِلَى أَمْوَالِهِمْ بِالنَّظَرِ فِيهَا﴾ فعلى أحدِ التفسيرات هو واردٌ موردَ النَّهْيِ عَنْ تَرْكِ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لئَلَّا يُؤَدِّيَ ذَلِكَ إِلَى الْهَلَاكِ، فَإِنَّ الْإِنْفَاقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْهُ مَا هُوَ فَرَضٌ وَمِنْهُ وَمَا هُوَ مَدْنُوبٌ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ إلى الْمُحْتَاجِينَ [البقرة: ١٩٥].

انْتَهَى كُنْهُ مَا لَا بُدَّ لِلْمُرِيدِ مِنْهُ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ

وَحَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

الفهرست

- التَّوْطِئَةُ: الميزان في بيان عَقِيدَةِ أَهْلِ الْإِيمَان ٥
- نُبْدَةُ تَعْرِيفِيَّةٍ عَنْ حَيَاةِ الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ جَمِيلِ حَلِيمٍ بِقَلَمِ التَّائِشِرِ ١٠
- نَسَبُ الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ جَمِيلِ حَلِيمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ٤٢
- تَرْجُمَةُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِي الدِّينِ بْنِ عَرَبِيٍّ الْحَاتَمِيِّ ٤٤
- أَسَانِيدُ الشَّيْخِ جَمِيلِ حَلِيمٍ فِي رِسَالَةِ «الْكُنْهُ فِيمَا لَا بُدَّ لِلْمُرِيدِ مِنْهُ» ٤٦
- رِسَالَةُ «الْكُنْهُ فِيمَا لَا بُدَّ لِلْمُرِيدِ مِنْهُ» ٤٨
- تَوْحِيدُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ٥٧
- دِلَالَةُ التَّمَانُجِ فِي نَفْيِ وُجُودِ شَرِيكِ اللَّهِ ٦١
- الاسْتِدِلَالُ بِالْمَصْنُوعَاتِ عَلَى وُجُودِ الصَّانِعِ ٦٣
- التَّوَسُّلُ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ لَيْسَ شِرْكًَا ٦٦
- الْعَالَمُ دَلِيلٌ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ٦٨
- بَيَانُ عَقَائِدِ الْمُشَبَّهَةِ وَالْمُجَسِّمَةِ ٧١
- بَيَانُ بَعْضِ وُجُوهِ التَّطَابُقِ بَيْنَ عَقَائِدِ الْوَهَابِيَّةِ الْمُجَسِّمَةِ وَبَيْنَ الْيَهُودِ ٧٤
- التَّمَسُّكُ بِمَعْنَى الْآيَةِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ٧٦
- التَّمَسُّكُ بِمَعْنَى الْآيَةِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ٧٨

- الإيمان بالأنبياء عليهم السّلام وبما جاؤوا به ٨٣
- حُب الصّحابة رضي الله عنهم ٨٥
- التحذير من تفضيل غبار نعل فرس معاوية على أحد من المؤمنين ٨٨
- تفضيل بعض الأنبياء على بعض والتعريف بأولي العزم منهم ٨٩
- وجوب تعظيم من عظّمهم الله ٩٠
- التسليم للصّالحين ما لم يخالفوا الشرع ٩٣
- حسن الظنّ بالمؤمنين ٩٣
- سلامة الصدر مع المؤمنين ٩٤
- الدعاء للمؤمنين بظهر الغيب ٩٥
- خدمة الصّوفيّة الزّاهدين ٩٦
- جوامع الخيرات وأبواب المبرّات ٩٧
- حسن اختيار الصّاحب ٩٨
- السّلوكة على يد شيخ مرشد ٩٩
- صدق الحال والقال ومدحه ١٠٠
- طلب الرّزق الحلال ١٠٢
- الإرشاد إلى أخلاق الكاملين وصفات الصّالحين ١٠٣

- التَّحْذِيرُ مِنْ اتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ ١٠٥
- الْمَنَافِعُ الْحِسِّيَّةُ وَالْمَعْنَوِيَّةُ لِتَقْلِيلِ الطَّعَامِ ١٠٦
- الْمُحَافَظَةُ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ ١٠٧
- الْاِقْتِصَارُ عَلَى الْحَاجَةِ مِنَ النَّوْمِ وَالْمَأْكَلِ وَالْمَلْبَسِ ١١٥
- الْمُوَظَّابَةُ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ بِتَدْبِيرٍ ١١٧
- مُحَاسَبَةُ النَّفْسِ وَمُرَاعَاةُ الْخَوَاطِرِ ١٢١
- مُرَاعَاةُ الْأَوْقَاتِ وَشَغْلُهَا بِالطَّاعَاتِ ١٢٦
- الْإِخْلَاصُ بِالطَّاعَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ ١٢٧
- الْحَثُّ عَلَى الْجُلُوسِ عَلَى طَهَارَةٍ ١٢٩
- الْحَثُّ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ١٣١
- أَفْعَالُ الْعِبَادِ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى ١٣٣
- الْعَفْوُ وَالصَّفْحُ عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ ١٣٤
- الْغَضَبُ فِي اللَّهِ هُوَ الْمَدْوُوحُ ١٣٥
- مُجَانِبَةُ الْأَضْدَادِ وَتَجَنُّبُ سُوءِ الظَّنِّ بِعِبَادِ اللَّهِ ١٣٧
- الرَّحْمَةُ بِالْبَهَائِمِ وَالرِّفْقُ بِهِمْ ١٣٨
- الرِّفْقُ بِالْعَبِيدِ الْمَمْلُوكِينَ وَالْإِمَاءِ الْمَمْلُوكَاتِ ١٤١

- حُسْنُ الْعِشْرَةِ مَعَ الْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ ١٤٢
- تَنْشِئَةُ الْوَلَدِ عَلَى تَرْكِ التَّنْعُمِ ١٤٥
- الْإِبْتِعَادُ عَنِ أَبْوَابِ السَّلَاطِينِ ١٤٦
- الْإِبْتِعَادُ عَنِ مُصَاحِبَةِ أَهْلِ الدُّنْيَا ١٤٧
- حُضُورُ الْقَلْبِ بِالْخُشُوعِ ١٤٩
- الْإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ١٥١
- التَّحْذِيرُ مِنَ الْبُخْلِ وَوَسْوَاسَةِ الشَّيْطَانِ ١٥٢
- فَضْلُ فِي كَظْمِ الْغَيْظِ وَكَسْرِ النَّفْسِ ١٦٢
- فَضْلُ فِي مَعْرِفَةِ دَرَجَةِ الْإِحْسَانِ ١٦٥
- فَضْلُ فِي الْحَثِّ عَلَى لُزُومِ الدِّكْرِ وَالِاسْتِغْفَارِ ١٦٩
- فَضْلُ فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الْإِصْرَارِ عَلَى الذَّنْبِ ١٧٥
- فَضْلُ فِي الْأَمْرِ بِلُزُومِ التَّقْوَى ١٧٩
- فَضْلُ فِي التَّحْذِيرِ مِنْ تَغْرِيرِ الشَّيْطَانِ وَتَلْيِيسِهِ ١٨٣
- فَضْلُ فِي لُزُومِ الْوَرَعِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ ١٨٩
- فَضْلُ فِي الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا ١٩٢
- الْفَهْرَسْتُ ٢٠٠

الإِمْتَاع

فِي مَا نَقَلَهُ الشَّيْخُ ابْنُ عَرَبٍ مِنْ مَسَائِلِ الْإِجْمَاعِ

رِسَالَةُ جَامِعَةٍ لكَثِيرٍ مِنَ الْإِجْمَاعَاتِ
الَّتِي نَقَلَهَا الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَرَبٍ الْحَاتِمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ
مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِأَبْوَابِ الْعُقَائِدِ وَالْعِبَادَاتِ

جَمَعَ وَتَحْقِيقَ وَتَعْلِيقَ

الشَّيْخُ الدُّكْتُورُ جَمِيلُ حَلِيمِ الْأَشْعَرِي الشَّافِعِي

دَكْتُورُ مُحَاضِرٍ فِي الْعُقَائِدِ وَالْفِرَاقِ

غُفِرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمُشَايَخِهِ

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ وصَلَّى اللهُ وسلَّم على سيِّدنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه الطَّيِّبينَ الطاهرينَ ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

أما بعدُ، فإنَّ الأُمَّةَ المُحمَّديَّةَ لا تَجْتَمِعُ على ضلالةٍ ولا تَتَّفِقُ على باطلٍ، وقد أَخْبَرَ عن ذلك النَّبِيُّ الصَّادِقُ المصدُّوقُ مُحَمَّدٌ ﷺ فقال: «إِنَّ أُمَّتِي لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ» وهو حديثٌ ثابتٌ بل مُتواتِرٌ تواتراً معنوياً، وما وَرَدَ فيه من الأخبار بطريقٍ ضَعِيفٍ جَبَرَهُ طريقٌ آخَرٌ، فكان هذا الحديثُ دليلاً صريحاً على حُجِّيَّةِ الإجماع.

وقد أَطَّلَعْنَا على كتابِ «الفتوحات المكيَّة» لابن عربيٍّ - وإنْ كان النُّسخةُ المُتداوِلَةُ اليومَ فيها دَسٌّ عليه - فوجدنا فيها العِشْرَاتِ من نُقولِ الإجماعِ على عقائِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ والجماعةِ والتي تُبَرِّئُ الشَّيْخَ ابنَ عربيٍّ ممَّا نُسِبَ إليه من الضَّلالِ، وكذلك وَجَدْنَا فيه نُقولاً كثيرةً لإجماعِ عُلماءِ الأُمَّةِ على مسائلٍ فقهيةٍ من العباداتِ وغيرها من المُعاملاتِ، فوددنا أَنْ نَجْمَعَهَا في رسالةٍ مُستقلَّةٍ لِنُزِيدَ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ والجماعةِ نُصرةً ونؤكِّدَ على تبرئةِ الشَّيْخِ ابنِ عربيٍّ ممَّا نُسِبَ إليه من الضَّلالِ.

واللهُ نَسألُ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ الرِّسالةَ وَأَنْ يُجْزَلَ لَنَا الثَّوَابَ العَظِيمَ إِنَّهُ كَرِيمٌ وَهَّابٌ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كِتَابُ الْعَقَائِدِ

(١) العقلُ يَدُلُّ على أَنَّ الحَوَادِثَ لَا تَقُومُ بِاللَّهِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(١): اتَّفَقُوا بِالنَّظَرِ الْعَقْلِيِّ عَلَى أَنَّ الحَوَادِثَ لَا تَقُومُ بِهِ^(٢).

(٢) دِينَ الْأَنْبِيَاءِ وَاحِدٌ هُوَ الْإِسْلَامُ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(٣): وهذا هو الصِّرَاطُ الْجَامِعُ لِكُلِّ نَبِيٍّ وَرَسُولٍ وَهُوَ إِقَامَةُ الدِّينِ وَأَنْ لَا يُتَفَرَّقَ فِيهِ وَأَنْ يُجْتَمَعَ عَلَيْهِ وَهُوَ الَّذِي بَوَّبَ عَلَيْهِ الْبَخَارِيُّ: "بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ دِينُهُمْ وَاحِدٌ" وجاءَ بِالْأَلِفِ وَاللَّامِ فِي الدِّينِ لِلتَّعْرِيفِ

(١) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٢٧٣/٦).

(٢) وفي ذلك دليلٌ عَلَى أَنَّ الصُّوفِيَّةَ الْحَقِيقِيِّينَ لَا يَقُولُونَ بِالْحُلُولِ وَالتَّجْسِيمِ وَهُمْ بُرَّاءٌ مِنْ كُلِّ عَقِيدَةٍ خَالَفتْ مَنْهَجَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَالتَّنَظُّرُ الْعَقْلِيُّ شَاهِدٌ عِنْدَهُمْ لِلشَّرْعِ وَلَيْسَ هُوَ الْأَصْلَ كَمَا تَقُولُ الْمُعْتَزِّلَةُ.

(٣) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (١٧٤/٦).

لأنَّه كُلُّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ اخْتَلَفَتْ بَعْضُ أَحْكَامِهِ^(١)، فَالْكُلُّ مَأْمُورٌ بِإِقَامَتِهِ
والاجتماع عليه وهو المنهاج الذي اتَّفَقُوا عَلَيْهِ^(٢).

(٣) إِيْمَانُ الْعَوَامِّ الْمُقَلِّدِينَ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(٣): إِنَّ الْعَوَامَّ بِلَا خِلَافٍ مِنْ كُلِّ مُتَشَرِّعٍ صَحِيحٍ
الْعَقْلِ عَقَائِدُهُمْ سَلِيمَةٌ^(٤) وَإِنَّهُمْ مُسْلِمُونَ مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يُطَالِعُوا شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْكَلَامِ
وَلَا عَرَفُوا مَذَاهِبَ الْخُصُومِ بَلْ أَبْقَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى صِحَّةِ الْفِطْرَةِ^(٥).

(١) أي الفرعية العملية وليس أصول العقائد.

(٢) الدين الحق عند الله هو الإسلام، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ
فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

(٣) الفتوحات المكية، محي الدين بن عربي، (٥٩/١).

(٤) القول المَعْتَمَدُ في هذه المسألة عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ الْاِكْتِفَاءُ بِالتَّقْلِيدِ فِي الْعَقِيدَةِ مَعَ الْعِصْيَانِ
بِتَرْكِ مَعْرِفَةِ الدَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ. فَالاسْتِدْلَالُ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ وَاجِبٌ، وَمَنْ لَمْ
يَسْتَدِلَّ فَهُوَ عَاصٍ لَكِنَّ الْإِسْلَامَ يَصِحُّ مِنْهُ بِالْجَزْمِ بِمَعْنَى الشَّهَادَتَيْنِ حِينَ التُّطْقِ بِهِمَا.

(٥) أي الْفِطْرَةُ الَّتِي فُطِرُوا عَلَيْهَا وَهِيَ اسْتِعْدَادُهُمْ لِقَبُولِ الْحَقِّ وَذَلِكَ أَنََّّهُمْ عَلَى مُقْتَضَى
اعْتِرَافِهِمْ وَتَوْحِيدِهِمُ الَّذِي حَصَلَ يَوْمَ أُخْرِجَتِ الْأَرْوَاحُ مِنْ ظَهْرِ عَادَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
بَنَعْمَانَ الْأَرَاكِ فَإِنَّهُمْ سُئِلُوا بِوَاسِطَةِ الْمَلِكِ: إِنَّ رَبَّكُمْ يَقُولُ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى
لَا إِلَهَ لَنَا غَيْرُ اللَّهِ، اعْتَرَفُوا بِالْوَهْيَةِ اللَّهِ. ثُمَّ لَمَّا دَخَلَتِ الرُّوحُ فِي جَسَدِ الْوَلَدِ نَسِيَ هَذَا

(٤) كُلُّ الْأَنْبِيَاءِ مُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ تَعَالَى:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(١): وَالْأَنْبِيَاءُ مَعَ كَثَرَتِهِمْ وَتَبَاعُدِ مَا بَيْنَهُمْ مِنَ الْأَعْصَارِ لَا خِلَافَ عِنْدَهُمْ فِي الْعِلْمِ بِاللَّهِ^(٢).

(٥) الْأَخْذُ بِالَدَّلِيلِ الْقَطْعِيِّ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(٣): فَمَا هُوَ دَلِيلٌ مَقْطُوعٌ بِهِ فَأَشْبَهَ خَبَرَ الْآحَادِ فَإِنَّ الْإِتِّفَاقَ عَلَى الْأَخْذِ بِهِ مَعَ كَوْنِهِ لَا يُفِيدُ الْعِلْمَ وَهُوَ أَصْلٌ مِنْ أَصُولِ إِثْبَاتِ الْأَحْكَامِ^(٤).

وَيَبْقَى نَاسِيًا إِلَى أَنْ يَسْمَعَ مِنْ أَبَوَيْهِ أَوْ مِنْ غَيْرِهِمَا الْإِسْلَامَ فَيَعُودَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ أَوْ يَسْمَعَ مِنْ أَبَوَيْهِ أَوْ مِنْ غَيْرِهِمَا الْكُفْرَ فَيَعْتَقِدَهُ فَيَكُونُ الْآنَ كَفَرَ بِالْفِعْلِ.

(١) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٤٣٧/٣).

(٢) فليس في الأنبياء من كان على الكفر قبل الثبوت ولا بعدها. وقد خالف في هذه المسألة ابن تيمية شيخ المجسّم الوهابيّة وغيرهم فقال في «مجموع الفتاوى»: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ ظاهره دليل على أَنَّ شُعَبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ كَانُوا عَلَى مِلَّةٍ قَوْمِهِمْ" اهـ وهذا كُفْرٌ وَضَلَالٌ مُبِينٌ.

وَشَدَّ أَيْضًا سَيْدُ قُطْبٍ زَعِيمُ حَزْبِ الْإِخْوَانِ فِي ذَلِكَ فَقَالَ فِي كِتَابِ «التَّصْوِيرِ الْفَنِيِّ فِي الْقُرْءَانِ» مَا نَصَّهُ: "وَابْرَاهِيمُ تَبَدُّأَ قِصَّتِهِ فَتَى يَنْظُرُ فِي السَّمَاءِ فَيَرَى نَجْمًا فَيُظَنُّهُ إِلَهًا" اهـ.

(٣) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٢٤٤/٣).

(٤) قال شيخنا الإمام الصوفي الحافظ عبد الله الهرري رحمه الله: "خبر الآحاد أي الحديث الذي يرويه واحد يجب العمل به إذا استوفى الشروط، أمّا من حيث تَحَقُّقِ مَضْمُونِهِ أَوْ

٦) النُّبُوَّةُ غَيْرُ مُكْتَسَبَةٍ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(١): فَإِنَّ النُّبُوَّةَ غَيْرُ مُكْتَسَبَةٍ بَلَا خِلَافٍ بَيْنَ أَهْلِ الْكَشْفِ مِنْ أَهْلِ اللَّهِ^(٢).

٧) نُبُوَّةُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنَزُولُهُ عَاخِرَ الزَّمَانِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(٣): لَا خِلَافَ أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ^(٤) وَأَنَّهُ لَا خِلَافَ أَنَّهُ يَنْزِلُ فِي عَاخِرِ الزَّمَانِ حَكَمًا مُقْسِطًا عَدْلًا بِشَرَعِنَا لَا بِشَرَعٍ عَاخِرٍ.

عدم تحقيقه فلا يفيد اليقين. فالأحاديث التي وردت في الطهارة والصلاة والصيام والزكاة ونحو ذلك إذا صحَّ إسنادها يجب العمل بها لكن من حيث إنَّ الرسول قالها أو لم يقلها فليست قطعية، أما الحديث المتواتر والمشهور فإنهما يفيدان العلم القطعي اليقيني " اهـ

(١) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٦/٣).

(٢) وهذا رَدٌّ مِنْهُ رَحِمَهُ اللَّهُ وَمِنْ إِجْمَاعِ الصُّوفِيَّةِ الصَّادِقِينَ عَلَى فِرْقَةِ الْقَادِيَانِيَّةِ الَّذِينَ ادَّعَوْا النُّبُوَّةَ لِشَيْخِهِمْ وَرَدُّ عَلَى جَمَاعَةِ نَازِمِ الْقُرْصَلِيِّ الَّذِينَ جَعَلُوا الْمُرِيدَ الَّذِي يَدْخُلُ فِيهِمْ وَمَعَهُمْ يَنَالُ مَرْتَبَةً لَمْ يَنْلُهَا الْأَنْبِيَاءُ الْمُرْسَلُونَ وَهَذَا كُفْرٌ بَوَاحٍ صَرَّاحٌ.

(٣) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٣٣٧/٤).

(٤) ظَهَرَ قَبْلَ نَحْوِ مِائَةٍ وَخَمْسِينَ عَامًا تَقْرِيبًا فِي بَلَدَةِ قَادِيَانٍ مِنْ مِقَاتِةِ الْبَنْجَابِ شَمَالِ الْهِنْدِ رَجُلٌ ضَالٌّ يُدْعَى غَلَامُ أَحْمَدِ الْقَادِيَانِي (ت ١٣٢٦هـ) ادَّعَى النُّبُوَّةَ وَصَارَ أَتْبَاعُهُ يُسَمَّوْنَ

(٨) الآية: فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(١): ﴿فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] مُنْزَهَةً بِلا خِلافٍ بين أهل الله^(٢)، فإذا سَجَدَ العبدُ لله فَقَدْ سَجَدَ لِلْقِبْلَةِ^(٣) الْمُعْتَبَرَةِ فَإِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ^(٤)، لا تُقَيِّدُهُ الجهاتُ ولا تَحْصُرُهُ الأَيْنِيَّاتُ.

(٩) الخبرُ المعمولُ بِهِ بِلا خِلافٍ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(٥): قد يكونُ ذلكُ الخبرُ إمَّا بِإِجماعٍ مِنَ الصَّحابةِ

القاديانيَّة والأحمديَّة، وهُم يعتقدون أَنَّهُ نَبِيُّ مُجَدِّدٌ بِنُبُوَّةِ ظَلِيَّةٍ تَحْتَ ظِلِّ مُحَمَّدٍ لا مُسْتَقِلًّا، وكُلُّ هَذَا كُفْرٌ، فَإِنَّهُ لا يَجُوزُ أَنْ يُنَبَّأَ أَحَدٌ بَعْدَ مُحَمَّدٍ اسْتِقْلَالًا ولا تَجْدِيدًا.

(١) الفتوحات المكيَّة، محي الدين بن عربي، (٢٠٥/١).

(٢) وهذا إجماعٌ على صِحَّةِ مَذْهَبِ الْمُؤَوَّلَةِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ وَعَدَمِ حَمْلِ الْمُتَشَابِهَاتِ عَلَى ظَاهَرِهَا، بل قال المُلا علي القاري الحنفي: إِنَّ حَمْلَهَا عَلَى الظَّاهِرِ كُفْرٌ بِالإِجماع. وفي ذلك رَدٌّ عَلَى الوَهَّابِيَّةِ وَأَسْلَافِهِم مِنَ المُشَبِّهَةِ الْقَائِلِينَ أَنَّ التَّأْوِيلَ تَعْطِيلٌ، وَهُوَ دَلِيلٌ لِلصُّوفِيَّةِ الصَّادِقِينَ عَلَى أَنَّهُمْ مَعَ إِجماعِ الأُمَّةِ فِي تَنْزِيهِ اللَّهِ عَنْ كُلِّ صِفَاتِ المَخْلُوقِينَ.

(٣) أي إليها.

(٤) وهي إحاطةٌ عِلْمٌ وليس كما قال الألباني الوهَّابي المُجَسِّمُ: إِنَّ اللَّهَ مُحِيطٌ بِالعَالَمِ مِنْ كُلِّ الجِهَاتِ. انظر: الكتاب المسمَّى «صحيح التَّريغيب والتَّرهيب»: (٢٣٤/١) في الحاشية.

(٥) الفتوحات المكيَّة، محي الدين بن عربي، (٢٤٤/٣).

وهو الإجماعُ أو من بعضهم بنقلِ العدلِ عَنِ العدلِ وهو خبرُ الواحدِ، وبأيِّ طريقٍ
وَصَلَ إلينا فنحنُ مُتَعَبِّدُونَ بِالْعَمَلِ بِهِ بِلا خِلافٍ بينَ عُلَماءِ الإسلامِ، ولهذا يَقُولُ
أهلُ الأصولِ في الإجماعِ إِنَّه لا بُدَّ أَنْ يَسْتَنِدَ إلى نَصٍّ وإنَّ لم يَنْطِقْ بِهِ.

(١٠) صِحَّةُ النَّسخِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(١): فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَشْهَدَنَا فِي شَرْعِهِ الظَّاهِرِ^(٢) الْمُنَزَّلِ
بِهِ ﷺ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ النَّسَخَ مَعَ إجماعِنَا وإِتِّفاقِنَا على أَنَّ ذلكَ المنسوخَ شَرْعُهُ
الَّذِي بُعِثَ بِهِ إلينا، فَنُسَخَ بِالْمُتَأَخِّرِ الْمُتَقَدِّمِ فكان تنبيهاً لنا هذا النَّسخُ الموجودُ في
الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ على أَنَّ نَسَخَهُ لجميعِ الشَّرَائِعِ الْمُتَقَدِّمَةِ لا يُخْرِجُهَا عن كونِها شَرْعاً
لَهُ^(٣).

(١) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٢٠٨/١).

(٢) وهذا ردٌّ على الباطنيّة وملاحدة المتصوّفة الزاعمين أَنَّ كُلَّ حَرْفٍ مِنَ الْقُرْآنِ لَهُ سَبْعُونَ
أَلْفَ معْنَى تَوْصِلاً مِنْهُمْ إلى تَحْرِيفِ الْقُرْآنِ وَالشَّرِيعَةِ وَالْخُرُوجِ عَنِ مَقاصِدِ الشَّرِيعَةِ،
فهُوَ في هذا على أَصُولِ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَلَيْسَ هُوَ مُحَرَّفًا وَلَا مُبَدَّلًا حَاشَاءُ.

(٣) أي حينَ كَانَتْ قَبْلَ النَّسخِ. ولا يلزَمُ مِنَ النَّسخِ الْبَدَاءُ كما ادعت اليهودُ أَنَّ النَّسخَ باطلٌ
لأنَّهُ يُؤدِّي إلى أَنَّ اللَّهَ ظَهَرَ لَهُ أَمْرٌ كانَ خَافِيًا عَلَيْهِ، ومعنى الْبَدَاءِ ظُهُورُ أَمْرٍ كانَ خَافِيًا.
والْحَقُّ أَنَّ النَّسخَ لا يَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ بَلْ فِيهِ حِكْمَةٌ لَأَنَّ أَحْوالَ الْعِبَادِ وَمَصَالِحَهُمْ تَخْتَلِفُ
بِاخْتِلَافِ الْأَزمانِ كما أَنَّ الطَّبِيبَ يَصِفُ الدَّواءَ في وَقْتٍ وَيَنْهَى عَنْهُ في وَقْتٍ آخَرَ،
فَاللَّهُ تَعَالَى عالِمٌ بِمَصالِحِ عِبَادِهِ فيَنْزِلُ حُكْمًا ثُمَّ يَنْسُخُهُ لِمَا في ذَلِكَ مِنْ مَصْلَحَةِ الْعِبَادِ.

(١) تقديم الشَّرْع على الواردِ القَلْبِيِّ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(١): وأما في المتواتر المنصوص إذا ورد التعريف^(٢) بخلافه فلا يُعوَّل عليه^(٣)، هذا لا خلاف فيه عند أهل الله من أهل الكشف والوجود^(٤).

(١) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٣/٣٥٢).

(٢) أي الواردُ على القلبِ.

(٣) أي على الواردِ.

(٤) قال الحافظ السيوطي في «شرح الكوكب الساطع» عند الكلام على إلهام الولي: "والذي عليه جمهور العلماء أنه ليس بحجة" اهـ. وقال شيخنا الإمام الصوفي الحافظ الأصولي عبد الله الهرري رحمه الله: "إلهام الولي ليس من أسباب العلم القطعي فهو ليس بحجة، والمنام أقل شأنًا. والمراد بالإلهام هنا ما يلقي في القلب من طريق الفيض، ومعنى الفيض ما يكون من غير سابقة طلب ويقال له الواردُ باصطلاح الصوفيّة، لذلك قال رئيس الصوفيّة وشيخهم أبو القاسم الجنيد: "ربما تخطر لي التُّكْتَةُ مِنْ نُكَّتِ الْقَوْمِ فَلَا أَقْبَلُهَا إِلَّا بِشَاهِدَي عَدْلٍ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ" والتُّكْتَةُ هي الواردُ" اهـ

وليُحَذَر من جهالات بعض المتصوّفة الذين إذا أرادوا أن يُعْطُوا كَذِبَهُمْ عِنْد إيرادهم الأحاديث الموضوعة المكذوبة قالوا: "وقد صحَّ كُشْفًا"، فهؤلاء دَجَالَةٌ يَجِبُ الْحَذَرُ مِنْهُمْ. فالحديث المكذوب لا يُروى إلّا للتحذير منه، وكُشِفَ الْوَلِيُّ لَيْسَ حُجَّةً فِي التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ وَلَا فِي تَصْحِيحِ الْحَدِيثِ وَتَضْعِيفِهِ وَلَا فِي إِثْبَاتِ صِيَامِ رَمَضَانَ

(١٢) رَفْعُ الْخَطِئِ وَالنِّسْيَانِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(١): «رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ فَلَا يُؤَاخِذُهُمُ اللَّهُ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ»^(٢) فَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَمُجْمَعٌ عَلَيْهِ مِنَ الْكُلِّ، وَأَمَّا فِي الدُّنْيَا فَاجْمَعُوا عَلَى رَفْعِ الذَّنْبِ وَاخْتَلَفُوا فِي الْحُكْمِ^(٣).

(١٣) قِيَامُ الدَّلَالَةِ مَقَامَ النَّصِّ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(٤): قَامَ الْإِجْمَاعُ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْحُكْمِ الْمَشْرُوعِ مَقَامَ النَّصِّ مِنَ الْكِتَابِ أَوْ السُّنَّةِ.

وانتهائه، كذلك الرؤية المنامية، فلا يُبْنَى على كَشْفِ الْوَلِيِّ وَلَا عَلَى الرُّؤْيَةِ الْمَنَامِيَّةِ الَّتِي هِيَ لِأَحَادِ النَّاسِ، فَلْيَتَنَبَّهْ.

(١) الفتوحات المكية، محي الدين بن عربي، (٤/٤٦٩).

(٢) الخطأ هو ما كَانَ مِنْ نَحْوِ سَبْقِ اللِّسَانِ، وَيَشْهَدُ لَذَلِكَ حَدِيثُ: «لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا» أَيِ رِضَا «بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشِرَابُهُ، فَأَيَسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيَسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِحِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ». وَيُلْحَقُ بِهِ الْمَكْرَهُ بِالْقَتْلِ، وَالذَّلِيلُ عَلَى أَنَّ لَا يَصِحُّ حَمْلُ الْحَدِيثِ عَلَى أَيِّ خَطِئٍ فِي الدِّينِ أَنَّ تَأْوَلَ النَّصَارَى وَالْيَهُودَ لَمْ يَنْفَعَهُمْ.

(٣) أي لِنَاحِيَةِ الْغُرْمِ، كَمَا فِي نَحْوِ الْعَارِيَةِ.

(٤) الفتوحات المكية، محي الدين بن عربي، (٤/٤١٥).

(١٤) خُلُودُ أَهْلِ الدَّارَيْنِ فِيهِمَا:

قال الشيخ محيي الدين رحمه الله^(١): وَاتَّفَقُوا فِي عَدَمِ الْخُرُوجِ مِنْهَا وَأَنَّهُمْ بِهَا مَا كَثُورٌ إِلَى مَا لَا نَهَايَةَ لَهُ، فَإِنَّ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنَ الدَّارَيْنِ مَلَأُهَا^(٢).



(١) الفتوحات المكيّة، محيي الدين بن عربي، (٤/٤١٥).

(٢) وهذا ردٌّ على زنادقة المتصوّفة الذين يقولون: "إِنَّ جَهَنَّمَ لَيْسَتْ مَكَانًا لِلتَّعْذِيبِ وَالْإِنْتِقَامِ بل هي مكان للطّباة والاستشفاء ثم يخرج أهلها منها وتفتّى" كما زعم ذلك جماعة محمد أمين شيخو المنتسبون كذبًا وزورًا للنقشبندية بدمشق، وكذا ناظم قبرصلي تلميذ عبد الله الداغستاني وبعض الملاحدة ممّن يدّعون مَشِيخَةَ الطُّرُق، والتَّصَوُّفَ الْحَقِيقِيَّ بَرِيءٌ مِنْهُمْ لِأَنَّهُمْ مُكَذِّبُونَ لِلْقُرْآنِ وَالْإِجْمَاعِ، وَسَنَبَحْتُ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ فِي رِسَالَتِنَا التَّالِيَةِ «نَظْمُ الدَّرِّ وَاللَّالِ فِي تَبْرِئَةِ الشَّيْخِ ابْنِ عَرَبٍ مِنَ الزَّيْغِ وَالضَّلَالِ».

كِتَابَا الطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ

(١٥) الطَّهَارَةُ شَرْطٌ لَصِحَّةِ الصَّلَاةِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(١): أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ قَاطِبَةً مِنْ غَيْرِ مُخَالِفٍ عَلَى وَجوب الطَّهَارَةِ عَلَى كُلِّ مَنْ لَزِمَتْهُ الصَّلَاةُ.

قال الإمام ابن المنذر رحمه الله^(٢): "أوجب الله تعالى الطهارة للصلاة في كتابه فقال جل ثناؤه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦] الآية، وقال جل ثناؤه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ [النساء: ٤٣] الآية، ودلت الأخبار الثابتة عن رسول الله ﷺ على وجوب فرض الطهارة للصلاة. واتفق علماء الأمة أن الصلاة لا تجزي إلا بها إذا وجد السبيل إليها" اهـ.

(١٦) غَسْلُ الذِّرَاعَيْنِ مَعَ الْيَدَيْنِ فَرَضٌ فِي الْوُضُوءِ:

(١) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٥٠٥/١).

(٢) الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، أبو بكر بن المنذر، (١٠٧/١).

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(١): أجمع العلماء بالشريعة على غسل اليدين والذراعين في الوضوء بالماء.

قال الحافظ ابن القطن رحمه الله^(٢): "واتفقوا على أن غسل الذراعين إلى مبتدئ المرفقين فرض في الوضوء" اهـ.

وقال الإمام ابن المنذر رحمه الله^(٣): "فاختلف أهل العلم في وجوب غسل المرفقين مع الذراعين، فقالت طائفة: يجب غسلهما مع الذراعين، كذلك قال عطاء والشافعي وإسحاق، وحكى أشهب عن مالك أنه سئل عن قول الله ﴿وَأَيِّدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦] أترى أن يخلف المرفقين في الوضوء؟ فقال: الذي أمر به أن يبلغ إلى المرفقين فيذهب هذا فيغسل خلفه، وحكي عن زفر أنه قال: لا يجب غسل المرافق، وقال قائل: إذا اختلفوا في غسلهما لم يجب ذلك إلا بحجة، وقال: قال الله ﴿وَأَيِّدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ وقال: ﴿ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧] فجعل الليل حد الصيام كما جعل المرفقين حدا لموضع الغسل، وكان إسحاق يقول: قوله: إلى يحتمل معنيين: أحدهما هذا والآخر أن يكون معنى إلى بمعنى

(١) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٥١٢/١).

(٢) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القطن، (٨٤/١).

(٣) الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، أبو بكر بن المنذر، (٣٩٠/١).

مع كقوله ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء: ٢] يقول: مع أموالكم، فكذلك معنى قوله ﴿إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦] مع المرافق "أهـ".

(١٧) خُرُوجُ وَقْتِ الْعِشَاءِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(١): وَقَعَ الْإِجْمَاعُ بِطُلُوعِ الْفَجْرِ أَنَّهُ يَخْرُجُ وَقْتُ صَلَاةِ الْعِشَاءِ.

نقل الحافظ ابن المنذر رحمه الله^(٢) اختلافًا في ذلك وإن كان الجمهور على أَنَّ وَقْتَ الْعِشَاءِ يَخْرُجُ بِطُلُوعِ الْفَجْرِ فقال ما نصّه: "اختلف أهل العلم في عاخر وقتِ الْعِشَاءِ: فقال بعضهم: عاخر وقتها إلى رُبع الليل، هذا قول التَّخَعِّي ولا نعلم مع قائله حُجَّةً، وقالت طائفةٌ أخرى: وَقْتُ الْعِشَاءِ الْآخِرَةُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ، كذلك قال عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ.

(١٨) اسْتِقْبَالُ الْقِبْلَةِ شَرْطُ لَصِحَّةِ الصَّلَاةِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(٣): اتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ التَّوَجُّهَ إِلَى الْقِبْلَةِ

(١) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٣٠/٢).

(٢) الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، أبو بكر بن المنذر، (٣٤٢/٢).

(٣) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٤١/٢).

أعني الكعبة شَرْطٌ مِنْ شُرُوطِ صِحَّةِ الصَّلَاةِ.

قال الحافظ ابن القَطَّان رحمه الله^(١): "وَاتَّفَقُوا أَنَّ اسْتِقْبَالَ الْكَعْبَةِ فَرَضٌ فِي الصَّلَاةِ لِمَنْ عَايَنَهَا أَوْ عَرَفَ دَلَالَتَهَا مَا لَمْ يَكُنْ مُحَارِبًا أَوْ خَائِفًا" اهـ.

(١٩) ليس كلُّ أفعالِ الصَّلَاةِ فرضًا:

قال الشيخ محيي الدين رحمه الله^(٢): وقد قال ﷺ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» ومعلومٌ أَنَّ الصَّلَاةَ تحوي على فرائضَ وَسُنَنَ فلا يُفهم من هذا الحديث أَنَّ أفعال الصَّلَاةِ فرضٌ جميعها لمعارضة الإجماع لهذا المفهوم.

قلت: وهذا أمرٌ معلومٌ أوسع من أن يُحصَرَ الكلامُ عليه في هذه الرِّسالة فإنَّ بعضَ الأمورِ قبل الدُّخُولِ فِي الصَّلَاةِ سُنَّةٌ وبعضُها فِي الصَّلَاةِ سُنَّةٌ وَغَيْرُهَا عَقِبُهَا سُنَّةٌ.

(٢٠) تَسْوِيَةُ الصُّفُوفِ فِي الصَّلَاةِ وَتَرَاصُّهَا:

قال الشيخ محيي الدين رحمه الله^(٣): أجمع العلماء على أَنَّ الصَّفَّ الأوَّلَ مُرَغَّبٌ فِيهِ وكذلك التَّرَاصُّ وَتَسْوِيَةُ الصَّفِّ إِلَّا مَنْ شَدَّ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: مَنْ قَدَّرَ عَلَى الصَّفِّ

(١) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القَطَّان، (١٢٣/١).

(٢) الفتوحات المكيَّة، محيي الدين بن عربي، (٨٩/٢).

(٣) المصدر السابق، (١٠٩/٢).

الأول ولم يُصَلِّ فيه بَطَلَتْ صَلَاتُهُ.

قلتُ: الإجماعُ على التَّغْيِيبِ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ فَشَاهِدُهُ حَدِيثُ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النَّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَأَسْتَهَمُوا عَلَيْهِمَا».

وأما فسادُ قولٍ مَنْ أَبْطَلَ صَلَاةَ مَنْ لَمْ يُصَلِّ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ مع قُدْرَتِهِ عَلَيْهِ فَقَدْ عُلِمَ مِنَ الْإِجْمَاعِ الَّذِي قَالَهُ الْحَافِظُ ابْنُ الْقَطَّانِ وَنُصُّهُ: "وَأَجْمَعُوا أَنَّ مَنْ بَكَرَ وَانْتَظَرَ الصَّلَاةَ وَلَمْ يُصَلِّ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ أَفْضَلُ مِمَّنْ تَأَخَّرَ وَصَلَّى فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ"^(١) اهـ

(٢١) الرَّجُلَانِ مِنَ أَعْضَاءِ الْوُضُوءِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الرَّجُلَيْنِ مِنَ أَعْضَاءِ الْوُضُوءِ^(٢).

قال الحافظ ابن القَطَّانِ رحمه الله^(٣): "وَعَسَلُ الْقَدَمَيْنِ فِي الْوُضُوءِ مع الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ فَرُضَ عِنْدَ جَمِيعِ الْفُقَهَاءِ إِلَّا الطَّبْرِيَّ فَإِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى التَّخْيِيرِ بَيْنَ الْغَسْلِ وَالْمَسْحِ" اهـ

(١) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القَطَّان، (١/٤٥٠).

(٢) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (١/٥١٧).

(٣) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القَطَّان، (١/٢٠٨).

(٢٢) غَسَلَ الْوَجْهَ فِي الْوُضُوءِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: لَا خِلَافَ أَنَّ غَسَلَ الْوَجْهِ فَرَضٌ^(١).

(٢٣) مَسَحَ الرَّأْسَ مَرَّةً وَاحِدَةً:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: وَلَا خِلَافَ فِي وُجُوبِ الْوَاحِدَةِ إِذَا عَمَّتِ الْعُضْوُ^(٢).

(٢٤) مَا يَنْقُضُ الطَّهَارَةَ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: فَنَاقِضُهَا الْجَنَابَةُ وَالْحَيْضُ وَالِاسْتِحَاضَةُ وَالتَّقَاءُ الْحَتَائِنِ، فَالْحَيْضُ بِلَا خِلَافٍ، وَكَذَلِكَ أَنْزَالُ الْمَاءِ عَلَى وَجْهِ اللَّذَّةِ فِي الْيَقِظَةِ بِلَا خِلَافٍ^(٣).

(٢٥) الْحَائِثُ فِي الْقِبْلَةِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: الْحَائِثُ الَّذِي جَهَلَ الْقِبْلَةَ يُصَلِّي حَيْثُ يَغْلِبُ عَلَى

(١) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٥١٠/١).

(٢) المصدر السابق، (٥١٦/١).

(٣) المصدر السابق، (٥٤٩/١).

ظَنَّهُ بِاجْتِهَادِهِ بِلَا خِلَافٍ^(١).

(٢٦) اتِّبَاعُ الْمَأْمُومِ الْإِمَامَ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: فِيمَا يَتَّبِعُ فِيهِ الْمَأْمُومُ الْإِمَامَ: لَا خِلَافَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فِي وُجُوبِ اتِّبَاعِهِ فِيمَا نَصَّ الشَّارِعُ عَلَيْهِ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَفْعَالٍ^(٢).

(٢٧) آدَابُ الْجُمُعَةِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: اعْلَمْ أَنَّ آدَابَ الْجُمُعَةِ ثَلَاثَةٌ وَهُوَ الطَّيِّبُ وَالسَّوَاكُ وَالزَّيْنَةُ وَهُوَ اللَّيَاسُ الْحَسَنُ، وَلَا خِلَافَ فِيهِ بَيْنَ أَحَدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ^(٣).

(٢٨) الْغُسْلُ يَوْمَ الْعِيدَيْنِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: الْغُسْلُ مُسْتَحَسَنٌ فِي هَذَا الْيَوْمِ لِلخُرُوجِ إِلَى الصَّلَاةِ بِلَا خِلَافٍ أَعْنِي فِي اسْتِحْسَانِهِ^(٤).

(١) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٤٢/٢).

(٢) المصدر السابق، (١١٤/٢).

(٣) المصدر السابق، (١٣٤/٢).

(٤) المصدر السابق، (٢٠٧/٢).

(٢٩) الوضوء شرط لصحة الصلاة:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْوُضُوءَ شَرْطٌ مِنْ شُرُوطِ الصَّلَاةِ^(١).

(٣٠) نجاسة الأعيان:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: بَابٌ فِي تَعْدَادِ أَنْوَاعِ النَّجَاسَاتِ: اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْ أَعْيَانِهَا عَلَى أَرْبَعٍ: عَلَى مَيِّتَةِ الْحَيَوَانِ ذِي الدَّمِ الَّذِي لَيْسَ بِمَائِيٍّ، وَعَلَى لَحْمِ الْخَنَازِيرِ بِأَيِّ سَبَبٍ اتَّفَقَ أَنْ تَذْهَبَ حَيَاتُهُ، وَعَلَى الدَّمِ نَفْسِهِ مِنَ الْحَيَوَانِ الَّذِي لَيْسَ بِمَائِيٍّ انفَصَلَ مِنَ الْحَيِّ أَوْ مِنَ الْمَيِّتِ إِذَا كَانَ مَسْفُوحًا أَعْنِي كَثِيرًا، وَبَوْلِ ابْنِ آدَمَ وَرَجِيْعِهِ إِلَّا لِرَضِيْعٍ^(٢).

(٣١) دخول وقت الظهر:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: أَمَّا وَقْتُ صَلَاةِ الظُّهْرِ فَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ بِالشَّرِيعَةِ أَنَّ وَقْتَ الظُّهْرِ الَّذِي لَا تَجُوزُ قَبْلَهُ هُوَ الزَّوَالُ^(٣).

(١) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (١/٥٣٨).

(٢) المصدر السابق، (٢/٤).

(٣) المصدر السابق، (٢/٢٠).

قال الحافظ ابن المنذر رحمه الله^(١): "وأجمعوا على أن وقت الظهر زوال الشمس" اهـ

(٣٢) وقت الأذان:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: اتفق العلماء على أنه لا يؤذن للصلاة قبل دخول وقتها ما عدا الصبح فإن فيه خلافاً^(٢).

قال الحافظ ابن القطان رحمه الله^(٣): "وأجمع أهل العلم على أن من السنة أن يؤذن للصلاة بعد دخول أوقاتها إلا الفجر، فإنهم اختلفوا في الأذان لصلاة الفجر قبل دخول وقتها" اهـ

(٣٣) ستر العورة:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: اتفق العلماء على أن ستر العورة فرض بلا خلاف وعلى الإطلاق أعني في الصلاة وفي غيرها^(٤).

قال الحافظ ابن القطان رحمه الله^(٥): "وقوله تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾

(١) الإجماع، أبو بكر بن المنذر، (ص/٥٤).

(٢) الفتوحات المكية، محي الدين بن عربي، (٣٦/٢).

(٣) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القطان، (١١٥/١).

(٤) الفتوحات المكية، محي الدين بن عربي، (٤٥/٢).

(٥) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القطان، (١٢٠/١).

اتَّفَقَ الجميعُ على أَنه سَتَرُ العَوْرَةِ" اهـ

(٣٤) في اللِّباس في الصَّلَاة:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: اتَّفَقَ العُلَمَاءُ على أَنه يُجْزَى الرَّجُلَ مِنَ اللِّبَاسِ في الصَّلَاةِ الثَّوبُ الوَاحِدُ^(١).

قال الحافظ ابن القَطَّان رحمه الله^(٢): "ولا خِلَافٌ في جَوَازِ صَلَاةِ الرَّجُلِ في ثَوْبٍ وَاحِدٍ" اهـ

(٣٥) إِجْزَاءُ الصَّلَاةِ على الأَرْضِ بلا حَائِلٍ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: اتَّفَقَ العُلَمَاءُ على الصَّلَاةِ على الأَرْضِ^(٣).

(٣٦) النِّيَّةُ في الصَّلَاة:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: فَمِنْ قَائِلٍ إِنَّهَا شَرْطٌ في صِحَّةِ الصَّلَاةِ بل قَدْ اتَّفَقَ العُلَمَاءُ عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ شَدَّ^(٤).

(١) أي السَّاتِرُ لما يَجِبُ سَتْرُهُ مِنَ العَوْرَةِ في الصَّلَاة.

(٢) الإِقْنَاعُ في مسائل الإِجْمَاع، أبو الحسن بن القَطَّان، (١٢٢/١).

(٣) الفتوحات المكيَّة، محي الدين بن عربي، (٤٧/٢).

(٤) المصدر السَّابِق، (٥٠/٢).

قال الحافظ ابن المنذر رحمه الله^(١): "وأجمعوا على أنَّ الصَّلَاةَ لَا تُجْزَى إِلَّا بِالنِّيَّةِ" اهـ

(٣٧) السُّجُودُ عَلَى الْأَعْضَاءِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى أَنَّهُ مَنْ سَجَدَ عَلَى الْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ وَأَطْرَافِ الْقَدَمَيْنِ فَقَدْ تَمَّ سُجُودُهُ^(٢).

(٣٨) الْقِيَامُ فِي صَلَاةِ الْفَرَضِ لِلْقَادِرِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ مِنْ أَصْحَابِ الْمَذَاهِبِ وَغَيْرِهِمْ أَنَّهُ لَيْسَ لِلصَّحِيحِ أَنْ يُصَلِّيَ قَاعِدًا فَرَضًا إِذَا كَانَ مُنْفَرِدًا أَوْ إِمَامًا وَاخْتَلَفُوا فِي الْمَأْمُومِ إِذَا كَانَ صَحِيحًا فَصَلَّى خَلْفَ إِمَامٍ مَرِيضٍ^{(٣)-(٤)}.

قال الحافظ ابن القَطَّان رحمه الله^(٥): "وأجمعوا على أنَّ الْقِيَامَ فِي الْمَكْتُوبَةِ فَرَضٌ وَجُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ يَقُولُونَ: لَا يُجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يُصَلِّيَ قَاعِدًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الْقِيَامِ وَحْدَهُ وَلَا خَلْفَ إِمَامٍ" اهـ

(١) الإجماع، أبو بكر بن المنذر، (ص/٣٩).

(٢) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٩٤/٢).

(٣) أي مَرِيضٍ قَاعِدٍ.

(٤) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (١١٥/٢).

(٥) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القَطَّان، (١٤٨/١).

٣٩) وجوب صلاة الجمعة:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: فَصَلَ فِيمَنْ تَحِبُّ عَلَيْهِ الْجُمُعَةُ: اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهَا تَحِبُّ عَلَى مَنْ تَحِبُّ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْمَفْرُوضَةُ ثُمَّ زَادُوا أَرْبَعَةَ شُرُوطٍ اثْنَانِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِمَا وَاثْنَانِ مُخْتَلَفٌ فِيهِمَا^(١).

٤٠) تسوية الصفوف في الصلاة:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الصَّفَّ الْأَوَّلَ مُرَعَّبٌ فِيهِ وَكَذَلِكَ التَّرَاضُ وَتَسْوِيَةُ الصَّفِّ إِلَّا مَنْ شَذَّ فَقَالَ: مَنْ قَدَّرَ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ وَلَمْ يُصَلِّ فِيهِ بَطَلَتْ صَلَاتُهُ^(٢).

٤١) الأفعال والأقوال التي يسجد لها القائلون بسجود السهو:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ السُّجُودَ^(٣) يَكُونُ عَنْ سُنَنِ الصَّلَاةِ دُونَ الْفَرَائِضِ. أَمَّا الْفَرَائِضُ فَلَا يُجْزَى عَنْهَا إِلَّا الْإِتْيَانُ بِهَا وَجَبَرُهَا إِذَا كَانَ السَّهْوُ عَنْهَا مِمَّا لَا يُوجِبُ إِعَادَةَ الصَّلَاةِ بِأَسْرِهَا، وَأَمَّا سُجُودُ السَّهْوِ لِلزِّيَادَةِ

(١) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (١١٩/٢).

(٢) المصدر السابق، (١٠٩/٢).

(٣) أي للسَّهْوِ.

فإنَّه يَقَعُ عِنْدَ الزِّيَادَةِ فِي الْفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ جَمِيعًا، فَهَذِهِ الْجُمْلَةُ لَا خِلَافَ بَيْنَهُمْ فِيهَا^(١).

(٤٢) سُجُودُ السَّهْوِ لِمَنْ هُوَ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ سُجُودَ السَّهْوِ إِنَّمَا هُوَ لِلْإِمَامِ وَلِلْمُنْفَرِدِ، وَاخْتَلَفُوا فِي الْمَأْمُومِ يَسْهُو هَلْ عَلَيْهِ سُجُودٌ أَمْ لَا^(٢).
قال الحافظ ابن القَطَّان رحمه الله^(٣): "وَمَنْ سَهَا إِمَامُهُ وَجَبَ عَلَيْهِ إِذَا سَجَدَ إِمَامُهُ أَنْ يَتَّبِعَهُ إِذَا كَانَ شَهِدَ أَوَّلَ صَلَاتِهِ، لِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ عَلَى ذَلِكَ" اهـ

(٤٣) إِجْزَاءُ السُّجُودِ عَلَى الْأَنْفِ مَعَ الْجَبْهَةِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: وَلَمْ يَخْتَلِفُوا أَنَّ مَنْ سَجَدَ عَلَى جَبْهَتِهِ وَأَنْفِهِ فَقَدْ سَجَدَ عَلَى وَجْهِهِ^(٤).

(٤٤) مَشْرُوعِيَّةُ صَلَاةِ الْخَوْفِ:

(١) الفتوحات المكيَّة، محي الدين بن عربي، (١٥٨/٢).

(٢) المصدر السابق، (١٥٩/٢-١٦٠).

(٣) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القَطَّان، (١٥٤/١).

(٤) الفتوحات المكيَّة، محي الدين بن عربي، (٩٤/٢).

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(١): أجمع الناس على أنّ صلاة الخوف جائزة، واختلّفوا في صورتيها بحسب اختلاف الروايات الواردة فيها. قال الحافظ ابن القّطّان رحمه الله^(٢): "وأجمعوا أنّ لكلّ من خاف على عسكره من العدو أن يصلي صلاة الخوف وإن اختلفوا في كيفية صلاته" اهـ.

(٤٥) لا يسقط التكليف بالصلاة عن المريض المكلف بها:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(٣): أجمع العلماء على أنّ المريض إذا بقي عليه عقل التكليف أنه مخاطب بأداء الصلاة وأنه يسقط عنه منها ما لا يستطيعه من قيام وركوع وسجود.

(٤٦) وسع وقت القراءة في صلاة العيد:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(٤): وأجمعوا أنّ لا توقيت في القراءة في صلاة العيدين مع استحباب قراءة ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] في الأولى وفي الثانية الغاشية وكذلك سورة ق في الأولى وسورة القمر في الثانية اقتداء برسول الله ﷺ.

(١) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (١٤٢/٢).

(٢) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القّطّان، (١٧١/١).

(٣) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (١٤٤/٢).

(٤) المصدر السابق، (٢٠٧/٢).

قال الحافظ ابن القَطَّان رحمه الله^(١): "وأَجْمَعُوا أَنْ لَا تَوْقِيتَ فِي الْقِرَاءَةِ، وَلَا حَدَّ بَعْدَ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ، خَفَّفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرُبَّمَا أَطَالَ، يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ صَلَاةٍ" اهـ

(٤٧) جَوَازُ تَغْسِيلِ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا الْمَيِّتِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(٢): أَجْمَعُوا عَلَى غَسْلِ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا.

قال الحافظ النووي: "وأَجْمَعُوا أَنَّ لَهَا غَسْلَ زَوْجِهَا"^(٣) اهـ

(٤٨) مَنَعُ تَغْسِيلِ الْمَطْلُوقَةِ الْمَبْتُوتَةِ زَوْجَهَا:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(٤): أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْمَطْلُوقَةَ الْمَبْتُوتَةَ لَا تُغَسَّلُ زَوْجَهَا.

وكذلك نقله ابنُ عَبْدِ الْبَرِّ الْمُجَسِّمُ فِي «الاستذكار»^(٥) عَنِ الْفُقَهَاءِ.

(١) الإِقْنَاعُ فِي مَسَائِلِ الْإِجْمَاعِ، أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْقَطَّانِ، (١٢٩/١).

(٢) الْفَتْوحَاتُ الْمَكِّيَّةُ، محي الدين بن عربي، (٢١٦/٢).

(٣) الْمَنْهَاجُ فِي شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمَ بْنِ الْحُجَّاجِ، محي الدين التَّوَوِيُّ، (٥/٧).

(٤) الْفَتْوحَاتُ الْمَكِّيَّةُ، محي الدين بن عربي، (٢١٦/٢).

(٥) الْإِسْتِذْكَارُ، ابنُ عَبْدِ الْبَرِّ الْمُجَسِّمُ، (١١/٣).

(٤٩) قراءة البَسْملة أَوَّلَ الفاتحة:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: وأَجْمَعَ على قِرَاءَةِ البَسْملة^(١) في الفاتحةِ جَمَاعَةٌ القُرَّاءِ بلا خِلَافٍ^(٢).

(٥٠) طهوريّة الماء المُطْلَق:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(٣): وَمِمَّا تَقَعُ به هذه الطّهارةُ ما يَكُونُ رَافِعًا لِلْمَانِعِ مُبِيحًا لِلْفِعْلِ مَعًا وهو الماءُ بلا خِلَافٍ.

قال الحافظ ابن القَطَّان رحمه الله^(٤): "وَاتَّفَقَ الْجَمِيعُ على أَنَّ التَّطَهُّرَ بِالماءِ الَّذِي لم يُخَالِطْهُ نَجَاسَةٌ. وأَجْمَعُوا على أَنَّ الماءَ مُطَهَّرٌ مِنَ النِّجَاسَاتِ" اهـ

(٥١) الطّهارة بالماء والتراب:

وإِذَا مَا نَقُلُ عَنْ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ اسْتَظْهَارًا وَبَيَانًا لِمَا يَنْقُلُهُ عَنْ فُقَهَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنَ الْحَقِّ لَا نُضَرَّةَ لَهُ، وَإِلَّا فابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ مُحْسِمٌ جَهْوِيٌّ مُشَبَّهٌ وَقَدْ بَيَّنَّا حَالَهُ مِنْ كُتُبِهِ وَمَقَالَاتِهِ فِي كِتَابِنَا «الْكَشْفُ الْحَقِيقِيُّ لِلْحَقِيقَةِ الْمُشَبَّهَةِ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ وَابْنِ بَطَّةَ وَالذَّهَبِيِّ» فَرَاغَهُ.

(١) أي مَشْرُوعِيَّة قِرَاءَتِهَا.

(٢) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (١٥/٥).

(٣) المصدر السَّابِق، (٤٩٩/١).

(٤) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القَطَّان، (٨٠/١).

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(١): فالمُجمَع عليهما الماء المطلق والتراب سواءً
فَارَقَ الأرض أو لم يُفَارِقْها.

سَبَقَ دليلُ الماءِ على ذلكِ مِنْ كلامِ ابنِ القَطَّانِ، وأما التُّرابُ فقد قالَ الحافظُ ابنُ
المنذِرِ رحمه الله^(٢): "وأجمَعوا على أَنَّ التَّيَمُّمَ بالتُّرابِ العُبَارِ جائِزٌ" اهـ

٥٢) المحالُّ التي يُطَهَّرُها الماءُ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(٣): اتَّفَقَ العُلَمَاءُ بالشَّريعةِ على أَنَّ الماءَ الطَّاهِرَ
المُطَهَّرَ يُزِيلُها^(٤) مِنْ هذه المحالِّ^(٥) الثلاثة.

قال الحافظ ابن القَطَّان رحمه الله^(٦): "وأجمَعوا على أَنَّ الماءَ مُطَهَّرٌ لِلنَّجَاسَاتِ،
والإجماعُ على إزالةِ النَّجَاسَةِ مِنَ الأبدانِ والثَّيابِ والأرضِ بِغَيْرِ نِيَّةٍ" اهـ

٥٣) الاستِجمارُ:

(١) الفتوحات المكيَّة، محي الدين بن عربي، (١/٤٩٨).

(٢) الإجماع، أبو بكر بن المنذر، (ص/٣٦).

(٣) الفتوحات المكيَّة، محي الدين بن عربي، (٢/١٠).

(٤) أي يُزِيلُ النَّجَاسَةَ.

(٥) يعني الثَّوبَ والبَدَنَ والمَسْجِدَ.

(٦) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القَطَّان، (١/٨٠).

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(١): وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ أَيْضًا أَنَّ الْحِجَارَةَ تُزِيلُهَا مِنْ

الْمَخْرَجِينَ وَهُوَ الْمُعَبَّرُ عَنْهُ فِي الشَّرْعِ بِالِاسْتِجْمَارِ.

قال الحافظ ابن القَطَّان رحمه الله^(٢): "وَالْعُلَمَاءُ الْيَوْمَ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ الِاسْتِنْجَاءَ

بِالْمَاءِ أَفْضَلُ، وَأَنَّ الِاسْتِجْمَارَ رُخْصَةٌ وَتَوْسِعَةٌ، وَكُلُّهُمْ يُجِيزُ الِاسْتِجْمَارَ بِالْأَحْجَارِ،
وَالْمَاءِ عِنْدَهُمْ جَمِيعًا أَطْهَرُ وَأَطْيَبُ" اهـ.

(٥٤) نَوَاقِضُ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفِّ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: بَابٌ فِي مَعْرِفَةِ نَاقِضِ طَهَارَةِ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفِّ:

الِاتِّفَاقُ عَلَى أَنَّ نَوَاقِضَ الْوُضُوءِ كُلُّهَا نَوَاقِضُهَا^(٣).

(٥٥) الْمَاءُ الْمَتَغَيَّرُ بِمَا يَشُقُّ صَوْنُهُ عَنْهُ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ مَا يُغَيِّرُ الْمَاءَ مِمَّا لَا يَنْفَكُ عَنْهُ

غَالِبًا أَنَّهُ لَا يَسْلُبُ عَنْهُ صِفَةَ التَّطْهِيرِ^(٤).

(١) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (١٠/٢).

(٢) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القَطَّان، (٨١/١).

(٣) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٥٢٦/١).

(٤) المصدر السابق، (٥٢٧/١).

(٥٦) الماء المتغيّر بالتجاسة لا يُجزئ في التطهير:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(١): وَاتَّفَقُوا أَيْضًا عَلَى أَنَّ الْمَاءَ الَّذِي غَيَّرَتِ النَّجَاسَةُ لَوْنَهُ أَوْ طَعْمَهُ أَوْ رِيحَهُ أَوْ كُلَّ هَذِهِ الْأَوْصَافِ أَنَّهُ لَا تَجُوزُ بِهِ الطَّهَارَةُ.

قال الحافظ ابن القَطَّان رحمه الله^(٢): "وَإِذَا تَغَيَّرَ طَعْمُ الْمَاءِ أَوْ لَوْنُهُ أَوْ رِيحُهُ بِمُحَرَّمٍ خَالِطُهُ لَمْ يَظْهَرْ أَبَدًا حَتَّى يُنْزَحَ أَوْ يُصَبَّ عَلَيْهِ مَاءٌ كَثِيرٌ"^(٣) حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ لَوْنُ الْمَحَرَّمِ وَطَعْمُهُ وَرِيحُهُ" اهـ

(٥٧) التَّيْمُّ بَدَلُ الْوُضُوءِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(٤): بَابُ كَوْنِ التَّيْمِّ بَدَلًا مِنَ الْوُضُوءِ بِاتِّفَاقٍ.

قال الحافظ ابن القَطَّان رحمه الله^(٥): "وَأَجْمَعَ عُلَمَاءُ الْأَمْصَارِ بِالْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فِيمَا عَلِمْتُ أَنَّ التَّيْمَّ بِالصَّعِيدِ عِنْدَ عَدَمِ الْمَاءِ طَهْرٌ كُلُّ مُسْلِمٍ مَرِيضٍ أَوْ مُسَافِرٍ كَانَ جُنُبًا أَوْ عَلَى غَيْرِ وُضُوءٍ، لَا يَخْتَلِفُونَ فِي ذَلِكَ" اهـ.

(١) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٥٢٧/١).

(٢) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القَطَّان، (٧٥/١).

(٣) أي يبلُغ الكثرة بصَبِّ الماء عليه.

(٤) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٥٥٩/١).

(٥) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القَطَّان، (٩١-٩٢).

(٥٨) الفِعْلُ الْقَلِيلُ فِي الصَّلَاةِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(١): وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْفِعْلَ الْخَفِيفَ لَا يُبْطَلُ الصَّلَاةُ.

قال الحافظ ابن القَطَّان رحمه الله^(٢): "وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْعَمَلُ فِي الصَّلَاةِ إِلَّا الْقَلِيلُ"^(٣) الَّذِي لَا يُخْرِجُ الْمَرْءَ عَنْ عَمَلِ صَلَاتِهِ إِلَى غَيْرِهِ " اهـ

(٥٩) اللَّحْمُ الْمَأْخُودُ مِنَ الْمَيْتَةِ مَيْتَةٌ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ اللَّحْمَ مِنْ أَجْزَاءِ الْمَيْتَةِ مَيْتَةٌ^(٤).

(٦٠) مَشْرُوعِيَةُ التَّسْبِيحِ فِي الرُّكُوعِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: وَالَّذِي اتَّفَقُوا عَلَيْهِ التَّسْبِيحُ فِي الرُّكُوعِ وَاخْتَلَفُوا هَلْ فِيهِ قَوْلٌ مُحْدُوذٌ أَمْ لَا^(٥).

(١) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٥٠/٢).

(٢) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القَطَّان، (١٣٩/١).

(٣) وَاخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى الْقَلِيلِ وَضَابِطِهِ.

(٤) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٦/٢).

(٥) المصدر السابق، (٧٤/٢).

وقال أيضًا: اختَلَفُوا في الدُّعاء في الرُّكُوع بَعْد اتِّفَاقِهِمْ على جَوَاز الثَّنَاء على الله فيه^(١). قال الحافظ ابن القَطَّان رحمه الله^(٢): "وأجمَعوا على أَنَّ الرُّكُوعَ مَوْضِعُ تَعْظِيمِ اللهِ بالتَّسْبِيح والتَّقْدِيس" اهـ

(٦١) قَصْرُ الصَّلَاةِ لِلْمُسَافِرِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: اتَّفَقُوا على جَوَازِ قَصْرِ الصَّلَاةِ لِلْمُسَافِرِ^(٣). قال الحافظ ابن المنذر رحمه الله^(٤): "وأجمَعوا على أَنَّ لِمَنْ سَافَرَ سَفَرًا تُقْصَرُ في مثله الصَّلَاةُ مِثْلَ حَجٍّ أو جِهَادٍ أو عُمْرَةٍ أَنْ يَقْصَرَ الظُّهْرَ والعَصْرَ والعِشَاءَ، يُصَلِّي كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا رَكَعَتَيْنِ رَكَعَتَيْنِ" اهـ

(٦٢) الإِعادة على مَنْ أَخْلَ بِشَرَطٍ مِنْ شُرُوطِ صِحَّةِ الصَّلَاةِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: فَاتَّفَقُوا على أَنَّهُ كُلُّ مَنْ أَخْلَ بِشَرَطٍ مِنْ شُرُوطِ صِحَّةِ الصَّلَاةِ عَمْدًا أو نِسْيَانًا وَجَبَتْ عَلَيْهِ الإِعادةُ كاستِقبالِ القِبلةِ والظَّهارةِ^(٥).

(١) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٧٥/٢).

(٢) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القَطَّان، (١٣٣/١).

(٣) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (١٣٥/٢).

(٤) الإجماع، أبو بكر بن المنذر، (ص/٤١).

(٥) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (١٤٦/٢).

قال الحافظ ابن القَطَّان رحمه الله^(١): "وَاتَّفَقُوا أَنَّ مَنْ تَحَوَّلَ عَنِ الْقِبْلَةِ عَمْدًا لِغَيْرِ قِتَالٍ أَوْ لِغَيْرِ غَسَلٍ حَدَثٍ غَالِبٍ أَوْ نِسْيَانٍ لَوْضُوءٍ أَوْ لِغَيْرِ غَسَلٍ لِرُعَافٍ أَوْ لِغَيْرِ مَا افْتَرَضَ عَلَى الْمَرْءِ مِنْ أَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ أَوْ إِطْفَاءِ نَارٍ أَوْ إِمْسَاكِ شَيْءٍ فَائِتٍ مِنْ مَالٍ أَوْ بِغَيْرِ إِكْرَاهٍ أَنَّ صَلَاتَهُ فَاسِدَةٌ" اهـ

قال الفقيه الوزير ابن هُبَيْرَةَ^(٢): "أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تَصِحُّ إِلَّا بِطَهَارَةٍ إِذَا وَجَدَ السَّبِيلَ إِلَيْهَا" اهـ

٦٣) سُجُودُ السَّهْوِ لِتَرْكِ التَّشَهُدِ الْأَوَّلِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: فَأَمَّا الْجُلُوسَةُ الْوُسْطَى فَاتَّفَقُوا عَلَى سُجُودِ السَّهْوِ لِتَرْكِهَا^(٣).

قال الفقيه الوزير ابن هُبَيْرَةَ^(٤): "وَاتَّفَقُوا أَنَّ مَنْ أَسْقَطَ الْجُلُوسَةَ الْوُسْطَى مِنْ صَلَاةِ الظُّهْرِ أَوْ الْعَصْرِ أَوْ الْمَغْرِبِ أَوْ الْعِشَاءِ سَاهِيًا أَنَّ عَلَيْهِ سَجْدَتَيِ السَّهْوِ" اهـ

(١) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القَطَّان، (١٢٤/١).

(٢) اختلاف الأئمة العلماء، الوزير ابن هُبَيْرَةَ، (٢٧/١).

(٣) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (١٥٨/٢).

(٤) اختلاف الأئمة العلماء، الوزير ابن هُبَيْرَةَ، (٢٧/١).

(٦٤) عدمُ صحّة صلاة الفَرَض على الرَّاحِلَة:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(١): ومَوْضِعُ الاتِّفَاقِ بَيْنَ الْأُئِمَّةِ أَنَّ الْفَرَضَ لَا يَجُوزُ عَلَى الرَّاحِلَةِ.

قال الحافظ ابن القَطَّان رحمه الله^(٢): "وَالْإِجْمَاعُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يُصَلِّيَ شَيْئًا مِنَ الْفَرَائِضِ عَلَى الدَّوَابِّ إِلَّا فِي شِدَّةِ الْخَوْفِ خَاصَّةً" اهـ

(٦٥) سُنِّيَّةُ رَكَعَتَيْنِ قَبْلَ فَرَضِ الْفَجْرِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(٣): وَحُكْمُ رَكَعَتَيِ الْفَجْرِ سُنَّةٌ بِالْإِتِّفَاقِ.

قال الحافظ ابن القَطَّان رحمه الله^(٤): "وَاتَّفَقُوا عَلَى اسْتِحْبَابِ رَكَعَتَيْنِ بَعْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ وَقَبْلَ صَلَاةِ الصُّبْحِ" اهـ

(٦٦) حُكْمُ صَلَاةِ الْكُسُوفِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: فَصُلُّ صَلَاةَ الْكُسُوفِ وَأَنَّهَا سُنَّةٌ بِالْإِتِّفَاقِ^(٥).

(١) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (١٦٧/٢).

(٢) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القَطَّان، (١٧٢/١).

(٣) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (١٦٩/٢).

(٤) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القَطَّان، (١٧٦/١).

(٥) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (١٧٧/٢).

قال الفقيه الوزير ابن هُبَيْرَةَ^(١): "اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ صَلَاةَ الْكُسُوفِ سَنَةٌ مُؤَكَّدَةٌ يُسَنُّ لَهَا الْجَمَاعَةُ" اهـ

٦٧) مَشْرُوعِيَّةُ صَلَاةِ الاسْتِسْقَاءِ وَالْخُرُوجِ إِلَيْهَا:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: والعُلَمَاءُ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ الْخُرُوجَ إِلَى الاسْتِسْقَاءِ وَالْبُرُوزَ عَنِ الْمِصْرِ وَالِدُّعَاءَ وَالتَّضَرُّعَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي نُزُولِ الْمَطَرِ سُنَّةٌ^(٢).
قال القاضي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ الْمَالِكِيُّ^(٣): "وَلَا خِلَافَ أَنَّهُ يُبْرَزُ إِلَيْهَا لِأَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ أَجْمَعُوا عَلَى جَوَازِ الْخُرُوجِ إِلَى الاسْتِسْقَاءِ عِنْدَ إِمْسَاكِ الْغَيْثِ عَنْهُمْ" اهـ.

٦٨) الاتِّفَاقُ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ بَعْضِ الْهَيِّاتِ فِي الاسْتِسْقَاءِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: وَمِنَ السُّنَّةِ فِي الاسْتِسْقَاءِ اسْتِقْبَالُ الْقِبْلَةِ وَاقْفًا وَالدُّعَاءُ وَرَفْعُ الْيَدَيْنِ وَتَحْوِيلُ الرِّدَاءِ بِاتِّفَاقٍ^(٤).
قال الفقيه الوزير ابن هُبَيْرَةَ^(٥): "اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الاسْتِسْقَاءَ طَلَبُ السَّقْيَا مِنَ اللَّهِ وَالدُّعَاءُ وَالسُّؤَالُ وَالِاسْتِغْفَارُ وَأَنَّ ذَلِكَ مَنْدُوبٌ" اهـ

(١) اختلاف الأئمة العلماء، الوزير ابن هُبَيْرَةَ، (١٧١/١).

(٢) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (١٨٢/٢).

(٣) المسالك في شرح موطأ مالك، أبو بكر بن العربي المالكي، (٣٠٣/٣).

(٤) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (١٨٢/٢).

(٥) اختلاف الأئمة العلماء، الوزير ابن هُبَيْرَةَ، (١٧٣/١).

وقال الحافظ ابن القَطَّان رحمه الله^(١): "ولا أعلم خلافاً أنَّ الإمام يُحوَّل رِداءه قائماً ويُحوَّل النَّاسُ جُلوساً" اهـ

(٦٩) غَسَلَ الْأَمْوَاتِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: فَأَمَّا الْأَمْوَاتُ الَّذِينَ يَجِبُ غَسْلُهُمْ: فَاتَّفَقُوا عَلَى غَسْلِ الْمَيِّتِ وَالْمَقْتُولِ الَّذِي لَمْ يُقْتَلَ فِي مُعْتَرِكِ حَرْبِ الْكُفَّارِ^(٢).

(٧٠) مَا يَحْمِلُهُ الْإِمَامُ عَنِ الْمَأْمُومِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: اتَّفَقَ عُلَمَاؤُنَا عَلَى أَنَّهُ لَا يَحْمِلُ الْإِمَامُ عَنِ الْمَأْمُومِ شَيْئاً مِنْ فَرَائِضِ الصَّلَاةِ مَا عَدَا الْقِرَاءَةَ فَإِنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ^(٣).
وكذلك نقله ابنُ رُشدٍ الحَفِيدُ الْفَلَسَفِيُّ الْمُجَسِّمُ فِي كِتَابِهِ «بَدَايَةُ الْمُجْتَهِدِ»^(٤) عَنِ الْفُقَهَاءِ.

(١) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القَطَّان، (١٨١/١).

(٢) الفتوحات المكيَّة، محي الدين بن عربي، (٢١١/٢).

(٣) المصدر السابق، (١١٧/٢).

(٤) بَدَايَةُ الْمُجْتَهِدِ وَنَهَايَةُ الْمُقْتَصِدِ، ابنُ رُشدٍ الحَفِيدُ الْفَلَسَفِيُّ الْمُجَسِّمُ، (١٦٤/١).

وإنَّما نَقَلُ عَنْهُ اسْتَظْهَارًا وَبَيَانًا لِمَا يَنْقُلُهُ عَنْ فُقَهَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنَ الْحَقِّ لَا نُصْرَةً لَهُ، وَقَدْ بَيَّنَّا حَالَهُ فِي الْأَصْلِ هُنَا فِي فَصْلِ مُسْتَقِيلٍ.

فصل في بيان حقيقة ابن رشد الحفيد الفيلسوف المَجَسِّم

هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الحفيد^(١) واحد من الفلاسفة المَجَسِّمَةِ الذين كانوا في القرن السادس الهجري.

قال تاج الدين بن حَمَوِيَه: لَمَّا دخلتُ البلادَ سألتُ عن ابنِ رُشدٍ فقيل: إنه مَهْجُورٌ في بَيْتِهِ مِنْ جِهَةِ الخليفةِ يَعْقُوبَ لَا يَدْخُلُ إِلَيْهِ أَحَدٌ لِأَنَّهُ رُفِعَتْ عَنْهُ أَقْوَالُ رَدِّيَّةٍ وَنُسِبَتْ إِلَيْهِ العلومُ المَهْجُورَةُ، وماتَ مَحْبُوسًا بدارِهِ بِمَرَاكِشَ في أواخرِ سنة أربع. وقد مَشَى ابنُ رُشدٍ الحفيدُ على دربِ أَفلاطونَ وابنِ سينا في بعضِ المَفاوِذِ المُعارِضةِ للقُرْآنِ المُصادِمَةِ للشَّريعةِ، وتابَعَ المَجَسِّمَةَ أيضًا في بعضِ المُعتَقَداتِ وَجَعَلَ نُصَبَ عَيْنِيهِ التَّهْجَمَ على الأشاعرةِ في أصولِهِم، فَمِنْ جُمْلَةِ ضَلالَاتِهِ:

- قوله بأزلية الزمان: يقول في كتابه المسمى «تهافت التهافت»^(٢): "وذلك أن الزمان لم يوجد له مبدأً أوَّلُ حادثٌ" اهـ

(١) أمَّا ابنُ رُشدٍ الجَدُّ واسمُهُ أبو الوليد مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ رُشدٍ أيضًا فهو قاضي القضاة الفقيه البصيرُ بأقوالِ أئمةِ المذهب المالكي، وهو أَحَدُ الفقهاءِ الأربعةِ الَّذِينَ اعْتَمَدَ الشَّيْخُ خَلِيلٌ تَرْجِيحَهُمْ في مُحْتَصَرِهِ. وقد تَتَلَمَّذَ على يَدِ ابنِ رُشدٍ الجَدِّ فقهاءٌ وحُفَّاظٌ مشاهيرٌ مثلُ القاضي عياضَ وابنِ بَشْكَوَالٍ وابنِ أَصْبَغَ وأبي بكرٍ الإشبيليِّ وأبي بكرٍ بنِ ميمونٍ، ولم يُدرِكْهُ حفيدهُ ابنُ رُشدٍ لأنَّ الجَدَّ ماتَ قَبْلَ شَهْرٍ مِنْ ولادَةِ ابنِ رُشدٍ الحفيدِ.

(٢) المسمى «تهافت التهافت»، ابن رُشد الحفيدُ الفيلسوفُ المَجَسِّمُ، (ص/٩٠).

الردّ: قوله هذا هو من عقيدة الفلاسفة الكفرية، قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، والزمان شيء والله خالقه ومُوجده، ومن زعم خلاف ذلك فقد كَذَّب الله ومن كَذَّب الله لا يكون من المسلمين. وقد نقل الإجماع على كفر الفلاسفة الفقيه بدر الدين الزركشي في كتابه «تشنيف المسامع».

- تحريمه التأويل على العوام: يقول في كتابه المسمّى «الكشف عن مناهج الأدلة» ما نصّه^(١): "وأما الجمهورُ ففرضُهم فيه حمْلُهُ على ظاهرِهِ وتركُ تأويلِهِ، وإنَّه لا يَحِلُّ للعلماء أن يُفصِّحُوا بتأويلِهِ للجمهور" اهـ

الردّ: قوله هذا دعوة إلى ترك الجهال على التشبيه والتجسيم وتحريم تعليم الناس ما يجب عليهم وهو قول سخيْفٌ يَدُلُّ على قِلَّةِ عقل قائله وغبَاوَتِهِ، وهو تكذيبٌ للإجماع القائم بين علماء المسلمين الذي نَقَلَهُ الفقيه الحنفي المُلَّا علي القاري في كتابه «المِرْقَاة» حيث قال فيه: "مَنْ حمل الآيات والأحاديث المتشابهة على ظواهرها فهو كافرٌ بالإجماع"، وقال الحافظ ابن بَطَّال في شرحه على البخاري: "يَجِبُ صرف المتشابهات عن ظواهرها، وقال

(١) المسمّى «الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد المِلَّة»، ابن رُشد الحفيدُ الفَلَسْفِيّ المَجَسِّمُ، (ص/١٣٣).

سَيِّدُنَا الْعَوْتُ أَحْمَدُ الرَّفَاعِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "صُونُوا عَقَائِدَكُمْ عَنِ التَّمَسُّكِ
بِمَا تَشَابَهَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَصُولِ الْكُفْرِ".

- تَشْكِيكُهُ فِي كَوْنِ الْأَعْرَاضِ كُلِّهَا حَادِثَةً: يَقُولُ فِي نَفْسِ الْكِتَابِ^(١): "وَأَمَّا
الْمُقَدِّمَةُ الثَّانِيَةُ وَهِيَ الْقَائِلَةُ إِنَّهُ جَمِيعَ الْأَعْرَاضِ مُحَدَّثَةٌ فَهِيَ مُقَدِّمَةٌ مَشْكُوكٌ
فِيهَا" اهـ

الرَّدُّ: قَوْلُهُ هَذَا مَكَابِرَةٌ وَسَخَافَةٌ وَصِفَاقَةٌ، فَحَالُهُ فِي هَذَا كَالْفِيلَسُوفِ الْمُجَسِّمِ
ابْنِ تَيْمِيَّةِ الْحَرَانِيِّ، فَمِنْ الْبَدِيهَةِ وَالْمَشَاهِدِ الْمَعْرُوفِ بَيْنَ كُلِّ النَّاسِ أَنَّ تَغْيِيرَ
الْأَحْوَالِ وَطُرُوءَ الْأَعْرَاضِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا حَدَثَتْ وَوُجِدَتْ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ،
وَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّهَا حَادِثَةٌ مَخْلُوقَةٌ لَيْسَتْ أَزَلِيَّةً، وَمَنْ قَالَ بِأَزَلِيَّتِهَا فَقَدْ أَثْبَتَ لِلَّهِ
الشُّرَكَاءَ فِي الْأَزَلِيَّةِ وَهَذَا تَكْذِيبٌ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾
[الحديد: ٣]، وَتَكْذِيبٌ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
[الفاتحة: ٢]، فَالْأَعْرَاضُ وَالْأَجْرَامُ وَهَذَا الْكَوْنُ وَالْعَالَمُ وَمَا فِيهِ مَرْبُوبٌ مَخْلُوقٌ
لِلَّهِ، فَاللَّهُ هُوَ رَبُّهُ وَخَالِقُهُ أَيُّ مُوْجِدِهِ، وَقَدْ سَبَقَ قَرِيبًا نَقْلَ الْإِجْمَاعِ عَلَى كُفْرِ
مَنْ يَقُولُ بِأَزَلِيَّةِ شَيْءٍ مِنَ الْعَالَمِ مَعَ اللَّهِ.

(١) المصدر السابق، (ص/١٤٠).

- تَشْكِيكُهُ فِي أَزَلِيَّةِ مَشِيئَةِ اللَّهِ^(١): يَقُولُ فِي نَفْسِ الْكِتَابِ: "لَأَنَّ الْجُمْهُورَ لَا يَفْهَمُونَ مَوْجُودَاتٍ حَادِثَةً عَنْ إِرَادَةٍ قَدِيمَةٍ، بَلِ الْحَقُّ أَنَّ الشَّرْعَ لَمْ يُصَرِّحْ فِي الْإِرَادَةِ لَا بِحُدُوثٍ وَلَا بِقَدَمٍ لِكَوْنِ هَذَا مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ فِي حَقِّ الْأَكْثَرِ، وَلَيْسَ بِأَيْدِي الْمُتَكَلِّمِينَ بُرْهَانٌ قَطْعِيٌّ عَلَى اسْتِحَالَةِ قِيَامِ إِرَادَةٍ حَادِثَةٍ فِي مَوْجُودٍ قَدِيمٍ" اهـ

الرَدُّ: وَقَوْلُهُ هَذَا مِنْ أَصْرَحِ وَأَعْجَبِ الْكُفْرِيَّاتِ، لِأَنَّهُ جَعَلَ اللَّهُ حَادِثًا مَخْلُوقًا حَيْثُ جَوَّزَ أَنْ تَكُونَ مَشِيئَةُ اللَّهِ حَادِثَةً غَيْرَ أَزَلِيَّةٍ، فَإِنَّ مِنَ الْمُجْمَعِ عَلَيْهِ عِنْدَ الْعُقَلَاءِ وَعِنْدَ كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنَّ حُدُوثَ الصِّفَةِ يَسْتَلْزِمُ حَدُوثَ الذَّاتِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْقِرْعَانِ الْكَرِيمِ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣]، وَرَوَى مُسْلِمٌ وَأَصْحَابُ السُّنَنِ وَابْنُ حِبَّانَ وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ»، فَدَلَّ الْقِرْعَانُ وَالْحَدِيثُ عَلَى أَزَلِيَّةِ اللَّهِ، وَحَيْثُ ثَبَّتَتِ الْأَزَلِيَّةُ لِذَاتِ اللَّهِ وَجَبَ أَنْ تَكُونَ مَشِيئَتُهُ أَزَلِيَّةً لِاسْتِحَالَةِ أَنْ تَقُومَ الصِّفَةُ الْحَادِثَةُ الْمَخْلُوقَةُ فِي الذَّاتِ الْأَزَلِيِّ.

(١) المصدر السابق، (ص/١٤٨).

- ادِّعَاؤُهُ حَدُوثَ الْعِلْمِ لِلَّهِ بِالْحَادِثِ عِنْدَ وَجُودِ الْحَادِثِ: يَقُولُ فِي نَفْسِ الْكِتَابِ^(١): "وَهَذَا شَيْءٌ لَمْ يُصَرِّحْ بِهِ الشَّرْعُ بَلِ الَّذِي صَرَّحَ بِهِ خِلَافُهُ وَهُوَ أَنَّهُ يَعْلَمُ الْمُحْدَثَاتِ حِينَ حَدُوثِهَا" اهـ

الردّ: وقوله هذا فيه نسبة الجهل إلى الله وتسوية الخالق بالمخلوق وإثبات التَّغْيِيرِ لِلَّهِ تَعَالَى، والتَّغْيِيرُ أَكْبَرُ عَلَامَاتِ الْحُدُوثِ، وكلامه فيه تكذيبٌ لقول الله تَعَالَى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣]، وقد نصَّ الأئمةُ والحفَّاظُ والفُقهاءُ كابن دَقِيقِ الْعِيدِ والتَّوَوِيّ والقَاضِي عِيَاضٍ وَابْنِ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيّ وَابْنِ الرَّفْعَةِ والسُّيُوطِيّ عَلَى كُفْرٍ مَن قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا بَلِ يَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ جُمْلَةً فَقَطْ وَأَمَّا الْجُزْئِيَّاتُ فَلَا يَعْلَمُهَا إِلَّا بَعْدَ حَدُوثِهَا"، وهذا يَدُلُّ عَلَى انْسِلَاخِ قَائِلِ تِلْكَ الْمَقَالَةِ الْفَاسِدَةِ مِنَ الدِّينِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَإِعْلَانِهِ عِدَاوَتِهِ لِلَّهِ وَالْقِرَاءَانِ وَالْإِسْلَامِ، فَلَعَنَاتُ اللَّهِ تَرْتَأَى عَلَى قَائِلِ ذَلِكَ.

- إِنْكَارُهُ وَجُودَ الْحَادِثَاتِ بِإِرَادَةِ قَدِيمَةِ اللَّهِ: يَقُولُ فِي نَفْسِ الْكِتَابِ^(٢): "فَأَمَّا أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ مُرِيدٌ لِلْأُمُورِ الْحَادِثَةِ بِإِرَادَةِ قَدِيمَةٍ فَبِدْعَةٍ وَشَيْءٌ لَا يَعْقِلُهُ

(١) المصدر السابق، (ص/١٦١).

(٢) المصدر السابق، (ص/١٦٢).

العلماء ولا يُقنعُ الجمهورَ بل ينبغي أن يُقالَ إنَّه مُريدٌ لكونِ الشَّيءِ في وقتِ
كونِه وغيرِ مُريدٍ لكونِه في غيرِ وقتِ كونه كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ
إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [التحل: ٤٠] اهـ

الرد: قوله هذا محاولةٌ خسيصةٌ فاشلةٌ لإيهام النَّاسِ حدوثَ صفاتِ الله، وما
سَبَقَ مِنْ رُدودٍ مُحْتَصِرةٍ تكفي في ردِّ هُرائِه هذا، ونَزِيدُ هنا أنَّ ﴿كُنْ
فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧] تعبيرٌ عَن سُرعةِ الإيجادِ، أي أنَّ الله يُوجِدُ الأشياءَ
بإرادته الأزلية التي لا تتغيَّرُ لأنَّ الله قال: ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ﴾ [ق: ٢٩]،
وليس معنى ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ أنَّ الله يتلفَّظ بكافٍ ونونٍ لأنَّ كلامَ الله
الذاتِي الذي هو صفةٌ أزليَّةٌ أبديةٌ ليس يحرفُ ولا صوتٌ ولا لغةٌ، وليس
مُبتدأً ولا مختتمًا ولا مُتَجَزِّأً ولا مُتَبَعِّضًا بل هو كلامٌ واحدٌ بلا فَمٍ ولا لِسَانٍ
ولا شِفاهٍ ولا لهاةٍ ولا لُغاتٍ، وكما أنَّ ذاتَ الله لا يُشبهُ الدَّواتِ فكلامُه لا
يُشبهُ كلامَ المخلوقين ولا بوجهٍ مِنَ الوجوه، وقد نَقَلَ الإجماعُ على كُفْرِ مَنْ
شَبَّهَ كلامَ الله بكلامِ الخلق الإمامُ أبو بكرٍ الصِّقْلِيُّ في كتابه «مسألةُ
الشَّارِعِ في القُرْآن».

- إنكاره كَوْن ما قام به الحادث حادثاً: يقول في نفس الكتاب^(١): "ليس عند الجمهور كما قلنا شيء يضطرهم إلى أن يقولوا: إنه مُريدٌ للحادثات بإرادة قديمة إلا ما تَوَهَّمْهُ المتكلمون من أن الذي تقوم به الحوادث حادثٌ" اهـ الرد: قوله هذا ينادي بجهله عليه، فكأنه يقول: "يا ناس اعرفوني فأنا مخالفٌ للعقلاء محاربٌ للعقل السليم أقول بإثبات الأزلية والألوهية للمخلوقين"، وكأنه يقول: "الإله مخلوقٌ حادثٌ مضطرٌ عاجزٌ متغيرٌ يجوز عليه ما يجوز علينا"، وهذا ضربٌ من الجنون وتصريحٌ منه بأنه مارقٌ من الدين مُكذِّبٌ لله الذي قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وقال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [التَّحَل: ٧٤] وقال: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤] وقال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وقوله هذا كافٍ وافٍ في تصريحه أنه ليس من المسلمين فضلاً عن أن يكون من علماء الدين، فلا يستأهل أن يُذكر ولا أن يُرجع إليه ولا أن يُنقل عنه فيما انفرد به.

- زعمه أن الشرع أقرب إلى إثبات الجسمية لله من نفيها عنه: يقول في نفس الكتاب^(٢): "فإن قيل: فما تقول في صفة الجسمية هل هي من الصفات التي

(١) المصدر السابق، (ص/١٦٢).

(٢) المصدر السابق، (ص/١٧٠).

صَرَّحَ الشَّرْعُ بِنَفْيِهَا عَنِ الْخَالِقِ أَوْ هِيَ مِنَ الْمَسْكُوتِ عَنْهُ، فَتَقُولُ: إِنَّهُ مِنَ الْبَيِّنِ مِنْ أَمْرِ الشَّرْعِ أَنَّهَا مِنَ الصِّفَاتِ الْمَسْكُوتِ عَنْهَا وَهِيَ إِلَى التَّصْرِيحِ بِإِثْبَاتِهَا فِي الشَّرْعِ أَقْرَبُ مِنْهَا إِلَى نَفْيِهَا، وَذَلِكَ أَنَّ الشَّرْعَ قَدْ صَرَّحَ بِالْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ فِي غَيْرِ مَا عَايَةٍ مِنَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ" اهـ

الرد: قوله الفاسدُ هذا ناشئٌ عن قياسه الخالقَ على المخلوق وجعله صفاتِ الله حادثةً مُتَغَيِّرَةً وهو على زعمه إلى الجِسْمِيَّةِ أَقْرَبُ، وهذا دليل على أَنَّهُ لَمْ يَعْرِفِ الله تعالى ولم يَعْرِفِ عَقِيدَةَ أَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا جَوَارِيَهُمْ وَلَا أَرْقَاءَهُمْ، وَقَوْلُهُ هَذَا تَكْذِيبٌ لِلْإِجْمَاعِ الَّذِي نَقَلَهُ الْإِمَامُ أَبُو شَكُورٍ السَّالِمِيُّ الْحَنْفِيُّ فِي كِتَابِهِ «التَّمْهِيدُ» مِنْذُ أَلْفِ سَنَةٍ عَلَى كُفْرٍ مَنْ قَالَ بِمَا يَكْذِبُ عَقِيدَةَ الصَّحَابَةِ وَالْمُسْلِمِينَ وَقَالَ أَبُو شَكُورٍ أَيْضًا: "مَنْ قَالَ أَنَّ اللهَ جِسْمٌ لَا كَالْأَجْسَامِ فَهُوَ كَافِرٌ، وَقَالَ علاء الدين البخاري في كتابه «مُلْجَمَةُ الْمُجَسِّمَةِ»: فَالْمُجَسِّمُ كَافِرٌ إِجْمَاعًا، وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "مَنْ قَالَ بِمُحْدُوْثٍ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ اللهِ أَوْ شَكَّ أَوْ تَوَقَّفَ فَهُوَ كَافِرٌ"، وَقَالَ إِمَامُنَا الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "الْمُجَسِّمُ كَافِرٌ"، وَقَدْ سَبَقَ فِي هَذَا الرَّدِّ نَقْلُ الْإِجْمَاعِ عَنِ الْمُلَّا عَلِي الْقَارِي عَلَى كُفْرٍ مَنْ حَمَلَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثَ الْمُتَشَابِهَةَ عَلَى ظَوَاهِرِهَا، فَهَذَا ابْنُ رُشْدٍ الْحَفِيدُ لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ وَلَا بَيْنَ

التَّوْحِيدِ وَالثَّرِكِ وَلَا بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، بَلْ هُوَ فِيلْسُوفٌ إِلَى الْإِلْحَادِ
وَالْتَشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ وَالتَّكْذِيبِ أَقْرَبُ.

- ادَّعَاؤُهُ أَنَّ نَفْيَ الْجِسْمِيَّةِ عَنِ اللَّهِ تَعْطِيلٌ لِلشَّرْعِ: يَقُولُ فِي نَفْسِ الْكِتَابِ^(١):
"إِذَا صُرِّحَ بِنَفْيِ الْجِسْمِ عَرَضَتْ فِي الشَّرْعِ شُكُوكٌ كَثِيرَةٌ مِمَّا يُقَالُ فِي الْمَعَادِ
وغير ذلك" اهـ

- ادَّعَاؤُهُ أَنَّ نَفْيَ الْجِسْمِيَّةِ وَالْحَرَكَةِ عَنِ اللَّهِ نَفْيٌ لِمَا جَاءَ فِي الشَّرْعِ مِنْ أَمْرِ
الْحَشْرِ: يَقُولُ فِي نَفْسِ الْكِتَابِ^(٢): "إِذَا صُرِّحَ بِنَفْيِ الْجِسْمِيَّةِ وَجَبَ التَّصْرِيحُ
بِنَفْيِ الْحَرَكَةِ، فَإِذَا صُرِّحَ بِنَفْيِ هَذَا عَسُرَ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الْحَشْرِ مِنْ أَنَّ الْبَارِئَ
يَظْلُعُ عَلَى أَهْلِ الْحَشْرِ وَأَنَّهُ الَّذِي يَتَوَلَّى حِسَابَهُمْ" اهـ

- تَسْمِيَّتُهُ اللَّهَ سَبَبًا: يَقُولُ فِي نَفْسِ الْكِتَابِ^(٣): "فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا كَانَ سَبَبَ
الْمَوْجُودَاتِ وَسَبَبَ إِدْرَاكِهَا لَهَا الْخ" اهـ

(١) المصدر السابق، (ص/١٧٢).

(٢) المصدر السابق، (ص/١٧٢-١٧٣).

(٣) المصدر السابق، (ص/١٧٥).

- ادَّعَاؤُهُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ - قَبْلَ ظُهُورِ الْأَشَاعِرَةِ - أَثْبَتُوا الْجِهَةَ لِلَّهِ: يَقُولُ فِي نَفْسِ الْكِتَابِ^(١): "الْقَوْلُ فِي الْجِهَةِ: وَأَمَّا هَذِهِ الصِّفَةُ فَلَمْ يَزَلْ أَهْلُ الشَّرِيعَةِ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ يُثْبِتُونَهَا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ حَتَّى نَفَتْهَا الْمُعْتَزَلَةُ ثُمَّ تَبِعَهُمْ عَلَى نَفْيِهَا مُتَأَخِّرُونَ الْأَشَاعِرَةَ كَأَبِي الْمَعَالِي وَمَنْ اقْتَدَى بِقَوْلِهِ" اهـ
- ادَّعَاؤُهُ أَنَّ الشَّرْعَ يُثْبِتُ الْجِهَةَ لِلَّهِ: يَقُولُ فِي نَفْسِ الْكِتَابِ^(٢): "وظواهرُ الشَّرْعِ كُلُّهَا تَقْتَضِي إِثْبَاتَ الْجِهَةِ" اهـ
- زَعَمَهُ اتِّفَاقُ الشَّرَائِعِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ مُوجُودٌ فِي السَّمَاءِ: يَقُولُ فِي نَفْسِ الْكِتَابِ^(٣): "وَمِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ [الْمُلْكُ: ١٦] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي إِنْ سُلِّطَ عَلَيْهَا التَّأْوِيلُ عَادَ الشَّرْعُ كُلُّهُ مُؤَوَّلًا، وَإِنْ قِيلَ فِيهَا إِنَّهَا مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ عَادَ الشَّرْعُ مُتَشَابِهًا، لِأَنَّ الشَّرَائِعَ كُلَّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ" اهـ

(١) المصدر السابق، (ص/١٧٦).

(٢) المصدر السابق، (ص/١٧٦).

(٣) المصدر السابق، (ص/١٧٦).

- نَفِيهِ كَوْنَ الْمُتَحَيِّزِ فِي جِهَةٍ جِسْمًا ضَرُورَةً: يَقُولُ فِي نَفْسِ الْكِتَابِ^(١):
"اعْتَقَدُوا أَنَّ إِثْبَاتَ الْجِشْمَةِ يُوجِبُ إِثْبَاتَ الْمَكَانِ، وَإِثْبَاتُ الْمَكَانِ يُوجِبُ
إِثْبَاتَ الْجِسْمِيَّةِ، وَنَحْنُ نَقُولُ إِنَّ هَذَا كُلُّهُ غَيْرُ لَازِمٍ فَإِنَّ الْجِهَةَ غَيْرُ الْمَكَانِ" اهـ
- زَعَمَهُ أَنَّ إِثْبَاتَ الْجِهَةِ لِلَّهِ وَاجِبٌ: يَقُولُ فِي نَفْسِ الْكِتَابِ^(٢): "فَقَدْ ظَهَرَ لَكَ
مِنْ هَذَا أَنَّ إِثْبَاتَ الْجِهَةِ وَاجِبٌ بِالشَّرْعِ وَالْعَقْلِ وَأَنَّهُ الَّذِي جَاءَ بِهِ الشَّرْعُ
وَانْتَبَى عَلَيْهِ، وَأَنَّ إِبْطَالَ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ إِبْطَالٌ لِلشَّرَائِعِ" اهـ
- زَعَمَهُ أَنَّ اللَّهَ يُرَى مُتَحَيِّزًا فِي جِهَةٍ: يَقُولُ فِي نَفْسِ الْكِتَابِ^(٣): "وَأَمَّا إِدْرَاكُ
الْبَصَرِ فظَاهِرٌ مِنْ أَمْرِهِ أَنَّ مِنْ شَرْطِهِ أَنْ يَكُونَ الْمَرِيئُ مِنْهُ فِي جِهَةٍ، وَلَا فِي
جِهَةٍ فَقَطْ بَلْ وَفِي جِهَةٍ مُخْصِصَةٍ" اهـ
- دَعَاؤُهُ أَنَّ الْقَوْلَ يَخْلُقُ الْاِكْتِسَابَ وَالْمُكْتَسَبَ لِلَّهِ مُفْضٍ إِلَى الْقَوْلِ بِالْجَبْرِ:
- يَقُولُ فِي نَفْسِ الْكِتَابِ^(٤): "وَأَمَّا الْأَشْعَرِيَّةُ فَإِنَّهُمْ رَامُوا أَنْ يَأْتُوا بِقَوْلٍ وَسَطٍ
بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ فَقَالُوا: إِنَّ لِلْإِنْسَانِ كَسْبًا وَإِنَّ الْمُكْتَسَبَ بِهِ وَالْكَسْبَ مَخْلُوقَانِ

(١) المصدر السابق، (ص/١٧٦-١٧٧).

(٢) المصدر السابق، (ص/١٧٨).

(٣) المصدر السابق، (ص/١٨٦).

(٤) المصدر السابق، (ص/٢٢٤).

لِلّهِ تَعَالَى. وَهَذَا لَا مَعْنَى لَهُ، فَإِنَّ إِذَا كَانَ الْاِكْتِسَابُ وَالْكَسْبُ مَخْلُوقَانِ لِلّهِ
سُبْحَانَهُ فَالْعَبْدُ وَلَا بُدَّ مُجْبُورٌ عَلَى اِكْتِسَابِهِ " اهـ
وَيَكْفِي الْعَاقِلَ أَنْ يَنْظُرَ فِي بَقِيَّةِ كَلَامِهِ فَيَعْرِفَ عَلَيْهِ رَدًّا، فَهَذَا ابْنُ رُشْدٍ
الْحَفِيدُ عَبْدٌ أَذَلَّهُ اللَّهُ وَأَخْزَاهُ.



كِتَابُ الزَّكَاةِ

(٧١) وجوبُ الزَّكَاةِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(١): الزكاةُ واجبة بالكتاب والسُّنة والإجماع فلا خلاف في ذلك.

(٧٢) مَنْ تَجِبُ عَلَيْهِ الزَّكَاةُ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهَا وَاجِبَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ حُرٍّ بَالِغٍ عَاقِلٍ مَالِكٍ لِلنِّصَابِ مِلْكًا تَامًّا^(٢).

(٧٣) مَا تَجِبُ فِيهِ الزَّكَاةُ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الزَّكَاةَ تَجِبُ فِي ثَمَانِيَةِ أَشْيَاءَ مَحْصُورَةٍ فِي الْمَوْلَدَاتِ مِنْ مَعْدِنٍ وَنَبَاتٍ وَحَيَوَانٍ، فَاَلْمَعْدِنُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ، وَالتَّنَبَاتُ الْحِنْطَةُ وَالشَّعِيرُ وَالتَّمْرُ، وَالْحَيَوَانُ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ^(٣).

(١) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٢٥٦/٢).

(٢) المصدر السابق، (٢٥٧/٢).

(٣) المصدر السابق، (٢٦٧/٢).

قال الحافظ ابن القَطَّان رحمه الله^(١): "ولا تَحِبُّ الزَّكَاةُ إِلَّا فِي ثَمَانِيَةِ أَصْنَافٍ: الذَّهَبُ، وَالْفِضَّةُ، وَالْقَمْحُ، وَالشَّعِيرُ، وَالتَّمْرُ، وَالْإِبِلُ، وَالْبَقَرُ، وَالْغَنَمُ، وَلَا خِلَافَ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي وُجُوبِ الزَّكَاةِ فِي هَذِهِ الْأَنْوَاعِ" اهـ

(٧٤) زَكَاةُ الْأَوْقَاصِ فِي الْمَاشِيَةِ لَا فِي الْحُبُوبِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(٢): أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى زَكَاةِ الْأَوْقَاصِ فِي الْمَاشِيَةِ وَعَلَى أَنَّهُ لَا أَوْقَاصَ فِي الْحُبُوبِ.

قال الحافظ النووي رحمه الله^(٣): "وَكَذَلِكَ أَجْمَعُوا فِيمَا زَادَ فِي الْحَبِّ وَالتَّمْرِ أَنَّهُ يَجِبُ فِيمَا زَادَ عَلَى خَمْسَةِ أَوْسُقٍ بِحِسَابِهِ وَأَنَّهُ لَا أَوْقَاصَ فِيهَا" اهـ

(٧٥) التَّأَخُّرُ فِي إِخْرَاجِ الزَّكَاةِ حَتَّى تَلْفَ الْمَالُ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: إِذَا وَجَبَتِ الزَّكَاةُ وَتَمَكَّنَ الْإِخْرَاجَ فَلَمْ يُخْرِجْ حَتَّى ذَهَبَ بَعْضُ الْمَالِ فَإِنَّهُ ضَامِنٌ بِاتِّفَاقٍ^(٤).

(١) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القَطَّان، (١٩٧/١).

(٢) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٣١٧/٢).

(٣) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محي الدين التَّووي، (٤٩/٧).

(٤) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٢٦٥/٢).

٧٦) الزكاة في التّبات:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: في صِنْفٍ واحدٍ مِنَ الثَّمَرِ وهو الثَّمَرُ خاصّةً، هذا بالاتِّفَاقِ بلا خِلافٍ، وما عدا هذا مِمَّا يُزَكَّى فِيخِلافٍ غَيْرِ مُجْمَعٍ عَلَيْهِ فَمِنْهُ خِلافٌ شاذٌّ وَمِنْهُ غَيْرُ شاذٍّ^(١).

٧٧) زكاة الفِضة:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: زكاةُ الْوَرِقِ: اتَّفَقُوا على أَنَّهُ خَمْسُ أَوَاقٍ لِلخَبَرِ الصَّحِيحِ^(٢).

قال الحافظ ابن القَطَّان رحمه الله^(٣): "وأَجْمَعُوا على حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسِ أَوَاقٍ صَدَقَةٌ» اهـ

٧٨) زكاة الإِبِل:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: الإِبِل: الزَّكَاةُ فِيهَا بِالاتِّفَاقِ^(٤).

(١) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٣١٥/٢).

(٢) المصدر السَّابِق، (٣١٥/٢).

(٣) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القَطَّان، (٢٣١/١).

(٤) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٣١٩/٢).

(٧٩) زكاة الغنم:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: الغنم: الاتفاق على الزكاة فيها بلا خلاف^(١).

(٨٠) زكاة البقر:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: البقر: والاتفاق أيضًا من علماء الشريعة على الزكاة فيها^(٢).

(٨١) حكم الحرص:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: الاتفاق على إجازة الحرص فيما يُحرص من التخييل وغير ذلك وهو تقدير النصاب في ذلك حتى يقوم مقام الكيل^(٣).



(١) الفتوحات المكية، محي الدين بن عربي، (٣٢٠/٢).

(٢) المصدر السابق، (٣٢١/٢).

(٣) المصدر السابق، (٣٢٢/٢).

كِتَابُ الصَّيَامِ

(٨٢) ما يجب إمساك الصائم عنه:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(١): أجمَعوا على أنه يجب على الصائم الإمساك عن المطعوم والمشروب والجماع.

قال الحافظ ابن القَطَّان رحمه الله^(٢): "وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْأَكْلَ لِمَا يُغَذِّي مِنَ الطَّعَامِ مِمَّا يُسْتَأْنَفُ إِدْخَالُهُ فِي الْفَمِ وَالشُّرْبُ وَالْوَطْءُ حَرَامٌ مِنْ حِينَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى غُرُوبِهَا" اهـ.

(٨٣) زَمَانُ الْإِمْسَاكِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ عَاخِرَهُ غَيْبُوبَةُ الشَّمْسِ^(٣).
قال الحافظ ابن القَطَّان رحمه الله^(٤): "وَأَجْمَعُوا أَنَّهُ إِذَا حَلَّتْ صَلَاةُ الْمَغْرِبِ حَلَّ الْفِطْرِ" اهـ.

(١) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٣٣٨/٢).

(٢) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القَطَّان، (٢٣١/١).

(٣) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٣٣٧/٢).

(٤) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القَطَّان، (٢٣٥/١).

(٨٤) حُكْم صِيَامِ الْمَرِيضِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(١): أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْمَرِيضَ إِنْ صَامَ رَمَضَانَ فِي حَالِ مَرَضِهِ أَجْزَأُهُ.

قال الفقيه الوزير ابن هُبَيْرَةَ^(٢): "وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْمَرِيضَ إِذَا كَانَ الصَّوْمُ يَزِيدُ فِي مَرَضِهِ أَنْ يُفْطَرَ وَيَقْضَى، وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ إِنْ تَحَمَّلَ وَصَامَ أَجْزَأُهُ" اهـ

(٨٥) حُكْم صِيَامِ الْعَجُوزِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(٣): فِي الشَّيْخِ وَالْعَجُوزِ: أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُمَا إِذَا لَمْ يَقْدِرَا عَلَى الصَّوْمِ أَنْ يُفْطِرَا.

قالَ الْحَافِظُ ابْنُ الْمُنْذِرِ رحمه الله^(٤): "وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ لِلشَّيْخِ الْكَبِيرِ وَالْعَجُوزِ الْعَاجِزِينَ عَنِ الصَّوْمِ أَنْ يُفْطِرَا" اهـ

(٨٦) مَنْ جَامَعَ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ عَامِدًا عَالِمًا ذَاكِرًا:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: مَنْ جَامَعَ مُتَعَمِّدًا فِي رَمَضَانَ أَجْمَعُوا أَنَّ عَلَيْهِ

(١) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٣١٧/٢).

(٢) اختلاف الأئمة العلماء، الوزير ابن هُبَيْرَةَ، (٢٤٨/١).

(٣) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٣٥١/٢).

(٤) الإجماع، أبو بكر بن المنذر، (ص/٥٠).

القضاء والكفارة^(١).

قال الحافظ ابن القَطَّان رحمه الله^(٢): "وأَجْمَعَ الْجَمِيعُ أَنَّ مَنْ جَامَعَ بَعْدَ الْفَجْرِ فِي رَمَضَانَ أَنَّهُ عَاصٍ إِذَا كَانَ عَالِمًا بِالنَّهْيِ عَنْ ذَلِكَ وَعَلَيْهِ الْقَضَاءُ وَالْكَفَّارَةُ" اهـ.

(٨٧) مَنْ أَخَّرَ قِضَاءَ رَمَضَانَ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانٌ آخَرُ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(٣): أَوْجَبَ الْكَفَّارَةُ عَلَيْهِ بَعْضُهُمْ، وَالْقَضَاءُ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ عِنْدَ الْجَمِيعِ.

قال الحافظ ابن القَطَّان رحمه الله^(٤): "وَلَا قِضَاءَ إِلَّا خَمْسَةً فَقَطِ الْحَائِضُ وَالنَّفْسَاءُ يَقْضِيَانِ أَيَّامَ الْحَيْضِ وَالنِّفَاسِ، لَا خِلَافَ فِي ذَلِكَ مِنْ أَحَدٍ، وَالْمَرِيضُ وَالْمَسَافِرُ سَفَرًا تُقْصَرُ فِيهِ الصَّلَاةُ وَالْمُتَقَيُّ عَمَدًا، وَهَذَا كُلُّهُ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ فِي الْمَرِيضِ وَالْمَسَافِرِ إِذَا أَفْطَرَا" اهـ.

(٨٨) صَوْمُ الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: الْفِطْرُ وَالْأَضْحَى: فَإِنَّ الْفِطْرَ فِيهِمَا وَاجِبٌ

(١) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٣٥١/٢).

(٢) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القَطَّان، (٢٣٥/١).

(٣) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٢٣٠/٢).

(٤) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القَطَّان، (٢٣٥/١).

بالإتِّفاق^(١).

قال الحافظ ابن القَطَّان رحمه الله^(٢): «وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ صِيَامِ يَوْمَيْنِ: يَوْمِ الْفِطْرِ وَيَوْمِ الْأَضْحَى»، وَلَا خِلَافَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ صِيَامُ هَذَيْنِ الْيَوْمَيْنِ عَلَى حَالِ التَّطَوُّعِ وَلَا نَازِرٍ وَلَا قَاضٍ فَرَضًا وَلَا لِمُتَمَتِّعٍ وَلَا لِأَحَدٍ، وَصِيَامُهُمَا حَرَامٌ أَهـ.

(٨٩) وجوبُ صِيَامِ رَمَضَانَ عَلَى الْمُغَمَّى عَلَيْهِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى وَجوبِهِ عَلَى الْمُغَمَّى عَلَيْهِ^(٣).



(١) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٤٠٠/٢).

(٢) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القَطَّان، (٢٣٢/١).

(٣) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٣٤٧/٢).

كِتَابُ الْحَجِّ

(٩٠) تحريمُ الوطءِ على المُحَرَّمِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(١): أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ الْوَطْءَ يَحْرُمُ عَلَى الْمُحَرَّمِ مُطْلَقًا.

قال الحافظ ابن القَطَّان رحمه الله^(٢): "وَاتَّفَقَ الْجَمِيعُ أَنَّ الْوَطْءَ مُحَرَّمٌ عَلَى الْمُحَرَّمِ" اهـ

(٩١) تقبيلُ الحجرِ الأسود:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(٣): وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ تَقْبِيلَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ خَاصَّةً مِنْ سُنَنِ الطَّوَافِ.

قال الحافظ ابن القَطَّان رحمه الله^(٤): "وَلَا خِلَافَ فِي أَنَّ تَقْبِيلَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فِي الطَّوَافِ مِنْ سُنَنِ الْحَجِّ لِمَنْ قَدَّرَ عَلَيْهِ" اهـ

(١) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٤٤٤/٢).

(٢) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القَطَّان، (٥٢٧/١).

(٣) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٤٧٤/٢).

(٤) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القَطَّان، (٢٧٣/١).

(٩٢) مشروعية ركعتين بعد الطواف:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(١): أجمع العلماء على أنه من سنن الطواف ركعتان بعد انقضاء الطواف.

قال الفقيه الوزير ابن هبيرة^(٢): "وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ رَكَعَتِي الطَّوْفِ مَشْرُوعَةٌ ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي وُجُوبِهَا" اهـ

(٩٣) وجوب طواف الإفاضة:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(٣): أجمعوا على أن الواجب من هذه الأطواف الثلاثة الذي يَفُوتُهُ يَفُوتُ الْحُجُّ هو طَوَافُ الْإِفَاضَةِ.

قال الحافظ ابن المنذر رحمه الله^(٤): "وَأَجْمَعُوا أَنَّ الطَّوْفَ الْوَاجِبَ هُوَ طَوَافُ الْإِفَاضَةِ" اهـ

(٩٤) وجوب الوقوف بعرفة للحاج:

(١) الفتوحات المكية، محي الدين بن عربي، (٤٧٥/٢).

(٢) اختلاف الأئمة العلماء، الوزير ابن هبيرة، (٢٨٦/١).

(٣) الفتوحات المكية، محي الدين بن عربي، (٤٧٥/٢).

(٤) الإجماع، أبو بكر بن المنذر، (ص/٥٨).

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(١): أما الوقوف بعرفة فإنهم أجمعوا على أنه ركنٌ من أركان الحج.

قال الحافظ ابن المنذر رحمه الله^(٢): "وأجمعوا على أن الوقوف بعرفة فرض، ولا حج لمن فاتته الوقوف بها" اهـ

٩٥) الجمع بين الصلاتين بعرفة:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: اتفق العلماء كلهم على الجمع بين الظهر والعصر في أول الظهر يوم عرفة بعرفة وعلى الجمع بين المغرب والعشاء بتأخير المغرب إلى وقت العشاء بالمزدلفة^(٣).

قال الحافظ ابن القطان رحمه الله^(٤): "وأجمع كل من يحفظ عنه من أهل العلم على أن الإمام يجمع بين الصلاتين الظهر والعصر بعرفة في يوم عرفة، كذلك يفعل من صلى مع الإمام" اهـ

(١) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٤٨٦/٢).

(٢) الإجماع، أبو بكر بن المنذر، (ص/٥٧).

(٣) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (١٣٩/٢).

(٤) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القطان، (٢٧٧/١).

٩٦) الخُطبة يومَ عرفةَ ويومَ الجمعةِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(١): وأجمع العلماء على أنّ الإمامَ لو لم يَخْطُبْ يومَ عرفةَ قبل الصلاةِ أنّ صلاته جائزةٌ بخلاف الجمعةِ.

قال الحافظ ابن القَطّان رحمه الله^(٢): "وأجمعوا أنّ الإمامَ إنْ صَلَّى بعرفةَ بِغَيْرِ خُطبةٍ أَجزأهُ. والإجماعُ مُنْعِدٌّ أنّ الإمامَ لو لم يَخْطُبْ بالتّاسِ يومَ الجمعةِ لم يُصَلُّوا إلّا أربعاً" اهـ

٩٧) الإسرارُ في الصّلاةِ بعرفةَ والجهْرُ في الجمعةِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(٣): أجمعوا على أنّ القراءةَ في هذه الصلاةِ سِرًّا لا جَهْرًا بخلافِ الجمعةِ.

قال الحافظ ابن القَطّان رحمه الله^(٤): "وأجمعوا أنّ التَّيَّ عليه السلامُ إنّما صَلَّى بعرفةَ صلاةَ المُسافرِ لا صلاةَ جُمعةٍ ولم يَجْهَرْ. وأجمعوا أنّ الإمامَ إنْ صَلَّى بِغَيْرِ

(١) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٤٨٨/٢).

(٢) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القَطّان، (١٦٣/١).

(٣) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٤٨٨/٢).

(٤) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القَطّان، (٢٧٧/١).

خُطْبَةٍ أَجْزَأُ، وَأَنَّهُ يُسَرُّ الْقِرَاءَةَ، وَيَقْصُرُ إِنْ كَانَ مُسَافِرًا" اهـ

(٩٨) حُكْم النَّحْرِ قَبْلَ الرَّمِي:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(١): "وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ مَنْ نَحَرَ قَبْلَ أَنْ يَرْمِيَ فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ.

قال الحافظ ابن القَطَّان رحمه الله^(٢): "وَلَا نَعْلَمُ خِلَافًا أَنَّهُ لَا شَيْءَ عَلَى مَنْ نَحَرَ قَبْلَ أَنْ يَرْمِيَ لِجُلُوعِ الْهَدْيِ مَحَلَّهُ" اهـ.

(٩٩) عَدَمُ الْإِعْتِدَادِ بِالْحِصَاةِ الْخَارِجَةِ عَنِ الْعَقَبَةِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(٣): "وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ يُعِيدُ الرَّمِيَّ إِذَا لَمْ تَقْعِ الْحِصَاةُ فِي الْعَقَبَةِ.

قال الحافظ ابن القَطَّان رحمه الله^(٤): "وَأَجْمَعُوا أَنَّ مَنْ رَمَاهَا فَوْقَ الْوَادِي وَأَسْفَلَهُ أَوْ أَمَامَهُ فَقَدْ أَجْزَأُ، وَإِنْ وَقَعَتِ الْحِصَاةُ فِي الْعَقَبَةِ أَجْزَأُ، وَإِنْ لَمْ تَقْعْ فِيهَا وَلَا

(١) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٤٩٧/٢).

(٢) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القَطَّان، (٢٩٣/١).

(٣) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٤٩٧/٢).

(٤) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القَطَّان، (٢٧٩/١).

قَرِيبًا مِنْهَا أَعَادَ وَلَمْ يُجْزِئْهُ" اهـ

(١٠٠) جَزَاءُ الْمُحْرِمِ إِذَا قَتَلَ صَيْدًا:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(١): إجماعهم على أَنَّ الْمُحْرِمَ إِذَا قَتَلَ الصَّيْدَ أَنَّ عَلَيْهِ الْجَزَاءَ.

قال الحافظ ابن القَطَّان رحمه الله^(٢): "وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ قَتْلَ الصَّيْدِ بِمَكَّةَ وَمِثْلِي وَسَائِرِ الْحَرَمِ سَوَاءٌ فِي وُجُوبِ الْجَزَاءِ عَلَيْهِ" اهـ

(١٠١) فِدْيَةُ الْأَذَى:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(٣): أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهَا وَاجِبَةٌ عَلَى مَنْ أَمَاطَ الْأَذَى مِنْ ضَرُورَةٍ.

قال الحافظ ابن القَطَّان رحمه الله^(٤): "وَأَجْمَعُوا أَنَّ الْفِدْيَةَ عَلَى مَنْ حَلَقَ رَأْسَهُ مِنْ عُذْرٍ أَوْ ضَرُورَةٍ" اهـ

(١) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٥١٣/٢).

(٢) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القَطَّان، (٢٩٦/١).

(٣) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٥١٣/٢).

(٤) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القَطَّان، (٢٩٥/١).

(١٠٢) الْمُتَعَةُ بِالْعُمْرَةِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(١): لا خلاف في وجوبها.

قال الحافظ ابن القَطَّان رحمه الله^(٢): "وأجمع أهل العلم على أن من أهل بعُمرَةٍ في أشهر الحج من أهل الآفاق من الميقاتِ وقَدِمَ مَكَّةَ منها وأقام بها فحجَّ من عامه أنه مُتَمَتِّعٌ وعليه الهَدْيُ إن وَجَدَ وإلا الصَّيَامُ" اهـ

(١٠٣) التَّرتِيبُ في كَفَّارَةِ التَّمَتُّعِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(٣): وأجمعوا على أن هذه الكَفَّارَةُ على التَّرتِيبِ فلا يكونُ الصَّيَامُ إلا بَعْدَ أن لا يَجِدَ هَدْيًا. يؤيِّدُهُ التَّقْلُ السَّابِقُ للحافظِ ابنِ القَطَّانِ رحمه الله.

(١٠٤) مَوَاقِيتُ الإِحْرَامِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: المَوَاقِيتُ المَكَانِيَّةُ للإِحْرَامِ: وهي أَرْبَعَةٌ بِالاِتِّفَاقِ وخَمْسَةٌ بِاخْتِلَافٍ^(٤).

(١) الفتوحات المكيَّة، محي الدين بن عربي، (٥٤٩/٢).

(٢) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القَطَّان، (٢٨٣/١).

(٣) الفتوحات المكيَّة، محي الدين بن عربي، (٥٤٩/٢).

(٤) المصدر السابق، (٤٣٢/٢).

قال الحافظ ابن القَطَّان رحمه الله^(١): "وَبَتَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَّتَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ذَا الْحَلِيفَةِ، وَلِأَهْلِ الشَّامِ الْجُحْفَةَ، وَلِأَهْلِ نَجْدٍ قَرْنَ، وَلِأَهْلِ الْيَمَنِ يَلْمَلَمَ، وَأَجْمَعَ عَوَامُّ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى الْقَوْلِ بظَاهِرِ هَذَا الْحَدِيثِ، وَاخْتَلَفُوا فِيمَنْ مَرَّ بِذَاتِ عِرْقٍ، وَفِي الْمَكَانِ الَّذِي يَحْرُمُ مِنْهُ مَنْ أَتَى مِنَ الْعِرَاقِ عَلَى ذَاتِ عِرْقٍ" اهـ

(١٠٥) لُبْسُ الْمَصْبُوغِ بِالْوَرَسِ وَالزَّعْفَرَانِ لِلْمُحْرَمِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(٢): اِخْتِلَافُ النَّاسِ فِي لِبَاسِ الْمُحْرَمِ الْمُعْصَفَرِ بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى أَنَّهُ لَا يَلْبَسُ الْمَصْبُوغَ بِالْوَرَسِ وَلَا الزَّعْفَرَانِ. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ الْمُنْذِرِ رحمه الله^(٣): "وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْمُحْرَمَ مَمْنُوعٌ مِنْ لُبْسِ زَعْفَرَانٍ أَوْ وَرَسٍ" اهـ

(١٠٦) غُسْلُ الْمُحْرَمِ بَعْدَ إِحْرَامِهِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(٤): اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهُ يَجُوزُ لَهُ غَسْلُ رَأْسِهِ مِنَ الْجَنَابَةِ.

(١) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القَطَّان، (٢٤٩/١).

(٢) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٤٤٣/٢).

(٣) الإجماع، أبو بكر بن المنذر، (ص/٥٣).

(٤) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٤٤٧/٢).

قال الحافظ ابن المنذر رحمه الله^(١): "وأجمعوا على أنَّ للمُحْرَمِ أَنْ يَغْتَسِلَ مِنَ
الجنابة" اهـ

(١٠٧) صَوْمُ الْمُتَمَتِّعِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله^(٢): وَأَمَّا السَّبْعَةُ الْأَيَّامُ فَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهُ إِنْ صَامَهَا
فِي أَهْلِهِ أَجْزَأُهُ وَاخْتَلَفُوا إِذَا صَامَهَا فِي الطَّرِيقِ.
وكذلك نقله ابنُ عَبْدِ الْبَرِّ الْمُجَسِّمُ فِي «الاستذكار»^(٣) عَنِ الْفُقَهَاءِ.

(١٠٨) تَحْرِيمُ صَيْدِ الْبَرِّ عَلَى الْمُحْرَمِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: اتَّفَقُوا عَلَى ذَلِكَ^(٤).

(١) الإجماع، أبو بكر بن المنذر، (ص/٥٤).

(٢) المصدر السابق، (٢/٥٤٩).

(٣) الاستذكار، ابن عبد البر المجسم، (٤/١٠٢).

وإنما ننقل عن ابن عبد البر استظهاراً وبياناً لما ينقله عن فقهاء أهل السنة من الحق لا
نصرة له، وإلا فابن عبد البر مجسم جهوي مشبه وقد بينا حاله من كتبه ومقالاته في
كتابنا «الكشف الحلي لحقيقة المشبه ابن عبد البر وابن بطّة والذهبي» فراجع.

(٤) الفتوحات المكية، محي الدين بن عربي، (٢/٤٥٠).

قال الحافظ ابن المنذر رحمه الله^(١): "وأجمعوا على أنَّ المُحرَمَ ممنوعٌ مِنَ الجماع، وقَتْلِ الصَّيْدِ، والطَّيْبِ، وَبَعْضِ اللِّبَاسِ، وأَخَذِ الشَّعْرِ، وتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ" اهـ.

(١٠٩) لا دَمَ على المَكِّيِّ المَتَمَتِّعِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: اختلفوا في المَكِّيِّ هل يَقَعُ منه التَّمَتُّعُ أم لا يَقَعُ فَمِنْ قَائِلٍ إِنَّهُ يَقَعُ مِنْهُ التَّمَتُّعُ، وَاتَّفَقُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَيْهِ دَمٌ^(٢).

(١١٠) الإِحْرَامُ لِلْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: والإِحْرَامُ رُكْنٌ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْعَمَلَيْنِ وبِالِاتِّفَاقِ جَوَازُهُ^(٣).

(١١١) الطَّهَارَةُ لِلسَّعْيِ بَيْنَ الصَّفا وَالْمَرَّةِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: اتَّفَقُوا أَنَّهُ لَا يُشْتَرَطُ الطَّهَارَةُ مِنَ الْحَدَثِ فِي هَذَا

(١) الإجماع، أبو بكر بن المنذر، (ص/٥٤).

(٢) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٢/٤٥٥).

(٣) المصدر السابق، (٢/٤٥٩).

النُّسك^(١).

قال الحافظ ابن القَطَّان رحمه الله^(٢): "ولا أَعْلَمُ مَنْ اشْتَرَطَ الطَّهَارَةَ فِي السَّعْيِ بَيْنَ الصَّفا والمَرُوةِ إِلَّا الحَسَنَ البَصْرِيَّ" اهـ

(١١٢) عَدَدُ أَحْجَارِ رَمَى الْعَقْبَةِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: أما جَمْرَةُ الْعَقْبَةِ فَمَوْضِعُ الْإِتِّفَاقِ فِيهَا أَنْ تُرْمَى مِنْ بَعْدِ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى قَرِيبٍ مِنَ الْإِسْتِواءِ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ يَوْمَ التَّحْرُلِ لَا يُرْمَى فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ غَيْرُهَا، وَاخْتَلَفُوا فِي رَمْيِهَا قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ^(٣).

قال الحافظ ابن القَطَّان رحمه الله^(٤): "وَاتَّفَقُوا أَنَّ مَنْ رَمَى جَمْرَةَ الْعَقْبَةِ يَوْمَ التَّحْرُلِ قَبْلَ الزَّوَالِ سَبْعَ حَصَيَاتٍ كَحَصَى الْحَذَفِ فَقَدْ رَمَى" اهـ

(١١٣) جُمْلَةُ عَدَدِ مَا يَرْمِيهِ الْحَاجُّ مِنَ الْحَصَى:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ جُمْلَةَ مَا يَرْمِيهِ الْحَاجُّ سَبْعُونَ

(١) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٤٨٤/٢).

(٢) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القَطَّان، (٢٨٦/١).

(٣) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٤٩٦/٢).

(٤) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن بن القَطَّان، (٢٠٨/١).

حصاة^(١).

(١١٤) وجوب الحج:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: وَجُوبُ الْحَجِّ: لَا خِلَافَ فِي وَجُوبِهِ بَيْنَ عُلَمَاءِ
الإسلام^(٢).

(١١٥) مِنْ شُرُوطِ صِحَّةِ الْحَجِّ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: لَا خِلَافَ أَنَّ مِنْ شَرَطِ صِحَّتِهِ الْإِسْلَامَ، إِذْ لَا
يَصِحُّ مِمَّنْ لَيْسَ بِمُسْلِمٍ. الْإِسْلَامُ الْانْقِيَادُ إِلَى مَا دَعَاكَ الْحَقُّ إِلَيْهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا
عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي دَعَاكَ أَنْ تَكُونَ عَلَيْهَا عِنْدَ الْإِجَابَةِ^(٣).

(١١٦) إِحْرَامٌ مَنْ يَمْشِي حَافِيًا:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: لَا خِلَافَ فِي صِحَّةِ إِحْرَامِهِ وَهُوَ مَسْكُوتٌ عَنْهُ،

(١) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٤٩٧/٢).

(٢) المصدر السابق، (٣٧٩/٢).

(٣) المصدر السابق، (٤٢٣/٢).

وَكُلُّ مَا سَكَتَ عَنْهُ الشَّرْعُ فَهُوَ عَافِيَةٌ^(١)-(٢).

(١١٧) حُكْم السَّعْيِ لِلْحَائِضِ وَالْمُحْدِثِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ مِنْ شَرْطِهِ الطَّهَارَةُ مِنَ الْحَيْضِ،
فَأَمَّا الطَّهَارَةُ مِنَ الْحَدَثِ فَكُلُّهُمْ قَالُوا: لَيْسَ مِنْ شَرْطِهِ الطَّهَارَةُ مِنَ الْحَدَثِ إِلَّا
الْحَسَنُ^(٣).

(١١٨) التَّرْتِيبُ بَيْنَ الطَّوَافِ وَالسَّعْيِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ السَّعْيَ مَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ
الطَّوَافِ بِالْبَيْتِ وَأَنَّهُ مَنْ سَعَى قَبْلَ الطَّوَافِ يَرْجِعُ فَيَطُوفُ^(٤).
قال الحافظ ابن القَطَّان رحمه الله^(٥): "وَلَا خِلَافَ أَنَّ الطَّوَافَ بِالْبَيْتِ فِي الْحَجِّ
وَالْعُمْرَةِ قَبْلَ الطَّوَافِ بَيْنَ الصَّافَا وَالْمَرَّةِ" اهـ

(١) أَي رَحْمَةً لِلْعِبَادِ، وَهَذَا مَعْنَى مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ.

(٢) الْفَتْوحَاتُ الْمَكِّيَّةُ، مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَرَبِيٍّ، (٤٤٢/٢).

(٣) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، (٤٨٤/٢).

(٤) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، (٤٨٥/٢).

(٥) الْإِقْنَاعُ فِي مَسَائِلِ الْإِجْمَاعِ، أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْقَطَّانِ، (٢٦٦/١).

(١١٩) الْمَبِيتُ بِالْمُزْدَلِفَةِ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: أجمع العلماء على أنه من بات بالمُزْدَلِفَةِ وصَلَّى فيها الْمَغْرِبَ والعِشاءَ وصَلَّى الصُّبْحَ يومَ النَّحْرِ وَوَقَفَ بَعْدَ الصَّلَاةِ إلى أنْ أَسْفَرَ ثُمَّ دَفَعَ إلى مَنْى أَنْ حَجَّه تَامٌ^(١).

(١٢٠) صِيَامُ الْمُتَمَتِّعِ السَّبْعَةِ إِذَا لَمْ يَجِدِ الْهَدْيَ:

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: وأما السَّبْعَةُ الْأَيَّامُ فَاتَّفَقُوا على أَنَّهُ إِنْ صَامَهَا فِي أَهْلِهِ أَجْزَأُهُ^(٢).



(١) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٤٩٥/٢).

(٢) المصدر السابق، (٥٤٩/٢).

المصادر والمراجع

اختلاف الأئمة العلماء، يحيى بن هُبَيْرَة بن محمد بن هُبَيْرَة الشيباني، تحقيق يوسف أحمد، ط. ١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية - بيروت.

الإجماع، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد، ط. ١، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، دار المسلم للنشر والتوزيع - الرياض.

الاستذكار، ابن عبد البرّ المجيّم، ط. ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية - بيروت.

الإقناع في مسائل الإجماع، علي بن محمد الكتامي الفاسي المعروف بأبي الحسن بن القَطّان، تحقيق حسن فوزي الصعيدي، ط. ١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر - القاهرة.

الأوسط في السُّنن والإجماع والاختلاف، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، تحقيق أحمد بن سليمان بن أيوب، ط. ١، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، دار الفلاح للنشر والتوزيع - عمّان.

الفتوحات المكيّة، أبو بكر محي الدين محمد بن علي بن عربي الحاتمي، ط. ١، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، دار الكتب العلمية - بيروت.

المسالك في شرح مَوْطَأ مالك، أبو بكر بن العربي المالكي، ط. ١، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، دار الغرب الإسلامي.

المسمى «الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة»، ابن رشد الحفيد الفيلسوف
المجسم، ط. ٢، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة.

المسمى «تهافت التهافت»، ابن رشد الحفيد الفيلسوف المجسم، ط. ١، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م،
دار المعارف - القاهرة.

المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف
النووي، ط. ٢، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رشد الحفيد الفيلسوف المجسم، ط. ١، ١٤٢٥هـ /
٢٠٠٤م، دار الحديث - القاهرة.

الفهرست

المقدمة.....	٢
كتاب العقائد.....	٣
(١) العقل يدُلُّ على أنَّ الحوادث لا تقوم بالله.....	٣
(٢) دينُ الأنبياء واحدٌ هو الإسلامُ.....	٣
(٣) إيمانُ العوامِّ المُقلِّدين.....	٤
(٤) كُُلُّ الأنبياء مؤمنون بالله تعالى.....	٥
(٥) الأخذُ بالدليل القطعي.....	٥
(٦) الثبوتُ غيرُ مكتسب.....	٦
(٧) نبوةُ عيسى عليه السلام ونزوله آخر الزمان.....	٦
(٨) الآية فثَمَّ وَجْهُ الله.....	٧
(٩) الخبرُ المعمولُ به بلا خلاف.....	٧
(١٠) صحَّةُ النسخ.....	٨
(١١) تقديمُ الشرع على الواردِ القلبي.....	٩
(١٢) رفعُ الخطأ والنسيان.....	١٠
(١٣) قيامُ الدلالة مقامَ النص.....	١٠

- ١٤) خُلُودُ أَهْلِ الدَّارَيْنِ فِيهِمَا ١١
- كِتَابَا الطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ ١٢
- ١٥) الطَّهَارَةُ شَرْطٌ لِحَقِّ الصَّلَاةِ ١٢
- ١٦) غَسْلُ الدِّرَاعَيْنِ مَعَ الْيَدَيْنِ فَرَضٌ فِي الْوُضُوءِ ١٢
- ١٧) خُرُوجُ وَقْتِ الْعِشَاءِ ١٤
- ١٨) اسْتِقْبَالُ الْقِبْلَةِ شَرْطٌ لِحَقِّ الصَّلَاةِ ١٤
- ١٩) لَيْسَ كُلُّ أَفْعَالِ الصَّلَاةِ فَرَضًا ١٥
- ٢٠) تَسْوِيَةُ الصُّفُوفِ فِي الصَّلَاةِ وَتَرَاصُّهَا ١٥
- ٢١) الرِّجْلَانِ مِنَ أَعْضَاءِ الْوُضُوءِ ١٦
- ٢٢) غَسْلُ الْوَجْهِ فِي الْوُضُوءِ ١٧
- ٢٣) مَسْحُ الرَّأْسِ مَرَّةً وَاحِدَةً ١٧
- ٢٤) مَا يَنْقُضُ الطَّهَارَةَ ١٧
- ٢٥) الْحَائِثُ فِي الْقِبْلَةِ ١٧
- ٢٦) اتِّبَاعُ الْمُؤْمِمِ الْإِمَامَ ١٨
- ٢٧) عَادَابُ الْجُمُعَةِ ١٨
- ٢٨) الْغُسْلُ يَوْمَ الْعِيدَيْنِ ١٨
- ٢٩) الْوُضُوءُ شَرْطٌ لِحَقِّ الصَّلَاةِ ١٩

- ٣٠) نجاسة الأعيان..... ١٩
- ٣١) دخول وقت الظهر..... ١٩
- ٣٢) وقت الأذان ٢٠
- ٣٣) ستر العورة..... ٢٠
- ٣٤) في اللباس في الصلاة..... ٢١
- ٣٥) أجزاء الصلاة على الأرض بلا حائل ٢١
- ٣٦) النية في الصلاة..... ٢١
- ٣٧) السجود على الأعضاء..... ٢٢
- ٣٨) القيام في صلاة الفرض للقادر..... ٢٢
- ٣٩) وجوب صلاة الجمعة..... ٢٣
- ٤٠) تسوية الصفوف في الصلاة..... ٢٣
- ٤١) الأفعال والأقوال التي يسجد لها القائلون بسجود السهو..... ٢٣
- ٤٢) سجود السهو لمن هو..... ٢٤
- ٤٣) أجزاء السجود على الأنف مع الجبهة..... ٢٤
- ٤٤) مشروعية صلاة الخوف..... ٢٤
- ٤٥) لا يسقط التكليف بالصلاة عن المريض المكلف بها..... ٢٥
- ٤٦) وسع وقت القراءة في صلاة العيد..... ٢٥

- (٤٧) جَوَازُ تَغْسِيلِ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا الْمَيِّتَ ٢٦
- (٤٨) مَنَعَ تَغْسِيلِ الْمَطْلُوقَةِ الْمَبْتُوتَةِ زَوْجَهَا ٢٦
- (٤٩) قِرَاءَةُ الْبَسْمَلَةِ أَوَّلَ الْفَاتِحَةِ ٢٧
- (٥٠) طَهْرِيَّةُ الْمَاءِ الْمُطْلَقِ ٢٧
- (٥١) الطَّهَارَةُ بِالْمَاءِ وَالتُّرَابِ ٢٧
- (٥٢) الْمَحَالُّ الَّتِي يُطَهَّرُهَا الْمَاءُ ٢٨
- (٥٣) الْاسْتِجْمَارُ ٢٨
- (٥٤) نَوَاقِضُ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفِّ ٢٩
- (٥٥) الْمَاءُ الْمُتَغَيَّرُ بِمَا يَشُقُّ صَوْنُهُ عَنْهُ ٢٩
- (٥٦) الْمَاءُ الْمُتَغَيَّرُ بِالتَّجَاسَةِ لَا يُجْزَى فِي التَّطْهِيرِ ٣٠
- (٥٧) التَّيْمُّ بِدَلِّ الْوُضُوءِ ٣٠
- (٥٨) الْفِعْلُ الْقَلِيلُ فِي الصَّلَاةِ ٣١
- (٥٩) اللَّحْمُ الْمَأْخُودُ مِنَ الْمَيْتَةِ مَيْتَةٌ ٣١
- (٦٠) مَشْرُوعِيَّةُ التَّسْبِيحِ فِي الرُّكُوعِ ٣١
- (٦١) قَصْرُ الصَّلَاةِ لِلْمُسَافِرِ ٣٢
- (٦٢) الْإِعَادَةُ عَلَى مَنْ أَحَلَّ بِشَرَطٍ مِنْ شُرُوطِ صِحَّةِ الصَّلَاةِ ٣٢
- (٦٣) سُجُودُ السَّهْوِ لِتَرْكِ التَّشَهُدِ الْأَوَّلِ ٣٣

- ٦٤) عدمُ صحّةِ صلاةِ الفَرَضِ على الرَّاحِلَةِ..... ٣٤
- ٦٥) سُنيّةُ رَكَعَتَيْنِ قَبْلَ فَرَضِ الْفَجْرِ..... ٣٤
- ٦٦) حُكْمُ صَلَاةِ الْكُسُوفِ ٣٤
- ٦٧) مَشْرُوعِيّةُ صَلَاةِ الْاسْتِسْقَاءِ وَالْخُرُوجِ إِلَيْهَا..... ٣٥
- ٦٨) الْإِتِّفَاقُ عَلَى مَشْرُوعِيّةِ بَعْضِ الْهَيْئَاتِ فِي الْاسْتِسْقَاءِ..... ٣٥
- ٦٩) غَسْلُ الْأَمْوَاتِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ٣٦
- ٧٠) مَا يَحْمِلُهُ الْإِمَامُ عَنِ الْمَأْمُومِ ٣٦
- فَصْلٌ فِي بَيَانِ حَقِيقَةِ ابْنِ رُشْدٍ الْحَفِيدِ الْفَلَسَفِيِّ الْمُجَسِّمِ..... ٣٧
- كِتَابُ الزَّكَاةِ ٤٩
- ٧١) وَجُوبُ الزَّكَاةِ ٤٩
- ٧٢) مَنْ تَجِبُ عَلَيْهِ الزَّكَاةُ ٤٩
- ٧٣) مَا تَجِبُ فِيهِ الزَّكَاةُ ٤٩
- ٧٤) زَكَاةُ الْأَوْقَاصِ فِي الْمَاشِيَةِ لَا فِي الْحُبُوبِ..... ٥٠
- ٧٥) التَّأَخُّرُ فِي إِخْرَاجِ الزَّكَاةِ حَتَّى تَلْفَ الْمَالِ ٥٠
- ٧٦) الزَّكَاةُ فِي النَّبَاتِ ٥١
- ٧٧) زَكَاةُ الْفِضَّةِ..... ٥١
- ٧٨) زَكَاةُ الْإِبِلِ ٥١

- ٥٢ (٧٩) زكاة الغنم
- ٥٢ (٨٠) زكاة البقر
- ٥٢ (٨١) حكم الحرص
- ٥٣ كِتَابُ الصَّيَامِ
- ٥٣ (٨٢) ما يجب إمساك الصائم عنه
- ٥٣ (٨٣) زَمَانُ الإِمْسَاكِ
- ٥٤ (٨٤) حُكْمُ صِيَامِ الْمَرِيضِ
- ٥٤ (٨٥) حُكْمُ صِيَامِ الْعَجُوزِ
- ٥٤ (٨٦) مَنْ جَامَعَ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ عَامِدًا عَالِمًا ذَاكِرًا
- ٥٥ (٨٧) مَنْ أَخَّرَ قِضَاءَ رَمَضَانَ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانٌ آخَرٌ
- ٥٥ (٨٨) صَوْمُ الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى
- ٥٦ (٨٩) وَجُوبُ صِيَامِ رَمَضَانَ عَلَى الْمُغْنَى عَلَيْهِ
- ٥٧ كِتَابُ الْحَجِّ
- ٥٧ (٩٠) تَحْرِيمُ الْوُطْءِ عَلَى الْمُحْرِمِ
- ٥٧ (٩١) تَقْبِيلُ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ
- ٥٨ (٩٢) مَشْرُوعِيَّةُ رَكَعَتَيْنِ بَعْدَ الطَّوَافِ
- ٥٨ (٩٣) وَجُوبُ طَوَافِ الْإِفَاضَةِ

- ٥٨ (٩٤) وجوب الوقوف بعرفة للحاج
- ٥٩ (٩٥) الجمع بين الصلاتين بعرفة
- ٦٠ (٩٦) الخطبة يوم عرفة ويوم الجمعة
- ٦٠ (٩٧) الإسراع في الصلاة بعرفة والجهز في الجمعة
- ٦١ (٩٨) حكم التحرق قبل الرمي
- ٦١ (٩٩) عدم الاعتداد بالحصاة الخارجة عن العقبة
- ٦٢ (١٠٠) جزاء المَحْرَم إذا قَتَلَ صَيْدًا
- ٦٢ (١٠١) فِدْيَةُ الْأَذَى
- ٦٣ (١٠٢) الْمُتَعَةُ بِالْعُمْرَةِ
- ٦٣ (١٠٣) التَّرتِيبُ فِي كَفَّارَةِ التَّمَتُّعِ
- ٦٣ (١٠٤) مواقيتُ الإحرام
- ٦٤ (١٠٥) لبسُ المصبوغِ بالورس والزَّعفرانِ للمُحْرَمِ
- ٦٤ (١٠٦) غُسلُ المُحْرَمِ بَعْدَ إِحْرَامِهِ
- ٦٥ (١٠٧) صَوْمُ الْمُتَمَتِّعِ
- ٦٥ (١٠٨) تحريمُ صَيْدِ الْبَرِّ عَلَى الْمُحْرَمِ
- ٦٦ (١٠٩) لَا دَمَ عَلَى الْمَكِّيِّ الْمُتَمَتِّعِ
- ٦٦ (١١٠) الإحرامُ للحجِّ والعُمْرَةِ

- (١١١) الطَّهَارَةُ لِلسَّعْيِ بَيْنَ الصَّفا وَالْمَرَّةِ ٦٦
- (١١٢) عَدْدُ أَحْجَارِ رَمِيِّ الْعَقَبَةِ ٦٧
- (١١٣) جُمْلَةُ عَدَدِ مَا يَرْمِيهِ الْحَاجُّ مِنَ الْحَصَى ٦٧
- (١١٤) وَجُوبُ الْحَجِّ ٦٨
- (١١٥) مِنْ شُرُوطِ صِحَّةِ الْحَجِّ ٦٨
- (١١٦) إِحْرَامٌ مَنْ يَمْشِي حَافِيًا ٦٨
- (١١٧) حُكْمُ السَّعْيِ لِلْحَائِضِ وَالْمُحْدِثِ ٦٩
- (١١٨) التَّرْتِيبُ بَيْنَ الطَّوَافِ وَالسَّعْيِ ٦٩
- (١١٩) الْمَبِيتُ بِالْمُزْدَلِفَةِ ٧٠
- (١٢٠) صِيَامُ الْمُتَمَتِّعِ السَّبْعَةَ إِذَا لَمْ يَجِدِ الْهَدْيَ ٧٠
- المَصَادِرُ وَالْمَرَاجِعُ ٧١
- الفهرست ٧٣

نَظْمُ الدُّرِّ وَاللَّالِ

فِي تَبْرِئَةِ الشَّيْخِ ابْنِ عَرَبِيٍّ مِنَ الزَّيْغِ وَالضَّلَالِ

رسالة في تبرئة الشيخ محيي بن عربي الحاتمي رحمه الله
مُستندةً إلى عبارات الشيخ محيي الدين في التَّوْحِيدِ مِنْ كُتُبِهِ
مَعَ إِبْطَاتٍ أَنَّ الضَّلَالَ الَّذِي فِي كُتُبِهِ الْيَوْمَ هُوَ مَدْسُوسٌ عَلَيْهِ

جَمَعَ وَتَحْقِيقَ وَتَعْلِيقَ

الشيخ الدكتور جميل حليم الأشعري الشافعي

دكتور محاضر في العقائد والفِرَق

غفر الله له ولوالديه ولمشايعه

بسم الله الرحمن الرحيم

نظرة في الكتب المنسوبة إلى الشيخ ابن عربي

اختلف المترجمون للشيخ محي الدين بن عربي بين مُقِلِّ ومُكثِرٍ ومُطِيلٍ ومُوجِزٍ، فترى بعضهم يسرد قائمة من خمسين كتاباً ينسبها للشيخ ابن عربي وبعضهم لا يزيد على العشرة، فبين الأول والثاني فرق كبير إلا أن المؤرخين متفقون على جملة من الكتب ثابتة في أصلها لابن عربي «الفتوحات المكيّة» الذي هو أشهرها ولعله أكبرها، لكن الكلام على مضمون الكتاب يحتاج إلى مدقق مُنصفٍ، فكَم من مُتسرّع مُتهوّر يرمي ابن عربي بالكُفر والزندقة لمجرد أنه وجد نسخة من كتاب «الفتوحات المكيّة» محشوة بالكُفر والإلحاد مع كون هذا المتسرّع لم يثبت عنده بالبيّنة المُعتبرة شرعاً أن المكتوب في عين هذه النسخة التي بين يديه هو عين ما كتبه ابن عربي إلا أن كثيراً ممن يدّعون أنهم باحثون يقلّد بعضهم بعضاً ويُقيمون النسخة التي فيها زيعُ مقام البيّنة المُعتبرة فيطلقون الأحكام حيث لا دليل لهم على أن هذا الذي في هذه النسخة من كلام الشيخ ابن عربي.

فإذا اطلّعت في الكتب المنسوبة إلى ابن عربي وجدت أن ما فيها على ثلاثة أحوال:

- الأول: كلامٌ يوافق عقيدة أهل السُنّة والجماعة، في التنزيه وغيره.

- الثاني: كلامٌ يَقْبَلُ التأويلَ إِلَّا أَنَّهُ يُخْتَلَى على العوامِ أَن يفهمُوا مِن ظاهرِهِ ما يَرُدُّ شيئاً مِن عقيدةِ المُسلمينَ.

- الثالث: كلامٌ لا تأويلَ له أو له تأويلٌ بعيدٌ غيرُ مقبولٍ وهو في ظاهرِهِ مُصادِمٌ لأصولِ عقيدةِ أهلِ السُّنةِ والجماعةِ

وهذا الأخيرُ نعتقدُ أَنَّهُ مدسوسٌ على الشيخِ محيي الدينِ بنِ عربيٍّ كما ثبتَ أَنَّهُ دُسَّ عليه في حياتهِ وبعدها كما سندُكُرُ فيما بعدُ، ولذلك فإنَّا نُبرِّئُ الشيخَ محيي الدينِ مِنَ الكُفْرِ ولا نُثبتُ عليه خصلةً مُكفِّرةً.

إثباتُ الدِّسِّ على الشيخِ ابنِ عربيٍّ في كُتُبِهِ

ذهبتُ ثلَّةٌ كبيرةٌ مِنَ العلماءِ المحقِّقينَ والفقهاءِ المدقِّقينَ إلى كَشْفِ ما دُسَّ على الشيخِ محيي بنِ عربيٍّ فبرَّأوه ممَّا نُسِبَ إليه من عباراتِ الكُفْرِ والزَّندقةِ.

وقد انتصرَ لَهُ الشَّيْخُ عبدُ الوهَّابِ الشَّعرانيُّ انتصاراً كبيراً ونافعَ عنه، واختصرَ كتابه «الفتوحات» وبرَّأه ممَّا دُسَّ عليه، وَمِن ذلك:

- قال الشيخ عبد الوهَّابِ الشَّعرانيُّ^(١): "وقد أَخْبَرَنِي العارِفُ باللهِ تَعَالَى الشَّيْخُ أبو طاهرٍ المُرِّيُّ الشاذليُّ رضي اللهُ عنه أَنَّ جَمِيعَ ما في كُتُبِ الشَّيْخِ محيي

(١) اليواقيتُ والجواهرُ، عبد الوهَّابِ الشَّعرانيُّ، (٤/١).

الدين مِمَّا يُخَالِفُ ظَاهِرَ الشَّرِيعَةِ مَدْسُوسٌ عَلَيْهِ، قَالَ: لِأَنَّهُ رَجُلٌ كَامِلٌ
بِإِجْمَاعِ الْمُحَقِّقِينَ، وَالْكَامِلُ لَا يَصِحُّ فِي حَقِّهِ شَطْحٌ عَنْ ظَاهِرِ الْكِتَابِ
وَالسُّنَّةِ".

- وَقَالَ أَيْضًا^(١): "وَجَمِيعُ مَا عَارَضَ مِنْ كَلَامِهِ ظَاهِرَ الشَّرِيعَةِ وَمَا عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ
فَهُوَ مَدْسُوسٌ عَلَيْهِ، كَمَا أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ سَيِّدِي الشَّيْخُ أَبُو الطَّاهِرِ الْمَغْرِبِيُّ
نَزِيلُ مَكَّةَ الْمُشَرَّفَةِ، ثُمَّ أَخْرَجَ لِي نُسخَةَ «الْفُتُوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ» الَّتِي قَابَلَهَا عَلَى
نُسخَةِ الشَّيْخِ الَّتِي بِحِطِّهِ فِي مَدِينَةِ قُونِيَّةَ فَلَمْ أَرِ فِيهَا شَيْئًا مِمَّا كُنْتُ تَوَقَّعْتُ
فِيهِ وَحَدَّثْتُهُ حِينَ اخْتَصَرْتُ «الْفُتُوحَاتِ».

وَقَدْ دَسَّ الزَّنَادِقَةُ تَحْتَ وِسَادَةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ عَقَائِدَ
زَائِغَةً، وَلَوْلَا أَنَّ أَصْحَابَهُ يَعْلَمُونَ مِنْهُ صِحَّةَ الْإِعْتِقَادِ لَافْتَتَنُوا بِمَا وَجَدُوهُ
تَحْتَ وِسَادَتِهِ، وَكَذَلِكَ دَسُّوا عَلَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدِ الدِّينِ الْفَيْرُوزِآبَادِيِّ
صَاحِبِ «الْقَامُوسِ» كِتَابًا فِي الرَّدِّ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ وَتَكْفِيرِهِ وَدَفَعُوهُ إِلَى أَبِي
بَكْرٍ الْحَيَّاطِ الْيَمَنِيِّ الْبَغَوِيِّ، فَأَرْسَلَ يَلُومُ الشَّيْخَ مُحَمَّدَ الدِّينِ عَلَى ذَلِكَ، فَكَتَبَ
إِلَيْهِ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الدِّينِ: "إِنْ كَانَ بَلَعَكَ هَذَا الْكِتَابُ فَأَحْرِقْهُ فَإِنَّهُ افْتِرَاءٌ مِنَ
الْأَعْدَاءِ وَأَنَا مِنَ أَعْظَمِ الْمُعْتَقِدِينَ فِي الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ وَذَكَرْتُ مَنَاقِبَهُ فِي

(١) الْيَوَاقِيتُ وَالْجَوَاهِرُ، عَبْدِ الْوَهَّابِ الشَّعْرَانِي، (٦-٥/١).

مُجَلَّدٍ، وكذلك دَسُّوا على الإمام الغزالي في عِدَّةِ مَسَائِلَ في كتابِ «الإحياء»
وظَفِرَ القاضي عياضُ بِنُسخَةٍ من تلكِ النُّسخِ فأمرَ بإحراقها.

وكذلك دَسُّوا عليَّ أنا في كِتَابِي المسمَّى «بالبَحْرِ المورودِ» جُمْلَةً من العقائدِ
الزَّائِغَةِ وأشاعُوا تلكَ العقائدَ في مِصرَ ومَكَّةَ نحو ثلاثِ سِنِينَ وأنا بَرِيءٌ مِنْهَا
كَمَا بَيَّنْتُ ذلكَ في خُطْبَةِ الكِتَابِ لَمَّا غَيَّرْتُهَا، وكانَ العلماءُ كَتَبُوا عَلَيْهِ
وأجازُوهُ فَمَا سَكَنتِ الفِتْنَةُ حَتَّى أَرسلْتُ إِلَيْهِمُ النُّسخَةَ الَّتِي عَلَيْهَا
خُطُوطُهُمْ". ثُمَّ أوردَ الشَّيْخُ الشَّعْرَانِيُّ قِصَّةَ كِتَابِهِ كَامِلَةً حَتَّى قالَ: "إِذَا عَلِمْتَ
ذلكَ فَيَحْتَمِلُ أَنَّ الحَسَدَةَ دَسُّوا على الشَّيْخِ في كُتُبِهِ كَمَا دَسُّوا في كُتُبِي أَنَا
فإنَّه أَمَرُ قد شَاهَدْتُهُ مِنْ أَهْلِ عَصْرِي في حَقِّي" اهـ

- وقال أيضًا^(١): "فَكَذَّبَ اللهُ وافْتَرَى مَنْ أَشَاعَ عَنِ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ بنِ
عَرَبِيِّ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ كانَ يَقُولُ بأنَّ أَهْلَ النَّارِ يَتَلَذَّذُونَ بالنَّارِ وأنَّهُمْ لو أُخْرِجُوا
مِنْهَا لاسْتَغَاثُوا وَطَلَبُوا الرُّجُوعَ إِلَيْهَا" اهـ

(١) اليواقيتُ والجواهرُ، عبد الوهَّاب الشَّعْرَانِيُّ، (١/٤٧٥).

- وقال علاء الدين الحصكفي الحنفى^(١): "وفي «المعروضات المزبورة» ما معناه
أن من قال عن «فصوص الحکم» للشيخ محيي الدين بن العربي إنه خارج
عن الشريعة وقد صنفه للإضلال ومن طالع^(٢) ملحد ماذا يلزمه؟
أجاب: نعم، فيه كلمات ثباين الشريعة، وتكلف بعض المتصليين
لإرجاعها إلى الشرع، لكننا تيقنا أن بعض اليهود افترأها على الشيخ قدس
الله سره" اهـ

تبرئة ابن عربي من زندقه المتصوفة الضالين استناداً إلى عبارات كتبه
وقد نظرنا في أشهر الكتب المنسوبة إلى الشيخ محيي الدين بطبعاتها القديمة
والجديدة وانتقينا منها ثلثة من الأقوال الدالة على براءته من العقائد الفاسدة التي
مشی عليها زنادقة المتصوفة مدعي الاستقامة وإن الدين منهم براء.

(١) الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار، علاء الدين الحصكفي، (١/٤٧٥).

(٢) أي معتقداً ما فيه من الضلال.

- براءتُهُ مِنْ عَقِيدَةِ الْحُلُولِ وَالِاتِّحَادِ:

(١) يقول الشيخ محيي الدين^(١): "إِنَّ الْحَقَّ^(٢) سُبْحَانَهُ يَتَعَالَى عَنِ الْحُلُولِ فِي الْأَجْسَامِ" اهـ

(٢) ويقول أيضًا^(٣): "فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَحُلُّ فِي شَيْءٍ وَلَا يَحُلُّ فِيهِ شَيْءٌ إِذْ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشُّورَى: ١١]" اهـ

(٣) ويقول أيضًا^(٤): "وَالْحَقُّ تَعَالَى مُرَزَّهٌ الذَّاتِ عَنِ الْحُلُولِ فِي الذَّوَاتِ" اهـ

(٤) ويقول أيضًا^(٥): "وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ عَنِ الْحُلُولِ وَالْمَحَلِّ" اهـ

(٥) ويقول أيضًا^(٦): "وَلَيْسَ بِمَحَلٍّ لِلْحَوَادِثِ بَلِ الْأَعْيَانُ مُحَلُّ الْحَوَادِثِ" اهـ

(١) الفتوحات المكيّة، محيي الدين بن عربي، (٣٦٤/٤).

(٢) مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ "الْحَقُّ" وَمَعْنَاهُ الثَّابِتُ الْوُجُودِ أَيِ الَّذِي لَا شَكَّ فِي وَجُودِهِ.

(٣) الفتوحات المكيّة، محيي الدين بن عربي، (٣/٧).

(٤) المصدر السَّابِقُ، (٧٦/٥).

(٥) المصدر السَّابِقُ، (٣٨١/٦).

(٦) المصدر السَّابِقُ، (١١٢/٣).

(٦) ويقول أيضًا^(١): "فلا يَصِحُّ أَنْ يَجْتَمَعَ الْخَلْقُ وَالْحَقُّ فِي وَجْهِ أَبَدًا" اه أي لا

مُنَاسَبَةٌ وَلَا حُلُولَ وَلَا اتِّحَادَ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ وَلَا بِوَجْهِ مِنَ الْوُجُوهِ.

(٧) ويقول أيضًا^(٢): "وكيف يُمَكِّنُ أَنْ يَصِلَ الْمُمَكِّنُ إِلَى مَعْرِفَةِ الْوَاجِبِ

بِالذَّاتِ وَمَا مِنْ وَجْهِ لِلْمُمَكِّنِ إِلَّا وَيَجُوزُ عَلَيْهِ الْعَدَمُ وَالدُّثُورُ وَالْإِفْتِقَارُ،

فَلَوْ جَمَعَ بَيْنَ الْوَاجِبِ بِذَاتِهِ وَبَيْنَ الْمُمَكِّنِ وَجْهٌ لَجَازَ عَلَى الْوَاجِبِ مَا جَازَ

عَلَى الْمُمَكِّنِ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ مِنَ الدُّثُورِ وَالْإِفْتِقَارِ، وَهَذَا فِي حَقِّ الْوَاجِبِ

مُحَالٌ" اه فهذا الكلامُ فيه نَفْيٌ لِلْمُنَاسَبَةِ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ وَنَفْيٌ لِلاتِّحَادِ

وَالْحُلُولِ الْمَحَالِّينَ عَلَى اللَّهِ.

(٨) ويقول أيضًا^(٣): "وما قَالَ بِالْإِتِّحَادِ إِلَّا أَهْلُ الْإِلْحَادِ" اه

(٩) ويقول أيضًا^(٤): "ولا يَصِحُّ أَنْ يَحْدُثَ الْقَوْلُ فِي ذَاتِ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِمَحَلٍّ

لِلْحَوَادِثِ" اه

(١٠) ويقول أيضًا^(٥): "اتَّفَقُوا بِالنَّظَرِ الْعَقْلِيِّ عَلَى أَنَّ الْحَوَادِثَ لَا تَقُومُ بِهِ" اه

(١) الفتوحات المكيّة، محيي الدين بن عربي، (٦٩/١).

(٢) المصدر السَّابِق، (٦٩/١).

(٣) المصدر السَّابِق، (١٢٩/٨).

(٤) المصدر السَّابِق، (١٤/٨ و ٥٠).

(٥) المصدر السَّابِق، (٢٧٣/٦).

(١١) ويقول أيضًا^(١): "وقد قام الدليل أن الحوادث لا تقوم به" اه

(١٢) ويقول أيضًا^(٢): "وليس من الله في أحد شيء ولا يجوز ذلك عليه بوجه من الوجوه" اه أي ليس الله مجسم متركب من أجزاء فلا يجوز علي أن يحل في شيء من خلقه.

(١٣) ويقول أيضًا^(٣): "فالقديم لا يحل^(٤) ولا يكون محلاً^(٥)" اه

(١٤) ويقول أيضًا^(٦): "كذلك العبد ليس فيه من خالقه شيء ولا حل فيه" اه

- براءته من القول بوجود العالم بالعلّة:

(١) يقول الشيخ محي الدين^(٧): "ليس من الملة من قال بالعلّة" اه أي من

قال: "إن الله علّة وجود الحادثات" فليس بمسلم بل هو كافر.

(١) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (١٤٨/٧).

(٢) المصدر السابق، (١٤٨/١).

(٣) المصدر السابق، (١٠٦/٨).

(٤) أي في غيره.

(٥) أي لحلّول الحوادث.

(٦) المصدر السابق، (٤٣١/٨).

(٧) المصدر السابق، (١٣٠/٨).

(٢) ويقول أيضًا^(١): "أصحاب العلة الذين جعلوا الحقَّ علةً في وجود العالم" اه أي الفلاسفة ومن مشى على منوالهم ممن قال مقالة كُفريّة وهي: "إنَّ اللهَ علةٌ وجودِ العالم" ويَقصِدُونَ بذلك أنَّ العالمَ موجودٌ معلولًا لوجودِ اللهِ بَرَعِمِهِمْ لا أنَّ اللهَ اختارَ وجودَ العالمِ.

- براءتُهُ مِنْ عَقِيدَةِ التَّشْبِيهِ والتَّجَسُّمِ:

(١) يقول الشيخ محيي الدين^(٢): "سُبْحَانَهُ لَا يُشَبِّهُ شَيْئًا وَلَا يُشَبِّهُهُ شَيْءٌ، فَمَعْرِفَتُكَ بِهِ إِنَّمَا هِيَ أَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" اه

(٢) ويقول أيضًا^(٣): "إِذْ لَا مُنَاسَبَةَ بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى وَبَيْنَ خَلْقِهِ أَلْبَتَّةَ" اه

(٣) ويقول أيضًا^(٤): "وَاعْلَمْ أَنَّ الْقُوَّةَ الْفِكْرِيَّةَ تُعْطَى أَنْ لَا مُمَازَلَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ وَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ" اه أي العقلَ السَّليْمَ يَعْرِفُ أَنْ لَا مُشَابَهَةَ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ.

(١) فُصُوصُ الْحِكْمِ، محيي الدِّين بن عربي، (ص/٢١٠).

(٢) الفتوحات المكيّة، محيي الدين بن عربي، (١/١٨٣).

(٣) المصدر السَّابِق، (١/١٤٥).

(٤) المصدر السَّابِق، (٣/٢٥٩).

٤) ويقول أيضًا^(١): "كَانَ وَلَا مَكَانَ وَهُوَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ" اه أي لَمْ تَحْدُثْ لِلَّهِ صِفَةٌ بَلْ هُوَ مُتَصِفٌ بِصِفَاتِهِ الْأَزَلِيَّةِ مُوجُودٌ بَلَا مَكَانٍ وَلَا جِهَةً.

٥) ويقول أيضًا^(٢): "فَلَا شَيْءٌ يُمَازِلُهُ" اه

٦) ويقول أيضًا^(٣): "لَا يَتَقَيَّدُ وُجُودُ الْحَقِّ مَعَ وُجُودِ الْعَالَمِ بِقَبْلِيَّةٍ^(٤) وَلَا مَعِيَّةٍ وَلَا بَعْدِيَّةٍ زَمَانِيَّةٍ، فَإِنَّ التَّقَدُّمَ الزَّمَانِيَّ وَالْمَكَانِيَّ فِي حَقِّ اللَّهِ تَرْتَبِي بِهِ الْحَقَائِقُ^(٥) فِي وَجْهِ الْقَائِلِ بِهِ" اه فَقَدَّمَ اللَّهُ لَيْسَ زَمَانِيًّا، وَأَمَّا تَقَدُّمُ الْمَخْلُوقَاتِ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وُجُودًا فزَمَانِيٌّ قَطْعًا.

٧) ويقول أيضًا^(٦): "وَالْتَّنْزِيَهُ بِغَيْرِ التَّشْبِيهِ وَرَدَّتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ أَيْضًا" اه

٨) ويقول أيضًا^(٧): "فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يَزَلْ فِي أَزَلِهِ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ لَمْ يَتَجَدَّدْ عَلَيْهِ حَالٌ وَلَا ثَبَتَ لَهُ وَصْفٌ مِنْ خَلْقِ الْعَالَمِ لَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ

(١) الفتوحات المكيّة، محيي الدين بن عربي، (٦٢/١).

(٢) تفسير ابن عربي، محيي الدين بن عربي، (٢١٦/٢).

(٣) الفتوحات المكيّة، محيي الدين بن عربي، (١٤٠/١).

(٤) أي بَقِيدُ زَمَانِيٍّ، بَلْ اللَّهُ مُوجُودٌ أَزَلًا قَبْلَ وُجُودِ الزَّمَانِ.

(٥) أي تَأْبَاهُ.

(٦) الفتوحات المكيّة، محيي الدين بن عربي، (٤٤٣/٢).

(٧) المصدر السَّابِقُ، (١٠٥/١).

عَلَيْهِ بَلْ هُوَ الْآنَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ قَبْلَ وُجُودِ الْكَوْنِ كَمَا وَصَفَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالَ: «كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ» اهـ فاللَّهُ لَا يَجْرِي عَلَيْهِ زَمَانٌ أَيْ لَا بَدَايَةَ لَوُجُودِهِ لِأَنَّ الزَّمَانَ حَادِثٌ.

(٩) ويقول أيضًا^(١): «فَلْيَكُنِ التَّنْزِيهُ وَنَفْيُ الْمُمَازَلَةِ وَالتَّشْبِيهِ، وَمَا ضَلَّ مَنْ ضَلَّ مِنَ الْمُشَبِّهِةِ إِلَّا بِالتَّأْوِيلِ وَحَمَلِ مَا وَرَدَتْ بِهِ الْآيَاتُ وَالْأَخْبَارُ عَلَى مَا يَسْبِقُ مِنْهَا إِلَى الْأَفْهَامِ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ فِيمَا يَجِبُ لِلَّهِ تَعَالَى مِنَ التَّنْزِيهِ فَقَادَهُمْ ذَلِكَ إِلَى الْجَهْلِ الْمَحْضِ وَالْكُفْرِ الصُّرَاحِ، وَكَانَ يَكْفِيهِمْ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشُّورَى: ١١] وَمَا نَجِدُ لَفْظَةً فِي خَبَرٍ وَلَا آيَةٍ جُمْلَةً وَاحِدَةً تَكُونُ نَصًّا فِي التَّشْبِيهِ أَبَدًا وَإِنَّمَا تَجِدُهَا عِنْدَ الْعَرَبِ تَحْمِيلُ وَجُوهًا مِنْهَا مَا يُؤَدِّي إِلَى التَّشْبِيهِ وَمِنْهَا مَا يُؤَدِّي إِلَى التَّنْزِيهِ، فَحَمَلُ الْمُتَأَوَّلِ^(٢) ذَلِكَ اللَّفْظَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى التَّشْبِيهِ جَوْرٌ مِنْهُ» اهـ

(١) الفتوحات المكيّة، محيي الدين بن عربي، (١/١٤٨).

(٢) كَالْمَجَسِّمَةِ وَالْمُشَبِّهَةِ الَّذِينَ أَوَّلُوا بَارَائِهِمْ فَجَسَّمُوا وَكَذَّبُوا اللَّهَ.

- براءته من تسمية الله بما لم يثبت شرعاً:

(١) يقول الشيخ محيي الدين^(١): "وَمِنْ أَصُولِهِمُ الْأَدَبُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَا يُسَمُّونَهُ إِلَّا بِمَا سَمَّى بِهِ نَفْسَهُ، وَلَا يُضَيِّقُونَ إِلَيْهِ إِلَّا مَا أَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ" اهـ. فإسماء الله تعالى يُتَوَقَّفُ في إطلاقها عليه على ما جاء مَنْصُوصًا عليه مأذونًا في إطلاقه عليه في التَّصَوُّصِ الشَّرْعِيَّةِ أو أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى إِطْلَاقِهِ عَلَيْهِ، أَمَّا الْأَحَادِيثُ الْمُتَّفَقُ عَلَى ضَعْفِهَا فَلَا يَثْبُتُ بِهَا اسْمُ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وَكُلُّ مُلْحِدٍ فِيهَا هُوَ جَائِرٌ مُبْتَعِدٌ عَنِ الْحَقِّ عَاشِمٌ، بَلْ وَقَدْ يَبْلُغُ بِذَلِكَ الْكُفْرَ كَقَوْلِ الْمُجَسِّمِ عَنِ اللَّهِ: "جِسْمٌ لَا كَالْأَجْسَامِ" فَهُوَ كُفْرٌ، وَقَدْ قَالَ الْفَقِيهُ عَلَاءُ الدِّينِ الْبُخَارِيُّ (ت ٨٤١هـ) فِي «مُلْجِمَةِ الْمُجَسِّمَةِ»: "وَمَنْ قَالَ بَأَنَّ اللَّهَ جِسْمٌ فَهُوَ كَافِرٌ إجماعًا، وَلِهَذَا قَالَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ فِي «الْإِرْشَادِ»: "إِثْبَاتُ الْجِهَةِ لِلَّهِ كُفْرٌ صُرَاحٌ" اهـ.

(٢) ويقول أيضًا^(٢): "كَمَا يُعْلَمُ قَطْعًا أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ قَوْلِنَا: "عَلِمْتُ الشَّيْءَ وَعَرَفْتُهُ وَأَنَا عَالِمٌ بِالشَّيْءِ أَوْ عَارِفٌ، وَمَعَ هَذَا وَرَدَ إِطْلَاقُ اسْمِ الْعَالِمِ

(١) الفتوحات المكيّة، محيي الدين بن عربي، (٣٠٩/١).

(٢) المصدر السَّابِقُ، (٣٥٠/٣).

والعَلِيمَ وَالْعَلَّامَ عَلَيْهِ تَعَالَى وَمَا وَرَدَ إِطْلَاقُ اسْمِ الْعَارِفِ عَلَيْهِ، فَلَا يَلْزَمُ
 مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي لِلَّهِ مِنْهُ حُكْمٌ أَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهِ مِنْهُ اسْمٌ، فَأَسْمَاؤُهُ مِنْ
 حَيْثُ إِطْلَاقُهَا عَلَيْهِ مَوْقُوفَةٌ عَلَى وُرُودِهَا مِنْهُ^(١)، فَلَا يُسَمَّى إِلَّا بِمَا سَمِيَ
 بِهِ نَفْسَهُ وَإِنْ عُلِمَ فِيهِ مَدْلُولُ ذَلِكَ الْاسْمِ فَالتَّوْقِيفُ فِي الْإِطْلَاقِ أَوَّلَى " اه
 (٣) ويقول أيضًا^(٢): "لَا يَجُوزُ عِنْدَنَا أَنْ يُسَمَّى إِلَّا بِمَا سَمِيَ بِهِ نَفْسَهُ" اه

- بَرَاءَتُهُ مِنَ الْقَوْلِ بِرُؤْيَا الْمُؤْمِنِينَ رَبَّهُمْ وَهُمْ فِي الدُّنْيَا:

- (١) يقول الشيخ محي الدين^(٣): "إِنَّ أَحَدَنَا لَا يَرَى رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ، بِهَذَا جَاءَ
 الْخَبَرُ الصَّادِقُ" اه. أَي يَرَى الْمُؤْمِنُونَ رَبَّهُمْ وَهُمْ فِي الْجَنَّةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى
 مُوجُودٌ بَلَا مَكَانٍ وَلَا جِهَةٍ، لَا يَكُونُ بَيْنَهُ بَيْنَ خَلْقِهِ مُقَابَلَةٌ وَلَا مَسَافَةٌ.
 (٢) ويقول أيضًا^(٤): "مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ
 الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] يَعْنِي فِي الدُّنْيَا" اه

(١) أَي مَجِيئُهَا فِي نُصُوصِ الشَّرِيعَةِ، وَيُلْحَقُ بِذَلِكَ إِجْمَاعُ الْأُمَّةِ عَلَيْهَا.

(٢) الْفَتْوحَاتُ الْمَكِّيَّةُ، مَحْيِي الدِّينِ بْنِ عَرَبِيٍّ، (١٤٨/٥).

(٣) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، (٣/٧).

(٤) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، (٤٤٨/٢).

- براءتُهُ مِنَ الْقَوْلِ بِأَنَّ الْعَبْدَ يَخْلُقُ فِعْلَهُ:

- (١) يقول الشيخ محي الدين^(١): "قَوْلُهُ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصّافات: ٩٦] أي وَخَلَقَ مَا تَعْمَلُونَ، فَنَسَبَ الْعَمَلَ إِلَيْهِمْ وَإِيجَادَهُ لِلَّهِ تَعَالَى اهـ
- (٢) ويقول أيضًا^(٢): "وَقَالَ: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرّعد: ١٦] فَدَخَلَتْ أَعْمَالُ الْعِبَادِ فِي ذَلِكَ" اهـ.

- براءتُهُ مِنَ الْقَوْلِ بِتَفْضِيلِ الْوَلِيِّ عَلَى النَّبِيِّ:

- (١) يقول الشيخ محي الدين^(٣): "وَقَدْ يَشْطَحُ أَيْضًا بِالْأَدْنَى عَلَى الْأَعْلَى كَمِثْلِ الشَّطْحَاتِ عَلَى مَرَاتِبِ الْأَنْبِيَاءِ" اهـ
- (٢) ويقول أيضًا^(٤): "النُّبُوَّةُ أَشْرَفُ مَرْتَبَةٍ وَأَكْمَلُهَا يَنْتَهِي إِلَيْهَا مِنْ اصْطِفَاءِ اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ" اهـ أي لَا يَبْلُغُ مَرْتَبَةُ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ اصْطَفَاهُمُ اللَّهُ.

(١) الفتوحات المكيّة، محي الدين بن عربي، (٢٦١/١).

(٢) المصدر السّابق، (٤٨٤/٣).

(٣) المصدر السّابق، (٣٥١/٣).

(٤) المصدر السّابق، (٢٤٧/٢).

(٣) ويقول أيضًا^(١): "وهذا النوعُ الإنسانيُّ هو من جُملةِ الأنواع، ولله فيه صَفوةٌ، وأعلى الخواصِّ فيه من العبادِ الرُّسلُ عليهمُ السَّلامُ" اهـ

- براءتُهُ من تَهوينِ أمرِ الكُفرِ للنَّاسِ:

(١) يقول الشيخ محي الدين^(٢): "قال الشَّارِعُ^(٣): «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا لَا يَطْنُ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فِيهِ هَوِي بِهَا فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا» فجعل العقوبةَ للمتلفِّظِ بها بِسَبَبِهَا" اهـ فأقرَّ أنَّ الكلمةَ تكونُ سببًا للخروجِ مِنَ الإسلامِ بمجردِ التَّلَفُّظِ بِهَا مِنْ غيرِ اشتراطِ انْخِراجِ صدرِهِ أو عَزْمِهِ على الخُروجِ مِنَ الإسلامِ، وهذا هو الحَقُّ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ نُصوصُ الشَّريعةِ.

(٢) ويقول أيضًا^(٤): "قال اللهُ تبارك وتعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦] وغيرُ المُكرَه إذا كَفَرَ أَخَذَ بِكُفْرِهِ" اهـ وليس معنى الآية كما قال سيِّد سابقِ المِصرِيِّ الَّذِي فَتَحَ للنَّاسِ بابًا مِنَ الكُفْرِ واسِعًا وَوَرَّطَ بِهِ خَلْقًا كَثِيرًا، فَإِنَّهُ يَقُولُ: "الألفاظُ الكُفْريَّةُ لا تُؤَثِّرُ إِلَّا

(١) الفتوحات المكيَّة، محي الدين بن عربي، (٩/٣).

(٢) المصدر السَّابق، (٦٢/١).

(٣) يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ.

(٤) الفتوحات المكيَّة، محي الدين بن عربي، (١٤٠/١).

أَنْ تَكُونَ شَارِحًا صَدْرَكَ بِهَا وَنَاوِيًا مَعْنَاهَا وَمُعْتَقِدًا"، والعيادُ باللَّهِ،
وَمِثْلُهُ فَعَلَ حَسَن قَاطِرَجِي اللَّبْنَانِيَّ حَيْثُ قَالَ: "مَنْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَاتِ
الْكُفْرِ لَا يُحْكَمُ عَلَيْهِ بِالْكُفْرِ إِلَّا أَنْ يَخْتَارَ دِينًا سِوَى الْإِسْلَامِ"، فَهَذَا
هَدْمٌ لِمَعْنَى الْآيَةِ وَلِقَوَاعِدِ الدِّينِ، فَهَذَا الرَّجُلَانِ وَمَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِهِمَا
جَعَلَا كُلَّ الْعِبَادِ فِي حُكْمِ الْمُكْرَه.

- بَرَاءَتُهُ مِنْ نَفْيِ الْعَذَابِ الْحَسِيِّ فِي جَهَنَّمَ:

(١) يَقُولُ الشَّيْخُ مُحَمَّدِي الدِّين^(١): "جَهَنَّمُ دَارُ سُكْنَاهُمْ وَسُجْنُهُمْ وَاللَّهُ يَخْلُقُ
الْآلَامَ فِيهِمْ" اهـ.

(٢) وَيَقُولُ أَيْضًا^(٢): "وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُدْخَلُونَ أَشَدَّ الْعَذَابِ وَهُوَ الْعَذَابُ
الْمَحْسُوسُ لَا الْمُتَخَيَّلُ" اهـ.

- بَرَاءَتُهُ مِنَ الْقَوْلِ بِفَنَاءِ الثَّارِ:

(١) يَقُولُ الشَّيْخُ مُحَمَّدِي الدِّين^(٣): "فَالْآلَامُ بَاقِيَةٌ عَلَى أَهْلِ جَهَنَّمَ^(٤) الَّذِينَ هُمْ
أَهْلُهَا" اهـ.

(١) الْفَتْوحَاتُ الْمَكِّيَّةُ، مُحَمَّدِي الدِّينُ بْنُ عَرَبِيٍّ، (١/٥١١).

(٢) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، (١/٤٦٣).

(٣) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، (٧/١٦١).

(٤) أَيِ الْكُفَّارِ الْخَالِدِينَ فِيهَا.

(٢) ويقول أيضًا^(١): "وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ" اهـ

(٣) ويقول أيضًا^(٢): "وَاتَّقُوا فِي عَدَمِ الْخُرُوجِ مِنْهَا وَأَنْتُمْ بِهَا مَا كُثُنَ إِلَى مَا لَا نَهَايَةَ لَهُ، فَإِنَّ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنَ الدَّارَيْنِ مَلُؤُهَا" اهـ

- بَرَاءَتُهُ مِنَ الْقَوْلِ بِإِيمَانِ فِرْعَوْنَ:

يقول الشيخ محيي الدين^(٣): "وهؤلاء الْمُجْرِمُونَ أَرْبَعُ طَوَائِفَ كُلُّهَا فِي النَّارِ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا: وَهُمْ الْمُتَكَبِّرُونَ عَلَى اللَّهِ كَفِرْعَوْنَ وَأَمْثَالِهِ مِمَّنْ ادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ لِنَفْسِهِ وَنَفَاها عَنِ اللَّهِ" اهـ.

- بَرَاءَتُهُ مِنْ نِسْبَةِ الْعِصْيَانِ إِلَى بَعْضِ الْمَلَائِكَةِ:

(١) يقول الشيخ محيي الدين^(٤): "وَأَمَّا الْمَلَائِكَةُ فَقَدْ شَهِدَ لَهُمُ اللَّهُ بِأَنَّهُمْ ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التَّحْرِيمُ: ٦] رَدًّا عَلَى مَنْ تَكَلَّمَ

(١) الفتوحات المكيّة، محيي الدين بن عربي، (٩/٣).

(٢) المصدر السَّابِقُ، (٤١٥/٤).

(٣) المصدر السَّابِقُ، (٤٥٥/١).

(٤) المصدر السَّابِقُ، (٤٠٥/١).

بما لا يَنْبَغِي فِي حَقِّ الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ مِنَ الْمُفْسِرِينَ بما لا يَلِيْقُ بِهِمْ وَلَا يُعْطِيهِ ظَاهِرُ الْآيَةِ" اهـ

(٢) ويقول أيضًا^(١): "وَعَصَمَهُمْ عَنِ الْمُخَالَفَةِ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ، فَأَخْبَرَنَا سُبْحَانَهُ أَنَّهُمْ ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التَّحْرِيم: ٦]" اهـ

- بَرَاءَتُهُ مِنَ الْقَوْلِ بِأَنَّ إِبْلِيسَ كَانَ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ:

(١) يقول الشيخ محيي الدين^(٢): "﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا

إِبْلِيسَ﴾ [البقرة: ٣٤] فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ فِي الْأَمْرِ بِالسُّجُودِ فَصَحَّ الِاسْتِثْنَاءُ وَجَعَلَهُ مَنْصُوبًا بِالِاسْتِثْنَاءِ الْمُنْقَطِعِ فَقَطَعَهُ عَنِ الْمَلَائِكَةِ كَمَا قَطَعَهُ عَنْهُمْ فِي خَلْقِهِ مِنْ نَارٍ، فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: إِلَّا مَنْ أَبْعَدَهُ اللَّهُ مِنَ الْمَأْمُورِينَ بِالسُّجُودِ" اهـ

(٢) ويقول أيضًا^(٣): "وَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠] أَيُّ مِنْ هَذَا الصَّنْفِ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ" اهـ

(١) الفتوحات المكيّة، محيي الدين بن عربي، (١٨٨/١).

(٢) المصدر السَّابِق، (١٠٩/٦).

(٣) المصدر السَّابِق، (٢٠٦/١).

ذِكْرُ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ وَالْمَشَايخِ الْمُتْنِينَ عَلَى ابْنِ عَرَبِيٍّ

ذَهَبَتْ ثُلَّةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُحَقِّقِينَ وَالْفُقَهَاءِ الْمَدْقِّقِينَ إِلَى كَشْفِ مَا دُسَّ عَلَى الشَّيْخِ مُحْيِي بْنِ عَرَبِيٍّ فَبَرَّأُوهُ مِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ مِنْ عِبَارَاتِ الْكُفْرِ وَالزَّنْدَقَةِ. وَقَدْ انْتَصَرَ لَهُ الشَّيْخُ عَبْدُ الْوَهَّابِ الشَّعْرَانِيُّ انْتِصَارًا كَبِيرًا وَنَافَحَ عَنْهُ، وَاخْتَصَرَ كِتَابَهُ «الْفُتُوحَاتِ» وَبَرَّأَهُ مِمَّا دُسَّ عَلَيْهِ وَقَدْ مَرَّءَانِفًا. وَمِمَّنْ أَثْنَى عَلَيْهِ أَيْضًا:

- العلامة ابن التَّجَّارِ فَقَالَ^(١): "اجْتَمَعْتُ بِهِ بِدِمَشْقَ وَكَتَبْتُ عَنْهُ شَيْئًا مِنْ شِعْرِهِ وَنِعَمَ الشَّيْخُ هُوَ" اهـ
- وَقَالَ الْكَمَالُ بْنُ الزَّمْلَكَانِي فِيهِ^(٢): "هُوَ الْبَحْرُ الزَّائِرُ فِي الْمَعَارِفِ" اهـ
- وَقَدْ أَلَّفَ الْعَلَامَةُ مُحَمَّدُ الدِّينُ الْفَيْرُوزْآبَادِي^(٣) كِتَابًا يَرُدُّ فِيهِ عَلَى ابْنِ الْخِيَاطِ مَا اتَّهَمَ بِهِ الشَّيْخَ ابْنَ عَرَبِيٍّ اهـ
- وَقَالَ الْقَاضِي زَكَرِيَا الْأَنْصَارِيُّ^(٤): "وَقَدْ نَصَّ عَلَى وَلَايَةِ ابْنِ عَرَبِيٍّ جَمَاعَةٌ عُلَمَاءُ عَارِفُونَ بِاللَّهِ مِنْهُمْ الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ بْنُ عَطَاءِ اللَّهِ وَالشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ الْيَافِعِيُّ" اهـ

(١) الْمُقَفَّى الْكَبِيرُ، تَقِي الدِّينُ الْمَقْرِيْزِي، (٥٢/٦).

(٢) لِسَانُ الْمِيزَانِ، ابْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِي، (٣١٥/٥).

(٣) الضَّوْءُ اللَّامِعُ لِأَهْلِ الْقَرْنِ التَّاسِعِ، شَمْسُ الدِّينِ السَّخَاوِي، (٨٤/١٠).

(٤) أَسْنَى الْمَطَالِبِ فِي شَرْحِ رَوْضِ الطَّالِبِ، زَكَرِيَا الْأَنْصَارِي، (١١٩/٤).

- وقد أَلَفَ الحافظ جلال الدين السيوطي رسالة سَمَّاها «تَنْبِيهُ الْعَبِيِّ فِي تَبْرِئَةِ ابْنِ عَرَبِيٍّ» قال فِيهَا: "والْقَوْلُ الْفَصْلُ فِي ابْنِ الْعَرَبِيِّ اعْتِقَادُ وَلَايَتِهِ وَتَرْكُ النَّظَرِ فِي كُتُبِهِ" اهـ
- وقال أبو عبد الله زكريا بن محمد القزويني المؤرِّخ^(١): "الشَّيْخُ الْفَاضِلُ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَرَبِيِّ الْمَلَقَّبُ بِمُحْيِي الدِّينِ، رَأَيْتُهُ بِدَمَشَقَ سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَسِتْمِائَةٍ، وَكَانَ شَيْخًا فَاضِلًا أَدِيبًا حَكِيمًا شَاعِرًا عَارِفًا" اهـ
- وأَلَفَ الْقَاضِي عَلِيُّ بْنُ مَيْمُونِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رِسَالَةً فِي الدِّفَاعِ عَنْهُ سَمَّاها «تَنْزِيهِ الصَّدِيقِ عَنْ صِفَاتِ الزَّنَدِيقِ».
- وقال الشَّيْخُ شَرْفُ الدِّينِ الْمُنَاوِيُّ: "وَالْمُتَصَدِّقُ لَتَكْفِيرِ ابْنِ عَرَبِيٍّ لَمْ يَخَفْ مِنْ سُوءِ الْحِسَابِ وَأَنْ يُقَالَ لَهُ: هَلْ ثَبَّتَ عِنْدَكَ أَنَّهُ كَافِرٌ؟! فَإِنْ قَالَ: كُتِبَ تَدُلُّ عَلَى كُفْرِهِ، أَفَأَمِنْ أَنْ يُقَالَ لَهُ: هَلْ ثَبَّتَ عِنْدَكَ بِالطَّرِيقِ الْمَقْبُولِ فِي نَقْلِ الْأَخْبَارِ أَنَّهُ قَالَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ بِعَيْنِهَا؟!" اهـ.
- وقال الشَّيْخُ فخر الدين الرازي^(٢): "كَانَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ وَلِيًّا عَظِيمًا" اهـ

(١) أثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد القزويني، (ص/٤٩٧).

(٢) اليواقيت والجواهر، عبد الوهاب الشعراني، (١٢/١).

- وقال ابن حجر الهيتمي^(١): "الَّذِي أَثَرْنَاهُ عَنْ أَكْبَرِ مَشَايِخِنَا الْعُلَمَاءِ الْحُكَمَاءِ الَّذِينَ يُسْتَسْقَى بِهِمُ الْعَيْثُ وَعَلَيْهِمُ الْمُعَوَّلُ وَإِلَيْهِمُ الْمَرْجِعُ فِي تَحْرِيرِ الْأَحْكَامِ وَبَيَانِ الْأَحْوَالِ وَالْمَعَارِفِ وَالْمَقَامَاتِ وَالْإِشَارَاتِ أَنَّ الشَّيْخَ مُحْيِيَ الدِّينِ بَنَ عَرَبِيٍّ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى الْعَارِفِينَ وَمِنْ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ" اهـ
- وقال القاضي ابنُ كمال باشا^(٢): "اعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْخَ الْأَعْظَمَ الْمُقْتَدَى الْأَكْرَمَ قُطْبَ الْعَارِفِينَ وَإِمَامَ الْمَوْحِدِينَ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ الْعَرَبِيِّ الطَّائِيَّ الْأَنْدَلُسِيِّ مُجْتَهِدٌ كَامِلٌ وَمُرْشِدٌ فَاضِلٌ، لَهُ مَنَاقِبٌ عَجِيبَةٌ وَخَوَارِقُ غَرِيبَةٌ" اهـ.
- ولا يسعُ هذا المختصرُ ثناءُ العلماءِ على الشيخِ ابنِ عربيٍّ فاقْتَصَرْنَا على ما سَبَقَ.

(١) الفتاوى الحديثية، ابن حجر الهيتمي، (ص/٢١٥).

(٢) كتائب أعلام الأخيار، محمود بن سليمان الكفوي، (٢/٢٨٣).

خاتمة في التحذير من عبارة فاسدة عند زنادقة المتصوفة

اعلم رحمك الله أن التصوف الحقيقي ليس مجرد جبة من صوف تلبس أو ضرب دق أو تمايل صوف مع وضع الشرع على الرفوف، بل التصوف الحقيقي هو كما قال السيد أحمد الرفاعي الكبير رضي الله عنه: «طريقنا علم وعمل» أي علم بالأحكام الشرعية وأعلالها وأوجبها علم العقيدة، وعمل بالأحكام الشرعية من صلاة وصيام وحج وزكاة إلى غير ذلك من الواجبات.

وقد ابتليت الأمة بزنادقة يدعون أنهم صوفيّة وهم من نهج أهل التصوف الحقيقي بعيد وهو براء منهم، وقد ملأوا الكتب بطامات من أقاويلهم الباطلة وعباراتهم الفاسدة ومن ذلك قول بعضهم: "أنا أخذ عن ربي" أو "أنا أخذ عن قلبي عن ربي" أو "حدّثني قلبي عن ربي"، فهذه كلّها عبارات فاسدة كفر نص على ذلك جمع من الفقهاء.

وقد قيل لرجل من زنادقة المتصوفة: ألا ترحل لتسمع الحديث من عبد الرزاق صاحب المصنّف في اليمن؟ فقال: "وما يصنع بالسماع من عبد الرزاق من يتلقّى من الخلاق؟"، وهذا الكلام من الضلال المبين والكفر الشنيع، فليس أحد يؤحى إليه إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وقال بعض أولئك الزنادقة: أنتم تأخذون العلم ميّتا عن ميّت، ونحن نأخذه مباشرة عن الحي الذي لا يموت"، وهذا الكلام فيه ادعاء لنزول الوحي، ونسبة هذا

الكلام إلى أبي يزيد البسطامي كَذِبٌ عليه وافتراءً.

وَمِمَّنْ رَدَّ مِثْلَ هَذِهِ الْعِبَارَاتِ الْفَاسِدَةِ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْأُصُولِيِّينَ:

- أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي حيث قال^(١): "فَمَنْ قَالَ: إِنَّ هُنَاكَ طَرِيقًا
ءَاخَرَ يُعْرِفُ بِهَا أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ غَيْرَ الرُّسْلِ بِحَيْثُ يُسْتَعْنَى بِهَا عَنِ الرُّسْلِ فَهُوَ كَافِرٌ
يُقْتَلُ وَلَا يُسْتَتَابُ، وَلَا يُحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى سَوَالٍ وَلَا جَوَابٍ، ثُمَّ هُوَ قَوْلٌ بِإِثْبَاتِ
أَنْبِيَاءَ بَعْدَ نَبِيِّنَا ﷺ الَّذِي قَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ خَاتَمَ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ وَلَا
رَسُولَ، وَبَيَانُ ذَلِكَ أَنَّهُ مَنْ قَالَ: "يَأْخُذُ عَنْ قَلْبِهِ" وَأَنَّ مَا وَقَعَ فِيهِ هُوَ حُكْمُ
اللَّهِ وَأَنَّهُ يَعْمَلُ بِمُقْتَضَاهُ وَأَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ فِي ذَلِكَ إِلَى كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ فَقَدْ أَثْبَتَ
لِنَفْسِهِ خَاصَّةَ التُّبُّوَّةِ، فَإِنَّ هَذَا نَحْوُ مِمَّا قَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ
نَفَثَ فِي رُوعِي»^(٢)، وَلَقَدْ سَمِعْنَا عَنْ بَعْضِ الْمُخْرِقِينَ^(٣) الْمَتَظَاهِرِينَ بِالذِّينِ
أَنَّهُ قَالَ: أَنَا لَا ءَاخُذُ عَنِ الْمَوْتَى، وَإِنَّمَا ءَاخُذُ عَنِ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَإِنَّمَا
أُرْوِي عَنْ قَلْبِي عَنْ رَبِّي، وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ" اهـ

- والحافظ ابن حجر العسقلاني إِذْ قَالَ^(٤): "وَقَدْ بَلَّغْنَا عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَالَ: أَنَا

(١) الْمُفْهَمُ لَمَّا أَشْكَلَ مِنْ تَلْخِصِ كِتَابِ مُسْلِمَ، أَبُو الْعَبَّاسِ الْقُرْطُبِيُّ، (٢١٩/٦).

(٢) أَيُّ بَوْحِي إِلَى قَلْبِي.

(٣) أَيُّ الْمُؤَوِّهِينَ.

(٤) فَتْحُ الْبَارِي، ابْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ، (٢٢٢/١).

لَا ءَاخِذُ عَنِ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا ءَاخِذُ عَنِ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وكذا قال ءَاخِرُ: أَنَا
ءَاخِذُ عَنِ قَلْبِي عَنِ رَبِّي، وَكُلُّ ذَلِكَ كُفْرٌ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الشَّرَائِعِ" اهـ

- والحافظُ ابنُ الجوزيِّ حيثُ قال^(١): "وَإِنْ سَمِعُوا أَحَدًا يَرَوِي حَدِيثًا قَالُوا:
"مَسَاكِينُ، أَخَذُوا عِلْمَهُمْ مَيِّتًا عَنْ مَيِّتٍ وَأَخَذْنَا عِلْمَنَا عَنِ الْحَيِّ الَّذِي لَا
يَمُوتُ، فَمَنْ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي قُلْتُ: حَدَّثَنِي قَلْبِي عَنِ رَبِّي" فَهَلَكُوا
وَأَهْلَكُوا بِهِذِهِ الْخُرَافَاتِ قُلُوبَ الْأَعْمَازِ"^(٢). ثُمَّ قَالَ: "وَمَنْ قَالَ: "حَدَّثَنِي قَلْبِي
عَنِ رَبِّي" فَقَدْ صَرَّحَ أَنَّهُ غَنِيٌّ عَنِ الرَّسُولِ، وَمَنْ صَرَّحَ بِذَلِكَ فَقَدْ كَفَرَ" اهـ

- وأبو سعيدٍ محمد الخادميُّ الحنفيُّ بعد إيرادِهِ قَوْلَهُمْ ذَلِكَ مُحَدَّرًا مِنْهُ^(٣): "(وَنَحْوُ
ذَلِكَ مِنَ التَّرَهَاتِ) جَمْعُ تُرْهَةٍ الْأَبَاطِيلِ (كُلُّهُ) لَا بَعْضُهُ (إِلْحَادٌ) مَيْلٌ وَعُدُولٌ
عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ (وَضَلَالٌ) إِعْرَاضٌ عَنِ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ" اهـ

وقد وُجِدَ فِي عَصَرِنَا هَذَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْجُهَالِ تَتَّبَعُ الْمَدْعُوَّ "مُحَمَّدَ أَمِينِ شَيْخُو"
الْمُعْتَزِلِيَّ السُّورِيَّ (ت ١٣٨٤م) فِيهِمْ مَنْ يَقُولُ بِهِذِهِ الْمَقَالَةِ، فَيَجِبُ التَّحْذِيرُ مِنْ
أَوَّلِكَ وَمِنْ تِلْكَ الْمَقَالَةِ الْكُفْرِيَّةِ.

(١) تلبیس إبلیس، أبو الفرج بن الجوزي، (ص/٣٢٩-٣٣٠).

(٢) أي الحمقى.

(٣) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية، أبو سعيد الخادمي، (١/١٠٥).

مِنْ عَآثَارِ الشَّيْخِ الدَّكْتُورِ جَمِيلِ حَلِيمِ

١. بحر الدلائل والأسرار في التبرك بآثار المصطفى المختار.
٢. أسرار الآثار النبوية، أدلة شرعية وحالات شفائية.
٣. لباب النُّقول في تأويل حديث النزول.
٤. النجوم السارية في اضطراب وبطلان الاحتجاج بحديث الجارية.
٥. عمدة الكلام في أدلة جواز التبرك والتوسل بخير الأنام.
٦. التشرف بذكر أهل التصوف.
٧. فصل الكلام في أن إحراق النفس وإجهاض الجنين الحي وما يسمى بتأجير الأرحام إثم وحرام.
٨. الحجج النيرات في إثبات تصرف النبي والولي بعد الممات.
٩. الفرقان في تصحيح ما حُرِّف تفسيره من آيات القرآن الجزء الأول.
١٠. الفرقان في تصحيح ما حُرِّف تفسيره من آيات القرآن الجزء الثاني.
١١. القواعد القرآنية في تنزيه الله عن الشكل والصورة والكيفية.
١٢. البرهان المبين في ضوابط تكفير المعين.
١٣. نقل الإجماع الحاسم في بيان حكم الجهوي والمجسم.
١٤. نيل المرام في بيان الوارد في حكم ما جاء في اللحم والشحم من الأحكام.
١٥. قرة العينين في تربية الأولاد وبر الوالدين.
١٦. لطائف التنبيهات على بعض ما في كتب الحديث من الروايات.

١٧. التعليق المفيد على شرح جوهرة التوحيد.
١٨. القمر الساري لإيضاح غريب صحيح البخاري.
١٩. الشهد المذاب من زهر المحبة بين الآل والأصحاب.
٢٠. الارتواء من أخبار عاشوراء، ودمع العين على استشهاد الإمام الحسين.
٢١. البركان الجارف لشرح المجسم ابن أبي العز التالف.
٢٢. مريم والمسيح في نص القراءان الصريح.
٢٣. جامع الرسائل الإيمانية في بيان العقيدة الإسلامية.
٢٤. طالعة الأقمار من سيرة سيد الأبرار.
٢٥. لآلئ الكنوز في إباحة الرقية وحمل الحروز.
٢٦. حقيقة التصوف الإسلامي.
٢٧. البيان والتوضيح في أن قول النبي في معاوية «لا أشبع الله بطنه» ليس منقبة له ولا فضيلة بل دعاء عليه وذم صريح.
٢٨. جمع اليواقيت الغوالي من أسانيد الشيخ جميل حليم العوالي.
٢٩. المجد والمعالي في أسانيد الشيخ جميل حليم الغوالي وهو الثبت الكبير.
٣٠. السهم السديد في ضلالة تقسيم التوحيد.
٣١. الكوكب المنير في جواز الاحتفال بمولد الهادي البشير.
٣٢. زهر الجنان في جواز الاحتفال بليلة النصف من شعبان.
٣٣. إتحاف المسلم بإيضاح متشابهات صحيح مسلم (أربعة أجزاء).
٣٤. الدرر السلطانية والفوائد الإيمانية من فيض بحر السلطان الحبشي

خادم السنة النبوية.

٣٥. جواهر الأئمة في تفسير جزء عم.
٣٦. المنهج المبارك في تفسير جزء تبارك.
٣٧. السقوط الكبير المدوي للمجسم ابن تيمية الحراني.
٣٨. المدد القدسي في فضل وتفسير آية الكرسي.
٣٩. قلائد الأمة المرصعة بعقيدة الأئمة الأربعة.
٤٠. تحقيق وتعليق على متن الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة النعمان.
٤١. لوامع الأهله والنجم في جوامع أدلة الرجم.
٤٢. ضياء القمرين في نجاه والدي الرسول ﷺ الشريفين.
٤٣. الطريق النوراني بشرح عقيدة الحافظ ابن حجر العسقلاني.
٤٤. الصراط المستقيم بشرح عقيدة القشيري عبد الكريم.
٤٥. درب السلامة في فوائد وإرشادات العلامة أو سمعت الشيخ يقول.
٤٦. إسعاد الأرواح والقلوب بتبرئة نبي الله أيوب.
٤٧. شيخنا القائد الكرار الشهيد الحلبي نزار.
٤٨. تحقيق وتعليق على مختصر سيرة النبي ﷺ وسيرة أصحابه العشرة للمقدسي.
٤٩. الفوائد الهربية على العقيدة السنوسية.
٥٠. النجم الأظهر في شرح الفقه الأكبر.
٥١. البحر الجامع لمناقب القطب الرفاعي اللامع.

٥٢. معجم أهل الإيمان في تنزيه الله عن الجسمية والكيفية والمكان.
٥٣. إجماع أهل التنزيل على إثبات حقيقة التأويل.
٥٤. إجماع أهل الحق والفضيلة على جواز التوسّل والوسيلة.
٥٥. إسعاف فضلاء البشر بأدلة جواز التبرك من الكتاب والسنة والأثر.
٥٦. البوارق الإيمانية في إثبات أدلة الصوفيّة.
٥٧. رسول الله كأنك تنظر إليه وتراه.
٥٨. معجم الأصول الجامع لمتون عقيدة الرسول.
٥٩. الشرح الكبير لعقائد الإسلام المنير.
٦٠. شرح المقدمة الحضرية المسمّى النفحات المسكية في فقه السادة الشافعية.
٦١. السرور والابتهاج في مزارات المعتمرين والحجاج.
٦٢. النفحات الأشعرية على الخريدة البهية.
٦٣. الشذا العاطر في شرح عقيدة ابن عاشر.
٦٤. نيل البشارة بشرح عقيدة الرسالة رسالة ابن أبي زيد القيرواني.
٦٥. إسعاد النبلاء بمعرفة أحكام وأخبار النساء.
٦٦. تحقيق وتعليق على متن جوهرية التوحيد للفقهاء إبراهيم اللقاني.
٦٧. الشرح الفريد لجوهرية التوحيد.
٦٨. تسهيل المعاني إلى جوهرية اللقاني.
٦٩. تحقيق وتعليق على متن الأدب المفرد.

٧٠. الشرح الوافي الأسَدّ على كتاب الأدب المفرد.
٧١. بدر التمام في فضل أهل البيت الكرام ويليهِ إحياء الميت بفضائل أهل البيت.
٧٢. الإنفاق في سبيل الله تجارة رابحة.
٧٣. عقيدة المسلمين من رسالة ابن أبي زيد القيرواني ويليهِ إجابة القاضي والداني محل ألفاظ عقيدة القيرواني.
٧٤. تحذير الأخيار من التشبه بالكفار والفجار.
٧٥. إضاءة المنارة على صحة أو حسن حديث الزيارة.
٧٦. الأدلة المنيفة في نفي الكفر عن أبي حنيفة.
٧٧. تحفة الأبرار في هجرة المختار.
٧٨. إدراك الأماني بشرح بدء الأمالي.
٧٩. شرح الصدر في إثبات عذاب القبر.
٨٠. الردُّ العلمي على ضلالات محمد راتب النابلسي.
٨١. تحذير الأمة من الطاعنين في النبيِّ والسُّنة.
٨٢. إفادة الأنام بشرح عقيدة العوام.
٨٣. التفسير الأسمى لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾.
٨٤. الجداول المرضية في العقائد والأحكام الشرعية.
٨٥. تنبيه الأحياء على بعض ما في كتاب الإحياء،
٨٦. الشموس المكلّلة فيما تلقّيته من الأحاديث المسلسلة.

٨٧. المورد المعين الجامع لكتب الأربعين.
٨٨. إرشاد الأنام بشرح وصايا أبي حنيفة الإمام.
٨٩. طريق الجنة في شرح إضاءة الدُّجَنَّة.
٩٠. منظومة إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة.
٩١. الإقناع ببيان حُجِّية الإجماع.
٩٢. بزوغ الشمس في بطلان حديث الجلوس.
٩٣. تحقيق وتعليق على رسائل مفتي الحبشة العلامة الشيخ محمد سراج الجبرتي الآتي.
٩٤. تحقيق وتعليق على رسائل المحدث محمد سراج الجبرتي الآتي ابن المفتي.
٩٥. الحواشي الحليمية في الفقه والمعاني والعقيدة على مُسند الطيالسي.
٩٦. تحقيق وتعليق على رسالة استِحسان الخوض في علم الكلام للإمام الأشعري.
٩٧. تحقيق وتعليق على شرح محمد السَّكُونِي على العقيدة المُرشدة لابن تومرت.
٩٨. تحقيق وتعليق على شرح أحمد زُرُوق على العقيدة المُرشدة.
٩٩. تحقيق وتعليق على شرح ابن النَّقَّاش على العقيدة المُرشدة.
١٠٠. تحقيق وتعليق على شرح عبد الغني النابلسي على العقيدة المُرشدة.
١٠١. الإبداع في معاني خطبة الوداع.
١٠٢. الرشحاتُ العنبريةُ في فضلٍ وعقيدةٍ إمام النقشبندية.

١٠٣. السيوف والأسنة في الدفع عن الأشاعرة أهل السنة.
١٠٤. الحقائق السنية في معاني اصطلاحات الصوفية.
١٠٥. الأعطار الفاتحة في فضل وتفسير سورة الفاتحة.
١٠٦. المقاصد العلية بشرح نظم العقائد النسفي.
١٠٧. الكشف الجلي لحقيقة المشبهة ابن بطة وابن عبد البر والذهبي.
١٠٨. فتح العينين على أخطاء تفسير الجلالين.
١٠٩. الاعتقاد المسدد في شرح عقيدة المفتي البرزنجي أحمد.
١١٠. الموسوعة الإسلامية في شروح متون العقيدة الأشعرية والماتريدية.
١١١. الفرائد البهية بشرح الأربعين التووية.
١١٢. أسانيد العلية في الأربعين التووية.
١١٣. مرقاة النبّه إلى معاني رسالة الكنه في ما لا بُدّ للمريد منه، وهو كتاب
من هذا المجموع الذي بين أيدينا.
١١٤. نور الحق واليقين على رسالة حبل الله المتين في عقيدة الشيخ الأكبر
محيي الدين، وهو كتاب من هذا المجموع الذي بين أيدينا.
١١٥. الإمتاع فيما نقله الشيخ ابن عربي من مسائل الإجماع، وهو كتاب من
هذا المجموع الذي بين أيدينا.
١١٦. نظم الدرّ والآل في تبرئة الشيخ ابن عربي من الزّيف والضلال، وهو كتاب
من هذا المجموع الذي بين أيدينا.
١١٧. مرقاة التّرقّي في بعض أسانيد التّلقّي.

بيان أهمية علم التوحيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد طه الأمين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن اتبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ضدَّ ولا ندَّ ولا زوجة ولا ولد له، ولا شبيه ولا مثيل له، ولا جسم ولا حجم ولا جسد ولا جثة له، ولا صورة ولا أعضاء ولا كيفية ولا كمية له، ولا أين ولا جهة ولا حيز ولا مكان له، كان الله ولا مكان، وهو الآن على ما عليه كان، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۖ﴾، ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ﴾ ﴿٦٠﴾ تنزه ربي عن الجلوس والقعود، وعن الحركة والسكون، وعن الاتصال والانفصال، لا يحل فيه شيء، ولا ينحل منه شيء، ولا يحل هو في شيء لأنه ليس كمثله شيء، مهما تصورت ببالك فالله لا يشبه ذلك، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر. وأشهد أن حبيبنا وعظيمنا وقائدنا وقره أعيننا محمدًا عبده ورسوله، ونبيه وصفيه وحبيبه وخليله ﷺ وعلى كل رسول أرسله. الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا حبيب الله، الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا عظيم الجاه، ضاقت حيلتنا وأنت وسيلتنا، أدركنا وأغشنا وأنقذنا بإذن الله يا رسول الله، أما بعد عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله في السر والعلن، ألا فاتقوه وخافوه، يقول الله عز وجل في القرآن الكريم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿١٠٢﴾ ويقول الله عز وجل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ ﴿١٥﴾ وقال سبحانه

وتعالى: ﴿وَالْهُكْمُ لِلَّهِ وَحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ وقال تقدست أسماؤه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (١٩) وقد بَوَّب البخاري رحمه الله تعالى وعنونَ في صحيحه لهذه الآية فقال: باب العلم قبل العلم والعمل، وفي هذه الآية قَدَّمَ القراءان الأصل على الفرع، ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (١٩) فالإيمان والتوحيد أصل وأساس وهو الحصن الحصين والركن الركين الذي بدونه لا يقبل العمل الصالح، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «أفضل الأعمال إيمان بالله ورسوله»، وهذه الأفضلية المطلقة، فأفضل الأعمال على الإطلاق الإيمان بالله ورسوله، فهو أفضل من الصلاة والصيام والزكاة والحج، وأفضل من قراءة القرآن والصدقات والذكر، وذلك لأنَّ الإيمان شرطُ أساس لا بدَّ منه لقبول الأعمال الصالحة، وقد قال ربنا في القرآن الكريم ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (٢٧) فالإيمان أولاً، وفي آيةٍ أخرى قال ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ (٩)، وقال ﷺ: «أفضل الأعمال إيمانٌ لا شكَّ فيه»، فإذا دخل عليه الشكُّ أفسده وأبطله، فلا يعود ولا يبقى الإنسان مؤمناً إن شكَّ في وجود الله تعالى أو في صدق الرسول ﷺ أو في حَقِّية الإسلام، أو شكَّ في تنزيه الله، فهذا لا يكون من المسلمين، لذلك قال ربنا في صفة المؤمنين ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ (١٥) أي لم يشكوا لأنَّ الإيمان إذا دخل عليه الشكُّ أفسده؛ من هنا كان الواجب والفرض اللازم المؤكد الأول الإيمان بالله ورسوله، وهذا منهجُ نبويٍّ وليس منهجاً مستحدثاً اليوم، وليس فكرةً ابتدعتها من عند أنفسنا وأخرجناها

من جيوبنا، إنما هذا هو المنهج الذي جاء به محمد وعلمه ﷺ لصحابته وأمته. وقد ثبت في الصحيح أنَّ أهل اليمن جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا له: «يا رسول الله، جئناك لنتفقه في الدين، فأنبئنا عن بدء هذا الأمر ما كان»، فكان سؤالهم عن أول المخلوقات، أي عن أول هذا العالم وجودًا، وهو سؤال مهم، إلا أن رسول الله ﷺ أجابهم عما هو أهم، أجابهم عن الأولى فقال ﷺ: «كان الله ولم يكن شيء غيره»، أي في الأزل لم يكن إلا الله، لا سماء ولا أرض ولا هواء ولا ماء ولا عرش ولا فرش، لا خلاء ولا ملاء، قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾، فعلمهم الرسول ﷺ ذلك وأكد عليهم مع أنهم يعتقدونه لأنهم كانوا من المسلمين ويعرفون التنزيه، مع هذا علّمنا المنهج، سألوا عن مهم فأجابهم عن أهم. وقوله ﷺ: «كان الله ولم يكن شيء غيره» يعني أن الله أزلي، أي أن الله لا مكان له فلا يسكن السماء ولا يجلس على العرش، ليس في جهةٍ واحدةٍ ولا في كل الجهات، فهو تعالى لا يحتاج إلى الأماكن أزلاً وأبدًا، هذا هو المنهج النبوي، وهذا تعليم الرسول ﷺ للأمة. ثم قال ﷺ: «وكان عرشه على الماء»، أي أنَّ الماء هو أول العالم حدوثًا ووجودًا، ثم بعد ذلك خُلِقَ العرش.

وانظر أخي القارئ إلى ما قاله حذيفة رضي الله عنه وأرضاه: «إنا قومٌ أوتينا الإيمان قبل أن نوثق القرآن»، رواه البيهقي في السنن الكبرى وسعيد بن منصور في سننه. وقال سيدنا جندب بن عبد الله رضي الله عنه: «كنا غلمان حزاورة مع رسول الله فيعلمنا الإيمان قبل القرآن ثم يعلمنا القرآن فازددنا

به إيماناً»، رواه البخاري في التاريخ الكبير وابن ماجه في سننه والبيهقي في السنن الكبرى والبوصيري في زوائد ابن ماجه وقال: «إسناده صحيح». هذا هو المنهج النبوي الصحيح.

ورُوي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قال: «كنا نتعلم التوحيد قبل أن نتعلم القرآن، وأنتم الآن تتعلمون القرآن ثم تتعلمون التوحيد»، وقول عبد الله بن عمر رضي الله عنه هذا كان خطاباً للذين كانوا في زمانه، فكيف بكثير من أهل زماننا اليوم الذين أعرضوا عن تعلم علم التوحيد والعقيدة، وهذا هلاك كبير. وفي قوله رضي الله عنه «كنا» يشير إلى نفسه وإلى غيره من الصحابة، وفيه إشارة إلى أن الصواب هو ما كانوا عليه، فهذا تأكيد منه رضي الله عنه على أهمية علم التوحيد.

وانظر رحمك الله إلى ما صنّفه التابعي الجليل الإمام العظيم أبو حنيفة النعمان رضي عنه من رسائل في هذا العلم الشريف، فقد ألّف في علم التوحيد خمس رسائل، وقال في كتابه الفقه الأيسر: «الفقه في الدين أفضل من الفقه في الأحكام»، يعني أن تتعلم أصول العقيدة أفضل من تعلم الأحكام الفرعية. وهذا الإمام أبو حنيفة بلغ درجة الاجتهاد المطلق، ثم إنه كان تلميذ الصحابة، وأخذ العلم عن قريب المائة تابعي، فتأمل.

فهذا ما جاء في القرآن وما جاء في الحديث وما ورد عن الصحابة والتابعين. وقد سلك العلماء بعد التابعين مسلك من قبلهم، فانظر إلى ما جاء في كتاب «الفتاوى البزازية» أو الجامع الوجيز في مذهب أبي حنيفة للعلامة محمد بن

محمد شهاب الدين يوسف الكردي البزازي الذي كان من علماء القرن التاسع الهجري، فقد قال رحمه الله: «تعليم صفة الخالق مولانا جلّ جلاله للناس وبيان خصائص مذهب أهل السنة والجماعة من أهم الأمور، وعلى الذين تصدروا للوعظ أن يلقنوا الناس في مجالسهم وعلى منابرهم ذلك، هذا الأصل في المجالس وعلى المنابر، هذا الأصل». وانظروا إلى ما قاله الفقيه الشافعي أبو حامد الغزالي في كتابه قواعد العقائد بعد أن تكلم عن مبحث الصفات والعقيدة والتنزيه والتوحيد: «اعلم أنّ ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم للصبي في أول نشأته ليحفظه حفظًا»، والصبي هو من كان دون البلوغ. فأين الذين ينتقدون أهل الحق ويعترضون عليهم في تكرارهم لأمر العقيدة من هذا الكلام؟ عمّ الجهل وطمّ وانتشر الفساد، وصار أهل السنة والجماعة كاليتيم الذي لا كافل له، فتخيل أخي القارئ يتيماً لا كافل له كيف يكون حاله وأمره.

ومن مسائل علم العقيدة معرفة صفات الله تعالى الواجبة له إجماعاً وهي الصفات الثلاث عشرة التي لطالما تكرر ذكرها في مصنفات العلماء، ولما تكرر ذكرها في القرآن والحديث ونصوص العلماء قال العلماء: «يجب معرفتها وجوباً عينياً» على كل مكلف، والوجوب في هذه المسألة هو معرفة معناها لا أن تحفظ عين الألفاظ، وهذا سهل - أي اعتقاد المعنى - فهذا فرض على كل مكلف، ومن ذكر ذلك أبو حنيفة الذي هو من أئمة السلف ومن بعده السنوسي، وكذلك محمد الفضالي الشافعي وعبد المجيد الشرنوبلي المالكي،

وكذلك جمال الدين الخوارزمي، ومحيي الدين النووي في كتابه المقاصد، ومفتي لبنان الأسبق الشيخ عبد الباسط بن علي الفاخوري في كتابه الكفاية لذوي العناية وغيرهم من العلماء.

وصفات الله الثلاث عشرة الواجبة له إجماعاً هي:

الوجود: فالله تعالى يستحيل عليه تعالى العدم، موجودٌ أزلاً وأبداً بلا جهة ولا مكان، ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ أي لا شك في وجوده سبحانه، ووجوده تعالى أزلي أبدي ليس كوجودنا الحادث، فوجودنا بإيجاد الله لنا.

الوحدانية، أي أنّ الله تعالى واحدٌ لا شريك له، فهو تعالى واحدٌ في ذاته وصفاته وفعله؛ قال عزّ من قائل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

القيام بالنفس: أي أنه تعالى مستغنٍ عن كلّ ماسواه، وكلّ ما سواه محتاج إليه، فالعالم بما فيه لا يستغني عن الله طرفة عين، قال عزّ وجلّ ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾.

القِدَم: بكسر القاف وفتح الدال، أي الأزلية، أي أنّ الله تعالى لا ابتداء لوجوده، فيستحيل عليه تعالى الحدوث؛ قال تعالى ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾.

البقاء: أي أنّ الله تعالى لا نهاية لوجوده، لا يفنى ولا يبيد ولا يهلك ولا يزول فيستحيل عليه الفناء، قال جلّ جلاله ﴿وَالْآخِرُ﴾.

القدرة: وهي صفة أزليةٌ أبديةٌ يؤثر الله بها في الممكنات، فيستحيل عليه تعالى

العجز، قال تعالى ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ٤٥﴾

الإرادة: أي المشيئة، وهي تخصيص الممكن العقلي ببعض ما يجوز عليه دون بعض وبصفةٍ دون أخرى، فيستحيل حصول شيء خلاف مشيئته تعالى، قال الله عزَّ وجلَّ ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٢٩﴾

السمع: فالله تعالى يسمع كلَّ المسموعات بدون أذن ولا آلةٍ أخرى، فيستحيل عليه تعالى الصمم، قال تعالى ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ ١١﴾

البصر: فالله تعالى يرى جميع المرئيات بدون حدقةٍ ولا آلةٍ أخرى، فيستحيل عليه تعالى العمى، قال تعالى ﴿الْبَصِيرُ ١١﴾.

الكلام: أي أَنَّ الله متكلم بكلام ليس حرفاً ولا صوتاً ولا لغةً، وما نجده في القراءان من ألفاظٍ عربيةٍ إنما هو عبارةٌ عن كلام الله الذاتي الأزلي وليس عين الصفة القائمة بذاته الكريم، قال تعالى ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ١٦٤﴾

الحياة: فالله تعالى حيٌّ يستحيل عليه تعالى الموت، وحياته ليست بروح ودم وعصب، قال تعالى ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ٢٥٥﴾

العلم: أي أَنَّ الله تعالى عالمٌ بكل شيء، فهو تعالى يعلم الممكن ممكناً والمستحيل مستحيلاً والواجب واجباً، فيستحيل عليه تعالى الجهل، قال عزَّ من قائل ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٢٩﴾. وعلمه تعالى أزليٌّ أبدي لا يزيد ولا ينقص ولا يتجدد.

المخالفة للحوادث: أي أنّ الله تعالى لا يشبه شيئاً من كلّ مخلوقاته بالمرّة ولا بأي وجهٍ من الوجوه، ولا بأيّ صفةٍ من الصفات، يقول الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر».

هذه عقيدة كل المسلمين، عقيدة جميع الأنبياء والرسل، عقيدة الصحابة، وعقيدة السلف والخلف، فمن شكّ أو توقّف أو أنكر صفةً من صفات الله فهو كافرٌ بالله تعالى كما ذكر ذلك أبو حنيفة رضي الله عنه، وقال سيدنا عليّ رضي الله عنه: «من زعم أنّ إلهنا محدود فقد جهل الخالق المعبود»، ومن جهل الله كان كافراً به. وقد قال سيدنا علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري: «الجهل بالله كفر به»، فالذي ينسب لله الحدّ صغيراً كان أم كبيراً أو ينسب لله الكمية أو الجسم أو الشكل أو الصورة أو الهيئة ليس مسلماً. وقد نقل الإمام عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي أبو منصور في كتابه تفسير الأسماء والصفات الإجماع على كفر المجسمة وعلى كفر القدرية الذين يكذبون بالقدر.

وبعد كلّ ما نقلناه من آياتٍ قرآنية وأحاديث نبوية وأقوالٍ للعلماء كيف يسعنا السكوت عن تعليم الناس أمور دينهم أو أن نقصّر في نشر علم التوحيد والتزيه الذي هو الأصل والأساس.

وأختم بما قاله الرازي في كتابه مناقب الشافعي، قال رحمه الله: «من أنكر وذمّ

وأبغض علم الكلام - يعني أصول العقيدة - فهو كافر»، وهذا نصٌّ صريحٌ من الإمام الرازي في تكفيره، بل وزاد قائلاً: «كافر لا يعرفُ الله ولا يعرف الرسول ولا اليوم الآخر، وهو على دين عازر» أي مشرك بالله، فهناك ما قاله الرازي فيمن يذم علم التوحيد علم العقيدة والتنزيه، فلا تلتفتوا إلى الغوغاء الأراجيف الذين يهولون الأمر ويقولون: «لا تتكلموا في التوحيد، لا تتكلموا في العقيدة، العلماء ذموا علم الكلام»، قولوا لهم: كذبتُم، العلماء ذموا المعتزلة والمجسمة والقدرية والمرجئة وأهل الأهواء، أما علم التوحيد فقد قال فيه الشافعي: «أحكمنّا ذلك قبل هذا»، أي أتقن علم التوحيد قبل علم الفقه والفروع. هذا الشافعي وهذا أبو حنيفة وهذا حذيفة وهذا جندب وهذا عبد الله بن عمر وهذه الأحاديث وهذا الإجماع الذي نقله العلماء على أهمية تعلم علم العقيدة علم الكلام الذي اشتغل به علماء أهل السنة والجماعة، فماذا يريد المعارضون بعد ذلك؟

تمكنوا في علم التوحيد، تمكنوا في علم العقيدة، فإنّ من لم يعرف التنزيه والتوحيد لم يعرف الله، ومن لم يعرف الله ليس من المسلمين، ومن لم يكن مسلماً لا تصحُّ منه صلاة ولا صيام ولا حج، ومن مات على غير الإسلام فإنه يخلد في النار، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على أشرف المرسلين سيدنا محمدٍ ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين.

المصادر والمراجع

آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد بن محمود القزويني، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، دار صادر - لبنان.

أسنى المطالب في شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، د.ط، د.ت، دار الكتاب الإسلامي - لبنان.

الدّر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار، محمد الحُصني المعروف بعلاء الدين الحُصَكيّ الحنفي، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، ط. ١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية - بيروت.

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس محمد بن عبد الرحمن الدين السّخاوي، ط. ١، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م، دار مكتبة الحياة - بيروت.

الفتاوى الحديثية، أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي، د.ط، د.ت، دار الفكر - بيروت.

الفتوحات المكيّة، أبو بكر محي الدين محمد بن علي بن عربي الحاتمي، ط. ١، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، دار الكتب العلمية - بيروت.

المُفهم لِمَا أَشكَلَ مِنْ تلخيص كتاب مسلم، أبو العبّاس أحمد بن عمر القُرطبي، ط. ١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، دار ابن كثير - دمشق.

المَقَفَّى الكبير (تاريخ المَقْرِيزي)، تقي الدين أحمد بن علي المَقْرِيزي، ط. ١، ١٤٢٧هـ/
٢٠٠٦م، دار الغرب الاسلامي - بيروت.

اليواقِيتُ والجواهرُ، عبد الوهَّاب بن عَيِّ الشَّعراني، ط. ١، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م، دار الكتب
العلمية - بيروت.

بَرِيقَةُ مُحَمَّدِيَّةٍ فِي شَرْحِ طَرِيقَةِ مُحَمَّدِيَّةٍ وَشَرِيعَةِ نَبَوِيَّةٍ فِي سِيرَةِ أَحْمَدِيَّةٍ، أبو سعيد محمد
بن محمد الخادِمِي الحنفي، د. ط. ١، ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة.
تفسير ابن عربي، أبو بكر محي الدين محمد بن علي بن عربي الحاتمي، ط. ١، ١٤٣١هـ/
٢٠١٠م، دار الكتب العلمية - بيروت.

تلبیس إبليس، جمال الدين أبو الفَرَج عبد الرحمن بن الجوزي، ط. ١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م،
دار الفكر - بيروت.

فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط. ١، ١٣٧٩هـ/
١٩٥٩م، دار المعرفة - بيروت.

فُصُوصُ الْحِكَمِ، أبو بكر محي الدين محمد بن علي بن عربي الحاتمي، ط. ٢، ١٤٣٠هـ/
٢٠٠٩م، دار الكتب العلمية - بيروت.

كتائب أعلام الأخيار من فقهاء مذهب الثُّعْمان المختار، محمود بن سليمان الرُّومي
الكَفَوِي، ط. ١، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م، دار الكتب العلمية - بيروت.

لِسان المِيزان، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط. ١، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م، مؤسسة الأعلمي
للمطبوعات - بيروت.

الفهرست

- نظرةً في الكتب المنسوبة إلى الشيخ ابن عربي ٢
- إثبات الدّس على الشيخ ابن عربي في كُتبه ٣
- تبرئة ابن عربي من زندقة المتصوّفة الضالّين استنادًا إلى عبارات كُتبه ٦
- براءته من عقيدة الحلول والاتّحاد ٧
- براءته من القول بوجود العالم بالعلّة ٩
- براءته من عقيدة التشبيه والتّجسم ١٠
- براءته من تسمية الله بما لم يثبت شرعًا ١٣
- براءته من القول برؤية المؤمنين ربّهم وهم في الدّنيا ١٤
- براءته من القول بأنّ العبد يخلّق فعله ١٥
- براءته من القول بتفضيل الوليّ على التّي ١٥
- براءته من تهوين أمر الكفر للنّاس ١٦
- براءته من نفّي العذاب الحسيّ في جهنّم ١٧
- براءته من القول بقناء التّار ١٧
- براءته من القول بإيمان فرعون ١٨

- براءتُهُ مِنْ نِسْبَةِ الْعِصْيَانِ إِلَى بَعْضِ الْمَلَائِكَةِ ١٨
- براءتُهُ مِنَ الْقَوْلِ بِأَنَّ إِبْلِيسَ كَانَ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ ١٩
- ذِكْرُ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ وَالْمَشَايخِ الْمُتَنِينَ عَلَى ابْنِ عَرَبٍ ٢٠
- خَاتِمَةٌ فِي التَّحْذِيرِ مِنْ عِبَارَةٍ فَاسِدَةٍ عِنْدَ زَنَادِقَةِ الْمُتَصَوِّفَةِ ٢٣
- مِنْ عَثَارِ الشَّيْخِ الدَّكْتُورِ جَمِيلِ حَلِيمٍ ٢٦
- بَيَانُ أَهْمِيَّةِ عِلْمِ التَّوْحِيدِ ٣٣
- المَصَادِرُ وَالْمَرَاجِعُ ٤٢
- الفهرست ٤٤